المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز إحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



من التراث الإسلامي

معاني القرآن الكريم

للإمام أبي جعفر النحّاس
المتوفى سنة ٣٣٨هـ

تحقيق
الشيخ محمد علي الصابوني
الأستاذ بجامعة أم القرى

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز إحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



من التراث الإسلامي

معاني القرآن الكريم

للإمام أبي جعفر النحّاس
المتوفى سنة ٣٣٨ هـ

تحقيق
الشيخ محمد علي الصابوني
الأستاذ بجامعة أم القرى

الجزء الثالث

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

إني لأعجب ممن يقرأ القرآن، كيف
يلتذ بتلاوته ولم يفهم معناه

« الإمام الطبري »



تَفْسِيرُ سُورَةِ الأَعْرَافِ

مَكية وَآياتها ٢٠٦ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعراف وهي مكية

١ ـ **قوله جل وعز** ﴿ **آلمص** ﴾ [آية ١] .

قال أبو جعفر : قد بيَّنا معنى فواتح السور ، في أول سورة البقرة ، فمن قال معنى ﴿ آلم ﴾ : أنا الله أعلم ، قال : معنى : ﴿ آلمص ﴾ : أنا الله أَفْصِلُ .

وهذا قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير(١) .

٢ ـ **وقوله جل وعز** ﴿ **كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ** .. ﴾ [آية ٢] .

المعنى هذا كتابٌ أُنزلَ إليك .

٣ ـ **ثم قال جل وعز** ﴿ **فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ** .. ﴾ [آية ٢] .

قال مجاهد وقتادة : الحَرَج : الشكُّ(٢) .

---

(١) الأثر ذكره الطبري ١١٥/٨ وابن الجوزي في زاد المسير ١٦٤/٣ وابن كثير ٣٨٢/٣ وزاد ابن الجوزي فقال معناه : أنا الله أعلم وأفصل ، رواه أبو الضحى عن ابن عباس .

(٢) الطبري ١١٦/٨ وابن الجوزي ١٦٥/٣ والدر المنثور ٦٧/٣ وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي ، وابن قتيبة ، وقال الحسن ، والزجاج : إنه الضِّيقُ أي لا يضق صدرك من تبليغك القرآن ، خشيةً من قومك الكفار ، ورجحه ابن عطية في المحرر ٤٢٣/٥ قال : وتفسيره بالشكِّ قلِقٌ .

والمعنى على هذا القول : فلا تشكُّوا فيه ، لأن الخطاب للنَّبيِّ ﷺ خطابٌ لأمته[1] .

والحرج في اللغة : الضِّيق ، فيجوز أن يكون سُمِّي ضِيقاً ، لأن الشَّاكَّ لا يعرف حقيقة الشيء ، فصدرُهُ يضيقُ به[2] .

ويجوز أن يكون المعنى : فلا يكن في صدرك ضِيقٌ من أنْ تُبلِّغه[3] ، لأنه رُوي عن النبي ﷺ أنه قال : « إنِّي أخافُ أن يَثْلَغُوا رأسي »[4] .

وفي الكلام تقديم وتأخيرٌ ، المعنى : كتابٌ أُنزل إليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين ، فلا يكنْ في صدرِكَ حَرَجٌ منه[5] .

٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ اتَّبِعُوا ما أُنزِلَ إليكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾** [آية ٣] .

قيل : هو القرآنُ والسنَّةُ ، لقوله جل وعز : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ

(١) إنما يجيء الخطاب للرسول ﷺ باعتباره قائد الأمة ، ورئيس الأمة ، فتخاطب الأمة في زعيمها وقائدها كما قال سبحانه ﴿ يا أيها النبيُّ إذا طلَّقْتم النساء ﴾ أراد به أمة النبي ﷺ بدليل الجمع .

(٢) انظر معاني الزجاج ٣٤٧/٢ ومجاز القرآن لأبي عُبيدة ٢١٠/١ ومعاني الفراء ٣٧٠/١ .

(٣) اختاره الطبري ، وابن عطية ، والزجاج ، والفراء ، وانظر الدر المنثور ٦٧/٣ وزاد المسير ١٦٥/٣ .

(٤) هذا طرف من حديث أخرجه مسلم في كتاب الجنة ٢١٩٧/٤ وأحمد في المسند ١٦٢/٤ من حديث عياض بن حمار المجاشعي في خطبة خطبها ﷺ ، وفيه : « وإن الله أمرني أن أحرِّق قريشاً ، فقلت : ربِّ إذاً يثلغوا رأسي فيَدَعُوه خُبْزَةً .. » الحديث ، ومعنى « يثلغوا رأسي » أي يشدخوه ويشجُّوه كما يُكسر الخبز ويُقطع .

(٥) هكذا قال ابن جرير في جامع البيان ١١٧/٨ إن في الكلام تقديماً وتأخيراً ، وانظر أيضاً المحرر الوجيز ٤٢٤/٥ .

الرَّسُولُ فخُذُوهُ ، ومَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[1] .

٥ ـــ ثم قال جل وعز ﴿ ولَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ، قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [آية ٣] .

أي لا تتخذوا من عَدَل عن دين الحقِّ ولياً ، وكلُّ من رضي مذهباً فأهلُ ذلك المذهب أولياؤُه .

ورُوِي عن مالك بن دينار رحمه الله أنه قرأ ﴿ ولا تبتغوا من دونه أولياء ﴾[2] أي لا تطلبوا .

٦ ـــ وقوله جل وعز ﴿ وكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً ، أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ [آية ٤] .

المعنى : فجاءهم العذابُ على غَفْلَةٍ باللَّيلِ وهم نائمون ، أو نصف النهار وهم قائلون[3] .

ومعنى (أو) ههنا : التصرف مرَّةً كذا ، ومرَّةً كذا ، وهي بمنزلة (أَوْ) التي تكون للإباحة في الأمر[4] .

---

(١) ذكر هذا القول الزجاج في معانيه ٣٤٨/٢ قال : لأن ما أتى به النبي ﷺ هو ممَّا أنزل عليه ، وذكره ابن الجوزي في زاده ١٦٦/٣ والآية التي استدل بها المصنف من سورة الحشر رقم (٧) .

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر ٢٦٧/٤ وابن عطية في المحرر ٤٢٥/٥ وليست من القراءات السبع المتواترة .

(٣) قائلون من القيلولة وهي النوم نصف النهار ، والقائلة الظهيرة ، وانظر البحر ٢٦٤/٤ .

(٤) كذا قال الزجاج في معانيه ٣٥٠/٢ والمراد أنَّ العذاب جاءهم فجأة وقت استراحتهم بالنهار ، أو وقت نومهم بالليل ، ومجيء العذاب في هذين الوقتين أشقُّ وأفظع ، لأنه يكون على غفلة من الظالمين .

٧ ــ **وقولـه جل وعـز ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُـمْ إِذْ جَاءَهُـمْ بَأْسُنَـا .. ﴾** [آية ٥] .

الدعوى ههنا بمنزلة الدعـاء ، والدعـوى تكـونُ بمنزلـة الإِدِّعَـاء ، وتكون بمنزلة الدُّعاء ، وأجاز النحويون « اللَّهُمَّ أشرِكْنَا في صَالِح دَعْـوَى مِنْ دَعَاكَ »[1] .

والمعنى : إنهم لم يحصلوا عند الهلاك ، إلَّا على الإقرار بأنهم كانوا ظالمين .

٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِيـنَ ﴾** [آية ٦] .

وهذا سؤالُ توبيخ وتقرير .

فأمَّـا قولُـه تعـالى : ﴿ فَيَوْمَئِـذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِـهِ إِنْسٌ ولَا جَانٌّ ﴾[2] فمعناه أنه لا يُسأل سؤالَ استعلام[3] ، والله أعلم ..

---

(١) هذا قول الخليل كما حكاه عنه في البحر ٤/٢٦٩ واستشهد الخليـل بالدعـاء المذكـور ، قال أهـل اللغـة : الدعـوى ههنـا بمعنـى الدعـاء والقـول ، واختـاره الـطبري . والمعنـى : ما كان دعاؤهـم واستغـاثتهم حين شاهـدوا العـذاب إلا الاعتـراف بالظلـم ، تحسراً وندامـة ، وقـال ابـن عبـاس : « دعواهم » تضرعهم ، وانظر البحر ٤/٢٦٩ .

(٢) سورة الرحمن آية رقم (٣٩) .

(٣) أي لا يُسأل المجرم هل أذنبت ؟ لأن له علامات يُعرف بها ، من اسوداد الوجه ، وزرقة العيـنين ، فيؤخذ بجريرته ، وأما الآية التي معنـا ﴿ فلنسألـنَّ ﴾ فهـو سؤال تقريـر للـرسـل ، وتقريـع وتوبيـخ للأمم المكذبين ، فلا تعارض بين الآيتين ، والله أعلم ، وانظر فتح الـرحمن بكشف ما يلتبس من آيات القرآن ص ٦٢٦ لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري بتحقيقنا .

٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ والوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾** [آية ٨] .

قال عُبيد بن عُمَيْر « يُؤْتَى يومَ القِيامَةِ بالرجلِ ، العظيم الطويلِ ، الأكولِ الشروب ، فلا يزن جناحَ بعوضة »[١] .

قال عمرو بن دينار : إن الميزانَ له كفَّتان[٢] .

١٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ .. ﴾** [آية ١٠] .

أي ملَّكْناكم .

﴿ وجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾ .

أي ما تعيشون به .

ويجوز أن يكون المعنى : ما تتوصلون به إلى المعيشة[٣] .

---

(١) ذكره الطبري في جامع البيان ١٢٣/٨ عن عُبيد بن عُمير ، ورواه البخاري ٣٢٤/٨ ومسلم ٢١٤٧/٤ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة ، لا يزن عند الله جناح بعوضة ، قال واقرءوا ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ وانظر جامع الأصول ٢٣٥/٢ .

(٢) ذكره الطبري في جامع البيان ١٢٣/٨ عن عمرو بن دينار ، وهذا يدلُّ على أن الميزان حقيقي ، والوزن كذلك حقيقي ، إذ تصوَّر أعمال الإنسان بأشكال حسيَّة ثم توضع في الميزان ، وقد وضحنا هذا غاية الوضوح في كتابنا « قبس من نور القرآن » ١٢/٣ وانظر تفسير ابن الجوزي ١٧١/٣ .

(٣) المعايش : جمع معيشة ، وهي ما يُعايش به من المطاعم ، والمشارب ، والحاجات الضرورية ، يُقال في اللغة : معيشة ، ومعاش ، ومعيش ، ومنه قول رؤبة :

إليكَ أشكُو شِدَّة المَعِيشِ ... ومُرَّ أيَّامٍ نَتَفْنَ رِيشِي

١١ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُـمْ ، ثمَّ قُلْنَـا لِلْمَلَائِكَـةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ [آية ١١] .

في هذه الآية أقوال :

قال الأخفشُ ــ وهو أحدُ قولَيْ قطرب ــ (ثمَّ) ههنا بمعنى الواو[(١)] .

وهذا القولُ خطأ على مذهب أهل النظر من النحويين ، ولا يجوزُ أن تكون (ثُمَّ) بمعنى الواو ، لاختلاف معنَيَيْهِمَا[(٢)] .

وقيل : (ثُمَّ) للإخبار[(٣)] .

وقِيلَ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ يعني في ظهر آدم ﷺ ، ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ أي في الأرحام ، هذا صحيح عن ابن عباس[(٤)] .
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ يعني ابن آدم ، وقد علم جل وعز أنه يخلق ذريته ، فهو بمنزلة ما خَلَق .

---

(١) انظر معاني القرآن للأخفش ٥١٢/٢ والمحرر الوجيز لابن عطية ٤٣٩/٥ .

(٢) ردَّ على الأخفش علماءُ البصرة فقالوا : أن « ثمَّ » غير الواو ، فلا تكون بمعناها ، والراجح ما ذهب إليه ابن جرير وابن كثير والقرطبي وغيرهم أن الضمير في « خلقناكم » و « صورناكم » يعود على آدم ، والمعنى : خلقنا أباكم آدم طيناً ، ثم صوَّرناه أبدع تصوير ، وإنما ذُكر بلفظ الجمع تعظيماً له ، لأنه أبو البشر » وانظر جامع البيان ١٢٧/٨ وابن كثير ٣٨٦/٣ ومعاني الزجاج ٣٥٤/٢ .

(٣) يريد أنها ليست لترتيب الجمل في نفسها ، إنما هي لترتيب الإخبار ، لأن التصوير مقدَّم على الخلق ، وانظر زاد المسير ١٧٣/٣ وابن عطية ٤٣٩/٥ .

(٤) الطبري عن ابن عباس ١٢٦/٨ وابن الجوزي ١٧٢/٣ .

وقال مجاهد : رواه عنه ابن جريج وابن أبي نجيح : معنى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ في ظهر آدم [1] .

قال أبو جعفر : وهذا أحسنُ الأقوال ، يذهب مجاهدٌ إلى أنه خلقهم في ظهر آدم ، ثم صورهم حين أخذ عليهم الميثاق ، ثم كان السجود لآدم بعدُ .

ويقوِّي هذا ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾[2] .

والحديثُ : « أنه أخرجهم أمثال الذرِّ ، فأخذ عليهم الميثاقَ »[3] .

قال الزجاج : المعنى خلقنا آدم من تراب ، ثم صوَّرناه ، قال : ويدلُّ عليه ﴿ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[4] فالتقدير : خلقنا أصلَكُمْ[5] .

---

(١) جامع البيان ٨/١٢٧ وزاد المسير ٣/١٧٣ والقرطبي ٧/١٦٩ .

(٢) سورة الأعراف آية رقم (١٧٢) .

(٣) أشار المصنف إلى الحديث الشريف الذي رواه الترمذي في التفسير رقم (٣٠٧٧) ومالك في الموطأ ٢/٨٩٨ وأبو داود في السنة رقم (٤٧٠٣) وأحمد في المسند رقم (٣١١) عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ، ثم مسح ظهره بيمينه ، فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقتُ هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقتُ هؤلاء للنار ، وبعمل أهل النار يعملون .. » الحديث ، وانظر جامع الأصول ٢/١٤٠ وتفسير ابن كثير ٣/٥٠٣ .

(٤) سورة آل عمران آية رقم (٥٩) وتمام الآية ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ .

(٥) انظر معاني الزجاج ٢/٣٥٥ فقد وضَّح فيه المسألة بأسلوب بديع .

وقيل : المعنى خلقناكم نُطَفاً ، ثمَّ صَوَّرناكم[1] .

١٢ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾** [آية ١١] .

قيل : استثنى إبليس من الملائكة ، وليس منهم ، لأنه أُمِرَ بالسجود معهم ، قال جلَّ وعز : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾[2] ؟

وقيل : إنه كان منهم .

قال أبو جعفر : وقد استقصينا هذا في سورة البقرة .

١٣ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾** [آية ١٢] .

هذا سؤال توبيخ وتقرير ، لأنه قد علمَ جلَّ وعزَّ ذلك[3] .

و (لا) زائدة للتوكيد ، كما قال :

---

(١) هذا قول ابن السائب كما حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير ١٧٣/٣ .

(٢) هذا هو الصحيح والراجح من الأقوال ، أن إبليس لم يكن من الملائكة ، وإنما هو من الجنِّ بنص القرآن الكريم ﴿ فسجدوا إلا إبليس كان من الجنِّ ففسق عن أمر ربه ﴾ ولكن لمَّا كان ضمن الملائكة أُمر بالسجود معهم أمراً خاصاً كما نبَّه المصنف بقوله تعالى ﴿ إذْ أمرتُك ﴾ وانظر الأدلة مفصلة في كتاب صفوة التفاسير ٥٢/١ .

(٣) راجع معاني القرآن للزجاج ٣٥٥/٢ وزاد المسير ١٧٤/٣ لابن الجوزي .

فَمَـا أَلـومُ البِـيضَ أَنْ لَا تَسْخَـرَا
لَمَّـا رَأَيْـنَ الشَّمَـطَ القَفَنْـدَرَا[1]

فجاء بجوابٍ لغير ما سُئل عنه ، فقال : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ﴾ ولم يقل : منعني كذا ، وإنما هو جوابُ من قيل له : أيُّكما خير ؟ ولكنه محمولٌ على المعنى ، كأنه قال : منعني فضلي عليه[2] .

١٤ ــ وقولُه جل وعز ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [آية ١٤] .

أي أخِّرْنِي ، فلم يُجَبْ إلى هَذا بِعينِه ، فأُجِيب إلى النَّظْرةِ إلى يومِ الوقت المعلوم[3] .

١٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ قالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ المُسْتَقِيمَ ﴾ [آية ١٦] .

---

(١) هذا البيت من الرَّجز وهو لأبي النجم ، وقد ذكره ابن منظور في لسان العرب ١١٢/٥ وقال القَفَنْدر : القبيح المنظر ، يريد أن تسخر ، و « لا » زائدة ، وفي الصحاح ٧٩٨/٢ مثله وجاء فيه قال الصاغاني : والرواية : إذا رأت ذَا الشيبةِ القفنْدَرا ، وفي تهذيب اللغة ٤٢١/٩ : القَفَنْدَر : الرجلُ الضخم الرأس ، ومعنى الشَّمَط : الذي اختلط بياض شعره بالسواد ، يقول الشاعر : أنا لا ألوم الجميلات أن يسخرن مني لما رأين الشيب في رأسي .

(٢) قال في البحر ٢٧٣/٤ : وهذا ليس بجوابٍ مطابق للسؤال ، ولكنه يتضمن الجواب ، إذ معناه : منعني فضلي عليه لشرف عنصري على عنصره ، فكيف يسجد الأفضل للمفضول ؟ وقد أخطأ إبليس حيث فضَّل النار على الطين ، وكلاهما جماد ، قال ابن سيرين : أول من قاس إبليس فأخطأ ، فمن قاس الدين برأيه قرنه الله مع إبليس . اهـ.

(٣) أشار المصنف إلى قوله سبحانه ﴿ قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ أراد اللعين أن ينجو من الموت ، لأنه إذا بُعث الناس فلا موت بعده ، فأجابه الله أنه سيمهله إلى يوم موت الخلائق لا إلى يوم البعث .

قيل : معناه : فبما أضللتني[1] .

وقيل : معناه خيّبْتَنِ .

وقيل : أي فبما دعوتني إلى شيءٍ ضللتُ من أجله[2] ، والله أعلم بالمراد .

قال مجاهد : معنى ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ : لأقعدنَّ لهم على الحق[3] .

والصراط في اللغة : الطَّريقُ ، والمعنى : على صِرَاطِكَ ، ثم حذف (علَى) فتعدَّى الفعلُ[4] .

١٦ ــ وقوله عز وجل ﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ، وَمِنْ خَلْفِهِمْ ، وعَنْ أَيْمَانِهِم ، وعَن شَمَائِلِهِمْ ﴾ [آية ١٧] .

روى سفيانُ : عن منصور عن الحَكَمِ بنِ عُتَيْبَة[5] قال :

---

(١) هذا قول ابن عباس والأكثرين كما ذكره في البحر ٢٧٥/٤ والمعنى : فسبب إغوائك وإضلالك لي ، لأقعدن لآدم وذريته على طريق الحق وطريق النجاة وهو دين الإسلام .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٥٧/٢ .

(٣) انظر الدر المنثور ٧٢/٣ وزاد المسير ١٧٦/٣ وجامع البيان للطبري ١٣٤/٨ .

(٤) هذا قول الفراء في معانيه ٣٧٥/١ وهو أيضاً قول الزجاج في معاني القرآن ٣٥٨/٢ قال الفراء : المعنى : لأقعدنَّ لهم على طريقهم ، أو في طريقهم ، وإلقاءُ الظرف من هذا جائز .. إلخ . وهكذا وجَّهه الطبري ١٣٥/٨ قال : كما تقول : توجَّه مكَّة أي إلى مكة ، وكقول الشاعر : كما عَسَلَ الطريقَ الثَّعْلَبُ ، ولكنَّ أبا حيان في البحر ٢٧٥/٤ ضعَّفه وقال : وهذا تخريج فيه ضعف ، والأولى أن يُضمَّن « لأقعدنَّ » لألزمنَّ بقعودي صراطك المستقيم .

(٥) انظر ترجمته في تقريب التهذيب ١٩٢/١ وهو « الحَكَمُ بن عُتيبة » وفي القرطبي ١٧٦/٧ : الحَكَم بن عُيَيْنَة ، وهو تصحيف .

﴿ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ من دنياهم ، ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ من آخرتهم ، ﴿ وعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾ يعني حسناتهم ﴿ وعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ يعني سَيِّئَاتِهِمْ[1] .

وهذا قول حسنٌ وشرطُه : أنَّ معنى ﴿ وَلَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ من دنياهم ، حتى يكذِّبوا بما فيها من الآيات ، وأخبارِ الأممِ السَّالفة .

﴿ ومن خلفِهِمْ ﴾ من آخرتهم حتى يكذِّبوا بها .

﴿ وعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾ من حسناتهم ، وأمور دينهم .

ويدلُّ على هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليَمِينِ ﴾[2] .

﴿ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ يعني سيئاتهم أي يتبعون الشهوات ، لأنه يُزَيِّنُهَا لهم[3] .

وقيل : ﴿ ثمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ من آخرتهم .

روى عليُّ بن أبي طلحةَ عن ابن عباس ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ، وَمِنْ خَلْفِهِمْ ، وعَنْ أَيْمَانِهِمْ ، وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ .

أمَّا قولُه تعالى ﴿ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ فيقول : أشكِّكهم في

---

(١) انظر جامع البيان ١٣٦/٨ والقرطبي ١٧٦/٧ وابن كثير ٣٩٠/٣ .

(٢) سورة الصافات آية رقم (٢٨) .

(٣) انظر جامع الأحكام للقرطبي ١٧٦/٧ وزاد المسير لابن الجوزي ١٧٦/٣ .

آخرتهم ، ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾[1] أُرَغِّبهم في دنياهم ﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾ أُشبِّهُ عليهم أمر دينهم ، ﴿ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ أُشهِّي لهم المعاصي ، ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ يقولُ : موحِّدين[2] .

وبهذا الإسناد ﴿ من بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ يعني من الدنيا ﴿ ومِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ من الآخرة ﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾ قِبَل حسناتهم ، ﴿ وعن شَمَائِلِهِمْ ﴾ من قبل سيئاتهم[3] .

قال أبو جعفر : وذلك القول لا يمتنع لأن الآخرة لم تأت بعد ، فهي بين أيدينا ، وهي تكون بعد موتنا ، فمن هذه الجهة يُقال : هي خلفنا .

وقيل : معنى ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ : يخوفهم على تركاتهم ، ومن يُخَلِّفون بعدهم[4] .

---

(١) في المخطوطة « من خلف » وصوابه « ومن خَلْفِهِمْ » كما هو نصُّ الآية الكريمة .

(٢) و(٣) هذه الأقوال رُويت عن ابن عباس كما في جامع البيان ١٣٦/٨ والبحر المحيط ٢٧٦/٤ وزاد المسير ١٧٦/٣ والقرطبي ١٧٦/٧ أقول : والظاهر ما قاله الطبري أن المراد أنه سيأتيهم من جميع وجوه الحقِّ والباطل ، فيصدُّهم عن الحقِّ ، ويُحسِّن لهم الباطل . وهذا ما رجحه ابن عطية ، وأبو حيان ، حيث قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٤٧/٥ : « هذا توكيدٌ من إبليس في أنه يَجِدُّ في إغواء بني آدم ، أخبر عن نفسه أنه يأتي لإضلال ابن آدم من كل جهة ، وعلى كل طريق ، يفسد عليه ما أمكنه من معتقده ، ويُنسيه صالح أعمال الآخرة ، ويُغريه بقبيح أعمال الدنيا ، فعبَّر عن ذلك بألفاظ تقتضي الإحاطة بهم » . اهـ. وقال أبو حيان في البحر المحيط ٢٧٦/٤ : « الظاهر أن إتيانه من هذه الجهات الأربع ، كناية عن وسوسته وإغوائه له ، والجِدِّ في إضلاله من كل وجه ممكن » . اهـ. وهو اختيار الزجاج .

(٤) هذا قول ضعيف ، ولم أر أحداً من المفسرين ذهب إليه أو حكاه ، ولعله تفسيرٌ بحسب اللغة .

وقيل : معنى ﴿ وعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ : من كل جهة يعملون منها[1] ، ويكونُ تمثيلاً ، لأن أكثر التصرف باليدين ، قال الله عز وجل : ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾[2] .

وقال مجاهد : ﴿ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ، وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾ من الحسنات ، ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ من السَّيِّئات[3] .

١٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً ﴾** [آية ١٨] .

يقال : ذأمته ، وذِمْتُه ، وذَمَمْتُه ، بمعنى واحد[4] .

وقرأ الأعمش : ﴿ مَذُوماً ﴾[5] والمعنى واحد ، إلا أنَّه خفَّفَ الهمزة .

وقال مجاهد : المذؤمُ : المنفيُّ[6] . والمعنيان متقاربان .

والمدحور : المطرودُ المبعد ، يقال : « اللهمَّ ادْحَرْ عَنَّا الشَّيْطَانَ » .

---

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٥٨/٢ وهو من باب التمثيل كما قال المصنف أي يأتيهم من جميع الجهات .

(٢) سورة الحج آية رقم (١٠) .

(٣) الطبري ١٣٧/٨ ، القرطبي ١٧٦/٧ ، الدر المنثور ٧٣/٣ . قال ابن عباس : ولم يقل : من فوقهم ، لأن الرحمة تنزل من فوقهم ، واختار ابن جرير أن المراد جميع طرق الخير والشر ، فالخيرُ يصدُّهم عنه ، والشرُّ يُحبِّبه لهم ، وانظر تفسير ابن كثير ٣٩١/٣ .

(٤) قال الأخفش في معانيه ٥١٤/٢ : ﴿ مَذْءُوماً ﴾ من الذَّأم ، تقول : ذأمتُه فهو مذءوم ، أو من الذَّمِّ ، ذممتُه فهو مذموم ، تقول : ذأمتُه ، وذممتُه ، وذمتُه ، كلُّه في معنى واحد .

(٥) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٤٢/١ .

(٦) انظر الطبري ١٣٨/٨ وتفسير ابن كثير ٣٩٢/٣ .

١٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾** [آية ١٩] .

رُوي عن ابن عباس أنها : السُّنْبُلَة[١] .

١٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا ﴾** [آية ٢٠] .

أي ليظهر لهما ما سُتر عنهما من فروجهما[٢] ، ومن هذا : تواريت من فلانٍ .

وقرأ الضحاك ، ويحيى بن أبي كثير ﴿ مَا أُوْرِيَ عَنْهُمَا ﴾[٣] .

٢٠ ــ **وقوله جل وعزَّ ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ ﴾** [آية ٢٠] .

وأكثر الناس على فتح اللَّام ، وقال من احتجَّ بكسر اللَّام ، قوله جل وعزَّ ﴿ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾[٤] يدلُّ على القراءة « مَلِكَيْنِ » لأنَّ مُلْكاً من مَلِك .

وأنكر أبو عمرو بن العلاء[٥] كسرَ اللَّام ، وقال : لم يكنْ قبل

---

(١) ابن كثير ٣٩٣/٣ والقرطبي ٢٠٤/١ وأراد بالسنبلة الحنطة .

(٢) قال القرطبي ١٧٨/٧ ﴿ وُورِيَ ﴾ أي سُتِر وغُطِّيَ عنهما ، والسَّوْءَاتُ جمعُ سوأةٍ وهي العورة ، وسُمِّي الفرجُ عورةً لأن إظهارَه يسوءُ صَاحبَه ، ودلَّ هذا على قبح كشفِ العورة . اهـ. قرطبي .

(٣) هذه ليست من القراءات السبع ، قال القرطبي ١٨٧/٧ : ويجوز في غير القرآن « أوري » مثل أُقِّتَتْ .

(٤) سورة طه آية رقم (١٢٠) والآية ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ .

(٥) أبو العلاء هو أبو عمرو بن العلاء المازني النحوي من كبار علماء اللغة والقراءات توفي سنة ١٥٤هـ تقريب التهذيب ٤٥٤/٢ .

آدمَ ﷺ مَلِكٌ ، فيصيرا مَلِكَيْنِ .

٢١ ـــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾** [آية ٢١] .

أقسمَ لهما ، مثل طارقتُ النَّعلَ .

وقيل : حَلَفا أن لا يقبلا منه ، إلَّا أن يحلف ، فحلَف لهما[١] .

٢٢ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾** [آية ٢٢] .

المعنى : فدلَّاهُما في المعصية[٢] .

٢٣ ـــ **ثم قال جل وعز ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ ﴾** [آية ٢٢] .

وهذا يدل على أنهما لم يمعنا في الأكل[٣] .

---

(١) المقاسمة كالمفاعلة تقتضي المشاركة من الطرفين ، تقول : قاسمت فلاناً : حلفتُ له ، وحلف لي ، ولكنها في الآية قسمٌ من إبليس فقط ، فكيف قال « وقاسمهما » ؟ قال ابنُ عطيّة : أي حلف لهما ، وهي مفاعلة ، إذ قبولُ المحلوف له ، وإقبالُه على معنى اليمين كالقسم ، وقال الزمخشري : كأنهما قالا له : أتقسم باللهِ لنا إنك لمن الناصحين ؟ فقال : أقسم لكما بالله ، فجعل ذلك مقاسمة بينهم . اهـ. نقلهما في البحر المحيط ٢٧٩/٤ .

(٢) أي غرَّهما بقوله وخدعهما بمكره حتى أكلا من الشجرة ، وفي قوله « دلَّاهما » استعارة لطيفة حيث صوَّر خداعه بمن يدلِّي شخصاً من علوٍ إلى سُفل ، بحبل ضعيف فينقطع به فيهلك ، فيشبِّه الذي يُغرُّ بالكلام ويُخدع بطرقٍ من الخديعة ، حتى يصدِّقه فيقطع بمصيبة ، بالذي يُدَلَّى في هوَّة بحبلٍ بالٍ فيسقط ويتردى .

(٣) لعلَّ المصنف أخذه من قوله سبحانه ﴿ فلمَّا ذَاقَا ﴾ الذي يدلُّ على عدم الإغراق في الأكل وإنما كان بطرف اللسان كما هو في ذوق الطعام !!

٢٤ ــ وقولـه جل وعـز ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّـــةِ ﴾ [آية ٢٢] .

أي أخذا يلزقان ، ومنه خصفتُ النَّعْلَ : أي رَقَعْتُها .

قال ابـن عبـاس : وهـو ورقُ الـتِّين ، أخــذاه فجعــلاه على سوءاتهما[١] .

والفرقُ بين معصية آدمَ ، ومعصيةِ إبليس ، أن إبليس أقـامَ على الذَّنْبِ ، وتابَ آدمُ وَرَجَعَ[٢] ، قال الله جلَّ وعز : ﴿ قَالَا رَبَّنَـا ظَلَمْنَـا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ .

٢٥ ــ وقولـه جل وعـز ﴿ يَا بَنِـي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَـــا عَلَيْكُـــمْ لِبَــاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ ﴾ [آية ٢٦] .

قال مجاهد : كان قومٌ من العرب ، يطوفون بالبيت عراةً ، فأنزل الله عز وجـل ﴿ يَا بَنِـي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَـا عَلَيْكُـمْ لِبَـاساً يُوَارِي سَوْءاتِكُـمْ وَرِيشاً ﴾[٣] .

---

(١) الطبري عن ابن عباس ١٤٣/٨ والبحـر المحيـط ٢٨٠/٤ وتـفسير ابـن كثير ٣٩٤/٣ . قال أبـو حيان : ولم يثبت تعيينُها لا في القرآن ، ولا في حديثٍ صحيح . اهـ. البحر ٢٨٠/٣ .

(٢) إبليس أصرَّ على معصية الله وعانـد الكفـر ، وأمَّـا آدم فاعتـرف بالخطيئة ، والتـائب من الـذنب كمن لا ذنب له .

(٣) قول مجاهـد ذكـره الـطبري ١٤٦/٨ قال : أربـع آيـاتٍ نزلت في قريش ، كانت قريشٌ تطـــوف عُراة ، لا يلـبس أحدهـم ثوبـاً طاف فيـه . وذكـره في البحـر ٢٨٢/٤ وابـــن عطيـــة في المحرر ٤٧٠/٥ .

قال مجاهد : الريشُ : المالُ [1] .

وقال الكسائي : الريش : اللباسُ .

وقال أبو عبيدة: الريشُ ، والرياشُ : ما ظَهَر من اللباس والشّارة [2] .

والريشُ عند أكثر أهل اللغة : ما ستر من لباسٍ أو معيشة [3] .

وأنشد سيبويه :

فَرِيشِي مِنْكُمْ وَهَوَايَ مَعْكُمْ
وَإِنْ كَانَتْ زِيَارَتُكُمْ لِمَامَا [4]

وحكى أبو حاتم عن أبي عُبيدة : وهبتُ له دَابَّةً بريشها : أي بكسوتها وما عليها من اللباس [5] .

قال الفراء : يكون الرِّياشُ جمعاً للرِّيشِ ، وبمعناه أيضاً ، مِثْلُ

---

(١) الطبري عن مجاهد ١٤٨/٨ وابن كثير ٣٩٥/٣ وحكى البخاري عن ابن عباس تفسير الريش بالمال .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٢١٣/١ والمراد بالشَّارة ما يُلبس من عمامة ، وعقال ونحوهما .

(٣) في المصباح المنير : الريش من الطائر المعروف ، والريشُ : الخير ، والرياشُ يُقال في المال والحالة الجميلة . اهـ. وقال الطبري : الرياش في كلام العرب : الأثاث وما ظهر من الثياب .

(٤) البيت من شواهد سيبويه ص ١٣٩ وهو من شعر الراعي النُّميري « عُبيد بن حُصَين » وفي المخطوطة « ريشي » بدون فاء ، وصوابه ما أثبتناه « فريشي » لأنه من بحر الوافر ، وذكره القرطبي ١٨٤/٧ ، وهو في معاني الزجاج ٣٦٢/٢ وفي زاد المسير ١٨٢/٣ .

(٥) مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٢١٣/١ .

لِبْسٍ ، ولِبَاسٍ[1] .

٢٦ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ** ﴾ [آية ٢٦] .

أي لباس التَّقْوَى خيرٌ من الثِّيَابِ ، لأن الفاجر وإن لبس الثِّيَابَ فهو دَنِسٌ[2] .

وروى قاسم بن مالك عن عوف عن معْبَدٍ الجُهَنِي قال : ﴿ لِبَاسُ التَّقْوَى ﴾ : الحياءُ[3] .

وقرأ الأعمش : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى خَيْرٌ ﴾ ولم يقرأ ﴿ ذلك ﴾ .

٢٧ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **إنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقِبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ** ﴾ [آية ٢٧] .

قبيلُهُ : جنودُه .

قال مجاهد : يعني الجنَّ والشَّياطين[4] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٣٧٥/١ ولفظه : إن شئتَ جعلت « رياش » جمعاً واحدُه الرِّيشُ ، وإن شئتَ جعلتَ الرِّياش مصدراً في معنى الرياش ، كما يُقال : لِبْسٌ ولِبَاسٌ .

(٢) طهارة الباطن أهمُّ من جمال الظاهر ، يُقال : فلان طاهر الذيل والثوب ، إذا كان شريفاً عفيفاً . قال الشاعر :

إذَا المَرْءُ لَم يَدْنَسْ من اللُّؤْمِ عِرْضُهُ ... فكلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ

(٣) الطبري ١٤٩/٨ والقرطبي ١٨٤/٧ وفي المخطوطة عن « عوف بن معبد الجهني » وهو تصحيفٌ ، وصوابه كما في القرطبي والطبري « عوف عن معبد الجهني » وليس ابن ، وعوف هو عوف بن مالك الجشمي ، وانظر ترجمته في التهذيب ١٦٩/٨ .

(٤) زاد المسير ١٨٤/٣ وجامع البيان ١٥٣/٨ .

٢٨ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا** ﴾ [آية ٢٨] .

قال مجاهد : كانت النِّسَاءُ تطوفُ بالبيتِ عُراةً ، عليهنَّ الرِّهَاطُ[١] .

وقال : الرِّهَاط : جمعُ رَهْطٍ ، خرقةٌ من صوفٍ أو سيور ، كذا قال الفراء[٢] .

فهذه الفاحشة الذي قالوا ﴿ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ﴾ .

وقال غيره : « كان الرجال يطوفون نهاراً عُراةً ، والنِّسَاءُ بالليل ، ويقولون : لا نطوفُ في ثيابٍ عصينا اللهَ فيها »[٣]

٢٩ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ** ﴾ [آية ٢٩] .

أي بالعدل .

﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ .

---

(١) ذكره الطبري عن مجاهد ١٥٤/٨ والدر المنثور ٧٨/٣ وزاد المسير ١٨٤/٣ وفي الطبري : كانوا يطوفون بالبيت عُراة ، يقولون : نطوف كما ولدتنا أمهاتنا ، فتضع المرأة على قُبُلها النِّسعة وتقول :

اليومَ يَبْدُو بعضُهُ أو كُلُّهُ فَمَا بَدَا منهُ فلا أُحِلُّهُ

(٢) في الصِّحاح : الرَّهْطُ : جِلدٌ قدرُ ما بين السُّرَّة إلى الركبة تلبسه الحائض وجمعه رِهاط ، وكانوا في الجاهلية يطوفون عراةً ، والنساء في أرهاطٍ . اهـ. الجوهري . ولم أره في معاني الفراء ولعل المصنف نقله من كتب اللغة .

(٣) الدر المنثور ٧٨/٣ وأصل الحديث من رواية مسلم التفسير ٢٣٢٠/٤ عن ابن عباس قال : كانت المرأة تطوف بالبيت وهو عُريانة وتقول : من يُعيرني تِطوافاً تجعله على فرجها ؟ وتقول : اليوم يبدو .. إلخ .

قال مجاهد : أي استقبلوا القبلة أينما كنتم ، ولو كنتم في كنيسة[1] .

وقال غيره : معناه إذا أدركتكم الصلاةُ في مسجدٍ فصلُّوا ، ولا يقل أحدكم : لا أُصَلِّي إلَّا في مسجدي[2] .

٣٠ ــ ثم قال جل وعز ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [آية ٢٩] .

قال مجاهد : من بُدِئ سعيداً عاد سعيداً ، ومن بُدِئ شقيًّا عاد شقيًّا[3] .

وقال محمد بن كعب : يختم للمرء بما بُدِئ به ، ألَا ترى أنَّ السحرة كانوا كفاراً ، ثم خُتم لهم بالسعادة ؟ وأنَّ إبليس كان مع الملائكة مؤمناً ثم عاد إلى ما بدئ به[4] .

٣١ ــ وقوله جل وعز ﴿ يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [آية ٣١] .

---

(١) جامع البيان ١٥٥/٨ والدر المنثور ٧٧/٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٨٥/٣ وهو مروي عن ابن عباس ، والضحاك ، واختاره ابن قتيبة .

(٣) الدر المنثور عن مجاهد ٧٧/٣ والطبري ١٥٦/٨ وزاد المسير ١٨٥/٣ ولفظه : كما بدأكم سعداء وأشقياء كذلك تعودون .

(٤) الطبري ١٥٦/٨ ولفظه : من ابتدأ الله خلقه على الشِّقْوة ، صار إلى ما ابتدأ الله خلقه عليه ، وإن عمل بأعمال أهل السعادة ، كما أن إبليس عمل بعمل أهل السعادة ، ثم صار إلى ما ابتدئ عليه .. وذكر الأثر ، أقول : إبليس ليس من الملائكة ، وإنما كان مع الملائكة ، بدليل قوله تعالى ﴿ فسجدوا إلا إبليس كان من الجنِّ ففسق عن أمر ربه .. ﴾ الكهف .

قال عطاء :وطاووس ، والضحاك : يعني اللباس ، لأن قوماً من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ، وهو مذهب مجاهد[1] .

وروى شعبة عن سلمة بن كُهَيْل قال : سمعت مسلم البَطِين يُحدِّث عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال « كانت المرأة تطوفُ بالبيت وهي عُريانة ، فنزلت ﴿ خُذُوا زينتكُمْ عِنْدَ كلِّ مَسْجِدٍ ﴾[2] » .

قال الزُّهري : كانت العرب تطوف بالبيت عراة ، إلَّا الحُمْسَ[3] ـــ قريشاً وأحلافها ـــ فقال الله جلَّ وعز ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[4] .

٣٢ ـــ ثم قال جل وعز موبِّخاً لهم ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعَبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [آية ٣٢] .

هو عامٌّ .

---

(١) انظر الطبري ١٦٠/٨ وابن كثير ٤٠١/٣ وهو قول ابن عباس أيضاً قال : كان رجال يطوفون بالبيت عُراةً ، فأمرهم الله بالزينة ، والزينةُ : اللباسُ . اهـ. وانظر الدر المنثور ٧٨/٣ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في التفسير ٢٤٣/٨ والنسائي في الحج ٢٣٣/٥ وذكره الطبري ١٦٠/٨ ، وزاد في روايته : وكانت المرأة تقول :

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أو كُلُّهُ ... فَمَا بَدَا مِنهُ فَلَا أُحِلُّه

(٣) الأثر رواه ابن الجوزي في زاد المسير ١٨٧/٣ والحمسُ : هم قريش وكنانة ، قال الجوهري : « وإنما سُمِّيت قريش وكنانة حُمْساً لتشددهم في الدين ، لأنهم كانوا لا يستظلون أيام منى ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها » . اهـ. الصحاح .

(٤) يريد أن الآية وإن نزلت في الذين حرَّموا بعض المآكل والمشارب من المشركين ، إلا أن حكمها عام يشمل جميع الخلق .

وقيل : أي من حرم لبس الثياب في الطواف ؟ ومن حرَّم ما حرموا من البحيرة وغيرها[1] ؟

قال الفراء : إن قبائل من العرب ، كانوا لا يأكلون اللحم أيام حجهم ، ويطوفون عراة ، فأنزل الله جل وعز هذا[2] .

٣٣ ــ ثم قال جل وعز ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ [آية ٣٢] .

قال الضحاك :يشترك فيها المسلمون والمشركون ، في الدنيا ، وتَخْلُصُ للمسلمين يوم القيامة[3] .

وقيل : ﴿ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ في الصلة ، أي آمنوا في ذا الوقت ، خالصةً من الغَمِّ والتَّنغِيص[4] .

٣٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ قُلْ إنَّما حَرَّمَ رَبِّي الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ .. ﴾ [آية ٣٣] .

رَوى روحُ بن عُبادة ، عن زكريا بن إسحاق ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ : نكاحُ الأمهات في

---

(١) هذا القول مروي عن ابن عباس ، كما في الدر المنثور للسيوطي ٨١/٣ وزاد المسير لابن الجوزي ١٨٩/٣ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٣٧٧/١ .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن الضحاك ١٦٤/٨ والقرطبي ٢٠٠/٧ عن ابن عباس ، والضحاك ، والحسن .

(٤) انظر البحر المحيط ٢٩١/٤ وتفسير ابن عطية ٤٨٤/٥ .

الجاهلية ﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ الزِّنَا[1] .

وقال قتادة : سرُّها ، وعلانيتها[2] .

٣٥ ـــ ثم قال جل وعزَّ ﴿ والإِثْمَ ﴾ [آية ٣٣] .

وقال في موضع آخر : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَـيْسِرِ ، قُلْ فِيهِمَـا إِثْـمٌ كَبِيـرٌ ﴾[3] فدلَّ بهاتين الآيتين على أنَّ الخمـــر ، والميسر ، حرامٌ[4] .

٣٦ ـــ وقوله جل وعز ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ .. ﴾ [آية ٣٤] .

أي وقت مؤقَّتٌ[5] .

---

(١) الأثر رواه الطبري ١٦٦/٨ وابن الجوزي في زاد المسير ١٩٠/٣ وعزاه ابن الجوزي إلى ابـن عبـاس من طريق سعيد بن جبير ، وبه قال علي بن الحسين .

(٢) فسَّر قتادة ما ظهر من الفواحش بالعلانية ، وما بطـن بالسرِّ ، وهـذا الأثـر رواه الـطبري واختـاره فقال : المعنى : إنما حرَّم ربِّي القبائح من الأشياء وهي الفـواحش ، ما ظهـر منها فكـان علانيـة ، وما بطن فكان سرًّا في خفاء ، ورواه القرطبي في جامع الأحكام عن قتادة ٢٠٠/٧ .

(٣) سورة البقرة آية رقم (٢١٩) .

(٤) وجه الاستدلال أنَّ الله عز وجل ذكـر هنـا لفـظ التحـريم فقـال ﴿ قل إنما حرَّم ربي الفـواحش .. والإثم والبغي ﴾ وذكر في البقرة الخمر والميسر ، وبيَّـن أنـه فيهمـا إثمـاً ﴿ قل فيهمـا إثم كبير ﴾ ولما كان قد حرَّم الإثم ، دلَّ ذلك صراحة على تحريم الخمر والميسر ، لأنهما من الإثم ، والله أعلم .

(٥) المراد وقتٌ محدَّد لهلاكهم ، أو موتهم ، قال الزجـاج ٣٦٨/٢ : الأجـلُ : الـوقتُ المؤقَّت ، وقـال ابن عطية ٤٩٠/٥ : الآية تتضمن الوعيد والتهديد ، والمعنـى : لكـل فرقـة وجماعـة أجـلٌ مؤقَّت لمجيء العذاب ، إذا كفروا وخالفوا أمر ربهم ، قالـه الـطبري وغيره . اهـ . كقولـه تعـالى ﴿ وتـلك القرى أهلكناهـم لمَّـا ظلمـوا وجعلنـا لمهلكهـم موعـداً ﴾ فهـذا هو الأجـل المشار إليـه في الآية الكريمة .

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ﴾ .

المعنى : لا يستأخرون ساعة ولا أقلَّ من ساعة ، إلا أنَّ الساعة خُصَّتْ بالذِّكر ، لأنها أقلُّ أسماء الأوقات[1] .

٣٧ ــ **وقوله عز وجل ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾** [آية ٣٧] .

المعنى : أيُّ ظلم أشنعُ من الافتراء على الله ، والتكذيب بآياته ؟

٣٨ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ ﴾** [آية ٣٧] .

روى جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال : « ما قُدِّرَ لهم من خيرٍ وشَرٍّ »[2] .

وروى شريك عن سالم عن سعيد بن جبير : ﴿ أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ ﴾ قال : من الشقوة ، والسعادة[3] .

وروى سفيان عن منصور عن مجاهد قال : ما وُعدوا فيه من خيرٍ وشر[4] .

ومعنى هذا القول : أنهم ينالهم نصيبهم من العذاب ، على قدر

(١) انظر معاني الزجاج ٣٦٨/٢ والبحر المحيط لأبي حيان ٢٩٣/٤ .
(٢) الأثر رواه الطبري ١٧١/٨ وابن كثير ٤٠٥/٣ .
(٣) الأثر رواه الطبري ١٧٠/٨ وابن الجوزي ١٩٣/٣ والقرطبي ٢٠٣/٧ .
(٤) الأثر في الطبري ١٧١/٨ وابن كثير ٤٠٥/٣ والدر المنثور ٨٢/٣ وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن مجاهد ، وانظر أيضاً تفسير ابن الجوزي ١٩٣/٣ .

كفرهم ، نحو قوله : ﴿ إنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾[1] .

وَ ﴿ إنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾

وقال جلَّ وعز ﴿ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً ﴾[2] .

وكذلك قال الضحاك : معناه : ينالُهم نصيبُهم من العذاب[3] .

٣٩ ـ ثم قال جل وعز ﴿ حَتَّى إذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ [آية ٣٧] .

قيل : أعوانُ ملك الموت ، لمَّا جاءوهم أقرُّوا أنهم كانوا كافرين[4] .

وقيل : ملائكة العذاب[5] .

ومعنى ﴿ يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ على هذا : يتوفونهم عذاباً ، كما تقول : قتلتُه بالعذاب[6] .

---

(١) سورة النساء آية رقم (٤٨) وتمامها ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ .. ﴾ الآية .

(٢) سورة الجن آية رقم (١٧) وقبلها ﴿ وَمَنْ يُعرض عن ذكر ربه يَسْلُكه عَذاباً صَعَداً ﴾ أي شاقاً لا راحة فيه .

(٣) الطبري عن الضحاك ١٧٠/٨ وابن الجوزي ١٩٤/٣ .

(٤) و(٥) ذكر القولين ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٩٦/٥ والأول هو الأظهر وهو ما رجحه الطبري ١٧٢/٨ قال ابن عطية والمعنى : يتمتَّعون ويتصرَّفون من الدنيا بقدر ما كُتب لهم ، حتى إذا جاءتهم رسلنا لموتهم وقبض أرواحهم .

(٦) ذكر هذا القول الزجاج في معانيه ٣٧١/٢ وهو قول مرجوح ، والراجح ما ذكره أولاً أن المعنى حتى إذا جاءتهم ملائكة الموت يتوفونهم عند موتهم ، أقرُّوا على أنفسهم بالكفر ، وإلى هذا ذهب جمهور المفسرين .

ويجوز : أن يكون من استيفاء العدد[1] .

٤٠ ــ وقوله جل وعز ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [آية ٣٨] .

قيل معنى « في » معنى « مع » وهذا لا يمتنعُ ، لأنَّ قولك : زيدٌ في القوم ، معناه : مع القوم[2] ، وتجوز أن تكون « في » على بابها .

وقال الأصمعي في قول امرىء القيس :

وَهَلْ يَنْعَمَنْ مَنْ كَانَ آخِرُ عَهْدِهِ
ثَلَاثِينَ شَهْراً فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالِ[3]

معنى (في) معنى (مع) .

٤١ ــ وقوله جل وعز ﴿ حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا ﴾ [آية ٣٨] .

---

(١) أي يستوفونهم عدداً في السوق إلى جهنم ، ذكره ابن عطية وغيره ، وقال الزجاج في معانيه ٣٧١/٢ : وهو أضعف الوجهين . أقول : والأظهر أن المراد بقوله تعالى ﴿ يتوفونهم ﴾ أي جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم ، وانظر الطبري ١٧٢/٨ .

(٢) هذا قول ابن قتيبة كما في زاد المسير ١٩٤/٣ وذكره القرطبي ٢٠٤/٧ وابن عطية في المحرر الوجيز ٤٩٧/٥ ورجَّح القول الثاني أنها على بابها قال : وهو أصوبُ ، والمعنى : ادخلوا في جملتهم .

(٣) البيت في ديوان امرىء القيس ص ٢٧ في قصيدته التي مطلعها : ألَا عِمْ صباحاً أيها الطَّلَلُ البالي ، ولفظه في الديوان :

وَهَلْ يَنْعَمَنْ مَنْ كَانَ أَحْدَثُ عَهْدِهِ ثَلَاثِينَ شَهْراً فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالِ

والأحوال جمع حال لا جمع حول يقول : كيف ينعم من كان أقرب عهده بالنعيم ثلاثين شهراً مع ثلاثة أحوال ؟

أي تتابعوا واجتمعوا .

﴿ قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا ﴾ .

المعنى : قالت أخراهم يا ربنا هؤلاء أضلونا ﴿ لِأُولَاهُمْ ﴾ أي يعني أُولَاهم[1] .

٤٢ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾** [آية ٣٨] .

يجوز أن يكون المعنى : ولكن لا تعلمونَ يا أهل الدنيا ، مقدار ما هم فيه من العذاب .

ويجوز أن يكون المعنى : لا تعلمون أيها المخاطبون[2] .

ومن قرأ ﴿ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُون ﴾[3] فمعناه عنده : ولكنْ لا يعلمُ كلُّ فريقٍ ، مقدارَ عذابِ الفريقِ الآخر .

٤٣ ـــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ﴾** [آية ٣٩] .

قال مجاهد : أي من تخفيف العذاب[4] .

---

(١) المراد بأولاهم كما قال القرطبي وغيره : السادة والقادة ، والمعنى : قال الأتباع يا ربنا هؤلاء قادتنا الذين أضلُّونا ، وهذا قول مقاتل ، وانظر زاد المسير ١٩٥/٣ وهو أظهر الأقوال وأرجحها ، واللام في « لأولاهم » هي لام السبب يعني : هؤلاء هم سبب ضلالنا وكفرنا ، كذا قال أبو حيان ، وابن عطية .

(٢) هذا ما رجحه الطبري في جامع البيان ١٧٤/٨ حيث قال : ولكنكم يا معشر أهل النار ، لا تعلمون قدر ما أعدَّ الله لكم من العذاب .

(٣) هذه قراءة عاصم وحده كما في السبعة لابن مجاهد ص ٢٨٠ .

(٤) الأثر ذكره الطبري عن مجاهد ١٧٥/٨ وابن الجوزي في زاد المسير ١٩٥/٣ .

وقال **السدي** : قد ضللتم كما ضللنا[1] .

٤٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ [آية ٤٠] .

قيل : يعني أبواب الجنة لأن الجنَّة في السماء .

وأحسنُ ما قِيل في هذا ، ما رواه سفيانُ ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : « لا تفتَّح أبواب السماء لكلامهم ، ولا لعمَلهم »[2] ويدلُّ على صحة هذا القول قوله جل وعز : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ ، والعَمَلُ الصَّالِحُ يرفَعُه ﴾[3] .

وفي هذا حديث مسندٌ ، رواه المنهالُ ، عن زاذان[4] ، عن البراء عن النبي ﷺ « إنَّ العبد الكافر أو المنافق ، إذا خرجت نَفْسُهُ ، أخذتها الملائكة حتى تنتهي إلى سماء الدنيا ، يفوح منها كأنتن ريح جيفة كانت على وجه الأرض فيستفتح له فلا يفتح ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبوَابُ السَّمَاءِ ﴾ فيقول الله : اجعلوا كتابه في سجين

(١) الأثر ذكره الطبري عن السدي ١٧٥/٨ وابن كثير في تفسيره ٤٠٧/٣ .

(٢) الطبري عن مجاهد ١٧٦/٨ ولفظه : لا يصعد لهم كلامٌ ولا عمل ، وابن كثير ٤٠٧/٣ قال : لا يُرفع لهم منها عملٌ صالح ولا دعاء ، قاله مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وهو مروي عن ابن عباس .

(٣) سورة فاطر آية رقم (١٠) .

(٤) زَاذَان : هو أبو عبد الله الكندي الكوفي الضرير ، مات سنة ٨٢هـ قال العجلي : كوفي ، تابعي ، ثقة ، ويقال : إنه شهد خطبة عمر بالجابية ، روى عن البراء بن عازب وغيره من الصحابة ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣٠٢/٣ .

وأعيدوه إلى الأرض ، فتطرح طرحاً ، ثم قرأ عليه السلام : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ .. ﴾ »[1] .

٤٥ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [آية ٤٠] .

والمعنى : لا يدخلون الجنة أَلْبَتَّة ، والعربُ تستعمل أمثال هذا كثيراً[2] .

وسُئل عبد الله بن مسعود عن الجمل ؟ فقال : هو زَوْجُ النَّاقَة .

كأنه استجهل من سأله عما يعرفه الناس جميعاً[3] .

ويروى عن ابن عباس أنه قرأ : ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجُمَّلُ ﴾[4] بضم الجيم وتشديد الميم ، وقال : هو القَلْسُ[5] من حبال السُّفن .

---

(١) هذا طرف من حديث طويل أخرجه أحمد في المسند ٢٨٧/٤ ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد برقم (٤٢٦٢) وأخرجه أيضاً أبو داود ، والنسائي ، وهو في الطبري ١٧٧/٨ وابن كثير ٤٠٨/٣ والدر المنثور ٨٣/٣ بطوله .

(٢) هذا تمثيلٌ لاستحالة دخول الكفار الجنة ، كاستحالة دخول الجمل على ضخامته ثقب الإبرة ، مبالغة في تصوير المستحيل ، كما يقول الشخص : لا أصدق كلامك حتى تصعد إلى السماء .

(٣) هذا هو رأي جمهور المفسرين ، بأن المراد بالجمل هو الجمل المعروف زوج الناقة ، وهو الظاهر ، والله أعلم .

(٤) هذه قراءة شاذة ، ذكرها ابن الجوزي في زاده ١٩٧/٣ وابن جني في المحتسب في شواذ القراءات ٢٤٩/١ .

(٥) القَلْسُ : بفتح وسكون ، حبلٌ غليظٌ من حبال السفن ، والمعنى : حتى يدخل الحبل الغليظ في ثقب الإبرة ، وانظر الصحاح للجوهري ٩٦٥/٣ مادة قلس .

وقال **أحمد بن يحيى**[1] : هي الحِبَالُ المجموعة ، جمع جُمَّلةٍ .

وروى عن سعيد بن جبير أنه قرأ : ﴿ حَتَّى يَلِجَ الجُمَل ﴾ بضم الجيم وتخفيف الميم[2] .

قيل : هو القَلْسُ أيضاً .

والسَّمُّ والسُّمُّ : ثقب الإبرة ، وقرأ ابن سيرين بضم السين .

والخِيَاط ، والمِخْيَطُ : الإبرة ، ونظيرُه قِنَاع ، ومِقْنَع[3] .

٤٦ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ [آية ٤٠] .

يعني الكافرين ، لأنه قد تقدَّم ذكرهم[4] .

٤٧ ــ ثم قال جل وعز ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾ [آية ٤١] .

أي فراش .

﴿ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ أي غاشيةٌ [فوق غاشية] من العذاب[5] .

---

(١) أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ، إمام الكوفيين في اللغة ، وهو المشهور بثعلب المتوفى سنة ٢٩١هـ وانظر ترجمته في الأعلام ٢٥٢/١ .

(٢) وهذه أيضاً من القراءات الشاذة ، قال ابن جني في المحتسب ٢٤٩/١ : أمَّا الجُمَّلُ بالتثقيل ، والجُمَل بالتخفيف فكلاهما الحبلُ الغليظ من القنب ، ويُقال : حبل السفينة . اهـ.

(٣) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٢٠٧/٧ .

(٤) في قوله سبحانه ﴿ إن الذين كذَّبوا بآياتنا .. ﴾ الآية .

(٥) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٧٣/٢ . وغواشٍ جمع غاشية أي نيران تغشاهم ، وانظر المصباح المنير ، والصحاح ، مادة غشي ، وما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْـزِي الظَّالِمِيـنَ ﴾ قيـل : يعنـي الكفـار[1] ، والله أعلم .

٤٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ﴾ [آية ٤٣] .

الغِـلُّ في اللغـةِ : الحقـدُ ، المعنـى : إن بعضهـم لا يحقـد على بعض ، بما كان بينه وبينه في الدنيا[2] .

ويجوز أن يكون المعنى : أنه لا يحسد بعضهم على علو المرتبة .

ويدلُّ على أنَّ القول هو الأول ، أنـه روي عن علي بن أبي طالب رحمة الله عليـه أنـه قال : « أرجـو أن أكـون أنا وعثمان ، وطلحـة ، والـزبير ، من الَّذيـن قال الله فيهم ﴿ وَنَزَعْنَـا مَا فِي صُدُورِهِـمْ مِنْ غِلٍّ .. ﴾ »[3] .

٤٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَقَالُوا الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا ﴾ [آية ٤٣] .

أي لما صيَّرنا إلى هذا[4] .

٥٠ ــ وقولـه جل وعـز ﴿ وَنُـودُوا أَنْ تِلْكُـمُ الجَنَّـةَ أُورِثْتُمُوهَـا بِمَـا كُنْتُـم تَعْمَلُونَ ﴾ [آية ٤٣] .

---

(١) إنما فسَّر الظلـم بالشرك ، لأن العقـاب المذكـور هو عقـاب الكافـر ، ويؤيـده ﴿ إن الشرك لظلـم عظيم ﴾ .

(٢) انظر الطبري ١٨٣/٨ والبحر المحيط ٢٩٨/٤ .

(٣) الأثر في الطبري ١٨٣/٨ والدر المنثور ٨٥/٣ وابن كثير ٤١١/٣ .

(٤) عبارة الطبري أوضح فقد قال ١٨٤/٨ : يقول أهل الجنة : الحمد لله الذي وفَّقنا للعمل ، الـذي أكسبنا مـا نحـن فيه ، من كرامة الله وفضله ، وصرَف عذابه عنَّا .

ويجوز أن يكون المعنى بأنه تلكم الجنة .

ويجوز أن تكون « أنْ » مفسرة للنِّداء[1] .

والبصريـون يعتبرونها بـ « أي » والكوفيـون يعتبرونها بالقـــول ، والمعنى واحد . كأنه « ونُودُوا » قيل لهم تلكـم الجنـة ، أي هذه تلكـم الجنة التي وعدتموها في الدنيا[2] .

ويجوز أن يكـون لمَّا رأوها قيـل لهم قبل أن يدخلوهـا ﴿ تِلْكُم الجَنَّة ﴾ .

والقول في معنى : ﴿ أنْ قَدْ وَجَدْنَـا ﴾ و ﴿ أنْ لَعْنَـةُ اللهِ عَلَـى الظَّالِمِينَ ﴾[3] على ما قلنا في ﴿ أنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ ﴾ .

٥١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ يَعْرِفُونَ كُلّاً بِسِيمَاهُمْ ﴾** [آية ٤٦] .

قال قتادة : يُعرف أهـلُ الجنـة ببيـاض وجوههـم ، وأهـل النـار

---

(١) ذكر الوجهين ابن عطية في المحرر ٥/٥٠٧ فقال : ﴿ ونُودوا أن تِلكم الجنة ﴾ يحتمـل أن تكـون « أن » مفسّرة لمعنى النداء بمعنى أي ، ويحتمل أن تكون مخفَّفة من الثقيلة والتقديـر : ونـودوا أنـه تلكم الجنة .. إلخ .

(٢) رجح الزجاج في معانيه ٢/٣٧٥ هذا القول فقـال : والأجـود عنـدي أن تكـون « أنْ » في موضع تفسير النداء ، كأن المعنى : ﴿ ونودوا أنْ تلكم الجنَّة ﴾ أي قيل لهم : تلكم الجنـة التـي وُعـدتم بها .

(٣) يريد المصنف « أنْ » في قوله تعالى ﴿ وَنَادَى أصحـابُ الجنـةِ أصحـابَ النَّـار أنْ قَدْ وَجَدْنَـا ﴾ وفي قوله ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّن بينهم أنْ لَعنةُ اللهِ على الظَّالمين ﴾ مخففة من « إنَّ » الثقيلـة واسمهـا ضمير الشأن ، ولو كانت « أنَّ » المؤكدة لنصبت الاسم بعدهـا « أنَّ لعنـةَ الله على الظـالمين » فافهمـه رعاك الله .

بسواد وجوههم[1] .

٥٢ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ لَمْ يَدْخُلوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾** [آية ٤٦] .

قال أكثر أهل التفسير : يعني أصحابَ الأعراف[2] .

٥٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾** [آية ٤٨] .

قال حذيفة : « أصحاب الأعراف » قومٌ استوتْ حسناتُهم ، وسيِّئاتهم ، فهم بين الجنَّة والنَّار ، ثم إنَّ الله اطَّلَع عليهم فرحمهم ، فقالوا ﴿ أُدْخُلُوا الجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾[3] .

وروى عبيد الله بن أبي يزيد ، عن ابن عباس ، أنه قال : الأعرافُ : الشيءُ المُشْرِف .

وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال : الأعراف سورٌ له عُرْفٌ كعُرف الدِّيك[4] .

---

(١) الأثر رواه السيوطي في الدر ٨٩/٣ وأبو حيان في البحر ٣٠١/٤ وابن عطية في المحرر ٥١٥/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٠٦/٣ والطبري في جامع البيان ١٩٥/٨ .

(٢) هذا قول الجمهور أن المعنى أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها . وانظر زاد المسير ٢٠٦/٣ .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٨٧/٣ والطبري في جامع البيان ١٩٠/٨ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٠٥/٣ وابن عطية في المحرر ٥١٩/٥ ، والقائلون هم الملائكة قالوا لهم ذلك بأمر الله عز وجل .

(٤) الأثر رواه ابن الجوزي عن ابن عباس ٢٠٤/٣ والقرطبي ٢١١/٧ قال : وفي أصحاب الأعراف عشرة أقوال .

والأعراف في اللغة : المكانُ المُشْرِفُ، جمعُ عُرْفٍ .

وقال أبو مجلز[1] : هم من الملائكة .

قال : « والَّذين صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار » أهل الجنة .

حدثنا أبو جعفر ، قال : حدثنا أحمد بن عبد الجبار الصوفي ، قال : حدثنا داود الضبي ، قال : حدثنا مسلم بن خالد ، قال : عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في أصحاب الأعراف ، قال : هم قومٌ استوتْ حسناتُهم وسيئاتهم ، وهم على سور بين الجنة والنَّار ، وهم على طَمَعٍ في دخول الجنة ، وهم داخلون[2] .

وقيل : إن أصحاب الأعراف ملائكة بين الجنة والنار[3] .

قال أبو جعفر : والقولُ الأوُل أشهرُ وأعرف .

---

(١) أبو مِجْلز البصري واسمه لاحق بن حُميد تابعي ثقة توفي سنة ١٠٠هـ وانظر ترجمته في التهذيب ١١/١٧١ والأثر رواه الطبري ٨/١٩٣ ورجح ابن جرير أنهم رجال وليسوا ملائكة كما دلت على ذلك اللغة والآثار .

(٢) الأثر ذكره الطبري في جامع البيان ٨/١٩٢ وهو قول قتادة ، وحذيفة ، وابن عباس ، وابن مسعود ، والجمهور ، وذكره في البحر المحيط ٤/٣٠١ ثم قال : والرجال قومٌ تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، وُقفوا هنالك ما شاء الله ، لم تبلغ حسناتهم بهم دخول الجنة ولا سيئاتهم دخول النار . وانظر ابن الجوزي ٣/٢٠٥ .

(٣) هذا القول مرجوح وهو قول أبي مجلز كما تقدم ، وقد روى الطبري ٨/١٩٣ عن عمران بن حُدير قال : قلتُ : يا أبا مجلز يقول الله تبارك وتعالى ﴿ وعلى الأعراف رجال ﴾ وأنت تقول : ملائكة ؟ قال : إن الملائكة ذكور وليسوا بإناث ، والجمهور على أنهم رجال من البشر ، وهو الأظهر والأشهر .

قال ابن عباس : فقال الله جل وعز لهم ﴿ ادْخُلُوا الجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾[1] .

قال عبد الله بن الحارث : وهم يدعون مساكين أهل الجنة .

٥٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾ [آية] .

قال مجاهد : أي نتركهم في النَّار ، كما تركوا لقاء يومهم هذا[2] .

والمعنى : فاليوم نتركهم في العذاب ، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا[3] .

﴿ وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ أي بجحودهم لآياتنا .

٥٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ [آية ٥٣] .

قال مجاهد : أي جزاءَه[4] .

---

(١) هذا من أدلة الجمهور أنهم من البشر ، فإن هذا الوصف « لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون » ظاهر في أن المراد العباد لا الملائكة .

(٢) ذكره الطبري عن مجاهد ٢٠٢/٨ وابن كثير ٤٢٠/٣ والدر المنثور ٩٠/٣ وهو قول ابن عباس أيضاً .

(٣) فسَّر النسيان بالترك ، وهذا هو الصحيح ، لأن الله تعالى لا يغفل عن شيء ولا ينساه كما قال سبحانه ﴿ لا يضلُّ ربِّي ولا يَنسى ﴾ قال الحافظ ابن كثير ٤٢٠/٣ ﴿ فَاليوم نَنْساهم ﴾ أي نعاملهم معاملة من نسيهم ، لأنه تعالى لا يَشذُّ عن علمه شيء ولا ينساه ، وهذا من باب المقابلة كما قال ﴿ نَسُوا الله فنسيهم ﴾ .

(٤) الأثران عن مجاهد وقتادة ذكرهما الطبري ٢٠٣/٨ وابن كثير ٤٢١/٣ والدر ٩٠/٣ وقال ابن عطية في المحرر ٤٢٣/٥ : والتأويل في هذا الموضع بمعنى المآل والعاقبة ، قاله قتادة ومجاهد وغيرهما .

وقال **قتادة** : أي عاقبته .

وهذا قولٌ حسن ، ومعناه ما وُعِدوا فيه أنه كائن[1] .

٥٥ ـــ **ثم قال جل وعز ﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾** [آية ٥٣] .

يعني يوم القيامة .

﴿ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ .

قال مجاهد : أي أعرضوا عنه[2] .

٥٦ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ﴾** [آية ٥٤] .

المعنى : يُغشي الليل النَّهار ، ويُغْشِي النَّهارَ اللَّيلَ ، ثم حُذِفَ لعلمِ السَّامع[3] .

أي يُدخِلُ هذا في هَذَا ، وهذا في هذا .

٥٧ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ أَلَا لَهُ الخَلْقُ ، وَالأَمْرُ ﴾** [آية ٥٤] .

ففرَّق بين الشيء المخلوق ، وبين الأمرِ ، وهو كلامُه ، فدلَّ على

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير عن قتادة ٨/٢٠٣ وابن كثير ٣/٤٢١ والسيوطي في الدر المنثور ٣/٩٠ .

(٢) الأثر عن مجاهد ذكره ابن جرير في جامع البيان ٨/٢٠٤ والسيوطي في الدر ٣/٩٠ .

(٣) معنى « يُغشي » أي يُغَطِّي ، ومعنى الآية كما قال ابن كثير : يُذهب ظلام هذا بضياء هذا ، وضياء هذا بظلام هذا ، وقال أبو حيان : المعنى يُذهب الليل نور النهار ، ليتم قوام الحياة في الدنيا بمجيء الليل والنهار ، فالليل للسكون ، والنهار للحركة .

أن كلامه غيرُ مخلوق ، وهو قوله « كُنْ »[1] .

وقيل : هو مثل قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّان ﴾[2] .

وقيل المعنى : وتصرف الأمر[3] ، ثم حُذِف .

٥٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً ﴾** [آية ٥٥] .

أي مستكينين متعبِّدين ﴿ وخُفْيةً ﴾ أي وأخفوا العبادة لأن الدعاء عبادة .

٥٩ ــ **ثم قال تعالى ﴿ إنَّهُ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ ﴾** [آية ٥٥] .

قال قتادة : فدلَّ هذا على أن من الدعاء ما فيه اعتداء ، أي فلا تعتدوا في الدعاء[4] .

---

(١) هذا قول ابن عُيينة كما في القرطبي ٧/٢٢١ : قال : فرَّق الله بين الخلق والأمر ، فمن جمع بينهما فقد كفر ، فالخلقُ : المخلُوق ، والأمر كلامهُ الذي هو غير مخلوق، وهو قوله « كُنْ » قال : وفي تفرقته بين الخلق والأمر ، دليل بيِّن على فساد قول من قال بخلق القرآن ، إذْ لو كان كلامه الذي هو أمر مخلوقاً ، لكان قد قال : ألَا له الخلقُ والخلق ، وذلك عيٌّ من الكلام مستهجن . اهـ. القرطبي .

(٢) سورة الرحمن آية رقم (٦٨) والرمان داخل في الفاكهة ، ولكنه من عطف النوع على الجنس فصح العطف .

(٣) أي هو على حذف مضاف مثل ﴿ واسأل القَرية ﴾ أي أهل القرية .

(٤) انظر الطبري ٨/٢٠٦ وقال الحسن : ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ، وما يُسمع لهم صوتٌ ، إن كان إلَّا همساً بينهم وبين ربهم ، وفي الحديث الصحيح « أيها الناس اربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ، إن الذي تدعونه سميعٌ قريب » البخاري ٨/١٠١ .

٦٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفاً وطَمَعاً ﴾** [آية ٥٦] .

والمعنى : خوفاً منه ، ورجاءً لِمَا عنده[١] .

٦١ ــ **وقوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشْراً[٢] بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾** [آية ٥٧] .

نُشُرٌ : جمع نَشُور ، يُقال : ريحٌ نَشُورٌ ، إذا أتتْ من ههنا وههنا ، وقيل : نُشُرٌ مصدرٌ .

ومن قرأ ﴿ نُشْرَاً ﴾ بضم النون وإسكان الشين[٣] ، فإلى هذا المعنى يذهب عند البصريين .

وأما الفرَّاء فزعَمَ أنها لغة بمعنى النَّشْرِ ، كما يُقَالُ : خَسْفٌ وَخُسْفٌ[٤] .

ومن قرأ ﴿ نَشْراً ﴾ فإنه يذهب إلى أن المعنى تنشر نَشْراً .

ومن قرأ ﴿ بُشْراً ﴾[٥] فهو جمع بشير عنده مخففة ، وقد تكون جمعَ بُشرةٍ ، وقد يكون مصدراً مثل العُمُر . وتقرأ ﴿ بَشْراً ﴾ وبُشراً

---

(١) عبارة الطبري ٨/٢٠٧ « خوفاً من عقابه ، وطمعاً في ثوابه » وهي أظهر من عبارة المصنف .

(٢) هذه قراءة نافع وأبي عمرو وهي من السبعة كما في ابن مجاهد ص ٢٨٣ والنشر في القراءات العشر ٢/٢٧٠ .

(٣) هذه قراءة ابن عامر كما في السبعة لابن مجاهد ص ٢٨٣ .

(٤) انظر معانيْ الفراء ١/٣٨١ وعبارته : النَّشْرُ من الرياح : الطيِّبة الليِّنَة التي تُنشئ السحاب .

(٥) هذه هي القراءة المشهورة وهي قراءة عاصم أي تُبشِّر بنزول المطر ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٨٣ .

مصدر بَشَرَه يَبْشُرُهُ بمعنى بَشَّرَه .

ومعنى : ﴿ بَيْـنَ يَدَيْ رَحْمَتِـهِ ﴾ بين يدي المطـر ، الـذي هو من رحمته تعالى .

٦٢ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ حتَّى إذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَـالاً سُقْنَـاهُ لِبَلَـدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ المَاءَ.. ﴾ [آية ٥٧] .

﴿ حَتَّـى إذَا أَقَلَّتْ سَحَابـاً ثِقَـالاً ﴾ أي حتـى إذا حملت الريـحُ سحاباً ثقالاً بالماءِ ﴿ سُقْناهُ ﴾ يعني السَّحَابَ ﴿ لبَلَـدٍ مَيِّتٍ فأنْزَلْنَـا بِهِ المَاءَ ﴾ .

يجوز أن يكون المعنى : فأنزلنا بالبلد الماء .

ويجوز أن يكون المعنى : فأنزلنـا بالسحـاب الماء[1] ﴿ فأَخْرَجْنَـا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ أي بالماء .

ويجوز أن يكون المعنى بالبلد .

٦٣ ــ وقوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ نُخْرِجُ المَوْتَى ﴾ [آية ٥٧] .

قال مجاهد : يبعث الله مطراً فيمطر ، فينبت النَّـاسُ كما يَنبتُ الزَّرعُ[2] .

---

(١) المعنى الأول هو الأظهـر أي أنزلنـا في ذلك البلـد الميت الماء ، فأخرجنـا بسببـه أنـواع الثمـرات ، والمراد بالبلد الميت : الأرض المجدبة التي لا نبـات فيها ، وهـي استعـارة حسـنـة ، كأنـه من حيث عدم الانتفاع به ، كالجسد الميت الذي لا روح فيه ، وما أجمل المقارنة بين قوله سبحانه ﴿ سُقْنَاهُ لبلدٍ ميِّتٍ ﴾ وقوله ﴿ كذلك نُخرج الموتى ﴾ فقد بلغت الآية غاية الإيجاز والإعجاز .

(٢) الأثر رواه ابن جرير ٢١١/٨ وهـو قول ابـن عبـاس أيضاً قال : « يرسل الله بين النفختين مطـراً كمنيِّ الرجال ، فينبت الناس به في قبورهـم ، كما نبتـوا في بطـون أمهـاتهم » زاد المسير ٢١٩/٣ وانظر الدر المنثور ٩٣/٣ .

٦٤ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾** [آية ٥٧] .

أي لتكونوا على رجاء منَ الاتِّعَاظ ، بما تُذَكَّرُون وتُخْبَرُون به[١] .

٦٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، والَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إلَّا نَكِداً ﴾** [آية ٥٨] .

النَّكِدُ في اللغة : النَّزْرُ القَليل[٢] . وهذا تمثيل[٣] .

قال مجاهد : يعني إنَّ في بني آدَم الطيِّبَ ، والخبيثَ .

٦٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ المَلَأُ .. ﴾** [آية ٦٠] .

الرؤساءُ والأشرافُ ، أي المليئون بما يُفَوَّضُ إليهم[٤] .

---

(١) لعلَّ للترجي ، والترجي لا يليق من العليِّ الكبير ، ولذلك نبَّه المصنف أن الترجي من المخلوق ، لا من الخالق ، فقال : لتكونوا أنتم على رجاء من الاتعاظ به ، فتنبه له فإنه دقيق .

(٢) في اللسان : النَّكِدُ : العطاء القليل ، ونَكِد عيشُهُم نَكَداً : اشتدَّ ، ونَكِد الرجل : قلَّل العطاءَ أو لم يُعطِ البتَّة . اهـ. لسان العرب ، وقال ابن عطية : النَّكِد : العسيرُ القليل ، ومنه قول الشاعر : وإن أعطيتَ أعطيتَ تافهاً نكِداً .

(٣) يعني ضربه تعالى مثلاً للمؤمن والكافر ، والمعنى : الأرض إذا كانت طيبة التربة ، يخرج النباتُ فيها وافياً زاهياً غزير النفع ، وهذا مثلٌ للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها ، وإذا كانت خبيثة التربة كالأرض السبخة لا يخرج النبات فيها إلا قليلاً وبعسر ومشقة ، وهذا مثلٌ للكافر الذي لا ينتفع بآيات القرآن ، روى الطبري عن عباس ٨/٢١٢ قال : هذا مثلٌ ضربه للمؤمن والكافر ، فالمؤمن طيِّب وعمله طيِّب ، كالبلد الطيب ثمرهُ طيِّب ، والكافر خبيثٌ وعمله خبيث ، كالأرض السبخة المالحة التي لا يُنتفع بها ولا خير فيها ولا بركة ، وكذا قال مجاهد .

(٤) في المصباح : الملأُ : أشراف القوم ، سمُّوا بذلك لملاءتهم بما يُلتمس عندهم من المعروف وجودة الرأي ، أولأنهم يملئون العيون أبَّهة ، والصدور هَيْبةً . اهـ.

٦٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِين ﴾** [آية ٦٤] .

قال قتادة : أي عن الحق[١] .

٦٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهُ إنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾** [آية ٦٦] .

السَّفَاهَةُ : رِقَّةُ الحُلُمِ ، والطَّيْشُ ، يُقالَ : ثوبٌ سفيهٌ : إذا كانَ خفيفاً .

٦٩ ــ **ثم قال جل وعز جواباً لهم﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ ﴾** [آية ٦٧] .

وهذا أدبٌ في الاحتمال[٢] .

٧٠ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً .. ﴾** [آية ٧٣] .

قيل : إنَّما قال جلَّ وعز ﴿ أَخَاهُمْ ﴾[٣] لأنه بشراً مثلهم ، من بني آدم يفهمون عنه ، فهو أوكدُ عليهم في الحجة .

---

(١) الطبري ٨/٢١٥ وابن كثير ٣/٤٢٨ ولفظه ﴿ عَمِينَ ﴾ أي عن الحقِّ ، لا يبصرونه ولا يهتدونه .

(٢) قال الزمخشري ٢/١١٦ : « وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام ، ممن نسبهم إلى السَّفاهة والضلالة ، بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم وترك المقابلة ، أدبٌ حسن ، وخُلُق عظيم ، وتعليم للعباد كيف يخاطبون السفهاء ، ويُسْبِلُون أذيالهم على ما يكون منهم » . اهـ. أقول : وهكذا ينبغي أن يكون أدب الدعاة مع خصومهم ، فلم يقل لهم : بل أنتم السفهاء ، وإنما نفى عن نفسه السفاهة .

(٣) في المخطوطة « أخوهم » وهو خلاف النص القرآني ﴿ وإلى ثمود أخاهم صَالِحاً ﴾ وقد أثبتنا الصواب .

وقيل : إنما قال ﴿ أَخَاهُمْ ﴾ لأنه من عشيرتهم[2] .

٧١ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً ﴾** [آية ٧٣] .

يُروى أنها خرجت من صخرةٍ صمَّاءَ[2] .

٧٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ ﴾** [آية ٧٤] .

أي أنزلكم ، وقال الشاعر :

وَبُوِّئَتْ فِي صَمِيمِ مَعْشَرِهَا

فَتَمَّ فِي قَوْمِهَا مُبَوَّؤُهَا[3]

وقيل : إنما كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً لطول أعمارهم ، لأنَّ السقف والحيطان ، كانت تنهدم قبل فناءِ أعمارهم[4] .

---

(١) هذا هو الأظهر ، لأن صالحاً عليه السلام كان من القبيلة نفسها ، كما هو الحال في « هود » و « لوط » و « شعيب » حيث كان كل رسول من العشيرة والقبيلة ، وأما موسى عليه السلام فقد قال تعالى فيه ﴿ ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه ﴾ ولم يقل فيه « أخاهم » أو « إلى قومه » لأنه لم يكن من الأقباط أتباع فرعون .

(٢) وهو قول جمهور المفسرين ، وبه وردت الآثار عن السلف ، كما في الطبري وغيره ، ونصَّ الحافظ ابن كثير ٤٦٣/٣ على هذا فقال : « وكانوا سألوا صالحاً أن يأتيهم بآية ، واقترحوا عليه أن تخرج لهم من صخرة صمَّاء ، عينُّوها بأنفسهم .. » .

(٣) يريد أنها نزلت من الكرم في صميم النَّسب ، والبيت في اللسان « بَوَّأ » وشواهد المغني ٨٢٦/٢ ومجاز القرآن ٢١٨/١ ونسبه إلى إبراهيم بن هَرْمة .

(٤) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٢٣٩/٧ .

٧٣ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ ﴾ [آية ٧٤] .

قال قتادة : الآلاءُ : النِّعَمُ .

وحكى أبو عُبيدة : واحدها « أَلَىً » وَ « إِلَىً »[1] .

وزاد غيره : إِلْيٌ .

٧٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ [آية ٧٧] .

أي تجاوزا في الكفر .

٧٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ [آية ٧٨] .

الرَّجفة في اللغة : الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدةُ[2] .

٧٦ ــ ثم قال تعالى ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [آية ٧٨] .

أي ساقطين على ركبهم ووجوههم .

وأصلُ الجُثومِ للأرانب وما أشبهها ، والمَوْضِعُ مَجْثَمٌ ، قال الشاعر :

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٧/١ وعبارتُه : ﴿ آلاءَ اللهِ ﴾ أي نِعَمَ الله ، وواحدها في قول بعضهم « إِلَىً » على وزن قَفاً ، وفي قول بعضهم « إِلْى » على وزن مِعَىً .

(٢) كذا في الصحاح : الرجفةُ : الزلزلةُ ، ورجَفَتِ الأرض رَجْفاً ، والرَّجَفَان : الاضطراب الشديد . اهـ .

بِهَـا العِيـنُ وَالآرَامُ يَمْشِيـنَ خِلْفَـةً
وَأَطْلاؤُهَـا يَنْـهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَـمِ[1]

وروى معمر عن عبـد الله بن عثمان بن خيثم عن أبي الـزبير عن جابر بن عبد الله أنه قال : لمَّا مَرَّ النبـي ﷺ بالحِجْـر ، قال : « لا تسألـوا الآيات ، فقـد سألها قومُ صالح ، فكـانت تَرِدُ من هذا الفـجِّ ، فَعَتَوا عن أمر ربهم فعقروها ، فأخـذتهم الصيحـةُ ، فأهمدَ اللهُ مَنْ تَحْتَ السَّمَـاءِ منهم ، إلَّا رجـلاً واحـداً كان في حَرَم الله ، فلمَّـا خرج من الحرم ، أصابه ما أصاب قومه »[2] .

٧٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِـهِ أَتَأْتُـونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُـمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ ﴾** [آية ٨٠] .

دلَّ بهذا على أنه لم يتقدمهم أحـدٌ في اللِّـواط ، ومعنـى ﴿ إِنَّهُـمْ

---

(١) البيت لزهير بن أبي سُلْمى وهو في ديوانه ص ٥ وأنشده الأصمعي لزهير ، وهـو في لسان العرب ١٢/١٥ وجامـع الأحكـام للقرطبي ٢٤٢/٧ والعِيـنُ : البقـر جمع عينـاء ، سميت بذلك لسعة عينها والآرامُ : الظِّبـاء البـيضُ ، وخِلْفَـةً جماعـة بعـد جماعـة ، إذا ذهب فوجٌ خَلَفَـه آخــر ، والمَجْثَم : مكان الجلوس ، والأَطْلَاء جمع طَلاً وهو ولد البقر وولد الظبية الصغير ، يريد أن البقر يُنْمنَ أولادهنَّ ثم يرعين ، فإذا شعرن بحاجتهن للرضاع ، صوَّتن لهنَّ فنهضـن من المكان .

(٢) الحديث أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٢٣٠/٨ ورواه السيوطي في الدر المنثـور ٩٩/٣ وعـزاه إلى البزار ، والطبراني ، والحاكم ، وابن مردويه ، ورواه أحمد في المسند ٢٩٦/٣ وقـد صححـه الحاكم كما ذكره السيوطي ، وله ما يؤيده في الصحيحين ، ولفظـه كما في البخـاري « لمَّـا مرَّ النبـي ﷺ بالحِجْر ، قال : لا تدخلوا مسـاكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين ، أن يصيبكـم ما أصابهم .. » الحديث .

أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ أي يتطهرون عن الفاحشة[1] .

٧٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الغَابِرِينَ ﴾** [آية ٨٣] .

قال قتادة : الباقين[2] .

والغابرُ عند أهل اللغة ، من الأضداد ، يُقالُ لما بقيَ : غَابِرٌ ، ولِمَا ذَهَبَ وَغَابَ : غَابِرٌ[3] .

وقد قيل في الآية : إنَّ معناها ﴿ مِنَ الغَابِرِينَ ﴾ عن النَّجاة .

وقيل : من الباقين مع قوم لوط ، في الموضع الذي عُذِّبوا فيه[4] .

وأبو عبيدة يذهب إلى أن المعنى : من المُعَمَّرِينَ ، أي أنها قد هرمت[5] .

وقال حذيفة : رفع جبريلُ ﷺ مدينتهم ثم قَلَبَهَا ، فسمعتِ

---

(١) هذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، قال ابن عباس : يتطهرون من إتيان الرجال في الأدبار . الطبري ٢٣٥/٨ .

(٢) المراد الباقين في عذاب الله ، والأثر عن قتادة رواه الطبري ٢٣٦/٨ وابن كثير ٤٤٢/٣ .

(٣) ذكره الطبري ٢٣٦/٨ فقال : كانت ممن غبر الدهر الطويل ، فهلكت مع من هلك من قوم لوط حين جاءهم العذاب .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٨/١ وعبارته ﴿ كانت من الغابرين ﴾ أي كانت قد غَبَرت من كبرها في الغابرين ، في الباقين حتى هَرِموا وهَرِمتْ ، وهي قد أُهلكت مع قومها ، وذكر نحوه الطبري ٢٣٦/٨ .

امرأته الوجبةَ[1] ، فالتفتت فأُهْلِكَتْ معهم .

والأكثرُ في اللغة أن يكونَ الغابرُ : الباقي ، قال الراجز :

فَمَا وَنَى مُحَمَّدٌ مُذْ أنْ غَفَرْ
لَهُ الإلَهُ مَا مَضَى وَمَا غَبَرْ[2]

أي وما بقي .

٧٩ ـ وقوله جل وعز ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ [آية ٨٥] .

البَخْسُ : النُّقْصَانُ[3] .

٨٠ ـ ثم قال تعالى ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [آية ٨٥] .

أي بعد أن أصلحها الله ، بالأمر بالعدل ، وإرسال الرسلِ[4] .

٨١ ـ وقوله جل وعز ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوْعِدون ﴾ [آية ٨٦] .

---

(١) المراد بالوجبة صوت العذاب الذي حصل بالانقلاب ، والأثر ذكره ابن الجوزي في تفسيره ٢٢٨/٥ والقرطبي في جامع الأحكام ٢٤٧/٧ .

(٢) البيت من رجز العجاج ، في ديوانه ص ١٥ وهو في مجاز أبي عُبيدة ٢١٩/١ وفي معاني الزجاج ٣٩٠/٢ وفي الطبري ١٩٨/١١ وفي القرطبي ٢٤٦/٧ .

(٣) انظر المصباح المنير مادة بَخَسَ ، فقد جاء فيه : بَخَسَه بَخْساً من باب نَفَعَ : نَقَصَهُ أو عَابَه ، وبخستُ الكيلَ : نقصتُه .

(٤) ذكر هذا المعنى ابن الجوزي في زاد المسير ٢٢٩/٣ والزجاج في معاني القرآن ٣٩٢/٢ وذكر نحوه الطبرى فى جامع البيان ٢٣٨/٨ .

قال قتادة : أي تُوعدون من أتى شعيباً وَغِشيَهُ ، وأرادَ الإسلامَ بالأذى(١) .

ويقال : وعدتُه خيراً أو شراً ، فإذا قلت : وعدتُه لم يكن إلا للخير ، وإذا قلت أوعدتُه لم يكن إلَّا للشرِّ(٢) .

٨٢ ــ [**ثم قال جلَّ وعز** ﴿ **وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً** ﴾](٣) [آية ٨٦] .

قال قتادة : أي وتبغون السبيل عوجاً عن الحق(٤) .

والسبيلُ : الطريقُ والمذهبُ .

٨٣ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **وَاذْكُرُوا إذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ** ﴾ [آية ٨٦] .

١ ــ يجوز أن يكونوا قليلي العدد .

٢ ــ ويجوز أن يكونوا فقراء ، فكثَّرهم بالغنى .

٣ ــ ويجوز أن يكونوا غير ذوي مقدرة(٥) .

---

(١) الأثر في الطبري ٢٣٨/٨ وفي الدر المنثور ١٠٢/٣ وفي القرطبي ٢٤٨/٧ وعزاه إلى ابن عباس ، ومجاهد ، والسُّدِّي قالوا : كانوا يقعدون على الطرقات المفضية إلى شُعيب ، فيتوعدون من أراد المجيء إليه ويصدُّونه ويقولون : إنه كذاب فلا تذهب إليه ، كما كانت قريشٌ تفعله مع النبي ﷺ ، وهذا ظاهر الآية .

(٢) هذا القول ذكره الزجاج في معانيه ٣٩٢/٢ وابن الجوزي في زاده ٢٢٩/٣ .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من الهامش .

(٤) الطبري عن قتادة ٢٣٩/٨ وقال ابن جرير : تلتمسون لمن سلك سبيل الله وعمل بطاعته ، عوجاً عن الحق إلى الزيغ والضلال .

(٥) هذه الأقوال وضَّحها الزجاج في معانيه ٣٩٢/٢ وابن الجوزي في زاده ٢٣٠/٣ وقال في البحر =

والله أعلم بما أراد ، إلَّا أنه ذكَّرهم نعمةً من نعم الله جلَّ وعز كما قال تعالى ﴿ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ ﴾ .

٨٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا ، أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [آية ٨٨] .

يُقال : كيف قالوا هذا لشعيبٍ ﷺ وهو نبيٌّ ؟ فعلى هذا جوابان :

أحدهما : أن يكون معنى ﴿ لَتَعُودُنَّ ﴾ لتصيرُنَّ[١] ، كما تقول : عاد عليَّ من فلان مكروهٌ .

والجواب الآخر : أنهم لمَّا خلطوا معه من آمن منهم ، جاز أن يقولوا : ﴿ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ يعنون من آمن[٢] .

﴿ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ ؟ أي أنعود في ملتكم ولو كنا

= ٣٤٠/٤ : والتكثير هنا بالنسبة إلى الأشخاص ، أو إلى الفقر والغنى ، أو إلى قصر الأعمار وطولها ، أقوال ثلاثة أظهرها الأول .

(١) في المخطوطة « لتصبرنَّ » وهو تصحيف ، وصوابه ما أثبتناه « لتصيرُنَّ » كما دلَّ عليه التمثيل بقوله : عادَ عليَّ من فلان مكروه أي صار لي منه مكروه ، ولحقني منه مكروه .

(٢) ذكر الزجاج في معانيه الجوابين ٣٩٣/٢ وفي البحر ٣٤٢/٤ قال أبو حيان : « وعادَ » لها استعمالان : أحدهما أن تكون بمعنى صار . والثاني : بمعنى رجع إلى ما كان عليه .. فعلى الأول لا إشكال في قوله « أَوْ لَتَعُودُنَّ » إذ لا يدلُّ على أن شعيباً كان في ملتهم ، وعلى المعنى الثاني يُشكِلُ ، لأن شعيباً لم يكن في ملَّتهم قطُّ ، لكنَّ أتباعه كانوا فيها ، فيكون من باب تغليب حكم الجماعة على الواحد . اهـ. باختصار .

كارهين ؟ وقولُه : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا ﴾ على التسليم لله ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ ﴾[1] .

والدليل على هذا أنَّ بعده ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ، عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالحَقِّ ﴾ .

قال قتادة : أي اقْضِ بيننا وبين قومنا بالحقِّ[2] .

وَرَوى إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله تعالى : ﴿ افْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً ﴾[3] قال : معناه : النَّصْرُ .

٨٥ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾** [آية ٩٢] .

قال قتادة : أي كأنْ لم يعيشوا ، ولم يتنعَّموا[4] .

قال الأصمعي : يقال غَنِينا بمكان كذا أي أقمنا فيه ، والمنازلُ يقال لها : المغاني[5] .

---

(١) سورة هود آية رقم (٨٨) وتمامُها ﴿ وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلتُ ، وإليه أنيبُ ﴾ .

(٢) الطبري عن قتادة ٣/٩ .

(٣) سورة الشعراء آية رقم (١١٨) وفي المخطوطة ﴿ افتح بيننا وبينهم فتحاً ﴾ وقال ابن عباس : ما كنتُ أدري معنى ﴿ افتح بيننا ﴾ حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لزوجها : تعال أفاتحك أي أقاضيك . اهـ. الطبري .

(٤) جامع البيان ٥/٩ عن قتادة وابن عباس ، قال الزجاج في معانيه ٣٩٦/٢ : ﴿ كأنْ لم يَغْنَوا فيها ﴾ كأن لم ينزلوا ، وكأن لم يعيشوا فيها مستغنين .

(٥) كذا ذكره الزجاج ٣٩٦/٢ وفي البحر المحيط ٣٤٦/٤ : معنى الآية : كأن لم يقيموا في دارهم ، ناعمي البال ، رخيي العيش ، وقال ابن عطية : غَنِيتُ بالمكان : إنما يقال في الإقامة التي هي مقترنة بتنعم ، وعيش رخي ، هذا ما استقريته من أشعار العرب .

ومعنى ﴿ فَكَيْفَ آسَى ﴾ ؟ فكيف أحزن ؟ والأسى : أشدُّ الحزنِ .

٨٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾** [آية ٩٤] .

قال مُرَّةُ عن ابن مسعود : البأساءُ : الفقر ، والضَّرَّاءُ : المرضُ[١] .

وقيل : البأساءُ : المصائبُ في المال ، يقال : بَئِسَ الرَّجُلُ يَبْأَسُ بَأْساً وبَأْسَاء : إذا افتقر .

والضَّرَّاءُ : ما لحق من الأمراض ، والمصائبِ في البدن[٢] .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ أي يخضعون ويستكينون[٣] .

٨٧ ــ **وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ ﴾** [آية ٩٥] .

قال مجاهد : السَّيِّئةُ : الشَّرُّ ، والحسنةُ : الرَّخاءُ ، والولدُ[٦] .

٨٨ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ حَتَّى عَفَوْا ﴾** [آية ٩٥] .

قال مجاهد : أي كثرت أموالهم وأولادهم[٥] .

---

(١) القرطبي ٢٤٣/٢ وقال الطبري ٦/٨ : البأساءُ : البؤس وشَظَف المعيشة وضيقها ، والضرَّاء : وهي الضُّرُّ وسوء الحال ، وقال السدي : ﴿ بالبأساء والضراء ﴾ بالفقر والجوع . اهـ. الطبري .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٩٧/٢ .

(٣) قال أبو حيان في البحر ١٣٠/٤ : ﴿ لعلَّهم يضَّرَّعون ﴾ الترجي هنا بالنسبة إلى البشر ، أي لو رأى أحدٌ ما أحلَّ بهم ، لرجا تضرعهم وابتهالهم إلى الله في كشفه .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ٧/٨ ولفظه : السيئةُ الشرُّ ، والحسنةُ : الرخاء ، والمال ، والولد .

(٥) البحر المحيط ٣٤٧/٤ ومعاني الزجاج ٣٩٨/٢ قال ﴿ عَفَوْا ﴾ : أي كثروا وكثرت أموالهم .

وذلك معروف في اللغة ، ومنه الحديث عن النبي ﷺ أنه قال « أعْفُوا اللِّحى »[1] أي كثِّروها .

٨٩ ــ **ثم خبَّر جل وعز عنهم** أنهم لم يعتبروا بما أصابهم ، وقالوا : إنَّ العادة في الزَّمان الخير والشرُّ ، فقال تعالى ﴿ **وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً**﴾ [آية ٩٥] .

أي فجأةً .

٩٠ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا** .. ﴾ [آية ٩٦] .

يُقال للمدينة قرية ، لاجتماع النَّاس فيها ، من قريتُ الماءَ إذا جمعته[2] .

والبركاتُ التي تأتي من السَّماء : المطرُ ، والتي تأتي من الأرض : النَّبات[3] .

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في اللباس ٢٠٦/٧ ومسلم في الطهارة برقم ٢٥٩ ومالك في الموطأ ٩٤٧/٢ ولفظ البخاري « خالفوا المشركين ، وفِّروا اللِّحَى ، وأَحْفُوا الشوارب » وكان ابن عمر إذا حجَّ أو اعتمر ، قبض على لحيته ، فما فضل أخذه . اهـ. صحيح البخاري رقم (٥٨٩٢) ولفظ رواية الموطأ عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ أمر بإحفاء الشوارب ، وإعفاء اللحى ، وفي عمل ابن عمر دليل على جواز الأخذ من اللحية إذا زادت على القبضة ، خلافاً لمن منع ذلك ، فإن الإسلام دين الجمال ، والله تعالى يقول ﴿ يا بني آدمَ خُذُوا زينتكُمْ عند كلِّ مسجدٍ .. ﴾ وقد ورد في الترمذي أن النبي ﷺ « كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها » اهـ. سنن الترمذي ٨٧/٥ .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٩٧/٢ وفي المصباح ١٥٩/٢ : القريةُ : الضَّيْعةُ ، وكلُّ مكانٍ اتصلتْ به الأبنية واتُّخذ قراراً ، وتقعُ على المدن وغيرها ، والجمعُ قُرىً على غير قياس ، والنسبةُ إلى قُرَوِيٌّ . اهـ .

(٣) في زاد المسير ٢٣٤/٣ : والمعنى أتاهم الغيث من السماء ، والنبات من الأرض ، زاكياً كثيراً ، وفي البحر : أتيناهم بالخير من كل وجه .

٩١ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أنْ يَأْتِيهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ** ﴾ [آية ٩٧] .

أي أفأمن مَنْ كذَّبَ محمداً ﷺ ، أن يأتيهم بأسنا ﴿ بَيَاتاً ﴾ أي ليلاً[١] ؟

٩٢ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **أَوَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أنْ يَأْتِيهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ** ﴾ [آية ٩٨] .

ومعنى ﴿ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ أي وهم فيما لا يُجدي عليهم .

يُقَال لكلِّ منْ كانَ فيما يضرُّه ، ولا يُجدي عليه : لَاعِب[٢] .

٩٣ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** ﴿ **أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ** ﴾ [آية ٩٩] .

أي عَذَابه إذا وقع بهم ، ولم يعلموا أنه واقع بهم[٣] .

٩٤ ــ **وقولهُ جلَّ وعز** ﴿ **أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ** ﴾ [آية ١٠٠] .

قال مجاهد : أي أَوَلَمْ يُبيِّن ، ومعنى ﴿ يَهْدِ ﴾ بالياء : يَتَّضِح وَيَبين[٤] .

---

(١) أشار المصنف إلى أن المراد بأهل القرى من كذَّب محمداً ﷺ لا جميع أهل البلد بدليل قوله سبحانه قبله ﴿ ولكن كذَّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ .

(٢) انظر معاني الزجاج ٣٩٧/٢ والقرطبي ٢٥٤/٧ .

(٣) هذا قول عطية العوفي كما في البحر ٣٤٩/٤ وقال أبو حيان : وهو استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر . وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٨/٦ : ومكرُ الله المراد به فعل ما يعاقب به مردَة الكفار ، وأضيف إلى الله لأنه عقوبة الذنب ، والعرب تسمي العقوبة باسم الذنب الذي وقعت عليه العقوبة كقوله ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ . اهـ.

(٤) الأثر عن مجاهد ذكره الطبري ١٠/٩ وهو قول ابن عباس ، وابن زيد ، قال ابن عطية ١٩/٦ : =

٩٥ ــ **وقولـه جل وعـز ﴿ فَمَـا كَانُـوا لِيُؤْمِنُـوا بِمَـــا كَذَّبُـــوا مِنْ قَبْـــلُ ﴾** [آية ١٠١]

قال مجاهد : هذا مثلُ قوله تعالى ﴿ وَلَـوْ رُدُّوا لَعَـادُوا لِمَـا نُهُـوا عَنْهُ ﴾[1] .

وقـال غيره : هذا مخصوصٌ به أقـوامٌ بأعيـانهم ، خبَّـر الله جلَّ وعلا أنهم لا يؤمنون .

وأما قولُ من قالَ : معنى ﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُـوا ﴾ لِيُحْكَـمَ لهم بالإِيمان ، فلا يصحُّ في اللغة ، ويـدلُّ على بطلانـه أنَّ بعـده ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَـعُ اللهُ عَلَـى قُلُـوبِ الكَافِرِيـنَ ﴾ فدَلَّ بهذا على أنـه قد طُبِـــعَ على قلوبهم . هذا قولُ أبي إسحاق[2] ، جزاءً بما عملوا .

٩٦ ــ **وقولُه جل وعز ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴾** [آية ١٠٢]

« مِنْ » زائدةٌ[3] ، وهي تدل على معنـى الجنس ، ولـولا « مِنْ »

= ومعنى « يهدي » يتبيَّن ، وهذه آية وعيد أي ألم يظهر لوارثي الأرض بعد أولئك الظالمين ، أنا نقدر لو شئنا أن نصيبهم إصابة إهلاك بسبب معـاصيهم ، كما فعلنـا بمن تقـدَّم !! وانظـر الـدر المنثـور ٣/١٠٤ .

(١) سورة الأنعام آية رقم (٢٨) والأثر عن مجاهد رواه الـطبري ٩/١١ وابـن عطيـة في المحرر ٦/٢٢ ومعنى الآية على قول مجاهد : فما كانوا لو رددناهم إلى الدنيا بعد موتهم ، ليؤمنوا بما كذَّبوا به من قبل هلاكهم .

(٢) المراد به الإمام الزجاج وقد تقدمت ترجمته ، وانظر كلامه في معانيه ٢/٤٠٠ .

(٣) يُشترط لـ « مِنْ » الزائدة ، أن يسبقها نفيٌ ويكون ما بعدها نكرة ، وقد توفَّر هنا الشرطان ، قال في الألفية :

وَزِيـــدَ فِي نَفْـــيٍ وَشِبْهِـــهِ فَجَّـــرَ نَكِـــرَةً كَمَـــا لِبَـــاغٍ مِنْ مَفَـــرٌّ

لجاز أن يُتوهم أنه واحدٌ في المعنى .

قال أبو عبيدة : المعنى : وما وجدنا لأكثرهم حفظاً ولا وفاءً[1] .

٩٧ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾
[آية ١٠٣]

أصلُ الظلمِ : وضع الشيء في غير موضعه ، فلما كفَرُوا بها جَعَلُوا موضع ما يجب من الإيمان الكفر ، فقيل : ﴿ ظَلَمُوا بِهَا ﴾ بمعنى : كَفَرُوا بها[2] .

٩٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾
[آية ١٠٥]

قال أبو عبيدة : أي حريص[3] .

قال أبو عمرو بن العلاء رحمه الله : وهي قراءة عبد الله[4] ﴿ حَقِيقٌ أَنْ لَا أَقُولَ ﴾ وهذا يدلُّ على التخفيف ، لأنَّ حروف الجر

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٢٢٣/١ ولفظهُ : والمعنى : وما وجدنا لأكثرهم عهداً أي وفاءً ولا حفيظةً ، و « مِنْ » من حروف الزوائد . اهـ.

(٢) هذا الإطلاق على سبيل التضمين ، ويؤيِّده قوله تعالى ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ ؟

(٣) وجَّهه أبو عُبيدة في مجاز القرآن ٢٢٤/٢ فقال : ﴿ حَقِيقٌ عليَّ أن لا أقول ﴾ ــ وهي قراءة نافع ــ أي حقٌّ عليَّ أن لا أقول إلا الحق ، ومن قرأها ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أن لا أقول ﴾ من غير إضافة إليه ، فإنه يجعل مجازه ــ أي معناه ــ حريص على أن لا أقول ، أو فحقٌّ ألَّا أقول .

(٤) يريد أنها قراءة عبد الله بن مسعود ، بحذف « على » وهي ليست من القراءات السبع .

تُحذف مع « أنْ » .

وقال الكسائي : هي في قراءة عبد الله : ﴿ حقيقٌ بأنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الحَقَّ ﴾ .

قال الفراء : معنى ﴿ عَلَى أنْ لَا ﴾ و ﴿ بأنْ لَا ﴾ واحدٌ ، كما يقال : جاء فلانٌ على حالٍ حَسَنَة ، وبحالٍ حسنة[1] .

ومن قرأ ﴿ حَقِيقٌ عَلَيَّ أنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الحَقَّ ﴾ فإن معناه عنده واجبٌ عليَّ .

٩٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ [آية ١٠٧]

الثعبانُ : الحيَّة الذَّكَرُ[2] ، ومعنى ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ ﴾ أظهرها .

قال مجاهد : أخرجها من جيبه بيضاء من غير بَرَصٍ[3] .

ويُروى أنَّ موسى ﷺ كان آدمَ اللَّون ، فلما أخرج يده بيضاء ، كان ذلك آية[4] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٣٨٦/١ .

(٢) هذه رواية الضحاك عن ابن عباس كما في زاد المسير ٢٢٧/٣ وقال أبو عبيدة ﴿ ثعبانٌ مبين ﴾ أي حية ظاهرة ، وقال الفراء : الثعبان أعظم الحيَّات ، وهو الذَّكر ، وهو أهولُ وأجرأ .

(٣) الطبري عن مجاهد ١٥/٩ وزاد المسير ٢٣٨/٣ والبحر المحيط ٣٥٧/٤ ولفظه : قال مجاهد : « بيضاء كاللَّبن أو أشدَّ بياضاً » وروي أنها كانت تظهر منيرةً شفَّافة كالشمس ، ثم يردُّها فترجع إلى لون موسى ، وكان عليه السلام آدم ، شديد الأُدْمة ، أي أسمر شديد السُّمرة . اهـ. البحر ٣٥٨/٤ .

(٤) وجه كونها آية ، أنه لما أدخلها في فتحة جيبه ، ثم أخرجها من جيبه ، إذا بها بيضاء بياضاً نورانياً عجيباً ، يغلب نُورها نورَ الشمس ، قال ابن عباس : صارت يده نوراً ساطعاً ، يضيء له =

١٠٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ المَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَونَ ﴾** [آية ١٠٩]

المَلأ عند أكثر أهل اللغة : الأشرافُ ، وفي الحديث عن النبي ﷺ « إنَّ اللهَ عَزَّ وجلَّ قال : يا محمدُ : أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ »[١] .

وقال بعض أهل اللغة : الملأُ : الرَّهْطُ ، والنَّفَرُ : الرِّجالُ الذينَ لا نساء معهم[٢] .

١٠١ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ قَالُوا أَرْجِئْهُ وَأَخَاهُ .. ﴾** [آية ١١١]

قال قتادة : أي احْبِسهُ[٤] .

والمعروف عند أهل اللغة ، أن يقال : أرجَأْتُ الأمْرَ : إذا أخَّرْتَهُ[٥] .

= ما بين السماء والأرض ، لها لمعانٌ مثل لمعان البرق ، فخرُّوا على وجوههم . وكونها معجزة لأنها كانت سمراء ، فإذا أدخلها في جيبه ثم أخرجها ، صار بياضها عجيباً متألقاً ، خارجاً عن العادة ، يجتمع الناس إليها كما يجتمع النُّظَّار للعجائب .

(١) هذا طرفٌ من حديث أخرجه أحمد في المسند ٣٦٨/١ عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : (أتاني ربي عز وجل الليلة في أحسن صورة ــ أحسبه يعني في النوم ــ فقال : يا محمَّدُ ، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : نعم ، يختصمون في الكفارات والدرجات ..) إلخ الحديث ، ورواه الدارمي في كتاب الرؤيا ١٢٦/٢ .

(٢) هذا قول الفراء في معانيه ٣٨٣/١ .

(٣) الطبري عن قتادة ١٧/٩ قال : احبسْه وأخاه وقال أبو عبيدة ٢٢٥/١ : مجازُه : أخِّرْهُ .

(٤) في المصباح المنير ٢٣٧/١ : أرجأته بالهمز : أخَّرته ، وانظر الصحاح ولسان العرب مادة رجا .

ومن قرأ : ﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾[1] ففي قراءته قولان :

أصحُّهما أنها لغة ، وإن كانت ليست مشهورة .

والقولُ الآخر : حُكي عن أبي العباس[2] ، قال : هو من رَجَا ، يَرْجُو ، أي اتركْهُ يرجو .

۱۰۲ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾** [آية ۱۱٦]

أي استدعوا منهم الرهبة .

۱۰۳ ــ **وقولُه جل وعز ﴿ فإذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفكُون ﴾** [آية ۱۱۷]

ومعنى ﴿ تَلْقَفُ ﴾ تلتَهِمُ .

قال أبو حاتم[3] : وبلغني في بعض القراءات : ﴿ تَلَقَّمُ ﴾ بالميمِ والتشديد .

وقال خارجة : قرأ الحسن ﴿ تَلْقَمُ ﴾ بفتح القاف[4] .

---

(۱) هذه قراءة نافع كما في السبعة لابن مجاهد ص ۲۸۷ وقرأ حمزة وعاصم ﴿ أَرْجِهْ وأَخَاهُ ﴾ وقرأ ابن عامر ﴿ أَرْجِئْهُ ﴾ وجميع هذه القراءات سبعية .

(۲) هو الإمام المبرد ، النحوي الشهير ، وقد تقدمت ترجمته .

(۳) « أبو حاتم » هو المقرئ النحوي الشهير « سَهْل بن محمد السِّجِسْتَاني » شيخ المبرد ، وابن دريد ، المتوفى سنة ۲٥٥هـ وانظر ترجمته في معجم المؤلفين ٤/۲۸٥ .

(٤) هذه ليست من القراءات السبع ، وقد وردت في المخطوطة « تَنْقَم » وهو تصحيف وصوابها « تَلْقَم » وهي كما في تفسير ابن عطية ٣٨/٦ ﴿ تَلْقَمُ ﴾ قراءة سعيد بن جبير ، ومعناها : تبتلع كاللقمة ، قال ابن مجاهد في السبعة ص ۲۹۰ : كلُّهم قرأ ﴿ تَلَقَّف ﴾ بتشديد القاف ، إلَّا عاصماً في رواية حفص ، فإنه قرأ ﴿ تَلْقَف ﴾ بالتخفيف .

قال مجاهد : معنى ﴿ مَا يَأْفِكُون ﴾ : ما يكذبون[1] ، أي به ، وكَذِبُهُمْ أنهم يجعلون الحِبال حَيَّاتٍ .

ويجوز أن يكون ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ ؟ جواباً من فرعون للملأ ، حين قالوا : ﴿ إنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ . يُرِيدُ أنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أرْضِكُمْ ﴾ فقال فرعونُ ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾[2] ؟

ويجوز أن يكون الملأ قالوا هذا لفرعون ومن يخصُّه[3][4]

قال مجاهد : معنى ﴿ فَوَقَعَ الحَقُّ ﴾ فظهر[5] .

ومعنى ﴿ أفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً ﴾ أنْزِلْ عَلينا صبراً يشملنا[6] .

١٠٤ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ .. ﴾ [آية ١٢٧]

وقرأ ابن عباس : ﴿ إلَاهَتَكَ ﴾[7] وقال : معناه : وعبادَتَكَ ،

---

(١) قال أهل اللغة : الإفكُ : الكذبُ ، والأفَّاك مبالغة : الكذَّاب ، ومنه قوله تعالى ﴿ ويلٌ لكل أفَّاك أثيم ﴾ أي كذاب ، قال الزجاج ٤٠٥/٢ : ومعنى « يأفكون » : أي يأتون بالإفك وهو الكذب ، وذلك أنهم زعموا أن حبالهم وعصيهم حيَّات فكذبوا في ذلك .

(٢) و (٣) و (٤) هذه الأقوال كلها ذكرها المفسرون ، قال القرطبي في جامع الأحكام ٢٥٧/٩ : ﴿ فماذا تأمرون ﴾ أي قال فرعون : فماذا تأمرون ؟ وقيل : هو من قول الملأ ، قالوا لفرعون وحده : فماذا تأمرون ؟ كما يُخَاطب الجبَّارون والرؤساء : ماذا تأمرون في كذا ؟ ويجوز أن يكون قالوا له ولأصحابه . اهـ. وانظر أيضاً المحرر الوجيز لابن عطية ٣٠/٦ .

(٥) الطبري عن مجاهد ٢٢/٩ قال : ظهر الحقُّ ، وبطل الإفك الذي كانوا يعملون .

(٦) قال ابن عطية : أي عُمَّنا كما يعمُّ الماء من أفرغ عليه ، قال : وهي هنا استعارة . اهـ. المحرر ٤١/٦ .

(٧) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٥٦/١ وانظر جامع البيان للطبري ٢٥/٩ .

لأنَّ فرعون كان يُعبَدُ ، ولا يَعْبُد .

وقال من احتجَّ لهذه القراءة : الدليـلُ على أنـه كان يُعبَـد ، ولا يَعْبُد أنه قال : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾[١] .

ومن قرأ ﴿ وَآلِهَتَكَ ﴾[٢] فإنه يذهب إلى جهتين :

إحداهما : أنه يعني بالآلهة ههنـا من كان يُطيعـه فرعـون ، كما قيل في قول الله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُـمْ أَرْبَابـاً مِنْ دُونِ اللهِ ﴾[٣] أنهم ما عبدوهم ، ولكنْ أطاعوهم ، فصار تمثيلاً[٤] .

والجهة الأخرى : أن سليمان التيمـي قال : بلغنـي أن فرعـون كان يعبد البقر .

قال التيمي : فقلتُ للحسن : هل كان فرعـون يعبـد شيئـاً ؟ فقال : نعم ، إن كان ليعبد شيئاً قد جعله الله في عنقه[٥] .

---

(١) سورة القصص آية رقم (٣٨) وأولها ﴿ وقـالَ فرعـونُ يا أيُّهـا المَـلأُ ما عَلِمـتُ لكـم من إلَـهٍ غَيْرِي ﴾ .

(٢) هذه قراءة السبعـة ، قال الـطبري ٢٥/٩ : والقـراءة التـي لا نرى القـراءة بغيرهـا ، هي ﴿ وآلهتك ﴾ التي عليها قُرَّاء الأمصار .. إلخ .

(٣) سورة التوبة آية رقم (٣١) .

(٤) يريد المصنف أن الآية ﴿ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ يراد بها الطاعـة ، فقـد كان لفرعـون أعـوان وأنصار يستشيرهـم ؛ فجُعـل هؤلاء المستشارون كأنهم آلهة يُعبـدون من دون الله ، كما في آيـة ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً ﴾ فهم ما عبدوهم ، ولكـن لمَّـا أطاعوهـم فيمـا شرعـوا لهم صاروا بمنزلـة الأرباب .

(٥) انظر جامع البيان ٢٥/٩ وزاد المسير ٢٤٤/٣ والدر المنثور ١٠٧/٣ .

وقال إسماعيل : قولُ فرعون ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ يدلُّ على أنهم كانوا يعبدون شيئاً غيره[1] .

وقد يكون معنى ﴿ وَآلِهَتَكَ ﴾ أنها آلهة يأمرهم بعبادتها .

١٠٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ [آية ١٢٩]

قال مجاهد :أي من قبل أن تُرْسَل إلينا[2] .

وقال غيره : الأذى الذي لحقهم من قبل أن يرسل إليهم ، قتلُ أبنائهم ، والأذى الذي لحقهم بعْدُ أنَّ فرعون قال : ﴿ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ ، وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾[3] .

١٠٦ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾ [آية ١٣٠]

قال مجاهد : أي بالجوائح[4] .

---

(١) هكذا قال المفسرون : إن فرعون كان يأمر قومه بعبادة أبقار وأصنام وغير ذلك من الآلهة ، ويزعم أنه هو الإله الأكبر ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ قال في البحر ٣٦٧/٤ : والظاهر أن فرعون كان له آلهة يعبدها وقال الزجاج ٤٠٦/٢ : إن فرعون كانت له أصنام يعبدها قومه تقرباً إليه .

(٢) الطبري عن مجاهد ٢٨/٩ .

(٣) هذا ما ذهب إليه ابن جرير حيث قال ٢٧/٩ : قال قوم موسى أوذينا بقتل أبنائنا ، من قبل أن تأتينا برسالة الله ، ومن بعد ما جئتنا بها ، لأن فرعون لمَّا غُلب ، أراد تجديد العذاب عليهم بقتل أبنائهم ، واستحياء نسائهم .

(٤) الطبري عن مجاهد ٢٨/٩ والجوائح جمع جائحة وهي المصيبة والنازلة من قحط وجدب ، ونكبةٍ وبلية ، وإنما أخذهم تعالى بالشدائد والمكاره ، لأن أحوال الشدَّة ترقِّق القلوب ، وترغِّب في الرجوع إلى الله تعالى .

وهذا معروفٌ في اللغة أن يقال : أصابتهم سَنَةٌ أي جدبٌ . وتقديره سَنَةُ جَدْبٍ ، ثم حُذِف[1] .

١٠٧ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ [آية ١٣٠]

قال مجاهد : أي دون ذلك[2] .

١٠٨ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [آية ١٣٠]

أي يعتبرون بما أصابهم .

١٠٩ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ﴾ [آية ١٣١]

قال مجاهد : الحسنةُ ههنا : العافيةُ والرخاء . ﴿ لَنَا هَذِهِ ﴾ أي بحقٍّ أصابتنا[3] .

وقال غير مجاهد : أي كذا العادةُ أن يُصيبنا الخيرُ .

---

(١) أي هو على حذف المضاف إليه ، وأصله سَنَة جدبٍ ، فاكتفي بلفظ السنة التي هي كناية عن الشدة والقحط عن ذكر المضاف إليه ، وفي الحديث الصحيح من دعائه ﷺ على قريش « اللهم اجعلها عليهم سنين كسنيِّ يوسف » فقُحطوا حتى أكلوا الجلود والوبر ، قال القرطبي ٧/٦٤ : والسَّنَة هنا بمعنى الجدب لا بمعنى الحول ، ومنه : أسْنَتَ القومُ أي أجدبوا ، وقال الشاعر : « وَرِجَالُ مكَّة مُسْنِتُونَ عِجَافُ » .

(٢) الطبري عن مجاهد ٩/٢٨ والدر المنثور ٣/١٠٨ ومراده أصابهم القحط وقلة الخيرات والثمرات حيث لا تحمل النخلة إلا ثمرة واحدة .

(٣) انظر جامع البيان للطبري ٩/٢٩ وزاد المسير لابن الجوزي ٣/٢٤٧ قال : وكانت العرب تزجر الطير ، فتتشاءم بالبارح الذي يأتي من جهة الشمال ، وتتبرك بالسانح الذي يأتي من جهة اليمين .

١١٠ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ﴾ [آية ١٣١]

قال مجاهد : السيئة ههنا : البلاءُ ، ومعنى ﴿ يَطَّيَّروا ﴾ يتشاءموا[(١)] .

١١١ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ ﴾ [آية ١٣١]

قال مجاهد : ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ ﴾ أي إنما الشُّؤْمُ فيما يلحقهم يوم القيامة ، ممَّا وُعِدُوا به من الشرِّ[(٢)] .

١١٢ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [آية ١٣١]

أي هم غافلون عن هذا[(٣)] .

١١٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ﴾ [آية ١٣٣]

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٩/٢٩ وابن الجوزي ٣/٢٤٧ في تفسيره زاد المسير .

(٢) لم أر هذا القول عن مجاهد ، وإنما هو قول الزجاج في معانيه ٢/٤٠٧ ولم يسنده إلى مجاهد ، قال : وتفسير « يطَّيَّروا » يتشاءموا فقال الله عز وجل ﴿ أَلَا إِنَّما طَائِرهم عندَ الله ﴾ المعنى : ألا إنما الشؤم الذي يلحقهم ، هو الذي وُعِدُوا به في الآخرة، لا ما ينالهم في الدنيا . اهـ. وقال ابن عباس : « مصائبهم عند الله ، والأمر من قِبَل الله ، وليس بشؤم موسى كما زعموا » وانظر الطبري ٩/٣٠ .

(٣) عبارة الطبري ٩/٣٠ ﴿ ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون ﴾ أي لا يعلمون أن ذلك كذلك، فلجهلهم بذلك كانوا يطَّيَّرون بموسى ومن معه .

قال عطاء : الطوفانُ : الموتُ[1] .

وقال مجاهد : هو الموت على كل حال[2] .

وقال قتادة : سَالَ عليهم الماءُ ، حتى قاموا قياماً ، فسألوا موسى أن يدعو الله أن يكشفه ، ففعل[3] .

وقال الضحاك : جاءهم من المطر شيءٌ كثيرٌ ، فَسَألُوا موسى أن يدعوَ الله أن يكشفه عنهم ، ويُرسِلوا معه بني إسرائيل ، فدعا الله فكشفه عنهم ، وأمْرَعت البلادُ ، وأخصَبَتْ ، فعادوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل ، فصبَّ الله على زرعهم الجرادَ فأكلَه ، فسألوا موسى فدعا الله ، فكشف ذلك عنهم ، ثم عادوا[6] .

قال أبو جعفر : الطُّوفانُ في اللُّغة : ما كان مهلكاً ، من موتٍ أو سَيْلٍ ، أي ما يُطيفُ بهم فيهلكهم[5] .

قال مجاهد : أرسلَ اللهُ عليهم الجرادَ ، فأكل مساميرَ

(١) و(٢) و (٣) و (٤) هذه الآثار عن السلف كلها واردة ، ذكرها المفسرون ، الطبري ٣١/٩ و ٣٥ وابن الجوزي ٢٤٩/٣ والبحر المحيط ٣٧٢/٤ وابن كثير ٤٥٨/٣ قال أبو حيان في البحر المحيط : رُوي عن ابن عباس أن الطوفان هو الماء المغرق ، وقال قتادة والضحاك : هو المطرُ ، أُرسِل عليهم دائماً ، الليل والنهار ، مع ظلمة شديدة ، لا يرون شمساً ولا قمراً ، ولا يقدر أحد أن يخرج من داره ، وأُمطروا حتى كادوا يهلكون ، وبيوت القبط وبني إسرائيل متشابكة ، فامتلأت بيوت القبط ، حتى قاموا فيه إلى تراقيهم ، فمن جلس غرق ، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل قطرة ، وفاض الماء على أراضيهم فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ، ودام عليهم سبعة أيام .

(٥) في الصحاح ٣٩٧/٤ : الطُّوفان : المطر الغالب ، والماء الغالب ، يغشى كل شيء قال تعالى ﴿ فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴾ وانظر أيضاً المصباح المنير ٢٨/٢ .

أَرْتِجَتِهِم ، وثيابَهم ، وأرسل عليهم القُمَّل ـــ وهو الدَّبيّ[1] ـــ فكان يدخل في ثيابهم ، وفُرُشِهم .

وقال عكرمة : القُمَّل : الجنادب ، بناتُ الجراد .

وقال حبيب بن أبي ثابت : القُمَّلُ : الجُعْلَانُ[2] .

والقُمَّلُ عند أهل اللغة : ضربٌ من القِرْدَان[3] .

قال أبو الحسن الأعرابي العدوي : القُمَّلُ : دوابٌّ صغارٌ من جنس القُرْدَان ، إلَّا أنها أصغرُ منه ، واحدتها قُمَّلَةٌ[4] .

وليس هذا بناقضٍ لما قاله أهل التفسير ، لأنه يجوز أن تكون هذه الأشياء كلُّها أرسلت عليهم ، وهي كلُّها تجتمع في أنها تؤذيهم .

قال مجاهد : كانوا يجدون الدَّمَ في ثيابهم ، وشرابهم ، وطعامهم[5]

---

(١) قال ابن فارس : الدَّبَّى : الجراد إذا تحرك قبل أن تنبت أجنحته . وأما قوله : أرتجتهم ، فقد قال في المصباح جمع رتاج بالكسر ، وهو الباب العظيم ، والباب المغلق أيضاً .

(٢) في المصباح ١/١١٢ : الجُعَل وزان عمر : الحرباء ، وهي ذكر أم حبين ، وجمعه جُعْلان ، كصُرَد وصُرْدان .

(٣) و(٤) هذه الآثار عن السلف كلها مذكورة ، ذكرها الطبري في جامع البيان ٩/٣٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٣/٢٤٩ وأبو حيان في البحر المحيط ٤/٣٧٣ وابن كثير ٣/٤٦١ .

(٥) الطبري ٩/٣٥ وابن كثير ٣/٤٦٣ قال : وأرسل الله عليهم الدم ، فصارت مياه آل فرعون دماً ، لا يستقون من بئر ولا نهر ، ولا يغترفون من إناء ، إلَّا عاد دماً عبيطاً ، وقال زيد بن أسلم : يعني بالدم الرعاف . اهـ. أقول : الجمهور على أن الماء انقلب إلى دم ، وذلك من الآيات الباهرة .

ومعنى ﴿ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ ﴾ بعضها منفصل عن بعض ، بين كل واحدة منهم مدة[1] .

يُروى أنه بين الآية والآية ، ثمانية أيام[2] .

١١٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ ﴾** [آية ١٣٤]

وقرأ سعيد بن جبير : ومجاهد : ﴿ الرُّجْز ﴾[3] .

قال مجاهد : وهو العذاب[3] .

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ﴾ .

قال أبو عبيدة : بما أوصاكَ وأعْلَمَكَ[5] .

﴿ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ، وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ يُروى أنَّهم كدُّوهم[6] في العمل .

---

(١) هذا قول ابن قتيبة حكاه عنه صاحب البحر ، قال ابن عطية ٥٢/٦ : المراد أن هذه الأنواع من العذاب لم تجيء جملة ولا متصلة ، إنما جاءت مفرقة بالزمن .

(٢) ذكره الطبري في جامع الأحكام ٢٧١/٧ وقيل : بين الآية والآية شهر ، حكاه الطبري عن ابن جريج ٤٠/٩ ولفظه قال : وكانت الآية تمكث فيهم من السبت إلى السبت ، وترتفع عنهم شهراً .

(٣) قال ابن عطية : وقرأ ابن محيصن ، ومجاهد ، وابن جُبير : ﴿ الرُّجْز ﴾ بضم الراء في جميع القرآن . وانظر المحرر ٥٥/٦ .

(٤) الطبري عن مجاهد ٤١/٩ وهو قول الجمهور ، قال الزجاج ٤٠٩/٢ : الرِّجْزُ : اسمٌ للعذاب .

(٥) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٢٢٧/١ وقال القرطبي ٢٧١/٧ ﴿ بِمَا عَهِدَ عندك ﴾ : « ما » بمعنى الذي ، أي بما استودعك من العلم ، وبما اختصَّك به فنبَّأك . اهـ.

(٦) « كدُّوهم » أي أرهقوهم وأتعبوهم بتكليفهم بالأعمال الشاقة .

قال مجاهد : ﴿ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ ﴾ إلى عِدَّةٍ مسمَّاة من أيامهم[1] .

﴿ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي اليَمِّ ﴾ وهو البحر .

١١٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَأَوْرَثْنَا القَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا .. ﴾ [آية ١٣٧]

القَومُ ههنا : بنو إسرائيل[2] ، وكان فيهم « داود » و « سليمان » عليهما السلام .

قال قتادة : التي بورك فيها : الشَّام[3] .

وقيل : مِصْرُ .

١١٦ ــ ثم قال عز وجل ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الحُسْنَى عَلَى بَنِي إسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [آية ١٣٧]

قيل :يعني بالكلمة : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ

---

(١) الطبري عن مجاهد ٤٢/٩ ولفظه : عدد مسمًّى لهم من أيامهم .

(٢) هذا القول باتفاق المفسرين أنه يراد به « بنو إسرائيل » ويدلُّ عليه قوله تعالى بعده ﴿ وتمَّت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صَبروا ﴾ وقوله تعالى ﴿ كذلك وأورثناها بني إسرائيل ﴾ الشعراء آية رقم (٦٠) .

(٣) الطبري عن قتادة ٤٣/٩ وهو قول الحسن أيضاً ، وأما من ذهب إلى أنها أرض مصر كالزمخشري في الكشاف ، فقد استدل بقوله تعالى ﴿ كم تركوا من جنات وعيون .. كذلك وأورثناها قوماً آخرين ﴾ والقول الأول أظهر ، وهو ما رجحه الطبري وابن كثير ، لقوله سبحانه ﴿ إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾ .

وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ ﴾

قال مجاهد في قوله جل وعز ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [آية ١٣٧]

قال : يبنون البيوتَ ، والمساكنَ(١) .

ومعنى ﴿ يَعْكُفُونَ ﴾ يواظبون ، ويلازمون ، ومنه قيل : اعتكفَ فلانٌ .

ومعنى ﴿ مُتَبَّرٌ ﴾ مُهْلَكٌ ومدَمَّرٌ ، ويُقال : تَبَّرْتُ الشَّيءَ إذا كَسَرْتَهُ ، واسمُ ما انكسر منه التِّبْرُ(٢) .

١١٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً ﴾** [آية ١٤٠]

معنى : أبغي : أطلبُ ، ومعنى ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ يولونكم .

١١٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾** [آية ١٤١]

يجوز أن يكون المعنى : وفي إنجائه بني إسرائيل نِعْمَةٌ .

ويجوز أن يكون المعنى : في سومكم بني إسرائيل سوءَ العذابِ بليَّةٌ عَظِيمةٌ(٣) .

---

(١) الطبري ٩/٤٤ والقرطبي ٧/٢٧٢ قال ابن عباس ومجاهد : ما كانوا يبنون من القصور وغيرها .

(٢) انظر الصحاح ، والمصباح المنير ، مادة تبر . قال ابن قتيبة « متبَّر » مُهْلك ، والتَّبار : الهلاك .

(٣) الظاهر أن الإشارة ﴿ وفي ذلك بلاء ﴾ يرجع إلى سوء العذاب الذي سامهم به فرعون ، لأن الابتلاء في الغالب يكون بالمحن والمصائب ، كما قال سبحانه ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع .. ﴾ ويجوز أن تكون الإشارة إلى التنجية ، والمعنى : وفي تنجيتكم امتحان لكم واختبار ، ورجح ابن عطية الأول ، وهو أيضاً ما رجحه الطبري في جامع البيان ٩/٤٧ بل لم يذكر غيره ، وهو الأظهر والأشهر .

١١٩ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ ..** ﴾ [آية ١٤٢]

قال مجاهد : الثلاثون ذو القعدة ، والعشرُ عشرٌ من ذي الحجة[١] .

والفائدة في قوله ﴿ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ أنه قد دلَّ على أن العَشر ليالٍ ، وأنها ليست بساعاتٍ .

وقيل : هو توكيدٌ .

وقيل : هو بمنزلة فذلك ، أي فليس بعدها شيءٌ يُذْكر[٢] .

١٢٠ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا** ﴾ [آية ١٤٣]

أي للميقات الذي وَقَّتناهُ لهُ .

﴿ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ أي خصَّه بذلك[٣] .

---

(١) الطبري عن مجاهد ٩/٤٧ وهو قول ابن عباس ، وذكره ابن عطية في المحرر ٦/٦٥ عنهما .

(٢) ذكر هذه الوجوه ابن الجوزي في زاد المسير ٣/٢٥٥ وأبو حيان في البحر المحيط ٤/٣٨١ ثم قال : والذي يظهر أن هذه الجملة تأكيد وإيضاح . اهـ. وكذلك قال ابن عطية إنَّ مدة المناجاة أربعون ليلة ، ذكرها في سورة البقرة بلفظ الإجمال ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ﴾ وذكرها هنا بلفظ التفصيل ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ﴾ قال : ففي هذه الآية إخبار بتفصيله كيف وقع ، وبالجملة فهي تأكيد وإيضاح . وذكر الزجاج أنه لما صام ثلاثين يوماً ، أنكر خلوف فمه ــ أي تغير رائحته ــ فاستاك ، فأوحى الله إليه : أما تعلم يا موسى أن خلوف فم الصائم ، أطيبُ عند الله من ريح المسك ؟ فأمره تعالى أن يزيد عليها عشرة أيام ، فصارت أربعين على التمام والكمال .

(٣) أي خصَّه بالمناجاة والكلام مشافهة من غير وساطة ملك ، كما قال سبحانه ﴿ وكلَّم الله موسى تكليماً ﴾ ولهذا يسمى موسى الكليم .

١٢١ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ [آية ١٤٣]

قال قتادة : دكَّ بعضُه بعضاً .

وقال عكرمة : إنّما هو ﴿ جَعَلَهُ دَكَّاءَ ﴾ من الدَّكَّاوات ، والتقدير على هذه القراءة[١] : جعله أرضاً دكَّاء ، وهي الناتئة ، لا تبلغ أن تكون جبلاً .

قال عكرمة : لمَّا نظر اللهُ جلَّ وعز إلى الجبل ، صار صحراءَ تراباً[٢] .

١٢٢ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً ﴾ [آية ١٤٣]

قيل : ميِّتاً .

وقال سعيد بن عروبة عن قتادة : مغشيًّاً عليه ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾[٣] .

قال مجاهد : أي تُبْتُ من أن أسألك الرؤيا ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي أَوَّلُ من آمن ، أنه لا يراك أحدٌ في الدنيا إلَّا مات ،

---

(١) هذه قراءة حمزة والكسائي ﴿ جعله دكاء ﴾ وقرأ الجمهور ﴿ جعله دَكًّا ﴾ بدون همز ، والقراءتان سبعيتان وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٩٣ .

(٢) الأثر عن قتادة وعكرمة ، ذكره الطبري ٥٣/٩ وابن الجوزي ٢٥٧/٣ والسيوطي في الدر ١٠٩/٣ .

(٣) الطبري ٥٣/٩ والقرطبي ٢٧٩/٧ وابن الجوزي ٢٥٧/٣ وهذا القول هو قول ابن عباس ، والحسن ، والسدي ، وابن زيد ، أن المراد بقوله « صَعِقاً » : مغشياً عليه ، وأما قول مقاتل : ميتاً ، فهو ضعيف ، لأن قوله ﴿ فلما أفاق ﴾ يُقال فيمن أصابته غشية فأفاق منها ، ولا يُقال ذلك في الميت ، فتدبره فإنه دقيق ، وما ذكرناه هو الذي رجحه الحافظ ابن كثير ٤٦٩/٣ .

لأن سؤاله كان في الدنيا(١) .

قال قتادة : لمَّا أخذ الألواح ، فرأى فيها وصْفَ أمةِ محمَّدٍ ﷺ وتقريظهم ، فقال : يا رب اجعلهم أمتي !! فقال : تلك أمة أحمد ، فقال : فاجعلني منهم ، قال : إنك لن تدركهم ، وقال يا موسى ﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾ فرضيَ موسى ﷺ(٢) .

١٢٣ ـ وقوله جل وعز ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [آية ١٤٥]

قال سفيان : أي من الحلالِ ، والحرام(٣) .

١٢٤ ـ ثم قال تعالى ﴿ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [آية ١٤٥]

قال سعيد بن جبير : أي تفصيلاً لما أُمروا به ، ونُهوا عنه(٤) .

١٢٥ ـ ثم قال جل وعز ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ [آية ١٤٥]

---

(١) الطبري ٩/٥٥ وابن كثير ٣/٤٦٩ وهذه رواية أخرى عن مجاهد ، وابن عباس ، وإليه ذهب أبو العالية ، قال : قد كان قبله مؤمنون ، ولكن يقول : أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد إلى يوم القيامة ، واستحسنه ابن كثير فقال : وهذا قول حسن له اتجاه ، ورجح الطبري أن المراد أول من آمن من بني إسرائيل ، وما ذهب إليه ابن كثير أظهر ، ويصبح المعنى · وأنا أول المؤمنون بعظمتك وجلالك أنه لا يراك أحد في الدنيا .

(٢) هذا طرف من أثر طويل ، أخرجه أبو نعيم في الدلائل ، ورواه السيوطي بتمامه في الدر ٣/١٢٤ .

(٣) و(٤) الطبري ٩/٥٧ وزاد المسير ٣/٣٥٨ والقرطبي ٧/٢٨١ قال ﴿ من كل شيء ﴾ مما يحتاج إليه في دينه من الأحكام وتبين الحلال والحرام .

أي بقوة في دينك وحجتك ، وقيل : بجدٍّ وعَزْمٍ[1] .

١٢٦ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾** [آية ١٤٥] وكلُّها حسنة ؟

فقيل : المعنى : أنَّهـم أُمِـروا أن يأخـذوا بما هو أحسنُ ، ممَّـا هو مطلَقٌ لهم ، وإن كانا جميعاً مُطْلَقَيْنِ ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَمَـنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِـهِ فَأُوْلَـئِكَ مَا عَلَيْهِـمْ مِنْ سَبِيـلٍ ﴾[2] فهـذا مبـاحٌ ، والعفوُ أحسنُ[3] .

وقيل : ﴿ بِأَحْسَنِهَا ﴾ بالأحسن منها .

وقيل : أُمِرُوا بشيء وخُبِّروا بما لهم فيه ، ونُهُوا عن شيء وخُبِّروا بما عليهم فيه ، فقيل لهم : خُذُوا بأحسنها[4] .

وقيل : بالناسـخ .

١٢٧ ــ **ثم قال تعالى ﴿ سَأُرِيكُمْ دَارَ الفَاسِقِينَ ﴾** [آية ١٤٥]

قال الحسن : يعني جهنم[5] .

---

(١) القرطبي ٢٨١/٧ ولفظه ﴿ فخُذها بقوة ﴾ : أي بجدٍّ ونشاط ، والطبري ٥٨/٩ .

(٢) سورة الشورى آية رقم (٤١) .

(٣) توضيح هذه الفكرة أن الله أمر بني إسرائيل ، بالحثِّ على اختيار الأفضل ، كالأخذ بالعزائم دون الرُّخص ، فالعفوُ أفضل من القصاص ، والصبرُ أفضل من الانتصار ، وهكذا ..

(٤) هذا القول حكاه الزجاج في معانيه ٤١٥/٢ .

(٥) الطبري عن الحسن ٥٩/٩ والبحر ٣٨٩٣٣ -وزاد المسير ٢٥٨/٣ واختاره الطبري ٥٩/٩ قال : « دارُ الفاسقين » هي نار الله التي أعدَّها لأعدائه ، قاله على سبيل التهديد والوعيد لمن عصاه ،=

وقال مجاهد : يعني مصيرهم في الآخرة[1] .

وقرأ قَسَامةُ بنُ زُهير[2] : ﴿ سَأُورِثُكُمْ دَارَ الفَاسِقِينَ ﴾[3] .

١٢٨ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ ﴾ [آية ١٤٦]

قال سفيان بن عُيَيْنَة : أي أمنعهم من كتابي[4] .

قال أبو إسحاق : المعنى سأجعلُ جَزَاءَهم على كفرهم ، الإضلالَ عن هداية آياتي[5] .

= كما يقول القائل : سأريك غداً إلامَ يصير حال من عصي أمري .. إلخ . والظاهر ــ والله أعلم ــ أن المراد بدار الفاسقين مصر ، وهو قول علي ، وقتادة ، ومقاتل ، والفاسقون هم فرعون وقومه ، والمعنى : سترون منازل الفاسقين كيف أقفرتْ منهم ، ودُمِّر أهلُها ، لفسقهم وإجرامهم ، لتعتبروا فلا تكونوا مثلهم ، فإن رؤيتها وهي خاليةٌ عن أهلها ، موجبةٌ للاعتبار والانزجار ، وهذا القول اختاره القرطبي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وقال : الرؤية هنا رؤية العين لا من رؤية القلب .

(١) الطبري ٩/٥٩ وزاد المسير ٣/٢٦٠ والدر المنثور ٣/١٢٦ .

(٢) « قَسَامة بن زهير » تابعي ، ثقة ، تُوفي في ولاية الحجاج بعد سنةمائة وثمانين،روى عنه قتادة وغُنيم وغيرهما ، وانظر ترجمته في التهذيب ٨/٣٧٨ وفي الجرح والتعديل ٧/١٤٧ .

(٣) هذه القراءة ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ٤/٣٨٩ وابن عطية في المحرر ٦/٧٦ ولم أرها في القراءات السبع .

(٤) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٤/٣٨٩ عن سفيان ، وابن عطية في المحرر ٦/٧٨ والسيوطي في الدر المنثور ٣/١٢٧ أي سأمنعهم من تدبرها ، ونظرها الصحيح المؤدي إلى الحق ، وأنزع عنهم فهم القرآن .

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٢/٤١٥ و « أبو إسحاق » كنية الإمام الزجاج ، وقد تقدمت ترجمته .

وقيل : سأصرفهم عن نفعها[1] .

وقيل : عن عِزِّها .

ومعنى ﴿ يَتَكَبَّرُونَ ﴾ يحقرون النَّاسَ ، ويرَوْنَ أنَّ لهم فضلاً عليهم ، ويتكبرون عن الإيمان ، واتِّبَاعِ النبيِّ ﷺ[2] .

١٢٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَإِنْ يَرَوا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾

[آية ١٤٦]

ويُقرأ : ﴿ سَبِيلَ الرَّشَدِ ﴾[3] .

وقرأ عبد الرحمن المقرىء ﴿ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ .

قال أبو عَمْرو بن العلاء[4] : الرُّشْدُ : الصَّلَاحُ ، والرَّشَدُ :

---

(١) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٢٨٣/٧ قال ومعناه : سأصرفهم عن نفعها مجازاةً على تكبرهم ، نظيره قوله سبحانه ﴿ فلمَّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ .

(٢) في الحديث الصحيح (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كِبْر ، قالوا : يا رسول الله : إن أحدنا يحبُّ أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسنة !! قال : ليس ذلك ، إن الله جميل يحب الجمال ، الكِبْر : بطر الحقِّ ، وغَمْطُ النَّاس) أي احتقارهم وازدراؤهم ، أخرجه مسلم والترمذي .

(٣) هذه قراءة حمزة والكسائي ﴿ سبيل الرَّشَد ﴾ كما في السبعة لابن مجاهد ص ٢٩٣ وقرأ الباقون ﴿سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ وكلتاهما من القراءات السبع ، وانظر النشر ٢٧٢/٢ .

(٤) « أبو عمرو بن العلاء » هذا اسمه وكنيته ، وقيل اسمه « زَبَّان » وقيل يحيى ، والأول هو المشهور ، قال فيه الفرزدق :

ما زلتُ أَفْتَحُ أَبْوَاباً وأُغْلِقُها حتَّى رأيتُ أبا عَمْرو بن عمَّار

وهو أحد الأئمة القراء السبعة توفي ١٥٤هـ وهو من كبار علماء النحو ، قال أبو عبيدة عنه : كان أعلم الناس بالقرآن والعربية ، وانظر ترجمته في التهذيب ١٧٨/١٢ .

فِي الدِّينِ[1] .

قال غيره : الغيُّ : الضَّلالُ .

١٣٠ ــ وقوله جل وعز ﴿ ذَلِكَ بأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [آية ١٤٦]

ويجوز أن يكونوا في تركهم الإيمان ، وتدبر الحق ، بمنزلة الغافلين .

ويجوز أن يكون غافلين عما يُجازون به ، كما يُقال : ما أغفل فلاناً عما يُراد به[2] !؟

١٣١ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مُن حُلِّيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ .. ﴾ [آية ١٤٨] .

أي من بعد ما جاء للميقاتِ .

﴿ مِنْ حُلِّيِّهِمْ ﴾ يُقال لما حَسُنَ من الذَّهب والفضَّةِ : حَلْيٌ ، والجمعُ حُلِيٌّ ، وحِلِيٌّ[3] ، ﴿ عِجْلاً جَسَداً ﴾ أي عِجْلاً

---

(١) ذكره القرطبي ٢٨٣/٧ عن أبي عُبيد أن أبا عمرو فرَّق بينهما ، قال القرطبي : والصحيح عن أبي عمرو وغير ما قال أبو عبيد ، وسيبويه يذهب إلى أن الرُّشد ، والرَّشد مثل السُّخط والسَّخَط . اهـ. أي لا فرق بينهما فهما لغتان بمعنى واحد .

(٢) ذكر الرأيين الزجاج في معانيه ٤١٦/٢ .

(٣) في الصحاح للجوهري مادة حلى : الحَلْيُ : حَلْيُ المرأة وجمعه حُلِيٌّ ، مثل : ثدي ، وثُدِيٌّ ، وقد تكسر الحاء لمكان الياء ، مثل عِصِيٍّ ، وقُرئ ﴿ مِن حِلِيِّهم ﴾ بالضم والكسر ، وتحلَّت بالحلي : تزينت به . اهـ .

جُثَّةٌ[1] ، أي لا يعقل ولا يُميِّز .

وقيل : لم يكن له رأس إنما كان جسداً فقط ﴿ لَهُ خُوَارٌ ﴾ أي صوتٌ .

قال مجاهد : جَمَعَ الحُلِيَّ فأخذ قبضةً من أثَرِ فرس جبريل ﷺ فرماها عليه[2] .

١٣٢ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا .. ﴾ [آية ١٤٩] .

يُقال للنادم المتحيِّر : سُقِطَ في يديه ، وأُسْقِطَ[3] .

ويُقْرأ : ﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾[4] أي ولمَّا سَقَطَ النَدَمُ

---

(١) في المخطوطة « جُنَّة » وهو تصحيف ، وصوابه « جُثَّة » كما هو في معاني الزجاج ٤١٧/٢ ، قال : والجَسَد هو الذي لا يعقل ولا يُمَيِّز ، إنما معنى الجَسَد معنى الجثَّة فقط ، وانظر المحرر الوجيز ٨٢/٦ أيضاً .

(٢) الطبري ٦٢/٩ والدر المنثور ١٢٧/٣ وابن كثير ٤٧٣/٣ والعجلُ : هو ولد البقرة ، والخُوار : صوت البقرة ، قال ابن كثير : وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى لميقات ربه ، والذي اتخذه لهم هو السامريُّ ، اتخذه من حُليِّ القبط الذي كانوا استعاروه منهم ، فشكَّل لهم منه عجلاً ، ثم ألقى فيه القبضة من التراب الذي أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام .

(٣) قال أبو عبيدة : يقال : لمن أقدم على أمر وعجز عنه : سُقِط في يده . اهـ. مجاز القرآن ٢٢٨/١ قال ابن كثير : ﴿ ولما سقط في أيديهم ﴾ أي ندموا على ما فعلوا ، وقال ابن عطية : العرب تقول لمن كان ساعياً في وجه ، أو طالباً غاية ، فعرض له ما يصده عن بغيته : سقِطَ في يد فلان .

(٤) هذه قراءة ابن السميفع ، وأبي عمران الجوني قرءا ﴿ ولمَّا سقط ﴾ بفتح السين ، وانظر زاد المسير ٢٦٣/٣ والمحرر الوجيز ٨٣/٦ .

في أيديهم[1] .

١٣٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً .. ﴾** [آية ١٥٠] .

الأَسِفُ : الشَّدِيدُ الغَضبِ ، المغيظُ ، ويكون الحزين[2] .

ومعنى ﴿ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾ ؟ أسبقتم ولم تنتظروا أمرَهُ ، ونَهْيَهُ[3] .

١٣٤ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ .. ﴾** [آية ١٥٠] .

قال مجاهد : كانت من زمردة خضراء[4] .

قال مجاهد في قوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

---

(١) هكذا أوَّله الزجاج في معانيه ٤١٧/٢ وقال الزمخشري : أي لما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل ، لأن من شأن من اشتد ندمه ، أن يعض يده ندماً ، فتكون يده مسقوطاً فيها . وانظر الكشاف ٩٤/٢ .

(٢) انظر تفسير ابن عطية ٨٦/٦ ومعاني الزجاج ٤١٨/٢ واستدلَّ الزجاج على أن الأَسف الغضب بقوله تعالى ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم ﴾ أي أغضبونا ، وانظر أيضاً البحر المحيط ٣٩٤/٤ .

(٨) قال الفراء ٣٩٣/١ : تقول : عجلتُ الشيء : سبقته ، وأعجلته استحثثته . وقال ابن عباس معناه : أعجلتم ميعاد ربِّكم فلم تصبروا له ؟ زاد المسير ٢٦٤/٣ .

(٤) الطبري ٦٦/٩ ونقل الطبري عن سعيد بن جبير أنها كانت من ياقوت ، قال ابن عطية ٨٧/٦ في روايته عن ابن عباس : كان سبب إلقائه الألواح غضبه على قومه على عبادتهم العجل ، وغضبه على أخيه في إهمال أمرهم .

يعني الذين عبدوا العجل[1] .

١٣٥ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِر لِي وَلِأَخِي .. ﴾** [آية ١٥١] .

أي اغفر الغضبَ الذي ألقيتُ من أجله الألواحَ ، واغفر لأخي ما كان من مساهلته في بني إسرائيل ، إذ كان ذلك من خشية غضَبِ موسى ، حين قال : ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾[2] .

وقيل : إنَّما استغفر لذنوبٍ كانت قبل هذا الوقت ، لأن غضبه أيضاً كان للهِ جلَّ وعز[3] ، وهارونُ عليه السلام إنما أخَّرَ بني إسرائيل لئلَّا يتفرَّقُوا ويتحاربوا .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « لَم يَبْقَ من الألواحِ إلا سُدُسُها »[4] .

---

(١) القرطبي ٢٩١/٧ وابن عطية ٨٩/٦ قال ابن كثير : أي لا تسقني مساقهم ، ولا تخلطني معهم ـــ يعني مع عبدة العجل ـــ وإنما قال « يا ابن أمَّ » لتكون أرأف وأنجع عنده ، وإلَّا فهو شقيقه لأبيه وأمه ، فهو استعطاف واسترحام .

(٢) سورة طه آية رقم (٩٤) .

(٣) يريد المصنف أن الغضب إذا كان لله عز وجل فهو ليس بذنب ، بل هو طاعة ، ولذلك فسَّره بعضهم بقوله : استغفر لذنوبٍ سابقة ، والصحيح أن استغفاره لتسرعه باتهام أخيه بالتفريط ، وعجلته في إلقاء الألواح .

(٤) هذا الأثر عن ابن عباس ذكره المفسرون ، الطبري ٦٦/٩ وابن الجوزي ٢٦٤/٣ وأبو حيان في البحر ٣٩٥/٤ قال : وفي قوله تعالى ﴿ ولمَّا سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح ﴾ دليل على أنها لم تتكسر ، ودليل على أنه لم يُرفع منها شيء . اهـ. أقول : الأثر ضعيف ، ولا يصح القول أنه رماها رمي كاسر لها ، وإنما كان رميُه لها حميَّةً لدين الله ، والغضب من أجل عبادة الله =

١٣٦ ــ وقوله جل وعز ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ .. ﴾ [آية ١٥٢] .

المعنى : إنَّ الذين اتَّخَذُوا العجل إلهاً ، حُذِفَ لعلم السامع[١] .

وقيل : معنى ﴿ وَذِلَّةٌ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ إنها الجِزْيَةُ .

وقيل : هو ما أُمِرُوا به من أن يَقْتُلَ بعضُهم بعضاً[٢] ، وما رأوه من ضلالهم ، قال الله جل وعز : ﴿ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ﴾ .

قال أبو جعفر : وهذا القول أصحُّ من الأول ، لأنَّ الجزية لم تُؤخذ منهم ، وإنما أُخذت من ذريَّتهم[١] .

= فلم يرفع منها شيء ، هذا هو الصحيح ، ولهذا لم يورد هذا الأثر الحافظ ابن كثير ، وإنما أورد حديث « ليس الخبر كالمعاينة ، إن الله عز وجل أخبر موسى بما صنع قومه من عبادة العجل ، فلم يلق الألواح ، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح » أخرجه أحمد ٢٧١/١ وظاهر السياق أنه إنما ألقى الألواح غضباً على قومه .

(١) كذا ذكر الطبري في جامع البيان ٦٩/٩ : إنَّ الذين اتخذوا العجل إلهاً سينالهم غضب من ربهم .. إلخ .

(٢) أشار المصنف إلى قوله تعالى : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ﴾ أي ليقتل منكم البريء المجرم ، فكانت هذه توبتهم ، وليست كتوبتنا بالندم والاستغفار .

(٣) قال ابن عطية في المحرر ٩٠/٦ : والغضب والذلَّة هو أمرهم بقتل أنفسهم ، هذا هو الظاهر ، وقال بعضهم : الذلَّة الجزية ، ووجه هذا القول أنها بقيت في عقبهم ، وكأن المراد سينال أعقابهم . وقال القرطبي ٢٩٧/٧ : وقيل : الذلَّة الجزية ، وفيه بعد ، لأن الجزية لم تؤخذ منهم وإنما أخذت من ذرياتهم . اهـ .

١٣٧ ـ وقوله جل وعز ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبُ .. ﴾ [آية ١٥٤] .

معناه : سَكَنَ .

قال أبو إسحاق : يُقَال : سَكَتَ ، يَسْكُت ، سَكْتاً : إذَا سَكَنَ ، وسَكَتَ ، يَسْكُتُ ، سُكُوتاً وَسَكْتاً : إذا قطع الكلام[1] .

ومعنى ﴿ وفي نُسْخَتِهَا ﴾ وفيما نُسِخَ منها أي فيها هدىً ورحمة[2] .

قال ابن كيسان[3] : ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنَّها جُدِّدَتْ له في لوحين .

وقيل : فيما انتُسِخَ منها ، وكانت قد تكسَّرتْ ، فذهب أكثرها[4] ، وانتسخ ما قُدِر عليه منها ، وفي تلك النسخة ﴿ هُدَىً ﴾ أي بيانٌ ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ أي ما يدلُّ على ما يوجب الرحمة ولهذا قال : ﴿ هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ .

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٤١٩/٢ ومعنى الآية : ولما سكن غضب موسى على أخيه وقومه .

(٢) هكذا قال الطبري في جامع البيان ٧١/٩ وقال ابن عطية ٩٣/٦ : أي وفيما يُنسخ منها ويُقرأ ، هداية للحق ، ورحمة للخلق .

(٣) ابن كيسان هو محمد بن أحمد الكيساني ، النحوي الشهير ، المتوفى سنة ٢٩٩هـ وانظر ترجمته في الأعلام ١٩٧/٦ .

(٤) هذا القول مرجوح ، والراجح ما ذكرناه أن الألواح لم تتكسر بدليل قوله تعالى ﴿ ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح ﴾ .

يجوز أن يكون معنى (اللاَّم) معنى (من أجل) كما تقـول : أنا أكْرِمُ فلاناً لَكَ .

ويجوز أن يكون المعنى : رهبتهم لربهم[1] .

١٣٨ ـــ وقوله جل وعـز ﴿ وَاخْتَـارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا .. ﴾ [آية ١٥٥] .

أي ممن لم يعبدوا العجل ، والمعنى : من قومه[2] .

١٣٩ ـــ ثم قال جل وعز ﴿ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ .. ﴾ [آية ١٥٥] .

قال مجاهد : أُمِيتُوا ثم أُحْيُوا[3] .

والرَّجْفَةُ في اللُّغة : الزلزلة الشديدة[4] ، ويُروى أنهم زُلزلوا حتـى ماتوا .

قال ابن عباس : إنما أخـذتهم الرجفة ، لأنهم لم ينهوا من عَبَـد

---

(١) هذا ما ذهب إليه المبرِّد أن الـلام متعلقـة بمصدر ، ويكـون المعنـى : للذيـن هم رهبتُهـم لربهم ، وروي عن الأخفش أن المعنى : من أجل ربهم يرهبون ، وقـال الـكسائي : هذه زائـدة أي يرهبـون ربهم مثل قول الفرزدق : نفذت لها مائة درهم أي نفدتها ، القرطبي ٢٩٣/٧ .

(٢) قال الطبري ٧٢/٩ : المعنى : اختار موسى من قومه سبعين رجلاً للوقت والأجل الذي وعـده الله للتوبة ، مما كان من فعل سفهائهم في أمر العجل . اهـ.

(٣) الأثر عن مجاهد في الطبري ٧٤/٩ ولفظه : فأخذتهم الرجفة ، فماتوا ، ثم أحياهم الله .

(٤) في الصحـاح ٣٦٢/٤ : الرَّجفـة : الزلزلـة ، ورجـفـت الأرض رجفـاً ، والرَّجفـان : الاضطـراب الشديد ، وانظر أيضاً المصباح المنير .

العجل ، ولم يرضوا عبادته[1] .

﴿ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ ﴾ أي أَمَتَّهُمْ ، كما قال تعالى ﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ ﴾[2] .

قال ابن كيسان[3] : أي لو شئت ﴿ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ ﴾ لأنهم أذنبوا ، بأنهم لم يَنْهَوا من عَبَدَ العجل .

﴿ وَإِيَّايَ ﴾ بذنبي حينَ قتلتُ القبطيَّ ، فقد رحمتَنا ولم تهلكنا بذنوبنا نحن ، أفتهلكنا بذنوب السُّفَهَاء ، الذين عبدوا العجل ؟ وأنتَ متفضِّلٌ علينا بالعفو قبلَ هذا ؟

قال أبو جعفر : حقيقة المعنى : لستَ تُهْلِكُنَا[6] ، وألف الاستفهام تدل على هذا المعنى في كثيرٍ من المواضع كما تقول : ما أناأفعَلُ مثلَ هذا ، أي لستُ أفعلُه .

(١) الأثر في الطبري ٧٣/٩ عن ابن عباس قال : إنما تناولتهم الرَّجفة ، لأنهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل ، وقد كرهوا أن يجامعوهم عليه . اهـ.

(٢) جزء من آية في سورة النساء رقم (١٧٦) وأولها ﴿ يستفتونك قل الله يُفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك .. ﴾ أي مات .

(٣) هو الإمام النحوي محمد بن أحمد الكيساني المتوفى سنة ٢٩٩هـ وانظر ترجمته في الأعلام للزركلي ١٩٧/٦ .

(٤) قال المبرِّد : هذا استفهام استعطاف أي لا تهلكنا ، وقال ابن الأنباري : هذا استفهام على تأويل الجحد ، أراد لست تفعل ذلك . زاد المسير ٢٦٩/٣ ورجح ابن جرير ٧٦/٩ هلاك السبعين ، وأنَّ موسى إنما حزن على هلاكهم ، وعنى بالسفهاء : عَبَدة العجل ، والمعنى : أتهلك هؤلاء الذين أهلكتهم بما فعل السفهاء من قومهم الذين عبدوا العجل ؟ وهذا هو الأظهر .

﴿ إنْ هِيَ إلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا ﴾ أي بالفتنة ﴿ مَنْ تَشَاءُ ﴾ أن تبتليه ، فتجعله عاصياً .

١٤٠ ــ **وقوله عز وجل ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إنَّا هُدْنَا إلَيْكَ .. ﴾** [آية ١٥٦] .

قال مجاهد وأبو العالية وقتادة : في قوله تعالى ﴿ إنَّا هُدْنَا إلَيْكَ ﴾ قالوا : تُبْنا[1] .

١٤١ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ .. ﴾** [آية ١٥٦] .

قال الحسن وقتادة : وَسِعَتِ البرَّ والفاجر ، في الدُّنيا ، وهي للتقيِّ خاصَّةً يومَ القِيَامة[2] .

١٤٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فسأكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ .. ﴾** [آية ١٥٦] .

روى حمَّاد بنُ سَلَمَة ، عن عطاء بنِ السَّائِبِ ، عن سَعِيدِ بنِ

---

(١) الأثر في الطبري ٩/٧٨ وفي ابن الجوزي ٣/٢٧٠ وفي ابن كثير ٣/٤٧٩ ولفظه ﴿ إنا هُدْنا إليك ﴾ أي تبنا ورجعنا وأنبنا إليك .

(٢) الأثر في الطبري ٩/٨٠ وفي تفسير ابن الجوزي ٣/٢٧١ وفي الدر المنثور للسيوطي ٣/١٣٠ وعزاه إلى عبد الرزاق ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وقال ابن الجوزي : فيها أربعة أقوال : أحدها : أنه عام ومعناه خاص لأمة محمد ، والثاني : أنه على العموم في الدنيا والخصوص في الآخرة أي هل للمتقين خاصة قاله الحسن وقتادة .. إلخ .

جُبَيْرٍ ، عن ابن عباس قال : كَتَبَهَا اللهُ جَلَّ وَعَزَّ لهذه الأمة[1] .

١٤٣ ـ **وقوله جل وعز ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ .. ﴾** [آية ١٥٧] .

الأميُّ : الذي لا يكتب[2] .

وقيل : نُسِبَ النبيُّ ﷺ إلى أمِّ القرى ، وهي مكة .

﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ﴾ فكانَ هذا من براهينه ﷺ ، لأنه خبَّرهم بما في كتابهم .

فيجوز أن يكون ﴿ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ ﴾ بما هو مكتوبٌ عندهم .

ويجوز أن يكون مستأنفاً .

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ﴾ .

يجوز أن يكون الحلال .

ويجوز أن يكون ما حرَّم عليهم من الطَّعَامِ[3] .

---

(١) الأثر في الطبري ٧٩/٩ والقرطبي ٢٩٦/٧ والدر المنثور ١٣٠/٣ وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) هذا هو الصحيح في معنى الأميِّ ، وهو الذي لا يعرف الكتابة ولا القراءة ، ويؤيده قوله سبحانه ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطُّه بيمينك .. ﴾ الآية وليس لأنه منسوب إلى أم القرى كما ذكره المصنف عن بعضهم ، ولم يذكر الزجاج غير القول الأول في معانيه ٤٢١/٢ حيث قال : الأُميُّ هو على خلقة الأمة ، لم يتعلم الكتاب فهو على جبلَّته .

(٣) هذا ما رجحه ابن جرير ٨٤/٩ حيث قال : الخبائث هو لحم الخنزير ، والربا ، وما كانوا يستحلونه من المآكل التي حرمها الله .

﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ العربُ تقول لكلِّ حرامٍ : خَبيثٌ[1] .

﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾ .

قَال سعيد بن جبير : الإِصْرُ : شدَّةُ العبادةِ[2] .

ورُوِي عن مجاهد فيه قولان :

رَوَى عنه ابن أبي نجيح أنَّه قال : كانوا قد شُدِّدَ عليهم في أشياءَ ، فمن أسلمَ وآمن بالنبي ﷺ خُفِّف عنه[3] .

وروى موسى بن قيس عنه أنه قال : هي عهودٌ كانت عليهم[4] .

والقولان متقاربان أي ما يثقل عليهم .

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٧٣/٣ عن بعض المفسرين ، والأرجح ما ذكره الطبري كما بينّا ، فإن الأصل في الخبيث ما تستقذره النَّفس كأكل الحيَّات ، والحشرات ، والخنافس ، ونحوها . وأما الحرام فقد تستحسنه كثير من النفوس العليلة .

(٢) الأثر أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير ، ولفظه ﴿ إصرهم ﴾ قال : التشديد في العبادة ، كان أحدهم يُذنب الذنب فيكتب على باب داره : « إن توبتك أن تخرج إلى العدوِّ ، فلا ترجع حتى يأتي الموت على آخرهم » الدر ١٣٥/٣ . وقال ابن كثير ٤٨٧/٣ : جاء الإسلام باليسر والسماحة كما قال ﷺ : « بُعثت بالحنيفية السمحة » وقد كانت في الأمم الذين كانوا قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم ، فوسَّع الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم » .

(٣) الأثر عن مجاهد في الطبري ٨٥/٩ والقرطبي ٣٠٠/٧ وفي الدر المنثور ١٣٥/٣ .

(٤) الأثر في الطبري ٨٤/٩ وفي زاد المسير ٢٧٣/٣ وفي المحرر الوجيز ١٠٥/٦ .

وكذلك الأغلالُ التي كانت عليهم ، إنما هو تمثيلٌ ، أي أشياء قد كُلِّفُوعا وضُمِّنُوها فهي بمنزلة الأغلال[1] .

ويُروى أنَّ أحدهم كان إذا أصابَ جِلْدَه بولٌ ، وجبَ عليه أن يقطعه ، وإذا قتل رجلٌ رجلاً لم يكن بدٌّ من قتله ، ولا تُؤخذ منه دِيَةٌ[2] .

١٤٤ ـــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ فالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ ، وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ .. ﴾ [آية ١٥٧] .

وقيل : معنى ﴿ وَعَزَّرُوهُ ﴾ وعظَّمُوهُ .

وقيل : ومنعوا منه أعداءه ، والمعاني متقاربة[3] .

﴿ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ﴾ بمنزلِةِ النُّورِ في البيان[4] .

ثم قال : ﴿ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ .. ﴾ [آية ١٥٨] .

قال مجاهد : معنى ﴿ يُؤْمِنُ باللهِ وَكَلِمَتِهِ ﴾ يؤمن باللهِ ،

---

(١) إلى هذا القول ذهب الزجاج في معانيه ٤٢١/٢ حيث قال : والأغلال تمثيل ، ألا ترى أنك تقول : جعلت هذا طوقاً في عنقك ، وليس هناك طوق . ومنه قول الشاعر : ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٨٥/٩ وزاد المسير لابن الجوزي ٢٧٣/٣ وجامع الأحكام للقرطبي ٣٠٠/٧ .

(٣) المعنى الأول هو الأرجح ، أي عظَّموه ووقَّروه ، وهو اختيار ابن عطية ١٠٧/٦ وابن كثير ٤٨٨/٣ أما من فسَّر « عَزَّروه » بمعنى نصروه ، فإنه ضعيف ، لأن بعده « ونصروه » فيكون تكراراً .

(٤) المراد بالنور القرآن والشرعُ ، شبَّهه بالنور إذ القلوب تستضيء به كما يستضيء البصر بالنور .

وبعيسى[1] .

وقال غيره : الكلمةُ والكلامُ ههنا واحد .

١٤٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً .. ﴾** [آية ١٦٠] .

الأسباطُ : الفِرَقُ ، والواحد : سِبْطٌ ، والأَسْبَاطُ في ولد إسحاق ﷺ بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل ﷺ .

والأسباطُ : مأخوذٌ من السَّبَطِ وهو شجرٌ تعلِفُه الإبِل[2] .

ومعنى ﴿ فَانْبَجَسَتْ ﴾ : فانفجرت .

١٤٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ .. ﴾** [آية ١٦٣] .

أمره أن يسألهم سؤال توبيخ[3] ، ليقرِّرهم بما يعرفونه من عصيان آبائهم ، ويخبرهم بما لا يُعْرَفُ إلَّا من كتاب أو وحي .

حدَّثنا أبو جعفر ، قال : نا محمد بن إدريس ، قال : نا

---

(١) الأثر في الطبري ٨٧/٩ وابن عطية ١٠٨/٦ وهذا على قراءة الإفراد « وكلمته » وأما على قراءة الجمع ﴿ وكلماته ﴾ فيراد بها الآيات المنزلة من عند الله كالتوراة والإنجيل ، واختار الطبري العموم ٨٧/٩ .

(٢) انظر الصحاح للجوهري ١٣٠/٣ فقد ورد فيه أن السَّبط بالتحريك نبت ، الواحد سبطة ، قال الشاعر : « على جوانبه الأَسْبَاطُ والهَدَبُ » .

(٣) انظر معاني الزجاج ٤٢٤/٢ وتفسير ابن عطية ١١٣/٦ فقد نبَّها على أن السؤال كان على جهة التوبيخ .

يونس ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، وكذا أخبرني حَيْوةُ عن عُقَيْـلٍ ، عن ابـن شهـاب ، قال : القَرْيَـةُ التـي كانت حاضرة البحـر : طبريَّـةُ[١] ، والقرية التـي قال فيها : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُـمْ مَثَـلاً أَصْحَـابَ القَرْيَـةِ ﴾[٢] إنطاكية .

وعن ابن عباس ﴿ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ البَحْرَ ﴾ : أَيْلَةُ[٣] .

ومعنى ﴿ يَعْــدُونَ ﴾ يعتــدون ويجاوزون الحقَّ .

والشُّرَّعُ : الظَّاهِرَةُ[٤] .

وقرأ الحسنُ ﴿ يُسْبِتُون ﴾ أي يدخلون في السبت[٥] .

مثلُ « أَهْلَلْنَا » ومن فَتَحَ البَاءَ قال معناه : يُعظِّمون السبت[٦] .

كما كانوا يعظمونه ، هذا قولُ الكلبي وأبي عبيدة .

---

(١) الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٣٦/٣ عن ابن شهاب ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٧٦/٣ وابن عطية في المحرر الوجيز ١١٣/٦ .

(٢) سورة يس آية رقم (١٣) .

(٣) الأثـر في الطبري ٩١/٩ والقرطبـي ٣٠٥/٧ وابـن كثير ٤٩٢/٣ قال : وهـو قول عكرمـة ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي . أقول : هذا هو المشهور أنها « أيلة » بين مَدْين والطُّور .

(٤) هذه رواية الضحاك عن ابـن عبـاس ، وروى العـوفي عنـه أن معنـى « شُرَّعـاً » من كل مكـان ، وانظر تفسير ابن كثير ٤٩٢/٣ .

(٥) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر ٤١١/٤ عن علي والحسن قال : وهـي من أَسْبَتَ دخـل في السبت .

(٦) ما بين الحاصرتين من الهامش وليس في الأصل .

قال مجاهـــد : كانت الحيتـــان تأتيهم يوم السبت من غير أن يطلبوها ، ابتلاءً من الله جَلَّ وعزَّ لهم أي اختباراً[1] .

١٤٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً ..﴾** [آية ١٦٤] .

معنـى (أو) هاهنـا لأحـد الأمريـن ، أي قد ظهــــر منهم ما سيلحقهم من أجله أحدُ هذين[2] .

﴿ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُـمْ ﴾[3] أي موعظتنـا معـذرةٌ ، أي إنما يجب علينا أن نأمرهم بالمعروف ، ولعلَّهم يرجعون بموعظتنا .

﴿ فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ أي تركوا ﴿ أَنْجَيْنَا الَّذِيـنَ يَنْهَـوْنَ عَنِ السُّوْءِ ، وأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ﴾ .

قال ابـن عبـاس : ما أدري ما فُعِل بالفِرقـة التـي لم تَأْمـرْ ولم تَنْه[4] ؟

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤٩٢/٣ والبحر المحيط ٤١١/٤ .

(٢) وضَّحه الزجاج في معانيه ٤٢٦/٢ فقال : ومعنى « أو » ــ والله أعلم ــ أنهم أخبروهم على قدر ما رأوا من أعمالهم ، أنهم مهلكون في الدنيا ، أو مُعَذَّبون في الآخرة لا محالة .

(٣) هذه قراءة ابن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي بالرفـع ﴿ مُعَـذِّرةٌ ﴾ وقـرأ عاصم « معـذرةً » بالـنصب ، وهما من القـراءات السبـع ، وانظـر السبعـة لابـــن مجاهـــد ص ٢٩٦ .

(٤) الأثـر عن ابـن عبـاس ذكـره الطبري ٩٤/٩ وابـن كثير ٤٩٤/٣ والقرطبي ٣٠٧/٧ وفيـه عن عكرمة قال : قلت لابن عباس لمَّا قال : ما أدري ما فُعل بهم ، ألا ترى أنهم كرهـوا ما هم عليـه وخالفوهم فقالـوا : « لِمَ تعظـون قومـاً الله مُهْلكهـم » ؟ فلـم أزل به حتـى عرَّفتـه أنهم قد نجوا ، فكساني حُلَّة . اهـ.

وقال غيره : نُجِّيَتْ لأنَّها لم تُشَارِك كالَّذِين عَصَوْا[1] .

قال مجاهد : ﴿ بَئِيس ﴾ أليمٌ شديد ، وهذا معروف في اللغة ، يقال : بَؤُسَ ، فهو يبأسُ : إذا اشتدَّ[2] .

ومن قرأ ﴿ بِيسٍ ﴾[3] ففيه قولان :

قال الكسائي : الأصلُ فيه « بَئِسٌ » خُفِّفت الهمزة ، فالتقت ياءان ، فحُذفت إحداهما وكُسر أوَّله ، كما يُقال : رَغِيف ، وَشَهِيد .

وقيل : أراد بَئِسٍ على فَعِلٍ ، فكُسِرَ أوَّله ، وخُفِّفت الهمزةُ ، وحُذِفت الكسرة ، كما يُقال : رَحِمٌ وَرَحْمٌ[7] .

قال أبو إسحاق : بئيسٍ أي شديد ، وقد بَئِسَ إذا افتقر ، وبَؤُسَ : إذا اشتَدَّ .

قال عليُّ بن سليمان[5] : بِيْسٌ : رَدِيءٌ وليس بجارٍ على

---

(١) قال القرطبي : وهذا مذهب الحسن ، وممَّا يدل على أنه إنما هلكت الفرقة العادية لا غير ، قوله تعالى ﴿ وأخذنا الذين ظلموا ﴾ .

(٢) في الصحاح ٩٠٦/٣ « عذاب بئيس » أي شديد ، يُقال : بئس الرجل يبأس بؤساً فهو بائس : اشتدت حاجته .

(٣) انظر النشر لابن الجزري ٢٧٢/٢ والسبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢٩٧ وقرأ الجمهور « بَئِيسٍ » .

(٤) معاني الزجاج ٤٢٧/٢ .

(٥) « علي بن سليمان بن الفضل » أبو المحاسن ، المعروف بالأخفش الأصغر ، نحوي من بغداد ،=

الفعل ، إنما هو كما يُقال : ناقةٌ نِضْوٌ . والعرب تقول : « جاء ببناتِ بِيسٍ » أي ببنات شيء رديء .

قال أبو جعفر : وفيه قراءاتٌ سوى هاتين : سنذكرها في الإعراب إن شاء الله[1] .

١٤٨ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوْءَ العَذَابِ .. ﴾** [آية ١٦٧] .

قال أهل التفسير : معناه أعْلَمَ رَبُّكَ[2] .

وهذا قولٌ حسنٌ ، لأنه يقال : تعلَّم بمعنى أعْلَمَ ، وأنشد أبو إسحاق لزهير في مثل هذا :

فقلتُ تَعَلَّمْ إنَّ للصَّيْدِ غِرَّةً
فَإنْ لَا تُضَيِّعْهَا فإنَّكَ قَاتِلُهْ[3]

ورُوي عن ابن عباس أنه قال في قوله جل وعز ﴿ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ ﴾ قال : يعني أخذ

= له تصانيف عديدة منها « شرح سيبويه » و « المهذب » و « الأنواء » توفي سنة ٣١٥هـ ، وانظر ترجمته في الأعلام ٥/١٠٣ .

(١) انظر إعراب القرآن للنحاس ١/٦٤٦ فقد ذكر أن فيها إحدى عشرة قراءة .

(٢) قال الطبري ٩/١٠٢ : ﴿ تَأَذَّنَ ﴾ تفعَّل من الإيذان ومعناه أعلم ، وانظر البحر ٤/٤١٣ أيضاً .

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى وهو في ديوانه ص ٦٧ وفي جامع الأحكام ٧/٣٠٩ ومعاني الزجاج ٢/٤٢٨ يقول الشاعر : اعلم أن للصيد غفلةً ، فإذا لم تُضيِّع هذه الغفلة فإنك ستصطاده وترديه قتيلاً ، وإلّا أُفْلِتَ من يدك .

الجزية[1]

فإن قيل : فهم قد مُسخوا ، فكيف تؤخذ منهم الجزية ؟

فالجواب : إنَّها تؤخذ من أبنائهم ، وقد مُسِخوا ولَحِقَ أولادهم الذُلَّ ، فهم أذلُّ قومٍ ، وهم اليهود .

حدَّثنا أبو جعفرقال : نا أحمد بن محمد بن سلامة ، قال : نا عيسى بن إسحاق الأنصاري ، قال : نا يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني ، عن يعقوب القُمِّي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد ابن جبير في قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ قال : العربُ ﴿ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ قال : الخراجُ[2] .

وقيل : « عَلَيْهِمْ » على اليهود ، بيَّن أنه كان أخبر بذلك .

١٤٩ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً .. ﴾ [آية ١٦٨] .

---

(١) الأثر في جامع البيان ١٠٢/٩ وفي البحر ٤١٤/٤ وابن كثير ٤٩٧/٣ قال المفسرون : كانت اليهود تؤدي الجزية إلى المجوس ، إلى أن بعث الله محمداً ﷺ فضربها عليهم ، فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر ، قالوا : وهذه الآية تدلُّ على أن لا دولة لليهود ولا عزَّ ، وأن الذلَّ والصَّغار فيهم لا يفارقهم ، وهذا خبرٌ حقٌّ أخبر عنه القرآن ، فلا عزَّ لهم ولا سلطان ، إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وانظر البحر المحيط ٤١٤/٤ .

(٢) الأثر في الطبري ١٠٣/٩ وفي المحرر الوجيز ١٢٥/٦ وفي القرطبي ٣١٠/٧ وفي ابن كثير ٤٩٧/٣ وفي البحر المحيط ٤١٤/٤ وهو قول عن ابن عباس أيضاً رواه عنه علي بن أبي طلحة .

أي فرَّقناهم فِرَقاً[1] .

١٥٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾** [آية ١٦٨] .

أي واختبرناهم بالشدَّةِ والرَّخاءِ ، والخِصْبِ والجَدْبِ .

١٥١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ .. ﴾** [آية ١٦٩] .

قال مجاهد : يعني النَّصارى[2] .

وقال غيره : يعني أبناءهم .

قال أبو جعفر وهذا أولى القولين ــ والله أعلم ــ لأنه يُقال لولد الرجل : خَلْفُهُ ، يُقال للواحد ، وللاثنين ، والجمع[3] ، والمؤنث ، على لفظٍ واحدٍ ، والجَمْعُ خُلُوفٌ .

---

(١) قال ابن عطية في المحرر ١٢٦/٦ ﴿ وَقَطَّعناهم ﴾ معناه : فرَّقناهم في الأرض ، وقد نُقل عن الطبري : ما في الأرض بقعة إلا وفيها معشر من اليهود ، والظاهر أنهم الذين بعد سليمان وقت زوال ملكهم ، وقبل مدة عيسى عليه السلام ، لأنه لم يكن فيهم صالح بعد كفرهم بعيسى ﷺ .

(٢) الأثر عن مجاهد في الطبري ١٠٥/٩ وابن كثير ٤٩٨/٣ وفي المحرر الوجيز ١٢٨/٦ وضعَّفه الطبري فقال : لم يذكر الله لنا في كتابه أنهم نصارى ، وقِصَّتُهم بقصص اليهود أشبه منها بقصص النصارى ، فتأويل الكلام إذاً : فتبدَّل من بعدهم بدل سَوْء ، ورثوا كتاب الله أي تعلَّموه ، وضيَّعوا العمل به . اهـ. جامع البيان ١٠٥/٩ .

(٣) في المخطوطة « والجميع » وهو تصحيف ، وصوابه : والجمعُ لمقارنته بالواحد والاثنين .

وقيل : إنما يُسْتعمل للرديء من الأبناء[1] .

فأمَّا الخَلَفُ بتحريكِ اللَّامِ ، فهو البَدَلُ من الشيء ، من وَلَـدٍ أو غيره[2] .

١٥٢ ــ ثم قال جل وعز ﴿ يَأْخُـذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَـى وَيَقُولُـونَ سَيُغْفَـرُ لَنَا .. ﴾ [آية ١٦٩] .

قال ابن عباس رحمه الله : يستقبلون الدنيا فيأكلونها ، ويتأولون كتـاب الله ، هذا معنـى قولـه تعـالى ﴿ وَإِنْ يَأْتِهِـمْ عَرَضٌ مِثْلُـهُ يَأْخُذُوهُ ﴾[3] .

قال مجاهد : يأخذون في يومهـم ما كان من حلال أو حرام ، وإن وجدوا ذلكَ لِغَدٍ أخذوه[4] .

وقال غيره : يأخـذون الـرُّشَى في الحكـم ، ويقولـون : سَيُغفـر

---

(١) في الصحاح : الخَلْفُ : الرديء من القـول ، يقـال : سكَتَ ألفـاً ونَطَـق خَلْفـاً أي سكت عن ألف كلمة ثم تكلم بخطأ ، ويُقال : هو خَلْفُ سوء من أبيه ، إذا قام مقامه ، وقال لبيد :

ذَهَبَ الَّذِيـنَ يُعـاشُ في أَكْنافِهِـمْ وبقيتُ فِي خَلْـفٍ كجِلْـدِ الأَجْـرَابِ

(٢) قال أبو عبيدة : الخَلْـفُ والخَلَـفُ واحـد ، وقـوم يجعلـون المحرَّك « خَلَـفٌ » للصالح ، والمسَكَّـن « خَلْفٌ » لغير الصالح ، وقال ابن قتيبة : الخَلْفُ : الرَّديءُ من النـاس ومـن الكـلام ، يُقـال : هَذا خَلْـف من الكـلام أي كلام رديء ، وقـال ابـن الأنبـاري : أكثر ما تستعمـل العـرب « الخَلْـف » في الـرديء المذمـوم ، والخَلَـفَ في الفـاضل الممـدوح . اهــ. وانظـر زاد المسير ٢٨٠/٣ .

(٣) الأثر في الطبري ١٠٧/٦ بنحوه ، وابن الجوزي ٢٨١/٣ وفي فتح القدير ٢٦١/٢ .

(٤) الأثر ذكره الطبري ١٠٦/٩ وابن كثير ٤٩٨/٣ والشوكاني ٢٦١/٢ .

لنا ، وهم لا يتوبون[1] .

ودَلَّ على أنهم لا يتوبون قولُه تعالى ﴿ وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ﴾[2] .

والعرض في اللُّغَة : متاعُ الدنيا أجمعُ .

والعَرْضُ بتسكين الرَّاء ، ما كان من المال سوى الدنانير والدراهم ، وما كان من الدنانير والدراهم قيل له : نقدٌ وغيرُه[3] .

ومعنى ﴿ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴾ أي قد قرأوه ، وهم قريبو عهدٍ بقراءته .

١٥٣ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ ﴾[4] [آية ١٧٠] .

معنى ﴿ يُمَسِّكُونَ بالكِتَابِ ﴾ يتَّبعون ما فيه ، ويحكمون به .

﴿ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ ﴾ أي من أصلَحَ منهم وآمن ولم يعاند .

١٥٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ .. ﴾ [آية ١٧١] .

---

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٢/٤٢٩ وابن عطية في المحرر ٦/١٢٨ قال : والآية إشارة إلى الرشا والمكاسب الخبيثة ، وكذلك قال أبو حيان في البحر المحيط ٤/٤١٦ .

(٢) نبَّهت الآية على أنهم مصرُّون على المعاصي ، غير مكترثين بالوعيد ، كما جاء في الحديث « والعاجز من أتْبَعَ نفسه هَوَاها ، وتمنَّى على الله الأماني » .

(٣) انظر البحر المحيط لأبي حيان ٤/٤١٦ .

(٤) سقطت الآية من المخطوطة ، وأثبتناها لأن المصنف رحمه الله فسَّرها وبيَّن معناها .

يُقـال : نَتَـقْتُ الشَّيءَ ، أَنْتُقُـه ، نَتْقـاً ، ونُتُوقـاً : إذا زعزعتـه ورميت به أو قطعته ، ومنـه امـرأةٌ ناتِـقٌ أي كثيرةُ الولـد ، كأنها ترمـي بالأولاد .

ويُقـال : نَتَـقْتُ السِّقَـاءَ : إذا نقضتَــه لتُخْــرِج ما فيه من الزُّبد[1] .

قال قتـادة : رُفِـعَ الجبـل على رؤوسهــم ، وقــال لهم موسى ﷺ : إن قبلتم ما في الكتاب ، وإلَّا سقط عليكم[2] .

ومعنى ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ بجدٍّ .

١٥٥ ــ **وقولـه جل وعـز ﴿ وَإِذْ أَخَـذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِــي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِــمْ ذُرِّيَتَهُمْ .. ﴾** [آية ١٧٢] .

أحسنُ ما قيل في هذا ، ما تواترتْ بِهِ الأخبارُ عن النبـي ﷺ «إنَّ اللّهَ جلَّ وعـز ، مَسَحَ ظهـرَ آدم ، فأخـرج منـه ذُرِّيَتَـه ، أمثـالَ الذَرِّ ، فأخذ عليهم الميثاق »[3] فكأنه يُفهمهم ما أراد جلَّ وعـز ، كما قال تعالى : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾[4] .

---

(١) انظر الصحاح للجوهري ٤/٥٥٨ ولسان العرب لابن منظور مادة « نَتَق » .

(٢) الأثر في الطبري ٩/١٠٩ وفي القرطبي ١/٤٣٦ وفي الدر المنثور ٣/١٤٠ .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١/٤٤ والحاكم في المستدرك ١/٢٧ وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، والسيوطي في الدر المنثور ٣/١٤١ وأبو داود رقم (٤٧٠٣) والترمذي رقم (٥٠٧١) وحسَّنه ، ولفظُه « إن الله خلق آدم ، ثم مسح ظهره بيمينه ، فاستخرج منه ذرِّيةً ، فقال : خلقتُ هؤلاء للجنة ، وبعمل أهلِ الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرِّية فقال : خلقتُ هؤلاء للنار ، وبعمل أهل النار يعملون .. » الحديث وانظر تحفة الأحوذي ٨/٤٥٣ فقد قال فيه الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٤) سورة النمل آية رقم (١٨) .

وفي الحديث : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلى الفِطْرَةِ »[1] .

أي على ابتداء أمره ، حين أخذ عليهم العهد .

حدثنا أبو جعفر قال : نا عبد الله بن إبراهيم المقرئ البغدادي بالرَّمْلة قال : نا عباس الدوري قال : نا عبد الله بن موسى قال : نا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أُبَيٍّ بن كعب في هذه الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾[2] إلى قوله : ﴿ المُبْطِلُون ﴾ قال : جَمَعهم فجعلهم أزواجاً ، ثم صوَّرهم ، ثم استَنْطَقهم فقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ إنَّك ربُّنا وإلهنا ، لا ربَّ لنا غيرك ، ولا إله لنا غيرك ، قال : فأُرسلُ إليكم رُسُلي ، وأُنزل عليكم كتبي ، فلا تُكذِّبوا رسلي ، وصدِّقوا وعيدي ، وإني سأنتقم ممن أشرك بي ، ولم يؤمن بي ، فأخذ عهدهم وميثاقهم »[3] وذكر الحديث .

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في الجنائز ٣/١٧٦ ومسلم في القدر رقم (٢٦٥٨) والترمذي في القدر رقم (٢٣١٩) وأبو داود في السنة رقم (٤٧١٤) ولفظ البخاري « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهوِّدانه ، أو ينصِّرانه ، أو يمجِّسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسُّون فيها من جدعاء ؟ » . قال أبو هريرة : واقرأوا إن شئتم ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله .. ﴾ الآية .

(٢) هذه قراءة نافع ، وأبي عمرو ، وابن عامر ﴿ ذُرِّياتهم ﴾ بالجمع ، وقرأ الباقون بالتوحيد ﴿ ذُرِّيَّتهم ﴾ وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٩٨ وكلا القراءتين سبعية .

(٣) الأثر في مجمع الزوائد للهيثمي ٧/٢٨ قال : رواه عبد الله بن أحمد عن شيخه محمد بن يعقوب الربَّاني وهو مستور ، وبقيَّة رجاله رجال الصحيح ، وذكره الطبري في جامع البيان ٩/١١٥ ، وابن كثير في تفسيره ٣/٥٠٥ والسيوطي في الدر المنثور ٣/١٤٢ وعزاه إلى ابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات .

قال أبو جعفر : ونذكر حديث عمر عن النبي ﷺ في معنى هذه الآية في الإعراب[1] ، وغيره إن شاء الله .

١٥٦ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ قَالُوا بَلَى ﴾** [آية ١٧٢] .

وهذا التَّمامُ ، على قراءة من قرأ ﴿ أَنْ تَقُولُوا ﴾ بالتاء .

قال أبو حاتم[2] : وهي مذهبنا لقوله ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ؟ يخاطبهم ، فقال على المخاطبة : ﴿ أَنْ تَقُولُوا ﴾ أي لأن لا تقولوا .

وقرأ **ابن عباس** وسعيد بن جبير وغيرهما ﴿ أَنْ يَقُولُوا ﴾[3] بالياء ، والمعنى على هذه القراءة : وأشهدهم على أنفسهم كراهة أن يقولوا .

١٥٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا .. ﴾** [آية ١٧٥] .

---

(١) نصُّ الحديث كما في إعراب القرآن للنحاس ١/٦٥٠ : عن مسلم بن يسار الجُهني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية ﴿ وإذْ أخذ ربك من بني آدم .. ﴾ الآية . فقال عمر : سمعتُ رسول الله ﷺ سُئل عنها فقال : « إن الله عز وجل خلق آدم ، فمسح ظهره بيمينه ، فاستخرج منه ذريَّة ، فقال : خلقتُ هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقتُ هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » ، فقال رجل : يا رسول الله : ففيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن الله إذا خلق العبد للجنة ، استعمله بعمل أهل الجنة ، حتى يموت على عمل أهل الجنة فيدخله الجنة ، وإذا خلق العبد للنار ، استعمله بعمل أهل النار حتى يموت فيدخله النار » وانظر مسند أحمد ١٥١/٤ .

(٢) أبو حاتم هو سهل بن محمد السجستاني ، وقد تقدمت ترجمته .

(٣) هذه قراءة أبي عمرو وحده ، وقرأ الباقون بالتاء « أن تقولوا » على المخاطبة ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٩٨ .

وروى شعبـــةُ ، عن منصور ، عن أبي الضحـــى ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : هو « بَلْعَامُ »[1] .

وروى ابن أبي جُريج ، عن عبـد الله بن كثير ، عن مجاهـد ، عن ابن عباس قال : هو « بَلْعَامُ بنُ بَاعِرَ » من بني إسرائيل[2]

قال سعيد بن جبير : « كان معـه اسمُ الله الأعظـم ، فسألـوه أن يدعـوَ الله على موسى عليـه السلام وأصحابـه ، فقـال : أخِّـروني ، وكان لا يدعو على أحد ، حتَّى يرى ذلك في نومـه ، فبـاتَ فنُهـي في نومِهِ ، فعـادوا إليـه ـــ وكان موسى ﷺ قد جاءهـم في ثمانين ألفـاً ، خلف الفرات ـــ فلمَّا سألوه أن يدعـوَ عليـه بعدمـا نُهـي ، قال لهم : أخْرِجُوا إلى أصحابه النِّساء ليفتتنـوا ، فتنـتصروا عليهم ، فانسلـخ ممَّـا كان فيه ، وكان قد أُمر في نومه أن يدعوَ له »[3] .

قال عبـد الله بن عمـــرو بن العـــاص رحمهمـــا الله : « هو صاحبكم أمية بن أبي الصلت »[4] .

---

(١) الأثر في الطبري ٩/١١٩ والمراد بـ « عبـد الله » عبـد الله بن مَسعـود ، وهـو أيضاً في ابـن كثير ٣/٥٠٧ .

(٢) الأثـر في الطبري ٩/١٢٠ وفي البحـر ٤/٤٢٢ وفي ابـن كثير ٣/٥٠٧ قال : وهـو قول مجاهـد وعكرمة ، وفي رواية العوفي عن ابن عباس : هو رجل من أهل اليمن ، يُقال له « بَلْعـم » آتـاه الله آياته فتركها .

(٣) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ٩/١٢٤ بنحـوه ، وابـن كثير في تفسيره ٣/٥١٠ وفي الـدر المنثور للسيوطي ٣/١٤٧ ببعض الزيادة .

(٤) الأثر في الطبري ٩/١٢١ وفي الدر المنثور ٣/١٤٦ وفي زاد المسير لابن الجوزي ٣/٢٨٧ .

وقال عكرمة : هو من كان من اليهود والنصارى ، لم يصحَّ إسلامه[1] .

يذهبُ إلى أنهم منافقوا أهلِ الكتاب .

وقال ابن عباس في قوله تعالى ﴿ فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ هو ما نُزِع منه من العلم[2] .

١٥٨ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ ﴾ [آية ١٧٥] .

يُقال : أَتْبَعَهُ إذا أدركه ، وتَبِعَهُ إذا سار في أَثَرِهِ[3] ، هذا الجيِّد .

وقيل : هما لغتان[4] .

١٥٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا .. ﴾ [آية ١٧٦] .

---

(١) الأثر عن عكرمة في زاد المسير لابن الجوزي ٢٨٨/٣ وفي الدر المنثور ١٤٦/٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) زاد المسير ٢٨٨/٣ والقرطبي ٣٢١/٧ ولفظه ﴿ فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ أي من معرفة الله تعالى ، أي نُزِع منه العلم الذي كان يعلمه ، وفي الحديث : « العلم علمان : علمٌ في القلب ، فذلك العلم النافع ، وعلمٌ على اللسان فذلك حجَّة الله على ابن آدم » فهذا مثل علم بلعم وأشباهه .

(٣) في المصباح المنير ٧/١ : جئتُ في أَثَرِهِ بفتحتين ، وفي إِثْرِهِ ، بكسر الهمزة والسكون : أي تبعته عن قرب .

(٤) هذا قول الأخفش حكاه عنه الجوهري في الصحاح ١٩٠/٣ قال : تبعته وأتبعته بمعنىً ، مثل ردِفته وأردفته .

قال مجاهد : أي لرفعناه عنه ، ومعناه لعصمناه ممّا فعل[1] .

١٦٠ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلى الأَرْضِ .. ﴾** [آية ١٧٦] .

قال مجاهد : أي سَكَنَ ، والتقدير : إلى نعيم الأرضِ ولذَّاتها[2] .

١٦١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ ، إنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ، أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ .. ﴾** [آية ١٧٦] .

قال مجاهد : أي إن تحمل عليه بدابتك أو رجلك يلهث ، أو تتركه يلهث ، وكذلك من يقرأُ الكتابَ ولا يعملُ بما فِيهِ[3] .

وقال غير مجاهد : هذا شرُّ تمثيلٍ ، في أنه قد غلب عليه هواه ، حتى صار لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعاً ، بكلبٍ لاهثٍ أبداً ، حُمِلَ عليه أو لم يُحْمَل عليه ، هو لا يملك ترك اللَّهَثان[4] .

---

(١) و(٢) و(٣) الآثار عن مجاهد ذكرها ابن جرير في جامع البيان ١٢٧/٩ و ١٢٩ قال الطبري : وأولى الأقوال أنه لو شاء لرفعه بآياته التي آتاه الله ، رفع منزلته ، ورفعه بالذكر الجميل ، والثناء الرفيع ، وذكرها القرطبي في جامع الأحكام ٣٢٢/٧ قال مجاهد ﴿ أخلدَ إلى الأرض ﴾ سكن إليها ، أي سكن إلى لذاتها .

(٤) هذا رأي الإمام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٤٣٢/٢ وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٢٩٠/٣ : الكافر إذا زجرته لم يتزجر ، وإن تركته لم يهتد ، فالحالتان عنده سواء ، كحالتيْ الكلب ، فإنه إن طرد وحُمل عليه بالطرد كان لاهثاً ، وإن تُرك ورَبَض كان أيضاً لاهثاً ، فالمعنى : فمثله كمثل الكلب لاهثاً ، وإنَّما شبهه بالكلب اللاهث ، لأنه أخسُّ الأمثال على أخسِّ الحالات وأبشعها . وقال ابن قتيبة : كلُّ لاهث إنما يلهث من إعياء أو عطش ، إلا الكلب ، فإنه يلهث في حال راحته ، وحال كلاله ، فضربه الله مثلاً لمن كذَّب بآياته، فقال : =

١٦٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ .. ﴾** [آية ١٧٩] .

[أي خلقنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس .

يُقال : ذَرَأَ اللهُ خلقه يَذْرَؤُهُم ذَرْءاً](١) أي خلقهم .

وقوله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ ﴾ وَصَفَهم بأنهم بمنزلة من لا يعقلُ .

١٦٣ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾** [آية ١٧٩].

لأن الأنعام إذا أبصرتْ مضارَّها ، اجتنبتْها أو أكثرَها ، ولا تكفرُ معاندةً .

١٦٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَللهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا .. ﴾** [آية ١٨٠] .

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « إنَّ للهِ تسعةً وتسعين اسماً ، مائةً غيرَ واحدٍ ، من أَحْصَاهَا دَخَل الجَنَّةَ »(٢) .

= إن وعظته فهو ضال ، وإن لم تعظه فهو ضال ، كالكلب إن طردته وزجرته فسعى لهث ، أو تركته على حاله رابضاً لهث . اهـ. زاد المسير ٣/٢٩٠ .

(١) ما بين الحاصرتين سقط تفسيره من المخطوطة وأثبتناه من تفسير الطبري .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ٨/١٠٩ ومسلم في كتاب الذكر ٨/٦٣ والترمذي في أبواب الدعوات ٩/٤٨٢ تحفة الأحوذي ، وزاد فيه ذكر الأسماء : هو الله الذي لا إله إلا هو ، الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدُّوس .. إلخ وأخرجه ابن ماجه في الدعاء ٢/١٢٦٩ . قال الحافظ ابن كثير ٣/٥١٦ : والذي عوَّل عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا =

وقال **بعض أهل اللغة** : يجب على هذا أن لا يُدْعَى اللهُ عزَّ وجل ، إلَّا بما وَصَفَ به نفسه ، فيقال : يَا جَوادُ ، ولا يُقال : يا سَخِيُّ[1] .

١٦٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ .. ﴾** [آية ١٨٠] .

قال ابن جريج : اشتقُّوا العُزَّى من العزيز ، واللَّات من اللهِ[2] .

قال أبو جعفر : والإلحادُ في اللغة : الجورُ ، والمَيْلُ ، ومنه لَحْدُ القبر ، لأنه ليس في الوسط ، إنما هو مائلٌ في ناحيته[3] .

قال أبو جعفر : وفَرَّقَ الكسائيُّ بينَ أَلْحَدَ ، ولَحَدَ ، فقال : ألحد عدل عن القصد ، ولَحَدَ رَكَن إلى الشيء .

= الحديث مُدْرجٌ فيه ، أي أنهم جمعوها من القرآن ، كما ورد عن جعفر بن محمد ، وسفيان بن عيينة .

(١) قال الزجاج ٤٣٣/٢ : ولا ينبغي لأحد أن يدعوه بما لم يصف به نفسه ، فيقول في الدعاء : يا ألله ، يا رحمن ، يا رحيم ، ولا ينبغي أن يقول : يا سبحان ، لأنه لم يصف نفسه بهذه اللفظة ، ويقول : يا رحيم ، ولا يقول : يا رفيق ، ويقول : يا قويُّ ولا يقول : يا جلدُ .. . اهـ. وانظر أيضاً تفسير ابن الجوزي ٢٩٣/٣ .

(٢) الأثر ذكره الطبري عن ابن جريج عن مجاهد ١٣٣/٩ وذكره السيوطي في الدر ١٤٩/٣ عن ابن عباس .

(٣) انظر الصحاح للجوهري ٥٣٤/٢ فقد ذكر أن اللَّحد : الشَّقُّ في جانب القبر ، وقال : ألحد في دين الله : حاد وعدل ، ولحَد لغة فيه .

وعلى هذا قَرَأ في النحل ﴿ يَلْحَدُونَ ﴾[1] بفتح الياء بمعنى الرّكون .

١٦٦ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾** [آية ١٨٢] .

يقال : استدرج فلانٌ فلاناً ، إذا أتى بأمرٍ يريد ليلقيه في هلكة .

ولا يكونُ الاستدراجُ إلّا حالاً بعد حال ، ومنه فلانٌ يُدْرِجُ فلاناً ، ومنه أدْرجتُ الثّوب[2] .

١٦٧ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾** [آية ١٨٣] .

ومعنى « أُمْلِي » : أؤخر ، والمَلاوةُ : القِطْعَةُ من الدَّهر ، ويُقال : بالضمِّ والكسر ، ومنه : تَمِلَّ حَبيبك[3] . والمتينُ : الشديد .

---

(١) أشار إلى الآية في سورة النحل ﴿ لسان الذي يُلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبي ﴾ آية رقم (١٠٣) .

(٢) قال أبو عبيدة : الاستدراج أن يُتدرَّج إلى الشيء في خفية ، قليلاً قليلاً ولا تهجم عليه ، وأصله من الدرجة ، وذلك أن الراقي والنازل ، يرقى وينزل مرقاة مرقاة ، ومنه دَرَجَ الكتاب : طواه شيئاً بعد شيء ، ودرج القوم : ماتوا بعضهم في إثْرِ بعض . اهـ. من البحر المحيط ٤/٤٣٠ وانظر الصحاح للجوهري ١/٣١٤ .

(٣) قال في الصحاح ٦/٤٩٦ : يُقال : ملّاك حبيبك أي متَّعك به وأعاشك معه طويلاً ، وأقمتُ عنده مَلاوَةً من الدهر ، ومُلاوَةً أي حيناً وبُرهة ، والمَلِيُّ : الهَوِيُّ من الدهر ، ومنه ﴿ واهجرني مليًّا ﴾ أي طويلاً .

١٦٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ .. ﴾ [آية ١٨٥] .

قال سفيان : يعني خلق السمواتِ والأرضِ[١] .

١٦٩ــ وقوله جل وعز ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا .. ﴾ [آية ١٨٧] .

قال قتادة : أي متى قيامُهَا[٢] ؟

وقال غيره : يُقال رسى الشيءُ ، يرسو ، رُسُوًّا : إذَا ثَبتَ ، وأَرْسَيْتُهُ : أَثْبَتُّهُ[٣] .

١٧٠ ــ ثم قال جل وعز ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ﴾ [آية ١٨٧] .

أي لا يعلم متى قيامها إلَّا اللهُ .

١٧١ــ ثم قال جل وعز ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ .. ﴾ [آية ١٨٧] .

يُقال : جَلَّى لِيَ فلانٌ الخَبَر : إذا أَظْهَره وأَوْضَحه[٤] .

---

(١) انظر جامع الأحكام ٢٣/٧ قال القرطبي : أراد ما في السموات والأرض من العجائب والمخلوقات ، والملكُوت : الملك الواسع ، وهو من أبنية المبالغة ، زيدت الواو والتاء للمبالغة في الصفة كالرَّهبوت والجبروت .

(٢) الأثر في جامع البيان للطبري ١٣٨/٩ قال ابن جرير : ومُرْسَاها : قيامُها ، من قول القائل : أرساها الله فهي مرساة ، ورست ترسو رسُوًّا والمعنى : يسألونك عن الساعة متى قيامها ؟

(٣) انظر البحر المحيط لأبي حيان ٤٣٤/٤ والصحاح للجوهري مادة « رسى » .

(٤) انظر المصباح المنير مادة جلي .

١٧٢ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ، لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً .. ﴾** [آية ١٨٧] .

أي خفيَ علمُها ، وإذا خَفِي الشَّيءُ ثَقُل(١) .

وقيل : أي ثَقُلت المسألةُ عنها ، أي عظُمَتْ .

١٧٣ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾** [آية ١٨٧] .

أي فجأة .

١٧٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا .. ﴾** [آية ١٨٧] .

قال قتادة : قالت قريشٌ للنبي ﷺ : نحن أقرباؤك فأسرَّ إلينا متى الساعة !! فأنزل الله جل وعز ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ أي حفيٌّ بهم(٢) .

والمعنى على هذا : التقديمُ والتأخيرُ(٣) ، أي يسألونك عنها

---

(١) هذا قول مروي عن السُّدي قال معنى « ثَقُلَتْ » أي خَفِيَتْ في السموات والأرض ، فلم يعلم أحد من الملائكة المقربين ، والأنبياء المرسلين ، متى تكون ؟ وما خَفِيَ أمره ثقل على النفوس . قال في البحر ٤٣٥/٤ : ويُعبَّر بالثِّقَل عن الشدَّة والصعوبة كما قال تعالى ﴿ ويذَرون وراءهم يوماً ثقيلاً ﴾ أي شديداً صعباً .

(٢) الأثر عن قتادة في الطبري ١٤٠/٩ وفي ابن كثير ٥٢٢/٣ وفي الدر المنثور ١٥١/٣ .

(٣) يريد المصنف بقوله على التقديم والتأخير أن « عنها » متعلقة بيسألونك ، والأصل يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بهم ، فأُخِّرت في اللفظ ، ومعناها التقديم فصارت ﴿ يسألونك كأنك حفيٌّ عنها ﴾ وانظر البحر ٤٣٥/٤ .

كأنك حفيٌّ لهم أي فرحٌ لسؤالهم .

وهـو معنـى قول سعيـد بن جبير أي يسألـونك كأنك حفـيٌّ لهم[1] .

١٧٥ ــ **وقوله جل وعـز ﴿ وَلَـوْ كُنْتُ أعْلَـمُ الغَـيْبَ لاَسْتَكْثَـرْتُ مِنَ الخَيْرِ .. ﴾** [آية ١٨٨] .

رُوي عن ابـن عباس أنـه قال : لو أني أعلـم سَنَـة القحـط والجدب ، لهيأتُ لها ما يكفيني[2] .

وقيل : لو كنتُ أعلـمُ متـى أمـوتُ لاستـكثرت من العبـادة ، فيكون الخير ها هنا العبادة[3] .

وقيل : إن النبي ﷺ كان يُسأل عمَّا في قلوبِ النـاس ، ومـا يُسرُّونه ، فقال : ﴿ لَوْ كُنْتُ أعْلَمُ الغَيْبَ ﴾ أي ما يُسرُّونه ومـا يقـع بكم ، حتى تحذروا مكروهه ، لكان أحـرى أن تجيبـوني إلى ما أدعـوكم

---

(١) انظر أقوال السلف في زاد المسير ٢٩٨/٣ وفي الطبري ١٤١/٩ وفي ابن كثير ٥٢٢/٣ وقد رجح الحافظ ابن كثير أن المعنى : يسألونك كأنك عالم بها وقد أخفـى الله علمهـا عن خلقـه ، قال : وهو قول الضحاك وابن عباس ومجاهد .

(٢) الأثـر عن ابـن عبـاس في ابـن كثير ٥٢٧/٣ بنحـوه ، وفي زاد المسير ٣٠٠/٣ وفي الـدر المنثـور للسيوطي ١٥١/٣ .

(٣) هذا قول مجاهد وابن جريج كما في الطبري ١٤٢/٩ وفي ابن كثير ٥٢٦/٣ قال : وفي هذا نظـر ، لأن عمل رسول الله ﷺ كان على منوال واحد ، كأنه ينظر إلى الله عز وجل في جميـع أحوالـه ، والأحسن ما روي عن ابن عباس أن المراد ما أصابني الفقر . اهـ .

﴿ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ ﴾ أي من إجابتكم إلى ما أدعوكم ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوْءُ ﴾ منكم ، بتكذيبٍ أو عداوةٍ ، إذْ كنتُ عندكم كذلك[1] .

ودلَّ على هذا الجواب ﴿ إنْ أنَا إلَّا نَذِيرٌ ﴾ أي لستُ أعلمُ من الغيبِ ، إلَّا ما عَلَّمني اللهُ .

وقيل : ﴿ ولَوْ كُنْتُ أعْلَمُ الغَيْبَ ﴾ أي كتبَ اللهِ .

وقال الحسن : ﴿ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ ﴾ من الوحي[2] .

١٧٦ ــ وقوله جل وعز ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ.. ﴾
[آية ١٨٩] .

يعني آدم ﷺ ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ يعني حواء ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ كنايةٌ عن الجماع ﴿ حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ .

قال الحسن : أي فاستمرَّت به ، والمعنى : أنها مرَّت به وجاءتْ لم يُثْقِلها[3] .

---

(١) انظر معاني الزجاج ٤٣٦/٢ والبحر المحيط ٤٣٦/٤ وقد حكى نحوه ابن الجوزي ٣٠٠/٣ وعزاه إلى الزجاج واختار ابن عطية العموم ، وقال أبو حيان : وهذا منه عليه السلام إظهارٌ للعبودية ، وانتفاء عمَّا يختصُّ بالربوبية من القدرة وعلم الغيب ، ومبالغة في الاستسلام ، فهو يقول : لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ، ولا دفع ضرٍّ ، فكيف أملك علم الغيب ؟ ثم قال بعد ذكر أقوال السلف : وينبغي أن تُجعل هذه الأقوال خارجة على سبيل التمثيل لا الحصر . البحر ٤٣٧/٤ .

(٢) الأثر عن الحسن في البحر ٤٣٦/٤ ولم أره في الطبري ولا في ابن كثير .

(٣) الأثر في الطبري ١٤٤/٩ عن أيوب قال : سألت الحسن عن الآية ، فقال : لو كنت أمرأ عربياً لعرفت ما هي ؟ إنما هي فاستمرَّت به . أي استمرَّ حملها به ، وانظر البحر المحيط ٤٣٩/٤ .

وقرأ ابـن يعمـر ﴿ فَمَـرَتْ بِهِ ﴾[1] خفيـفٌ ، أي شكَّتْ فِي الحَمْلِ .

رُوي عن ابن عباس رحمه الله : فاستمَرَّت بِهِ[2] .

قال أبو حاتم : أي استمـرَّ بها الحمـلُ ، فقـلبَ الكـلام ، كما يُقال : أدخلتُ الخُــفَّ في رجلي[3]

﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾ أي استَبَانَ حَمْلُهَا ﴿ دَعَـوا اللهَ رَبَّهُمَـا لَئِـنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً ﴾ .

قال الحسن : أي غلاماً[4] .

وقال أبو البخْتَرِي[5] : خافا أن يكون بهيمة[6] .

١٧٧ـــ **ثم قال جل وعـز ﴿ فَلَمَّـا آتَاهُمَـا صَالِحاً جَعَـلَا لَهُ شُرَكَـاء فِيمَـا آتَاهُمَا .. ﴾** [آية ١٩٠] .

---

(١) أي قرأهـا ابـن يعمـر بدون تشديـد خفيفـةً ﴿ فَمَرَتْ بِهِ ﴾ وهـي من القـــراءات الشاذة كما في المحتسب ٢٦٩/١ . والمعنى على هذه القراءة : فشكَّتْ فيما أصابها ، أهـو حمل أم مرض ؟ من المِرية : بمعنى الشك .

(٢) الأثر في الطبري ١٤٤/٩ والقرطبي ٣٣٧/٧ وابن كثير ٥٢٨/٣ .

(٣) يريد أنه من المقلوب ، والأصل : أدخلتُ رِجْلي في الخف ، فقلب الكلام ، ومثله عرضت الحوض على الناقة .

(٤) الأثر في الطبري ١٤٤/٩ وابن الجوزي ٣٠١/٣ وابن عطية ١٧٣/٦ .

(٥) أبو البختري : هو سعيد بن فيروز الطائي الكوفي ، ابن أبي عمران ، تابعي ثقـة قال ابـن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم : ثقة صدوق ، مات سنة١٨٣هـ وانظر ترجمته في التهذيب ٧٣/٤ .

(٦) الطبري ١٤٤/٩ والسيوطي في الدر ١٥٢/٣ وهو مروي عن مجاهد ، وأبي صالح .

رَوى خُصَيفٌ عن سعيدِ بن جُبَيْرٍ ، ومجاهد عن ابن عباس ، قال : أتاهما إبليس فقال : أنا أخرجتكما من الجنة ، فإن أطعتماني وإلَّا جعلت له قرنين فشقَّ بطنك ، أو أخرجته ميتاً ، فقُضي أن يخرج ميتاً ، ثم حملت حملاً آخر فقال لهما مثل ذلك [فقُضِي أن يخرجَ ميتاً ، ثم حملتْ حملاً آخر ، فقال لهما مثل ذلك][1] فقالت له حواء : فيمَ تريدُ أن أُطِيعك ؟ قال : سمِّيه « عبد الحارث » فَسَمَّتْه ، فقال اللهُ جلَّ وعز ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾[2] .

قال غيره : يعني في التسمية خاصَّةً ، وكان اسم « إبليس » الحارث[3] .

---

(١) ما بين الحاصرتين غير موجود في الأصل وأثبتناه من الحاشية .

(٢) الأثر أخرجه ابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً كما في الدر المنثور ١٥٢/٣ وأخرجه الترمذي ٤٥٩/٨ من تحفة الأحوذي عن سَمَرة بن جندب مرفوعاً ولفظه قال ﷺ « لمَّا حملت حواء ، طاف بها إبليس — وكان لا يعيش لها ولد — فقال سمِّيه (عبد الحارث) فإن يعيش ، فسمَّته عبد الحارث فعاش ، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره » وأخرجه أحمد في المسند ١١/٥ والحاكم في المستدرك . أقول : الحديث روي عن سمرة مرفوعاً ولا يصح المرفوع ، بل هو من قول سَمُرة نفسه ، وقد روى ابن جرير عن الحسن في الآية قال :« كان هذا في بعض أهل الملل ، ولم يكن بآدم » ولا يصح هذا القول عن آدم وحواء ، فإن آدم أحد الأنبياء الكرام ، ومن المستحيل أن يستجيب آدم لأمر يخدش العقيدة ، بل هو شرك بالله ، وإنما الصحيح كما قال الحافظ ابن كثير ٥٣١/٣ أن ذلك كان في ذريته بدليل قوله تعالى ﴿ فتعالى الله عما يشركونَ ﴾ ولو كان في آدم وحواء لقال « فتعالى الله عما يشركان » فالمراد المشركون من ذرية آدم ، كما ذكر أن الآثار فيها نظر فإنها من آثار أهل الكتاب .

(٣) ذكره ابن جرير في جامع البيان ١٤٧/٩ عن قتادة قال : فأشركا في الاسم ، ولم يشركا في العبادة .

١٧٨ ــ ثم قال تعالى ﴿ فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [آية ١٩٠] .

أي عما يشركُ الكفَّارُ[١] ، ويدلُّ على هذا ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً ﴾ ؟ يعني الأصنام .

ورُوي عن عكرمة أنه قال : لم يُخَصَّ بهذا آدمَ وحوَّاء وحدهما ، والتقديرُ على هذا : الجنسِ كلِّه ، أي خلق كلَّ واحد منكم ﴿ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا ﴾ أي من جنسها ﴿ زَوْجَهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ على الجنس كلِّه ، وكذا ﴿ دَعَوَا ﴾ يراد به الجنسان الكافران ، ثم حُمِلَ ﴿ فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ على معنى الجميع ، فهذا أولى ــ والله أعلم ــ من أن ينسب إلى الأنبياء عليهم السلام مثلُ هذا[٢] .

---

(١) هذا هو الصحيح الذي عليه أهل التحقيق ، أن الآية في المشركين من ذرية آدم وليست في آدم وحواء ، وقد أطال ابن كثير في هذه الآية فأجاد وأفاد .

(٢) نظراً لأهمية البحث وكونه يتعلق بآدم عليه السلام وهو نبيٌّ من الأنبياء ، لا يُتصور أن يقع منه إشراك بالله ، ننقل ما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٥٢٩/٣ حيث قال رحمه الله : حديث « لما حملت حواء طاف بها إبليس .. » إلخ قال : هذا الحديث معلول من ثلاثة وجوه :

أحدها : أن عمر بن إبراهيم قال عنه أبو حاتم الرازي لا يُحتجُّ به .

الثاني : أنه قد رُوي من قول سمرة نفسه وليس مرفوعاً ، كما رواه ابن جرير عن سَمُرة بن جندب قال : سمَّى آدم ابنه « عبد الحارث » .

الثالث : أن الحسن نفسه فسَّر الآية بغير هذا ، فلو كان عنده عن سَمُرة مرفوعاً لَمَا عدل عنه ، فقد قال الحسن : كان هذا في بعض أهل الملل ، ولم يكن بآدم ، وهذا يدل على أن الحديث موقوف على الصحابي ، ويحتمل أنه تلقَّاه من بعض أهل الكتاب .

قال : وأما الآثار فيظهر ــ والله أعلم ــ أنها من آثار أهل الكتاب ، وأخبارهم على ثلاثة أقسام : منها ما علمنا صحته بما دلَّ عليه الدليل من كتاب الله وسنَّةِ رسوله . ومنها ما علمنا

وقـال بعض أهـل النظـر : يراد به غير « آدم وحـــواء » وإنما ذُكِرَا لأنهما أصلُ النَّاسِ .

١٧٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [آية ١٩٤] .

أي الله جلَّ وعز يُهلكهم كما يُهلككم .

ورُوي عن سعيد بن جبير أنـه قرأ : ﴿ إِنِ الَّذِيـنَ تَدْعُـونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ و « إنْ »(1) هاهنا بمعنـى « ما » والمعنـى : ما الذيـن تدعـون من دون الله عبـادٌ أمثالكـم ، أي هم الأصنـــامُ . والقراءة الأولى أكثرُ وأعرف ، والسَّوادُ عليها .

١٨٠ ــ وقولـه جل وعــز ﴿ إِنَّ وَلِيِّـــيَ اللهُ الَّـــذِي نَزَّلَ الكِتَـــابَ .. ﴾ [آية ١٩٦] .

قال الأخفش : وقُرِىء ﴿ إِنَّ وَلِيَّ اللهِ الَّـذِي نَزَّلَ الكِتَـابَ ﴾ يعني جبريل ﷺ .

= كذبه لمخالفته الكتاب والسنة . ومنها ما هو مسكوت عنه ، وهو الـذي لا يُصدَّق ولا يُكـذب ، وهذا الأثر من القسم الثاني أو الثـالث ، وأمـا نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في أنـه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء ، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ولهذا قال سبحانه ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ . اهـ .

(1) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ، لابن جنِّي ١/٢٧٠ وعلى هذه القـراءة تكـون « إنْ » نافية بمعنى « ما » .

(2) هذه القراءة بالإضافة ذكرها ابـن عطيـة في المحرر الوجيـز ٦/٨٨٣ وذكـر أن أبـا حاتم ضعَّفهـا ، وعلى كلٍّ فليست من القراءات السبع ، بل هي شاذة ..

قال أبو جعفر : هي قراءة عاصم الجَحْدَري[1] ، والقراءةُ الأُوْلَى أَوْلَى لقوله تعالى ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ .

١٨١ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [آية ١٩٨] .

يعني الأصنام[2] .

قال الكسائي : يُقال : داري تنظر إلى دار فلان ، إذا كانت قريبةً منها[3] .

١٨٢ ــ وقوله جل وعز ﴿ خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ ﴾ [آية ١٩٩] .

قال عطاء : العفوُ : الفَضْلُ[4] .

---

(١) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٣٤٣/٧ فقد ذكر أنها قراءة الجحدري ، وأن قراءة الجمهور أبيَن وأولى ، وذكر أبو حيان في البحر ٤٤٦/٤ أن هذه القراءة شاذة ، وتفسيرها بأن المراد به جبريل ، وإن احتملها لفظ الآية ، لكنها لا تناسب ما قبلها ولا ما بعدها .

(٢) هذا ما رجحه الطبري وغيره أن الضمير يعود على الأصنام ، قال ابن جرير ١٥٢/٩ : وترى آلهتهم ــ الأصنام ــ ينظرون إليك وهم لا يبصرون . وقال أبو حيان في البحر ٤٤٧/٤ : والضمير في « وتراهم ينظرون إليك » للأصنام ، ونفى عنهم السماع لأنها جماد ولا تُحِس ، وأثبت لهم النظر على سبيل المجاز ، بمعنى أنهم صوَّروهم ذوي أعين فهم يُشبهون من ينظر إليك . اهـ .

(٣) ذكره ابن جرير في جامع البيان ١٥٣/٩ عن الكسائي قال : الحائط ينظر إليك : إذا كان قريباً منك حيث تراه ، واستشهد عليه بيت من الشعر .

(٤) الأثر في الطبري ١٥٤/٩ وفسَّره مجاهد بالفضل من أخلاق الناس من غير تجسس ، والسدي بالفضل من أموال الناس . وكذا ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٠٧/٣ قال : وعلى قول مجاهد يكون المعنى : اقبل الميسور من أخلاق الناس ولا تستقصِ عليهم .

قال أبو جعفر : وكذلك هو في اللغة ، ما كان فَضْلاً ولم يكن بتكلف .

حدثنا أبو جعفر قال : نا أحمد بن عبد الجبار الصُّوفي ، قال : أنبأنا داود الضبي ، قال : نا مسلم بن خالد[1] عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله جل وعزَّ ﴿ خُذِ العَفْوَ ﴾ قال : خذ من أخلاقهم وأعمالهم في غير تجسس[2] .

قال الضحاك والسدي : هذا قبل أن تُفرض الصَّدقة ، وقد نسخته الزكاة[3] .

وقال وهب بن كيسان : سمعت ابن الزبير رحمه الله يقول : ﴿ خُذِ العَفْوَ ﴾ : والله ما أُمِرَ أن يُؤخذ إلا من أخلاق الناس ، والله لآخذنَّهُ منهم ما صَحِبْتُهم[4] .

١٨٣ـ **ثم قال جل وعز ﴿ وَأْمُرْ بالعُرْفِ .. ﴾** [آية ١٩٩] .

---

(١) في المخطوطة « مسلم بن خلد » وصوابه ما أثبتناه « مسلم بن خالد » المخزومي ، المكي توفي سنة ١٧٨هـ كما في التقريب ٢/٢٤٥ .

(٢) الأثر في الطبري ٩/١٥٤ وابن الجوزي ٣/٣٠٨ وابن كثير ٣/٥٣٥ .

(٣) الأثر في الطبري ٩/١٥٤ عن السدي وابن الجوزي ٣/٣٠٨ ورجح ابن جرير أن المراد العفو من أخلاق الناس وترك الغلظة .

(٤) أخرجه البخاري في التفسير ٦/٧٦ ولفظه قال : ما أنزل الله ﴿ خذ العفو وأمر بالعُرف ﴾ إلا في أخلاق الناس . وفي رواية أخرى عنه : « أمر الله نبيَّه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس » البخاري ٦/٧٦ .

والعُرْفُ : المعروف[1] .

١٨٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ من الشَّيْطَانِ نَزْغٌ .. ﴾ [آية ٢٠٠] .

النَّزْغ : أدنى حركة[2] .

١٨٥ ــ وقولُه جل وعز ﴿ إِنَّ الَّذِين اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا ﴾ [آية ٢٠١] .

قال مجاهد : الطَّيفُ : الغضبُ .

قال الكسائي : الطَّيف : اللَّمَمُ ، والطائفُ : كُلُّ ما طاف حول الإنسان .

وقال أبو عمرو[4] : الطَّيْفُ : الوسوسةُ ، وحقيقتُه في اللغة من طافَ يَطِيفُ : إذا تخيَّل في القلب ، أو رُؤي في النوم ، وهو طائف ، وطيفٌ بمعناه[5] .

---

(١) هكذا فسَّره البخاري في كتاب التفسير ٧٦/٦ وهذا قول علماء السلف نصَّ عليه عُروة بن الزبير ، والسدي ، وقتادة ، وغيرهم قال ابن جرير ١٥٦/٩ : العُرف : المعروف ، يُقال : أوليتُه عُرفاً وعارفةً كل ذلك بمعنى المعروف .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٤٣٨/٢ قال : تقول : نزغتُه إذا حرَّكته أدنى حركة ، فالمعنى : إن نالك من الشيطان أدنى نزغ أو وسوسة . وفي الصحاح ٣٢٧/٤ : نَزَغَ الشيطان بينهم : أفسد وأغرى . اهـ .

(٣) الأثر في الطبري ١٥٨/٩ وفي القرطبي ٣٥٠/٧ وفي ابن الجوزي ٣١٠/٣ .

(٤) هو أبو عمرو بن العلاء المازني ، وقد تقدمت ترجمته .

(٥) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٣٥٠/٧ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٠٩/٣ ولم يرتض ابن عطية قول =

١٨٦ ــ **وقولــه جل وعــز ﴿ وَإِخْوَانُهُــمْ يَمُدُّونَهُــمْ فِي الغَــيِّ .. ﴾**
[آية ٢٠٢] .

أي يزيدونهم .

١٨٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا .. ﴾**
[آية ٢٠٣] .

قال قتادة : أي جئتَ بها من عند نفسك(١) .

وكذلك هو في اللغة ، يُقال : اجتبيتُ الشيءَ ، وارتجلتُه ، واخترعتُه ، واختلقتُه : إذا جئت به من عند نفسك(٢) .

١٨٨ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بالغُدُوِّ والآصَالِ .. ﴾**
[آية ٢٠٥] .

الآصَالُ : العَشَايا ، الواحد أُصُل ، وواحدُ أُصُلٍ أَصِيلٌ(٣) .

= الكسائي ١٩١/٦ وذكره أبو حيان في البحر المحيط ٤٤٩/٤ ودافع عنه ووجَّهه بما يوافق أساليب العرب .

(١) الأثر في الطبري ١٦١/٩ وفي البحر ٤٥١/٤ قال : والمراد هلَّا اخترعتها واختلقتها من قبلك ومن عند نفسك ؟ قال الفراء : والعرب تقول : اجتبيتُ الكلام ، واختلقته ، وارتجلته : إذا افتعلته من قِبل نفسك . اهـ البحر .

(٢) انظر الصحاح للجوهري ، ولسان العرب لابن منظور ، وتهذيب اللغة مادة جبى .

(٣) قال الزجاج : الآصال جمع أُصُل ، والأُصُل جمع أصيل ، فالآصال جمعُ الجمع ، والآصال : العشيات ، انظر معاني القرآن للزجاج ٤٤٠/٢ وقال أبو عُبيدة في مجاز القرآن ٢٣٩/١ واحدتُها أُصُل ، وواحد الأُصُل : أصيلٌ ، وهو ما بين العصر إلى المغرب ، وأما الطبري فقد أجاز أن يكون جمع الآصال أصيل أو أصل .

١٨٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وإِذَا قُرِئَ القُرآنُ فَاستَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا .. ﴾** [آية ٢٠٤] .

هذا عامٌّ يراد به الخاصُّ[1] .

وقال إبراهيم النَّخعي : وابنُ شهاب ، والحسنُ : هذا في الصلاة[2] .

وقال عطاء : هذا في الصلاة والخُطبة[3] .

قال أبو جعفر : القولُ الأوَّلُ أولى ، لأن الخطبة يجب السكوتُ فيها إذا قرئ القران ، وإذا لم يُقرأ[4] .

والدليل على صحَّة ما رواه إبراهيم الهَجَرِيُّ[5] ، عن أبي عياض ، عن أبي هريرة قال : كانوا يتكلمون في الصلاة ، فأنزل الله جلَّ وعز ﴿ وَإِذَا قُرِئَ القرآنُ .. ﴾[6] إلى آخرها .

---

(١) يريد أن اللفظ عام يجب السكون عند كل تلاوة للقرآن ، ويُراد به السكوت عند تلاوة الإمام في الصلاة ، كما ذهب إليه الحسن البصري ، والنخعي ، وابن شهاب .

(٢) و(٣) الأثر في الطبري ١٦٤/٩ وابن كثير ٥٤٣/٣ والدر المنثور ١٥٦/٣ .

(٤) وكذلك قال ابن عطية ١٩٦/٦ : من قال إنها في الخطبة فضعيف ، لأن الآية مكية ، والخطبةُ لم تكن إلا بعد هجرة النبي ﷺ من مكة .

(٥) هو إبراهيم بن مسلم العبدي الكوفي ، المعروف بالهَجَري ، ضعَّفه الترمذي وأبو حاتم ، وانظر ترجمته في التهذيب ١٦٤/١ .

(٦) الأثر في الطبري ١٦٤/٩ وابن كثير ٥٤١/٣ وفي الدر المنثور للسيوطي ١٥٦/٣ .

قال أبو جعفر : ولم يُختلف في معنى قوله تعالى ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ أنه في الدعاء .

وقال بعضهم في قوله جلَّ وعزَّ ﴿ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ كان هذا لرسولِ الله خاصَّةً ، لِيَعِيهِ عنه ﷺ أصحابُهُ .

« تمت سورة الأعراف »

● ● ●



تفسير سورة الأنفال

مدنية وآياتها ٧٥ آيـــة



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنفال وهي مدنية[1]

١ ــ قولُه جلَّ وعزّ : ﴿ يَسْأَلُونكَ عَنِ الأنفَالِ ، قُلِ الأنْفَالُ لِلَّهِ والرَّسُولِ﴾ [آية ١]

قال ابن عباس : نزلت في يوم بدر[2] .

وروى إسرائيلُ ، عن سِمَاكِ بنِ حَرْبٍ ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه[3] قال : « أصبتُ سيفاً يوم بدر ، فاستحسنته ، فقلتُ يا رسول الله : هَبْهُ لي ! فنزلت ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأنْفَالُ لِلَّهِ والرَّسُولِ ﴾[4] .

قال أبو جعفر : المعروفُ من قراءة سعد بن أبي وقَّاص

---

(١) هذا اتفاق بين المفسرين أن السورة مدنيَّة ، وقال ابن عباس : هي مدنية إلا سبع آيات من قوله سبحانه ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك .. ﴾ إلى آخر الآيات السبع ، وانظر جامع الأحكام ٣٦٠/٧ .

(٢) الأثر عن ابن عباس رواه البخاري ٦٧٦/٦ ولفظه : قال ابن عباس : الأنفال : الغنائمُ ؛ وبسنده عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس رضي الله عنهما ، : سورة الأنفال ؟ قال : نزلت في بدر . وانظر ابن كثير ٥٤٥/٣ .

(٣) هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، والد مصعب ، كما وضحه الإمام أحمد في المسند ١٨٠/١ .

(٤) الأثر في الطبري ١٧٣/٩ ورواه مسلم في فضائل الصحابة ١٢٦/٧ بأطول منه ، وخرَّجه ابن كثير في تفسيره ٥٤٧/٣ ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٢٩١/٦ .

﴿ يَسْأَلُونَكَ الأَنْفَالَ ﴾ بغير (عَنْ) هكذا رواه شعبةُ ، عن سِمَاك ، عن مُصْعَب عن أبيه[1] .

قال ابن عباس : قال النبي ﷺ في يوم بدْرٍ : « مَنْ قَتَلَ قتيلاً فله كذا ، ومن أسر أسيراً فله كذا » فلمَّا فُتح لهم جاءوا يطلبون ذلك ، فقام سعْدٌ والأشياخُ فقالوا : يا رسول الله إنما قمنَا هذا المَقامَ رِدْءاً لكم لا جُبْنًا ، فنزلت ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ ﴾ فسلَّموا الغنيمةَ لرسول الله ﷺ ثمَّ نزلتْ بعدُ ﴿ واعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾[2] .

فبيَّنَ اللهُ جلَّ وعزَّ في هذا أن الأنفالَ صارت من الخُمُسِ ، لا من الجُمْلةِ .

قال مجاهد وعكرمة : هي منسوخةٌ ، نَسَخها ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ مَاغَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾[3] إلى آخر الآية .

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٧٢/١ وذكرها ابن عطية ٦ /٢٠٢ في المحرر الوجيز ، وهي كما بيَّنا ليست من القراءات السبع ، بل من الشواذ .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد ٧٧/٣ والبيهقي في الدلائل ٢٩١/٦ والحاكم في المستدرك ١٣١/٢ وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : صحيح ، وخرَّجه ابن كثير ٥٤٨/٣ والسيوطي في الدر المنثور ١٥٩/٣ وهو أيضاً في الطبري ١٧٢/٩ بألفاظ متقاربة .

(٣) هذا أيضاً قول منقول عن ابن عباس ، والسدِّي ، وقال ابن زيد : ليست بمنسوخة وهي محكمة ، والأثر في الطبري ١٧٦/٩ وابن كثير ٥٤٩/٣ وزاد المسير ٣١٩/٣ .

قال مجاهد : والأنفالُ : الغنائمُ[1].

قال أبو جعفر : والأنفال في اللغةِ : مَا يَتَطوَّع به الإمامُ ، ممَّا لا يجب عليه نحو قولـه : « من جاء بأسير فلـه كذا » ومنـه النَّافلـةُ من الصَّلوات ، ثم قيل للغنيمة : نَفَلٌ ، لأنـه يروى « أن الغنائم لم تحلَّ لأحدٍ إلَّا لأمّة محمَّد ﷺ[2] » فكأنهم أُعْطُوهَا نافلةً ..

٢ ـ وقوله جلّ وعزّ ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [آية ١]

الـذاتُ : الحقيقـةُ ، والبَيْـنُ : الـوصلُ ، ومنـه ﴿ لَقَـدْ تَقطَّـعَ بَيْنَكُمْ ﴾[3] .

٣ ـ وقوله جلّ وعـزّ : ﴿ إنَّمَـا المُؤْمنُـونَ الَّذيـنَ إِذَا ذُكِـرَ اللهُ وَجِـلَتْ قُلُوبُهمْ ﴾ [آية ٢]

قال ابن أبي نجيح : أيْ فَرِقَتْ[4] ، وأنشد أهلُ اللغة :

لَعَمْـرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّـي لَأَوْجَـلُ
عَلَى أَيِّنَـا تَغْـدُو المَنِيَّـةُ أَوَّلُ[5]

---

(١) الأثر في الطبري ١٦٨/٩ وابن كثير ٥٤٥/٣ وهو قول ابن عباس أيضاً ، واستشهد عليه بقول لبيد :

إنَّ تَقْـوَى رَبِّنَـا خَيْـرُ نَفَـلْ ... وَبِـإذْنِ اللهِ رَيْثِـي وَالعَجَـلْ

(٢) أشار المصنف إلى حديث جابر في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : « أُعطيتُ خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي .. » وذكر ﷺ فيه « وأُحلَّت لي الغنائم ولم تحلَّ لأحدٍ قبلي .. » الحديث .

(٣) الآية من سورة الأنعام برقم ٩٤ وتمامها ﴿ لقد تقطع بينكم وضلَّ عنكم ما كنتم تزعمون ﴾ .

(٤) الأثـر في الطبري ١٧٩/٩ وابـن كثير ٥٥١/٣ ومعنـى : فَرِقَتْ : فزعَتْ وخافَتْ ، وهـو قول علماء السلف .

(٥) البيت لمعن بن أوس المزني ، يستعطف بها صديقه ، وكان قد طلَّق أخته وتزوج بأخرى ، وهـو في ديوانه ص ٣٩ والمقتضب ٣٤٦/٣ وفي الكامـل ٣٦٤/١ ومعـاني الزجـاج ٤٤٢/٢ يريـد بهذا =

وروى سُفْيانُ عن السُدِّيّ في قوله جل وعزّ ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُم ﴾ قال : إذا أراد أن يظلم مظلَمةً قيل له : اتّقِ اللهَ ، كفَّ وَوَجِلَ قَلْبُهُ[1] .

٤ ــ **ثم قال جَلَّ وعزَّ ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾** [آية ٢]

أي : صدّقوا بها فازدادوا إيمانًا .

قال الحسنُ : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ الخمس ، بوضوئها ، وركوعها ، وسجودها ، وخشوعها[2] .

وقال مقاتل بن حَيّانَ : إقامتُها أن تحافظَ على مواقيتها ، وإسباغ الطُّهُورِ فيها ، وتمامِ ركوعها وسجودها ، وتلاوةِ القرآن فيها ، والتشهدِ ، والصَّلاةِ على النبي ﷺ ، وَهَذَا إقامتها[3] .

= البيت أن يؤثر بأن يكون هو السابق إلى الموت دون صديقه ، وهو يخشى أن يبقى بعد صاحبه فيذوق مرارة فراقه ، و « أوجلُ » هنا بمعنى وجلٌ وليس بأفعل تفضيل ، كأنه يقول : وإني لخائف أن أُرزأ بك .

(١) الأثر في الطبري ١٧٩/٩ والقرطبي ٣٦٥/٧ وابن كثير ٥٥١/٣ .

(٢) الأثر في ابن كثير ٥٥٢/٣ عن قتادة وابن عباس ، وفي الطبري ١٨٠/٨٩ قال : هي الصلوات الخمس ، يؤدونها بحدودها ، وبه قال أهل التأويل ، ونقل أبو حيان في البحر ٤٥٨/٤ عن الحسن أنه سأله رجل : أمؤمن أنت ؟ قال : الإيمانُ إيمانان ، فإن كنتَ تسألني عن الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والجنة والنار ، فأنا مؤمن ، وإن كنت تسألني عن قول الله تعالى ﴿ إنما المؤمنونَ الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبُهم .. ﴾ فوالله ما أدري أمنهم أنا أم لا ؟ .

(٣) الأثر في تفسير ابن كثير ٥٥٢/٣ وهو قول ابن عباس أيضاً كما ذكره الطبري في أول سورة البقرة .

٥ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِّ ﴾ [آية ٥]
فيه أقوال :

(أ) **قال الكسائي** : المعنى : يجادلونك في الحقِّ ، مجادلتَهُمْ كما أخرجك ربُّك من بيتك بالحق[1] .

(ب) **قال أبو عبيدة** : (ما) بمعنى (الذي) أي : والَّذي أخرجك ، هذا معنى كلامه[2] .

(جـ) **وقول ثالث** : وهو أن المعنى : قل الأنفال للَّهِ والرسول ، كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، أي : كما أخرجَكَ ربك من بيتك بالحق وهم كارهون ، قل الأنفالُ للَّهِ والرسول ، وإن كرهوا[3] .

---

(١) ذكر قول الكسائي ابن الجوزي في زاد المسير ٣٣٢/٣ قال : الكاف على رأي الكسائي متعلقة بقوله « يجادلونك » والمعنى : مجادلتهم إياك في الغنائم كإخراج الله إياك إلى بدر وهم كارهون ، وذكره ابن عطيه في المحرر الوجيز عن مجاهد والكسائي ٢٢٠/٦ واستحسنه ، وجعله أحد قولين راجحين للفراء والكسائي .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٤٠/١ فقد جعل اللفظ مسوقاً مساق القسم ، وذكره عنه ابن عطية في المحرر ٢٢١/٦ فقال : وقال أبو عبيدة : هو قَسَمٌ ، أي لهم درجات ومغفرة ورزق كريم ، كما أخرجك ربك من بيتك بتقدير : والذي أخرجك ، فالكاف في معنى الواو ، و « ما » بمعنى «الذي» وجعله مرجوحاً ، لما فيه من التكلف ، وقال ابن الأنباري : وفي هذا القول بعدٌ ، لأن الكاف ليست من حروف القسم .

(٣) هذا القول هو رأي الفراء في معانيه ٤٠٣/١ واختاره ابن عطية ورجحه في المحرر الوجيز ٢١٩/٦ حيث قال : اختلف الناس في متعلق الكاف في قوله ﴿ كما أخرجك ﴾ والذي يلتئم به المعنى ويحسن سرد الألفاظ قولان : قال الفراء : التقدير : امضِ لأمرك في الغنائم ، ونفِّل من شئت وإن كرهوا ، كما أخرجك ربك ، قال توضيح وتحرير هذا المعنى عندي أن يُقال : إن هذه الكاف شبهت هذه القصة التي هي إخراجه من بيته ، بالقصة المتقدمة التي هي سؤالهم عن الأنفال ، =

وقيل : « كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ » متعلّقٌ بقوله تعالى « لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ » أي : هذا الوعد لهم حقٌ في الآخرة ، كما أخرجك ربك من بيتك بالحقِّ ، فأنجز وعْدَك بالظَّفَر[1] .

٦ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾ [آية ٦] .

فكما كان هذا حقًّا ، فكذلك كلُّ ما وعدكم به حقٌّ ، يجادلونك في الحقِّ بعد ما تبيَّن ، وتبيينُه أنه لمَّا خبَّرهم بخبر بعد خبر من الغيوب ، حَقاً ، وجب أن لا يشكُّوا في خبره .

وأحسنُها قولُ مجاهد أن المعنى : كما أخرجك ربك من بيتك ، أي : من المدينة إلى بدر على كُرهٍ ، كذلك يجادلونك في الحقّ ، لأن كلا الأمرين قد كان ، مع قُربِ أحدهما من الآخر ، فذلك أولى ممَّا بَعُد عنهُ[2] .

= كأنهم سألوا عن النَّفل وتشاجروا ، فأخرج الله ذلك عنهم فكانت في ذلك الخيرة ، فتشاجُرهم في النَّفل بمثابة كراهيتهم هنا للخروج ، وحكم الله في النفل بأنه لله وللرسول دونهم هو بمثابة إخراج الله لنبيه ﷺ من بيته .

والقول الثاني قال مجاهد والكسائي وغيرهما : ومعناه كما أخرجك ربك من بيتك على كراهية من فريق منهم ، كذلك يجادلونك في قتال كفار مكة ، ويودون غير ذات الشوكة .. قال : فهذان قولان مطَّردان ، يتم بهما المعنى ويحسن رصف اللفظ .

(١) ذكره في المحرر الوجيز ٢٢١/٦ ولم يعزه لأحد من علماء اللغة ، وجعله من القول المرجوح ، وذكر أبو حيان في البحر المحيط ٤٦٢/٤ خمسة عشر قولاً في هذه الآية ، منها هذا القول ، وقد ارتضى قولاً آخر ذكره في تفسيره فيه حسن وجمال ، فارجع إليه هناك والله يرعاك .

(٢) هذا الذي رجحه المصنف ، هو الذي رجحه شيخ المفسرين ابن جرير الطبري في جامع البيان ١٨٢/٩ وجعله ابن عطية أحد القولين الصحيحين في تفسير الآية الكريمة .

٧ ــ وقوله جل وعزّ ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ .
[آية ٧]

قال قتادة : الطائفتان : « أبو سفيان » معه العيرُ ، و « أبو جهلٍ » معه نفيرُ قريش ، وكان أصحابُ رسول الله ﷺ يحبُّون أن يظفروا بالعير ، وأراد اللهُ عزَّ وجلَّ غير ذلك[1] .

والشوكةُ : السِّلاحُ[2] .

٨ ــ ثم قال جل وعزّ ﴿ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكافِرِينَ ﴾ [آية ٧]

أي : كانَ في ظهورهم على المشركين ، وإمدادهم بالملائكةِ ، ما أحقَّ به الحقَّ ، وَقَطَعَ دابر الكافرين[3] .

---

(١) الأثر في جامع البيان للطبري ١٨٦/٩ وفي ابن كثير ٥٥٧/٣ بتوسع عن ابن عباس ، قال : وكذلك قال السدي ، وقتادة ، وابن زيد ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٦٩/٣ وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) في المخطوطة « الصلاح » وهو تصحيف ، وصوابه « السِّلاحُ » كما أثبتناه ، قال الزجاج في معانيه ٤٤٤/٢ وذاتُ الشوكة : ذاتُ السِّلاح ، يُقال : فلانٌ شاكٍ في السِّلاح ، وشائكٌ في السِّلاح ، بمعنى لابس السلاح وقال الطبري ١٨٤/٩ أصل الشوكة من الشَّوك ، كره المسلمون الشوكة والقتال ، وأحبوا أن يَلقوا العير ، قال ابن زيد : كانت العير أحبَّ إلى القوم من القوم ، كان في الشوكة القتلُ ، والعيرُ ليس فيها قتال . اهـ.

(٣) قال ابن كثير : ﴿ ويريد الله أن يُحقَّ الحق بكلماته ﴾ أي يريد أن يظفركم بهم ، وينصركم عليهم ، ويُظهر دينه ، ويرفع كلمة الإسلام ، ويجعله غالباً على الأديان ، ويهلك الكافرين ، وبنحوه قال ابن جرير .

٩ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾** [آية ٩]

قال ابن عباس : أي : متتابعين[١].

وقال أبو جعفر : قال أهل اللغة : يقال : رَدِفتُه ، وأردَفْتُه : إذا تَبِعْتُهُ[٢] .

قال مجاهد : مردفين : أي : ممَدِّين[٣] .

١٠ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى ﴾** [آية ١٠]

يعني الإمداد ، ويجوز أن يكون يعني الإرداف[٤] .

١١ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْه ﴾** [آية ١١]

---

(١) الأثر في الطبري ١٩١/٩ وابن كثير ٥٦٠٢/٣ والقرطبي ٣٧٠/٧ قال : و « مردَفين » فتح الدال قراءة نافع ، وقرأها الباقون بالكسر « مردِفين » أي متتابعين ، تأتي فرقةٌ ، وذلك أهيب في العيون ، وفي البخاري في التفسير ٧٧/٦ : مردَفين فوجاً بعد فوج .

(٢) في المصباح المنير ٢٤٠/١ : رَدِفتُ الرجلَ : إذا ركبتَ خلفه ، وأردفتُه : إذا أركبتَهُ خلْفَكَ ، ورَدِفتُهُ بالكسر : لحقتُه وتبعتُه ، هذا قول الزجاج اهـ. من المصباح ، وانظر معاني الزجاج ٤٤٥/٢ فقد قال أيضاً : ويُقال : أردفتُ الرجل إذا جئتَ بعده . وأما أبو عُبيدة في مجاز القرآن فيرى أنهما لغتان بمعنى واحد ٢٤١/١ .

(٣) الأثر عن مجاهد في الطبري ١٩١/٩ وابن كثير ٥٦٠/٣ .

(٤) قال ابن عطية ٢٢٩/٦ : الضمير في « وما جعله » عائد على الوعد ، وهذا أمكن الأقوال من جهة المعنى ، وقال الزجاج : عائد إلى المدد ، ويحتمل أن يعود على الإمداد . وانظر معاني الزجاج ٤٤٥/٣ .

قال ابن أبي نجيح : كان المطر قبل النعاس[1] .

ويُقال : أَمِنَ ، يأمنُ ، أَمْنًا ، وأَمَانًا ، وأَمَنَةً ، وأَمْنَةً .

ورُوي عن ابن محيصن أنه قرأ « أَمْنَةً » بإسكان الميم[2] .

وقال عبد الله بن مسعود : النُّعاسُ في الصلاة من الشيطان ، وفي الحرب أَمَنَةٌ[3] .

١٢ ــ ثم قال جل وعزّ ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ﴾ .

[آية ١١]

قال الضحاك : سَبَق المشركون المسلمينَ إلى الماء ببدر ، فبقي المسلمون عطاشاً ، مُحْدِثين مُجْنَبين ، لا يَصِلون إلى الماء ، فوسْوَسَ إليهم الشيطانُ فقال : إنكم تزعمون أنكم على الحقِّ ، وأن فيكم النبي ، وعدوُّكم معه الماء ، وأنتم لا تَصِلون إليه ، فأنزل اللهُ جلَّ وعزّ المطر ، فشربوا منه حتى رَوُوا ، واغتسلوا ، وسَقَوا دوابَّهم[4] .

---

(١) الأثر في ابن كثير عن مجاهد ٥٦٤/٩ قال : أنزل الله عليهم المطر قبل النعاس ، فأطفأ بالمطر الغبار ، وتلبدت به الأرض ، وطابت نفوسهم ، وثبتت أقدامهم . وكذا في الطبري ١٩٢/٩ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٧٣/١ ويظهر أن الشاذ ليس في إسكان الميم فقط بل في قراءتها « أمنة نعاساً » كما نسبها في المحتسب لابن محيصن .

(٣) الأثر في جامع البيان ١٩٣/٩ وتفسير ابن كثير ٥٦٢/٣ والبحر المحيط ٤٦٨/٤ .

(٤) الأثر ذكره الحافظ ابن كثير عن ابن عباس ٥٦٣/٣ ثم قال : ونحو ذلك رُوي عن قتادة ، والضحاك ، والسدي ، ورواه الطبري في جامع البيان عن ابن عباس ١٩٥/٩ وهو في القرطبي ٣٧٢/٧ وفي الدر المنثور للسيوطي ١٩٦/٣ رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وفي الدر المنثور ١٧١/٣ .

قال ابن أبي نجيح : رَوَوْا من الماءِ ، وسَكَنَ الغبارُ[١] .

وقال غيره : كان ذلك من الآيات العظام ، لأنهم كانوا على سَبِخَةٍ[٢] ، لا تثبت فيها الأقدام ، فلمَّا جاء المطر ثبتتْ أقدامُهم[٣] .

١٣ ــ ثم قال جل وعزّ ﴿ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ .. ﴾ [آية ١١] .

قال ابنُ أبي نجيح : أي وساوسَهُ[٤] .

قال الضحاك : وأما قوله ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴾ فإنَّه كانتْ بِهِ رُمَيْلَةٌ لا يقدر أحدٌ أن يقف عليها ، فلمَّا جاءَ المطر ثَبَتت الأقدامُ عليها[٥] .

١٤ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلاَئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [آية ١٢] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٩٦/٩ رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وفي الدر المنثور ١٧١/٣ .

(٢) في المصباح ٢٨٢/١ : سَبِخَتِ الأرضُ فهي سَبِخَةٌ بكسر الباء ، وإسكانها تخفيف ، وأرض سَبَخة بفتح الباء أيضاً أي ملحة .

(٣) ذكره الطبري في جامع البيان ١٩٧/٩ وأبو حيان في البحر المحيط ٤٦٧/٤ .

(٤) الأثر في الطبري ١٩٧/٩ وذكره السيوطي في الدر ٧١/٣ من قول مجاهد وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن أبي شيبة .

(٥) الأثر أخرجه الطبري عن الضحاك ١٩٦/٩ وابن كثير ٥٦٣/٣ والسيوطي في الدر ١٧١/٣ وعبارة الطبري عن الضحاك أن المشركين نزلوا بالماء يوم بدر ، وغلبوا المسلمين عليه ، فأصاب المسلمين الظمأُ ، وصلَّوْا محدثين مجنبين ، فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن ، ووسوس فيها إنكم تزعمون أنكم أولياء الله ، وأنتم تصلُّون محدثين مجنبين ، فأمطر الله السماء حتى سال كلُّ وادٍ ، فشرب المسلمون وملئوا أسقيتهم ، وسقوا دوابهم ، واغتسلوا من الجنابة ، وثبتت به الأقدام ، لأنه كان بينهم وبين عدوهم رملةٌ لا تجوزها الدواب ، ولا يمشي فيها الماشي إلا بجهد ، فضربها الله بالمطر حتى اشتدت ، وثبتت عليها الأقدام . اهـ

يجوز أن يكون المعنى : ثبِّتوهم بشيء تُلْقُونَهُ في قلوبهم .

ويجوز أن يكون المعنى : ثبِّتوهم بالنصر ، والقتال عنهم .

١٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ .. ﴾ [آية ١٢] .

قيل : إنَّ « فوق » هاهنا زائدة[١] ، وإنما أُبيحوا أن يضربوهم على كل حال .

ويدلُّ عليه ﴿ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ لأن البَنَان أطرافُ الأصابع ، الواحدةُ : بَنَانة ، مشتقٌ من قولهم أَبَنَّ بالمكان إذا أقامَ به[٢] .

١٦ ــ ثم قال جل وعزّ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ .. ﴾ [آية ١٣] .

أي خالفوا ، كأنهم صاروا في شقٍّ آخر[٣] .

---

(١) هذا قول الأخفش وابن قتيبة وهو مروي عن عطية والضحاك كما في تفسير ابن الجوزي ٣/٣٣٠ وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٤٢/١ : « فوق » بمعنى « على » أي اضربوهم على الأعناق ، تقول : ضربتُه فوق الرأس ، وضربتُه على الرأس .

(٢) في الصحاح للجوهري مادة بنن : البَنَانةُ واحدةُ البَنَان ، وهي أطراف الأصابع ، وجمع القلَّةِ بنانات ، ويُقال : بَنَانٌ مخضَّبٌ ، لأن كل واحد ليس بنيه وبين واحدة إلا الهاءُ ، فإنه يوحَّد ويذكّرُ ، وأَبَنَّ بالمكان : أقامَ به . اهـ.

(٣) المشاقَّةُ في اللغة : المخالفة والعنادُ قال في المصباح : شاقَّه ، مشاقَّةً ، وشِقاقاً : خالفه ، وحقيقتُه أن يأتي كلٌّ منهما ، ما يشقُّ على صاحبه ، فيكون كلٌّ منهما في شقٍّ غير شقِّ صاحبه . اهـ. المصباح مادة شقق .

١٧ ــ **وقوله جلّ وعزّ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ﴾** [آية ١٥] .

أي : إذا واقفتُموهم[١] ، يقال : زحفتُ له ، إذا ثبتَّ .

وقيل : : التَّزاحفُ التداني والتَّقاربُ ، أي : متزاحفٌ بعضُهم إلى بعض[٢] .

١٨ ــ **ثم قال جل وعزّ ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ .. ﴾** [آية ١٦] .

قال الحسن : كان هذا يوم بدر خاصَّة ، وليس الفرار من الزحف من الكبائر[٣] .

ورَوَى شعبةُ عن داودَ بنِ أبي هندٍ ، عن أبي نَضْرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : نزلت في يوم بدر .. حدثنا أبو جعفر قال : نا ابنُ سَمَاعه قال : نا أبو نُعَيْمٍ قال : نا موسى بنُ محمد عن داودَ بن أبي هنْدٍ ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ

---

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٤٤٨/٢ قال : إذا واقفتموهم للقتال فلا تُدبروا أي إذا واجهتموهم ووقفتم معهم في موقف واحد ، وتولية الأدبار كناية عن الفرار ، أي فلا تنهزموا أمامهم .

(٢) التزاحف الدنوُّ والتقارب ، قال في البحر ٤٧٣/٤ : الزحف : الدنوُّ قليلاً قليلاً ، يُقال : زحف إليه إذا مشى ، وأزحفت القوم : دنوت لقتالهم ، وسمي الجيش العرمرم بالزحف لكثرته ، كأنه يدبُّ دبيباً من الكثرة ، من زَحَف الصَبي إذا دب على إليته قليلاً قليلاً . اهـ.

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٢٠٢/٩ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٣١/٣ والسيوطي في الدر المنثور ١٧٣/٣ وعزاه إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر . اهـ.

دُبُرَهُ ﴾ إلى قوله « وَبِئْسَ المَصِيرُ » قال : ذلك يوم بدر[1] .

وقال عطاء : هي منسوخةٌ إلى قوله ﴿ فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾[2] أهل بدر ، لم يكن لهم إمامٌ ينحازون إليه ، إذْ كان النبيُّ ﷺ معهم ، فلم يكنْ لهم أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه[3] .

وفي حديث ابن عمر « حِصْنا حَيْصَةً في جيشٍ فخفنا ، فقلنا يا رسول الله : نحن الفَرَّارون ، فقال : أنا فئتكُمْ »[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٩/٢٠٢ والسيوطي في الدر ٣/١٧٣ ورواه ابن كثير ٣/٥٦٨ عن عمر قال : أيها الناس لا تغرنكم هذه الآية ، فإنما كانت يوم بدر ، وأنا فئةٌ لكل مسلم ، كما رواه ابن أبي حاتم من طريق خلّاد بن سليمان الحضرمي عن نافع قال : سألت ابن عمر قلت : إنّا قومٌ لا نثبت عند قتال عدونا ، ولا ندري من الفئة إمامنا أو عسكرنا ؟ فقال : إن الفئة رسول الله ﷺ ، وإنما نزلت هذه الآية في بدر ، لا قبلها ولا بعدها . اهـ.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٦٦ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٩/٢٠٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٣/٣٣١ ورجح ابن جرير أن الآية محكمة غير منسوخة ، وأن حكمها ثابت في جميع المؤمنين ، ولا يجوز للمؤمنين إذا لقُوا عدوَّهم أن يولُّوهم الدبر منهزمين ، إلا لتحرُّف القتال ،أو للتحيز إلى فئةٍ من المؤمنين . اهـ. جامع البيان ٩/٢٠٣ .

(٤) هذا طرف من حديث أخرجه أحمد في المسند ٢/٧٠ ولفظه : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كنتُ في سريَّة من سرايا رسول الله ﷺ فحاص الناسُ حيصةً ـــ أي انهزموا وفرُّوا ـــ وكنتُ فيمن حاص ، فقلنا : كيف نصنع وقد فررنا من الزحف ، وبؤنا بالغضب ؟ ثم قلنا : لو دخلنا المدينة فبتنا !! ثم قلنا : لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا ؟ فأتيناه قبل صلاة الغداة ـــ أي الظهر ـــ فخرج فقال : من القوم ؟ فقلنا : نحن الفرَّارون ، فقال : لا ، بل أنتم العكَّارون ـــ أي الفارُّون إلى إمامهم ـــ أنا فئتكم ، وأنا فئة المسلمين ، قال : فأتيناه حتى قبَّلنا يده » ورواه أبو داود ٣/٤٦ والترمذي ٥/٣٧٨ من تحفة الأحوذي وقال : حسن غريب .

وكذا قال عمر يوم القادسيّة : أنا فئةُ كل مسلم[1] .

وقيل : ذا عامٌّ ، لأن ذلك حكم « مَنْ »[2] إلَّا أن يَقع دلِيلٌ ، فإن خاف رجلٌ على نفسه وتيقَّنَ أنه لا طاقة له بالمشركين ، فله الرجوع ، لئلا يُلقي بيده إلى التهلكة[3] .

١٩ ـ **ثم قال جل وعزّ :﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ .. ﴾** [آية ١٧] .

وقال ابن أبي نَجيح: لمَّا قال هذا قتلتُ ، وهذا قتلتُ[4] !

٢٠ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَىٰ .. ﴾** [آية ١٧] .

قال ابن أبي نجيح : هذا لمَّا حصَبَهم رسولُ الله ﷺ[5] .

قال أبو جعفر : وحقيقةُ هذا في اللغةِ ، أنهم خُوطبوا على ما يعرفون ، لأن عددهم كان قليلاً وأُبلغوا من المشركين[6] . ويُروى أن رسول الله ﷺ حَصَبهم بكفه ، فلم يبق أحدٌ من المشركين إلاَّ وقع في

---

(١) انظر جامع البيان ٢٠٢/٩ والدر المنثور ١٧٣/٣ وزاد المسير ٣٣١/٣ .

(٢) يعني أن لفظ « مَنْ » يفيد العموم لجميع المنهزمين .

(٣) هذا إذا بقي منفرداً عن إخوانه المجاهدين ، فيجوز له الفرار ، لئلا يعرِّض نفسه للهلاك كما قال سبحانه ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ٢٠٤/٩ .

(٥) جامع البيان ٢٠٤/٩ عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قاله لمحمد ﷺ حين حَصَب الكفَّارَ .

(٦) قال الزجاج ٤٤٩/٢ : ليس هذا نفي رمي النبي ﷺ ولكنَّ العرب خوطبت بما تعقل . اهـ. والمراد أن الله عز وجل هو الذي بلغ ذلك إليهم .

عينـه ، أي فلـــو كان إلى ما في يد رسول الله ﷺ لم يصل إلى ذلك الجيش العظيم ، ولكنَّ الله فعل بهم ذلك[1] .

والتقديرُ ـــ والله أعلم ـــ وما رميتَ بالرعب في قلوبهم ، إذ رميتَ بالحصباء في وجوههم ، وقلتَ : شاهتِ الوجوهُ ، ولكنَّ الله رمى بالرعب في قلوبهم[2] .

وقيل : المعنى : وما رميت الرمـــي الـــذي كانت [به][3] الإماتة ، ولكنَّ الله رَمَى .

٢١ ـــ ثم قال جل وعز ﴿ وَلِيُبْلِـــيَ الْمُؤْمِنِيـــنَ مِنْـــهُ بَلَاءً حَسَنًـــا .. ﴾ [آية ١٧] .

والبلاء هاهنا النعمة .(٤)

---

(١) روى الحافظ ابن كثير ٥٧١/٣ عن محمد بن كعب القرظي قال : « لما دنا القوم بعضهم من بعض ، أخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب ، فرمى بها في وجوه القوم ، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء ، ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ، وأنزل الله ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ وانظر جامع البيان ٢٠٥/٩ .

(٢) هذا قول ابن الأنباري كما في زاد المسير لابن الجوزي ٣٣٤/٣ .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناها ليتناسق الكلام ، ولا بد في الآية من تقدير ، فقد نفي الرمي وأثبته للرسول ﷺ ﴿ وما رميت إذ رميت ولكنَّ الله رمى ﴾ والمعنى كما في البحر ٤٧٧/٤ : إن الرمية التي رميتها ، لم ترمها أنت يا محمد على الحقيقة ، ولكنها كانت رمية الله ، حيث أثرت ذلك الأثر العظيم ، لأن كفاً من تراب لا يملأ عيون الجيش الكبير .

(٤) قال في البحر ٤٧٧/٤ : ﴿ وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسناً ﴾ قال السدي : أن ينصركم وينعم عليهم ، يقال : أبلاه إذا أنعم عليه ، وبلاه إذا امتحنه ، والبلاء يستعمل للخير والشر ، ووصفه بالحسن يدل على النصر والعزة أي ليعطيهم عطاءً جميلاً . اهـ.

٢٢ ـ **وقوله جل وعزّ ﴿ إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الفَتْحُ .. ﴾** [آية ١٩] .

قال مجاهد : أي إن تستنصروا[١] .

وقال الضحاك : قال أبو جهل : « اللهمَّ انصرْ أحبَّ الفئتين إليك » فقال اللهُ عز وجل ﴿ إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الفَتْحُ ﴾[٢] .

والمعنى عند أهل اللغة : إن تستدعوا الفتح ، وهو النَّصْرُ[٣] .

٢٣ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾** [آية ٢١] .

لأنهم استمعوا استماع عداوة[٤] ، ويبيِّنه قوله ﴿ إنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ

---

(١) الأثر في الطبري ٢٠٧/٩ وابن كثير ٥٧٢/٣ والدر المنثور ١٧٥/٣ وهو قول ابن عباس .

(٢) أخرج أحمد في المسند ٤٣١/٥ عن عبد الله بن ثعلبة أن أبا جهل قال حين التقى القوم : « اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف ، فأَحِنْه الغَدَاة ـ أي فأهلكه اليوم ـ فكان أبو جهل هو المستفتح » وروى ابن كثير ٥٧٣/٣ عن السدي قال : « كان المشركون حين خرجوا من مكة إلى بدر ، أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا : اللهم انصر أعلى الجندين ، وأكرم الفئتين ، وخير القبلتين ، فقال الله عز وجل ﴿ إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴾ أي النصر ، يقول : قد نصرت من قلتم وهو محمد ﷺ .

(٣) كذا قال الزجاج في معانيه ٤٥١/٢ : أي إن تستنصروا فقد جاءكم النصر .. لأن السين والتاء للطلب .

(٤) إنما أخبر تعالى عنهم أنهم لا يسمعون ، لأن الغرض من السماع التدبر والانتفاع ، فإذا لم ينتفع الإنسان بما سمعه فكأنه لم يسمع .

عِنْدَ اللهِ الصُمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

أي : هم بِمنزلة الصمِّ في أنهم لا يسمعون سماعَ مَنْ يقبل الحقَّ، وبِمنزلةِ البُكْمِ لأنهم لا يتكلَّمون بخير ، ولا يعقلونه[1] .

٢٤ ــ ثم قال جل وعزّ ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ .. ﴾ [آية ٢٣] .

أي لأسمعهم جواب كلِّ ما يَسْألونَ عنه .

٢٥ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [آية ٢٣] .

أي لو أخبرهم بكل ما يسألون عنه ، لأعرضوا وكفروا ، معاندةً وحسداً[2] .

٢٦ ــ وقوله جل وعزّ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ .. ﴾ [آية ٢٤] .

أبو عبيدةَ يذهب إلى أنَّ معنى « اسْتَجِيبُوا » أجيبوا ، وأنشد :

---

(١) شبَّه تعالى الكفار بالبهائم ، بل جعلهم شراً منها ﴿إن شر الدواب﴾ أي شر البهائم التي تدب على وجه الأرض ، الصم الذين لا يسمعون الحق ، الخرس الذين لا ينطقون به ، الذين فقدوا العقل والإحساس ، فالكافر كالبهيمة لا يسمع الحق ولا ينطق به ، وهذا هو وجه المشابهة .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٤٥٢/٢ والآية تتوجه على الغرض والتقدير ، والمعنى : لو علم الله فيهم شيئاً من الخير والصلاح ، لأسمعهم سماع تفهم وتدبر ، ولو فُرِض أن الله أسمعهم ــ وقد علم أن لا خير فيهم ــ لأعرضوا واستنكفوا عن الإيمان والاستجابة .

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَـى النَّـدَى
فَلَـمْ يَسْتَجِبْـهُ عِنْـدَ ذَاكَ مُجِيْبُ[1]

٢٧ ــ ثم قال جل وعزّ ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ..﴾ [آية ٢٤] .

أي لما تصيرون به إلى الحياة الدائمةِ في الآخرة[2] .

٢٨ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْـنَ المَـرْءِ وَقَلْبِـهِ ..﴾ [آية ٢٤] .

قال سعيـد بن جُبَيْـرٍ : يحولُ بين المؤمـنِ وبين الكفـر ، وبين [الكافر وبين][3] الإيمان[4] .

وقـال الضحـاك : يحولُ بيـنَ المؤمـنِ والمعصيـة ، وبين الكافـر والطاعة[5] .

قال أبـو جعفـر : وأوَّلَ هذا القـول بعضُ أهـل اللغـة ، أن

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٢٤٥/١ والبيت لكعب بن سعد الغَنَوي يرثي أخاه أبا المغوار ، وهو في خزانـة الأدب ٣٥٧/٤ ولسان العـرب ٢٨٣/١ وأمـالي المرتضى ٦٠٤/١ ومعـاني الزجـاج ٢٤٢/١ .

(٢) قال القرطبي ٣٨٩/٧ : أي إلى ما يُحيي به قلوبكم من الإيمان فتوحِّدوه ، وهذا إحياء مستعار ، لأنه إحياء من موت الكفر والجهل ، وقال مجاهد والجمهـور : المعنـى استجيبـوا للطاعـة والقـرآن ففيه الحياة الأبدية ، والنعمة السرمدية .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من الأصل وأثبتناه من الهامش .

(٤) و (٥) الأثران عن الضحاك وابـن جبير في جامـع البيـان ٢١٦/٩ وابـن كثير ٥٧٥/٣ وزاد المسير ٣٣٩/٣ قال ابـن كثير : وهـذا القـول مروي عن ابـن عبـاس ، ومجاهـد ، وسعيـد ، وعكرمـة ، والضحاك ، وعطية ، والسدي . اهـ.

معناه : يحول بينهما وبين ذَنْبِكَ بالموتِ[1] .

وقيـل : هو تمثيـلٌ ، أي هو قريبٌ كما قال جل وعـــز ﴿ وَنحنُ أقربُ إليه من حَبْلِ الوريد ﴾[2] .

وقيل : كانوا ربَّما خافوا من عدوهم ، فأعلمهم اللهُ جلَّ وعزّ ، أنه يحول بين المرء وقلبه ، فيبدلهم من الخوف أمنًا ، ويُبـدل عدوَّهـم من الأمن خوفًا[3] .

٢٩ ــ وقولـه جلَّ وعـز ﴿ واتَّقـوا فِتْنَـةً لَا تُصِيبَـنَّ الَّذِيـنَ ظَلَمُـــوا مِنْكُــــمْ خاصَّةً .. ﴾ [آية ٢٥] .

قيل : إنها تعمُّ الظالم وغيره .

وروى ابنُ أبي طلحةَ عن ابـنِ عبـاس ﴿ وَاتَّقُـوا فِتْنَـةً لا تُصِيبَـنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا منكُمْ خاصَّةً ..﴾ قال أمر الله المؤمنين أن لا يقـرّوا المنكـر

---

(١) هذا أحد أقوال عشرة للمفسرين ، ذكرها ابـن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٣/٣٤٠ فارجـع إليها هناك والله يرعاك .

(٢) سورة ق آية رقم ١٦ وقد ذكر هذا القـول الـطبري في جامـع البيـان ٩/٢١٧ وعـزاه إلى قتـادة ، ورجَّح أن المعنى : يحول بين المؤمن والكفر ، وبين الكافر والإيمان . أقول ويؤيـد هذا القـول ما ورد في مسنـد الإمـام أحمد ٤/١٨٢ وسنـن الترمـذي ٦/٣٤٩ عن النبـي ﷺ أنـه كان يقـول « يا مقلِّب القلوب ثبِّتْ قلبي على دينك ، قال أنس فقلت : يا نبـي الله آمنـا بك ، وبما جئت به ، فهل تخاف علينا ؟ قال : نعم ، إن القلوب بين أصبعين من أصابـع الله ، يقـلِّبها كيـف يشاء » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . تحفة الأحوذي ٦/٣٥٠ .

(٣) ذكره الزجاج في معانيه ٢/٤٥٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٣/٣٤٠ .

بين أظهرهم فيعمَّهم الله بالعذاب[1] .

وقال الضحاك : هي في أصحاب محمد ﷺ خاصة[2] .

وروي عن الزبير أنه قال يوم الجمل لما لقِيَ : ما توهّمت أن هذه الآية نزلت فينا أصحاب محمد ﷺ إلّا اليوم ﴿ واتَّقُوا فِتْنَةً لَاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾[3] .

وقولٌ آخرُ ، وهو قولُ أبي العباس محمد بن يزيد ، أنه نهيٌ بعد أمرٍ ، نَهْيُ الفتنة : والمعنى في النهي للظالمين ، أي لا تقربُنَّ الظلم . وحكى سيبويه : لا أرينَّك هاهنا ، أي لا تكنْ هاهنا ، فإنه من كان هاهُنا رأيتُه[4] .

وأبو إسحق : يذهب إلى أن معناه الخبرُ ، وجاز دخول النون في الخبر لأن فيه قوّة الجزاء[5] .

قال أبو جعفر : ورأيتُ عليَّ بن سليمان يذهب إلى أنه

---

(١) (٢) و (٣) هذه الآثار عن السلف ، ذكرت في جامع البيان للطبري ٢١٨/٩ وتفسير ابن كثير ٥٧٨/٣ والدر المنثور ١٧٧/٣ وتفسير ابن الجوزي ٣٤١/٣ والمراد بالآية الكريمة أن الفتنة تعم الصالح والطالح ، وتصيب البريء والمذنب .

(٤) انظر تفسير ابن الجوزي ٣٤٢/٣ فقد نقل عن ابن الأنباري فيها قولين :
أحدهما : أنها بتأويل الخبر ، أي إن لا يَتّقوها تصب الذين ظلموا وغيرَهُم ، وتقع بالصالحين والطالحين .
والثاني : أنها نهي محض معناه : لا يَقْصِدَنَّ الظالمون هذه الفتنة فيهلكوا . اهـ.

(٥) انظر معاني القرآن ٤٥٣/٢ فقد وضح فيه الزجاج هذا القول ، ومثّل له الأَمْثلة .

دعاءٌ[1] .

٣٠ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مُسْتَضْعَفُونَ في الأَرْضِ تَخَافُوْنَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ ..﴾** [آية٢٦] .

قال وهب بن منبّه : يعني بالناس فارس[2] .

وقال عكرمة : كفّار قريش[3] .

قال السّدّي : فآواكم إلى المدينة[4] .

٣١ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً .. ﴾** [آية ٢٩] .

قال مجاهد وعطاء والضحاك : أي مخرجًا[5] .

قال مجاهد : في قوله ﴿ يَوْمَ الفُرْقَانِ ﴾ قال : يوم بدر ، فَرَقَ اللهُ فيه بين الحقِّ والباطل[6] .

قال أبو جعفر : والفرقانُ في اللغة : بمعنى الفَرْقِ ، يقال : فرقتُ بينَ الشيئين فَرْقًا ، وفُرْقاناً[7] .

---

(١) هذا القول ضعيف لا وجه له ، والأظهر ما قاله في البحر ٤٨٢/٤ عن ابن عباس قال : أمرُ الله المؤمنين أن لا يُقِرُّوا المنكر بين أظهرهم فيعمَّهم الله بالعذاب ، ويؤيده ما رواه البخاري والترمذي « إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمَّهم الله بعذاب من عنده » وفي مسلم من حديث زينب قالت « أنهلكُ وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخَبَثُ » .

(٢) و (٣) و (٤) و (٥) و (٦) هذه الآثار كلها عن السلف ذكرها ابن جرير ٢٢٠/٩ ــ ٢٢٥ وابن الجوزي ٣٤٣/٣ وابن كثير في تفسيره ٥٨٣/٣ والسيوطي في الدر المنثور ١٧٧/٣ ــ ١٧٩ .

(٧) في المصباح ١٢٥/٢ : فرقت بين الشيء : فصلت أبعاضه ، وفرقت بين الحق والباطل : فصلت أيضاً من باب قتل ، هذه هي اللغة العالية ، وبها قرأ السبعة « فافرق بيننا وبين القوم » والاسم الفرقة بالضم ، والفرقانُ : القرآن . اهـ.

٣٢ ــ وقولُه جل وعزّ ﴿ وإذْ يمكُرُ بك الذين كفروا لِيُثْبِتُوك ، أو يقتلوك ، أو يُخْرِجُوك ..﴾ [آية ٣٠] .

يُقال : أثبتُّهُ إذا حبستَهُ .

قال مجاهد : أرادَ الكفارُ أن يفعَلُوا هذا بالنبيِّ ﷺ قبل خروجه من مكَّة .

وقال غيره : اجتمعوا فقالوا : نَحْبِسُهُ في بيتٍ ، ونطعِمُه ونَسْقِيه فيه ، أو نقتلُهُ جميعاً قَتْلَ رجلٍ واحد ، أو نخرجُهُ فتكون بليَّته على غيرنا ، فَعَصَمَهُ اللهُ عز وجل منهم[1] .

---

(١) أشار المصنف إلى ما رواه ابن جرير في جامع البيان ٢٢٧/٩ والحافظ ابن كثير في تفسيره ٥٨٥/٣ عن ابن عباس رضي الله عنه قال : « إن نفراً من قريشٍ من أشراف كل قبيلة ، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة ، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل ، فلمَّا رأوه قالوا : من أنت ؟ قال : شيخٌ من نجد ، سمعت أنكم اجتمعتم فأردتُ أن أحضركم ، ولن يعدمكم مني رأي ونصح ، قالوا : أَجل ادخلْ ، فدخل معهم ، فقال : انظروا في شأن هذا الرجل ــ يعني محمداً ﷺ ــ واللهِ ليوشكنَّ أن يواثبكم بأمره ، فقال قائل منهم : احبسوه في وثاق ثم تربصوا به ريب المنون ، حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء ، فصرخ عدوُّ الله فقال : واللهِ ما هذا لكم برأي ، فليوشكنَّ أن يَثِبَ أصحابه عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم ، فقال قائل : أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه ، فإنه إذا خرج لا يضركم ما صنع !! فقال عدوُّ الله إبليس : والله ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حلاوة قوله ، وطلاقة لسانه ، وأخذه القلوب بحديثه ؟ والله لئن فعلتم لتجتمعنَّ عليكم العرب حتى يخرجوكم من بلادكم ، ويقتلوا أشرافكم ، قالوا : صدق ، فانظروا رأياً غير هذا ، فقال أبو جهل : والله لأشيرنَّ عليكم برأي ما أرى غيره !! نأخذ من كل قبيلة غلاماً شاباً جلداً ، ونعطي كل واحداً سيفاً صارماً ، ثم يضربونه ضربة رجلٍ واحدٍ ، فيتفرق دمه في القبائل كلها ، فصرخ عدو الله إبليس : هذا هو الرأي لا أرى غيره ، فنزلت الآية ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا .. ﴾ الآية .

وفي رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ هي ليوثقوكَ(١) .

٣٣ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِك فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَو ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾**
[آية ٣٢] .

قال مجاهد : الذي قال هذا « النَّضْرُ بنُ الحَارِثِ بنِ كَلَدَةَ »(٢) .

ويروى أنَّ هذا قيل بمكة ، ويدل على هذا قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ .

قيل في هذه الآية أقوال :

رُوي عن ابن عباس أنَّ « النَّضْر بنَ الحارثِ » قال هذا ــ يريد : أَهْلِكْنَا ومحمَّداً ومن معه عامَّةً ــ فأنزل الله ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ إلى ﴿ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ أي ومنهم قومٌ يستغفرونَ ، يعني المسلمين ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ ﴾ خاصّة ، فعذبهم بالسيف بعد خروج النبي ﷺ عنهم ، وفي ذلك نزلت ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾(٣) .

---

(١) الأثر في جامع البيان للطبري ٢٢٦/٩ .
(٢) جامع البيان ٢٣٢/٩ .
(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٣٢/٩ أن القائل لتلك الكلمة الفاجرة هو « النضر بن الحارث » وأخرجه ابن كثير في تفسيره عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس ٥٨٩/٣ ، قال : وكذا قال =

وَرَوَى الزهريُّ عن عبد الله بن ثَعْلَبَةَ بن صُعَيْرٍ أن المستفتِح يوم بدر « أبو جهل » وأنه قال : « اللهم اخْزِ أَقْطَعَنَا للرَّحِمِ » فهذا استفتَاحُه[1] .

وقال عطية[2] في قوله جلَّ وعز ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ يعني المشركين حتى يخرجه عنهم ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ يعني المؤمنين ، قال ثمَّ رجع إلى الكفار فقال ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ ﴾[3] ؟

قال أبو جعفر : وهذا قول حَسَنٌ ، ومعناه ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ : وما كان الله مُعَذِّبهم وأنت بين أظهرهم ،

= مجاهد ، وعطاء ، والسدي ، إنه « النضر بن الحارث » قال عطاء : ولقد أنزل الله فيه بضع عشرة آية من كتاب الله عز وجل .. وروى البخاري في صحيحه ٦/٧٨ عن أنس قال : قال أبو جهل ﴿ اللهمَّ إن كان هَذَا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء .. ﴾ الآية .

أقول : ولا يمنع أن يكون قائل ذلك « النضر بن الحارث » و « أبو جهل » وغيرهما من صناديد الكفر ، وعلى ذلك يكون القائل كذلك أكثر من واحد .

(١) هذا يؤيد ما ورد في البخاري ٦/٧٨ ومسلم ٤/٢١٥٤ أن القائل هو « أبو جهل » وانظر الدر المنثور أيضاً ٣/١٨٠ .

(٢) هو عطية بن سعد بن جُنَادَة العَوْفِي وكنيته أبو الحسن ، قال ابن حجر في التقريب ٢/٢٤ : صدوقٌ يخطىء كثيراً ، كان شيعياً مدلِّساً من الثالثة ، مات سنة ١١١هـ وانظر ترجمته موسعة في تهذيب التهذيب ٧/٢٢٤ .

(٣) الأثر في جامع البيان ٩/٢٣٤ وتفسير ابن كثير ٣/٥٩٠ والدر المنثور ٣/١٨١ وعزاه إلى ابن المنذر ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم .

وكذلك سنتُّه في الأمم[1] .

٣٤ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ .**
[آية ٣٣]

وعاد الضميرُ على من آمن منهم[2] .

٣٥ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ ﴾ ؟** [آية ٣٤]

أي إذا خرجتَ من بين أظهرهم .

ويجوز أن يكون معناه : وما لهم ألَّا يعذِّبهم اللهُ في القيامة .

وقيل معناه : وما كان الله معذبهم لو استغفروه على غير إيجاب لهم ، كما تقول : لا أغضبُ عليك أبداً وأنتَ تطيعني ، أي : لو أطعتني لم أغضبْ عليك ، على غير إيجابٍ منك لطاعته[3] .

وقال مجاهد : معناه : وما كان الله عذبهم وهم مسلمون[4] .

قال أبو جعفر : ومعنى هذا وما كان الله معذِّبهم ومنهم من يؤولُ أمرُهُ إلى الإسلام .

وروي عنه : وفي أصلابهم من يستغفر[5] .

---

(١) هذه الآية فيها أعظم مظاهر التكريم للنبي ﷺ ، حيث جعل الله وجوده أماناً للأمة من عذاب الاستئصال ، لأنه كما أخبر تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ والمعنى الذي أشارت إليه الآية : إن هؤلاء المشركين مستحقون للعذاب ، ولكنه تعالى لا يعذبهم وأنت فيهم إكراماً لك يامحمد ، قال ابن عباس : « إن الله جعل في هذه الأمة أمانين : نبي الله ﷺ ، والاستغفار ، أما النبي فقد مضى ، وأما الاستغفار فهو باق إلى يوم القيامة » التفسير الكبير ١٥/١٥٨ .

(٢) انظر الطبري ٩/٢٣٧ وتفسير ابن كثير ٣/٥٩٠ والبحر المحيط ٤/٤٩٠ وتفسير ابن الجوزي ٣/٣٤٩ .

(٣) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٧/٣٩٩ وهو مروي عن قتادة وابن زيد ، قال : ومعناه لو استغفروا وهو استدعاء لهم إلى الاستغفار .

(٤) (٥) الأثر عن مجاهد في تفسير ابن الجوزي ٣/٣٥١ والطبري ٩/٢٣٧ والبحر المحيط =

٣٦ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً .. ﴾ [آية ٣٥] .

روى عطيةُ عن ابن عمر أنه قال : المكاءُ : الصفيرُ ، والتَّصْديةُ : التصفيق[١] .

قال ابن شهاب : يستهزءون بالمؤمنين .

ورَوَى ابنُ أبي جريج وابنُ أبي نجيح أنه قال : المكاءُ : إدخالهم أصابعهم في أفواههم ، والتصديةُ : الصَّفيرُ ، يريدون أن يشغلوا بذلك محمداً ﷺ عن الصلاة[٢] .

قال أبو جعفر : والمعروفُ في اللُّغةِ ما رُوي عن ابن عمر[٣] .

حكى أبو عبيد وغيره أنه يُقال : مَكَا ، يَمْكُو ، ومُكَاءً : إذا صَفَر ، وصدَّى يُصدِّي تَصْدِيةً : إذا صَفَّق[٤] .

= ٤٩٠/٤ ورجح ابن جرير ٢٣٨/٩ أن المعنى : ما كنت لأعذبهم وأنت فيهم ، وما كنت لأعذبهم لو استغفروا ، ولكنهم لا يستغفرون بل هم مصرون عليه ، فهم للعذاب مستحقون ، كما يُقال : ما كنتُ لأحسنَ إليك وأنت تسيء إلي ، يريد لا أحسن إليك إذا أسأت إلي .

(١) الأثر في الطبري ٢٤١/٩ وابن كثير ٥٩٣/٣ والبحر المحيط ٤٩٢/٤ .

(٢) الأثر في جامع البيان ٢٤١/٩ وجامع الأحكام ٤٠١/٧ وتفسير ابن كثير ٥٩٣/٣ .

(٣) وهذا قول جمهور علماء السلف ، ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، وابن أسلم كما بينه الحافظ ابن كثير في تفسيره ٥٩٣/٣ وقال أبو حيان في البحر ٤٩١/٤ : وضعوا مكان الصلاة ، والتقرب إلى الله ، التصفير والتصفيق ، فقد كانوا يطوفون عراة ، رجالهم ونساؤهم ، مشبكين بين أصابعهم ، يصفرون ويصفقون .

(٤) في الصحاح ٤٩٥/٦ : المكاءُ : الصفيرُ ، وقد مَكَا يَمْكُو مَكْوَاً ومُكَاءً : صَفَر ، قال عنترة : « تمكو فريصتُه لشِدْقِ الأعلم » أي تصوِّت ، والتَّصديةُ : التصفيقُ ، والصَّدى : الذي يجيبك بمثل صوتك في الجبال وغيرها . اهـ .

قال أبو جعفر: ويبعد قولُ ابن زيد التصديةُ : صدُّهم عن دين الله[1] ، لأنَّ الفعل من هذا صددتُ إلاَّ أن تُقلب إحدى داليْهِ ياءً مِثْلَ : تظنَّيتُ من ظَنَنْتُ ، وكذا ما روي عن سعيد بن جبير : التصديةُ : صدُّهم عن بيت الله[2] .

٣٧ ـ وقوله جل وعزّ ﴿ إنَّ الَّذينَ كَفَرُوايُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيْلِ اللهِ .. ﴾ [آية ٣٦] .

قال مجاهد : يعني « أبا سفيان » وما أنفقَ على أصحابه يوم أحد[3]

٣٨ ـ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَيَجْعَلَ الخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعَاً ﴾ [آية ٣٧] .

يقال : رَكمتُ الشيءَ ، إذا جعلت بعضه فوق بعض[4] .

---

(١) و (٢) ذكرهما الطبري في جامع البيان ٢٤٣/٩ وردَّهما حيث قال : وقد قيل : إنها الصدُّ عن بيت الله الحرام ، وذلك قول لا وجه له ، لأن التَّصَديةُ مصدرُ صدَّيتُ ، تَصْدِيةً ، وأما الصَدُّ فلا يُقال منه : صدَّيتُ ، إنما يُقال : صَدَدْتُ ، إلا أن يكون صاحب هذا القول وجَّهَ التصدية إلى أنه من صدَّدْتُ ، ثم قُلبت إحدى داليْهِ ياءً ، كما يُقال : تَظَنَّيتُ من ظَنَنْتُ . اهـ.

(٣) انظر الأثر في جامع البيان ٢٤٧/٩ وقد ذكر ابن جرير أن أبا سفيان أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية من ذهب ، وذكر السيوطي في الدر ١٨٤/٣ عن سعيد بن جبير أن الآية نزلت في « أبي سفيان بن حرب » استأجر يوم أحدٍ ألفين من الأحابيش ليقاتل بهم رسول الله سوى من استجاشهم من العرب فنزلت فيه الآية .

(٤) قال في البحر ٤٧٤/٤ : قال الليثُ : الرَّكْمُ جمعكَ شيئاً فوق شيء ، حتى تجعله رُكاماً مركوماً كركام الرمل والسحاب .

٣٩ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ﴾** [آية ٣٧]

أي : الخبيثَ ليُعَذَّبوا به .

ويعني بالخبيث : الكفار ، كذا قال ابن عباس : « ميَّزَ أهل السعادة من أهل الشقاء ، أي بأن أسكن هؤلاء الجنة ، وهؤلاء النار »[1] .

أي فيجعل الكفَّار بعضهم فوق بعض فيجعلهم رُكاماً ، أي يجمع بعضهم إلى بعض حتى يكثروا ﴿ أولئك ﴾ ردّه إلى الكافرين ، وردَّ ﴿ فَيَجْعَلَهُ ﴾ إلى الخبيث على لفظه ، ليعذّبوا به ، كما قال تعالى ﴿ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾[2] .

وقوله جل وعز ﴿ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ﴾ .

[آية ٣٨]

قال مجاهد : يومَ بدر للأمم قبل ذلك ، فقد فرق الله جل وعزَّ بين الحقِّ والباطل[3] .

٤٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَقَاتِلُوهُم حتَّى لا تكونَ فِتْنَةٌ .. ﴾** [آية ٣٩] .

---

(١) الأثر في الطبري ٢٤٦/٩ وفي ابن كثير ٥٩٥/٣ وفي تفسير ابن الجوزي ٣٥٦/٣ .

(٢) سورة التوبة آية رقم ٣٥ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٢٤٧/٩ وعبارة ابن جرير أوضح ، فقال قال مجاهد « فقد مضتْ سُنَّة الأولين » في قريشٍ يوم بدرٍ ، وغيرها من الأمم قبل ذلك ، من إحلال عاجل النّقم بهم . اهـ. وفي تفسير مجاهد ٢٦٣/١ : يعني قريشاً يوم بدر ، وفي غيرها من الأمم قبل ذلك .
وكلام مجاهد هنا أوضح مما رواه المصنِّف .

المعنى : حتى لا تكون فتنةُ كفرٍ[1] ، ودلَّ على هذا الحذفِ قولُه تعالى ﴿ وَيَكُوْنَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ ﴾

٤١ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ ، نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [آية ٤٠] .

أي وإن عادوا إلى الكفر وعداوتكم ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ ﴾ أي وليكم وناصركم ، فلا تضرُّكم عداوتهم[2] .

٤٢ ــ وقوله جل وعز ﴿ واعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ ، وَلِلرَّسُولِ ، وَلِذِي القُرْبَى ، واليَتَامَى ، والمَسَاكِينِ ، وابنِ السَّبِيلِ .. ﴾ [آية ٤١] .

اختلف في معنى هذه الآية :

فقال قوم : يُقسَم الخمس على خمسة أجزاء : فأربعةٌ منها لمدة شهر الحرب[3] ، وواحد منها مقسوم على خمسةٍ ، فما كان منه للرسول

---

(١) المراد بالفتنة هنا الشركُ والكفرُ ، كما روي عن الحسن ، وابن عباس ، والسدي ، قال ابن عباس : أي حتى لا يبقى على وجه الأرض ، وقال ابن جريج : حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ، وانظر الطبري ٢٤٨/٩ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٢٥٠/٩ والبحر المحيط لأبي حيان ٤٩٥/٤ قال الطبري : إن أدبر هؤلاء المشركون عن الإيمان ، وأبَوْا إلا الإصرار على قتالكم ، فقاتلوهم وأيقنوا أن الله معينكم وناصركم عليهم ، فنعم هو المعين لكم ولأوليائه ، الذي أعزكم ونصركم عليهم يوم بدر ، ونعم هو الناصر لعباده ! .

(٣) إنما عرف هذا بدلالة النص ، لأنه لما بين تعالى حكم الخمس ومصارفه ، وسكت عن الباقي دلَّ ذلك على أنه ملك للغانمين ، انظر جامع الأحكام ١٣/٨ .

صُيِّر فيما كان رسول الله ﷺ يصيِّره فيه .

ويروى أنه كان يصيِّره تقوية للمسلمين وأربعة لذوي القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، وهذا مذهب الشافعي رحمه الله .

وقال بعضهم : يُقسم هذا السهم على قلَّته أجزاء للفقراء ، والمساكين ، وابن السبيل لأن رسول الله ﷺ قال « لا نُورَثُ ما تركنا صَدقَةَ »[1] وهذا مذهب أبي حنيفة .

وقال بعضهم : إذا رأى الإمام أن يعطي هؤلاء المذكورين أعطاهم ، وَإن رأى أن غيرَهم أحقُّ منهم أعطاهم ، قال : ولو كان ذكرهم بالسهميّة يوجب أن لايَخْرج عن جملتهم ، لما جاز إذا ذُكر جماعة أن يُعطى بعضُهم دون بعض[2] ، وقد قال الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ للفُقَرَاءِ ، والمساكين .. ﴾[3] إلى آخر الآية ، ولو جعلت في بعضهم دون بعض لجاز ، ولكنهم ذُكروا لأنهم من أهم من يُعطى .

وقال جل وعز ﴿ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الفرائض ١٨٥/٨ عن عائشة أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ فقال لهما أبو بكر سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا نورث ما تركنا صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال » ورواه مسلم برقم ١٧٦٠ في الجهاد ، ومالك في الموطأ ٩٩٣/٢ وأبو داود في كتاب الخراج برقم ٢٩٧٤ .

(٢) قال أبو حنيفة : يُقسم الخمس على ثلاثة (اليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل) لأنه قد ارتفع سهم الرسول ﷺ بموته ، كما ارتفع سهم أقربائه بموته ، قالوا : ويُبدأ من الخمس بإصلاح القناطر ، وبناء المساجد ، وأرزاق القضاة والجند ، ويُصرف في مصالح المسلمين .

(٣) سورة التوبة آية رقم ٦٠ .

وَالأَقْرَبِيْنَ ﴾[1] .

وله أن يعطي غير من سُمِّي ، وهذا مذهب مالك[2] .

وأما معنى ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ ﴾ فهو افتتاح كلام . قال « قيس بن مسلم الجَدَلي[3] » سألتُ الحَسَنَ بن محمد ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ فقال : هو افتتاح كلام[4] ، ليس للّه نصيبٌ ، للّهِ الدنيا والآخرة[5] .

حدثنا أبو جعفر قال : نا محمد بن الحسن بن سَمَاعة ، قال : نا أبو نعيم قال : نا أبو جعفر عن الربيع ، عن أبي العالية ﴿ واعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ .

قال : يُجاء بالغنيمة فتوضع ، فيقسمها رسولُ الله ﷺ على خمسةِ أسهم ، فيعزل سهماً منها ، ويقسمُ الأربعة بينَ الناس ، ثم يضرب

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢١٥ وقد وردت في المخطوطة « وما أنفقتم من خير » وما أثبتناه هو النص الكريم .

(٢) انظر تفصيل آراء الأئمة وأدلتهم في كتاب « روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن » ٦٠٥/١ ومعاني الزجاج ٤٥٩/٢ .

(٣) « قيس بن مسلم الجَدَلي » كوفي من قيس عيلان توفي سنة ١٢٠هـ قال ابن معين وأبو حاتم ثقة ، وقال العجلي : كوفي ثقة ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٤٠٣/٨ .

(٤) يريد أن ذكر الله تعالى في القسمة ، لتعليمنا التبرك بذكر اسم الله المعظم ، ولا يقصد أن الخمس يقسم على ستة منها لله ، فإن لله الدنيا والآخرة .

(٥) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ٣/١٠ والسيوطي في الدر المنثور ١٨٥/٣ وعزاه إلى عبد الرازق ، وابن أبي شيبة ، وابن المنذر .

بيده في جميع السهم الذي عزله ، فما قَبَض عليه من شيء جعله للكعبةِ ، فهو الذي سُمِّي لله ، ويقول : لا تجعلوا لله نصيباً ، فإن لله الدنيا والآخرة »[1] قال ثم يُقسم السَّهمُ الذي عَزَله على خمسة أسهم : سهمٌ للنبي ﷺ ، وسهمٌ لذي القربى ، وسهمٌ لليتامى ، وسهمٌ للمساكين ، وسهمٌ لابنِ السَّبيل[2] .

وقيل : معنى ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ فأنَّ لسبيلِ الله[3] ، مثل ﴿ واسألِ القَرْيَةَ ﴾ .

٤٣ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ ﴾ [آية ٤١]

أي إن كنتم آمنتم بالله ، فاقبلوا ما أُمِرْتُم به .

وقيل : المعنى : فاعلموا أنَّ اللَّهَ مولاكم وناصركم إن كنتم آمنتم به[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٤/١٠ عن أبي العالية ، وفي المخطوطة « فهو الذي قال الله « لا تجعلوا لله نصيباً فإن لله الدنيا والآخرة » وهذا يوهم أن الله قال لا تجعلوا لله نصيباً ، وصوابه ما أثبتناه من تفسير ابن جرير ، ولفظُه : فهو الذي سُمِّي لله ، ويقول : لا تجعلوا للهِ نصيباً .. إلخ أي يقول أبو العالية وليس هو قول الله .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٤/١٠ والدر المنثور للسيوطي ١٨٥/٣ .

(٣) أي هو على حذف مضاف كقوله تعالى ﴿ واسأل القرية ﴾ أي اسأل أهل القرية .

(٤) ذكر هذا القول الزجاج في كتابه معاني القرآن ٤٦٠/٢ وهو قول ضعيف ، والصحيح الأول أنه متعلق بالأمر بقسمة الغنائم ، كما رجحه المحققون من أهل التفسير ، قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣١٥/٦ : « وهذا هو الصحيح لأن قوله ﴿ واعلموا ﴾ يتضمن الأمر بانقياد وتسليم الأمر =

٤٤ ــ وقولُه جلَّ وعزّ ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ .. ﴾ [آية ٤١] .

قال مجاهد : هو يوم بدر ، فرَّق اللهُ فيه بين الحقِّ والباطل(١) .

٤٥ ــ وقوله جلَّ وعزّ ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ بِالعُدْوَةِ القُصْوَى ﴾ [آية ٤٢] .

قال قتادة : العُدْوةُ : شفيرُ الوادي ، وكذلك هو في اللغة(٢) .

ومعنى « الدُّنْيَا » : التي تلي المدينة ، ومعنى « القُصْوَى » : التي تلي مكة . ثم قال تعالى ﴿ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ .

قال قتادة : يعني العِير التي كانت مع أبي سفيان(٣) .

٤٦ ــ وقوله جلَّ وعزّ ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ .. ﴾ [آية ٤٢] .

قال أبو جعفر : قال ابنُ أبي إسحاق : جعل المهتدي بمنزلة

= لله في الغنائم ، فعلق « إن » بقوله « واعلموا » على هذا المعنى ، أي إن كنتم مؤمنين حقاً ، فانقادوا وسلموا لأمر الله تعالى » .

(١) الأثر في جامع البيان ٨/١٠ وهو قول ابن عباس أيضاً ، وقتادة ، والجمهور ، قالوا : سمي يوم بدر « يوم الفرقان » لأن الله فرق فيه بين الحق والباطل ، فنصر المؤمنين وهزم المشركين .

(٢) جاء في الصحاح ٤٢١/٦ : العُدْوة : جانبُ الوادي وحافته ، والجمعُ عِدَاء ، كبُرمة وبِـرَام ، وقال أبو عمرو : العُدْوَةُ : المكان المرتفع . اهـ.

(٣) الأثر في الطبري ١٠/١٠ وابن كثير ١٠/٤ والدر المنثور ١٨٨/٣ .

الحيِّ ، وجعل الضالَّ بمنزلة الهالك ، قال : أي ليكفُرَ من كَفَر بعد الحجّة بما رأى من الآية والعبرة ، ويؤمن من آمن على مثل ذلك[1] .

وقال غيره : ليهلك : ليموت من مات عن حجة للّهِ جلَّ وعز وعليه ، قد قَطَعَتْ عُذْرَه ، وليعيش من عاش منهم على مثل ذلك[2] ﴿ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ ﴾ لقولكم حين تركتموهم ﴿ عليم ﴾ بما تضمره نفوسكم .

٤٧ ــ وقوله جل وعزّ ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً ، وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُم وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ .. ﴾ [آية ٥٣] .

قال ابنُ أبي نجيح عن مجاهد : رآهم النبيُّ ﷺ في النوم قليلاً ، فقصَّ الرؤيا على أصحابه ، فثبَّتهم الله بذلك[3] .

وروي عن الحسن أنه قال :

المعنى : إذ يريكهمُ اللّهُ بعينك التي تنامُ بها[4] .

---

(١) الأثر ذكره الطبري في جامع البيان ١٢/١٠ ولكن جاء فيه عن ابن إسحاق ، وكذلك هو في تفسير ابن كثير ١٢/٤ عن محمد بن إسحاق ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٣٦٢/٣ .

(٢) هذا قول الإمام أبي جعفر الطبري في تفسيره جامع البيان ١٢/١٠ حكاه عنه النحاس .

(٣) الأثر عن مجاهد في جامع البيان ١٢/١٠ وتفسير ابن كثير ١٣/٤ وتفسير القرطبي ٣٢/٨ والدر المنثور ١٨٨/٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن مجاهد .

(٤) الأثر أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن ، وضعفه الطبري في جامع البيان ١٢/١٠ بقوله : وزعم بعضهم أن المعنى : في عينيك التي تنام بها ، فصير المنام هو العين الخ وذكره أيضاً ابن كثير في تفسيره ١٣/٤ عن الحسن ثم قال : وهذا القول غريبٌ ، وقد صرَّح بالمنام ههنا ، فلا حاجة إلى التأويل الذي لا دليل عليه .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا في موضوع منامك .

والقولُ الأوَّل أحسنُ لجهتين :

إحداهما : ما رُوي من أنَّ النبيَّ ﷺ رآهم في النوم .

والأخرى : في قوله ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ ﴾ فالرؤيا الأولى في النوم ، والثانيةُ عند الالتقاء[1] .

ويجوز ما قال الحسن على بُعْدٍ ، على أن يكون قوله ﴿ إِذْ يريكُمُوهُمْ ﴾ خطاباً للنبي ﷺ وأصحابه[2] .

والمعنى : وَيُقَلِّلكُمْ في أعينهم ، أي لئلا يستعِدُّوا لكم ، لِمَا أرادَ اللهُ جلَّ وعزَّ من ظفَر المسلمين بهم .

٤٨ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا .. ﴾** [آية ٤٦] .

قال أبو إسحاق : يقال : فَشِل يَفْشَل فَشَلاً ، إذا هابَ أن يتقدَّمَ جُبْنًا[3] .

---

(١) هذا هو الصحيح والراجح ، لأن الله تعالى صرَّح في الأولى بأنها رؤيا منامية ﴿ إذ يريكهم الله في منامك ﴾ .

(٢) ذكر هذا التخريج الزجاج في معانيه ٤٦٣/٢ وقال : ومعناه في عينيك التي تنام بها ، وكثير من أصحاب النحو يذهبون إلى هذا ، ومعناه عندهم في موضع منامك أي بعينك ، ثم حذف الموضع وأُقيم المقام مكانه ، قال : وهذا مذهب حسن ، ولكنه قد جاء في التفسير أن النبي رآهم في المنام قليلاً وقصَّ الرؤيا على أصحابه ، فقالوا : صدقت رؤياك يا رسول الله ، قال : وهذا أسوغ في العربية . اهـ.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٤٦٤/٢ وأبو اسحق هو الإمام الزجاج ، وقد تقدمت ترجمته ٧٤/١ . .

٤٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ .. ﴾** [آية ٤٦] .

قال مجاهد : أي نصركم[١] .

وقال معمر عن قتاده : أي ريح الحرب[٢] .

والمعروفُ في اللغة أنه يقال : ذهبتْ ريحُهم : أي دولتُهم .

٥٠ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِـمْ بَطَـراً وَرِئَـاءَ النَّاسِ .. ﴾** [آية ٤٧] .

يعني أبا جهل وأصحابه يوم بدر .

٥١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعمَالَهُمْ ﴾** [الآية ٤٧] .

قال : المعنى : واذكر إذ زين لهم الشيطان أعمالهم[٣] .

قال الضحاك : جاءهم يوم بدر برايته وجُنودِه ، فألقى في قلوبهم أنهم لن ينهزموا ، وهم يقاتلون على دين آبائهم[٤] .

---

(١) و (٢) الآثار في الطبري ١٠/١٥ وتفسير ابن الجوزي ٣/٣٦٥ قال ابن قتيبة : يُقال : هبت له ريح النصر : إذا كانت له الدولة ، وقال ابن جرير ١٠/١٥ : وهذا مثل ، يقال للرجل إذا كان مقبلاً عليه ما يحبه : الريح مقبلة عليه ، ثم قال : وإنما يراد به في هذا الموضع : وتذهب قوتكم وبأسكم ، وكذلك قال ابن كثير .

(٣) انظر معاني الزجاج ٢/٤٦٥ فقد قال فيه : موضع « إذ » نصب ، المعنى : اذكر إذ زين لهم الشيطان أعمالهم .

(٤) الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس ١٠/١٩ والسيوطي في الدر المنثور ٣/١٩٠ وابن كثير في تفسيره ٤/١٧ كلهم من رواية ابن عباس ، وعزاه في الدر إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الدلائل .

٥٢ ــ **وقوله جل وعزَّ ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ .. ﴾** [آية ٤٨] .

أي التقتا ، حتى رأت كلُّ واحدة منهما صاحَبتْها .

٥٣ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾** [آية ٤٨]

أي : رجع القهقرى ، ويُقال : نَكَصَ على عقبيه ، إذا رجع من حيث جاء[1] .

﴿ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ .

قال الضحاك : رأى الملائكة ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، واللَّهُ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ .

قيل : إنما خَافَ[2] أن يكون الوقتُ الذي أُجِّل إليه قد حَضَر .

وقيل : بل كَذَبَ[3] .

٥٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ والَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ .. ﴾** [آية ٥٢] .

قال مجاهد : أي كفعل ، والدَّأْبُ عند أهلِ اللُّغةِ : العادةُ ، وحقيقتهُ عندهم أنه من قولك فلانٌ يَدأبُ : أي يداوم على الشيء

---

(١) في الصحاح مادة نكص : النكوصُ : الإحجام عن الشيء ، ويقال : نكَصَ على عقبيه ، ينكُص ، وينكِصُ أي رجع ، وكذلك جاء في المصباح المنير ، والمراد في الآية أن الشيطان ولى هارباً مولياً الأدبار .

(٢) في المخطوطة « إنما أخاف » وصوابه إنما خاف ليتناسق الكلام مع قوله « الذي أُجِّل إليه » .

(٣) هذا هو الصحيح فإنه لو كان صادقاً لآمن ، قال ابن عباس : وكذب عدو الله ، لأنه علم أن لا قوة له ، ولا منعة .

ويلزمه ، وهذا معنى العادة[1] .

٥٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ ، وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ [آية ٥٦] .

قال مجاهد : يعني بني قريظه[2] .

٥٦ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ ﴾ [آية ٥٧]

أي تصادفْهم وتظفرْ بهم ﴿ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ ﴾

قال سعيد بن جبير : أي أَنْذِر بهم مَنْ خلفَهم[3] . وقال أبو عبيد : هي لغة قريش « شرِّدْ بهم » سمِّعْ بهم .

وقال الضحاك : أي نكِّل بهم[4] .

والتشريدُ في اللغة : التبديد والتفريق[5] .

---

(١) ورد في الصحاح ١٢٣/١ : دأَبَ فلانٌ في عمله أي جدَّ وتعب ، والدَّأْبُ : العادةُ والشَّأْنُ ، ويحرك ، قال الفراء : أصلُه من دأبتُ ، إلا أن العرب حوَّلت معناه إلى الشأن . اهـ.

(٢) الأثر في جامع البيان للطبري ٢٥/١٠ وتفسير القرطبي ٣٠/٨ قال : هم بنو قريظة والنضير ــ في قول مجاهد وغيره ــ نقضوا العهد مع رسول الله ، فأعانوا مشركي مكة بالسلاح ، ثم اعتذروا فقالوا نسينا . إلخ .

(٣) و (٤) الأثر ان ذكرهما الطبري في جامع البيان ١٠/ ٢٦ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٠/٨ قال ابن قتيبة معنى « فشرِّدْ بهم » أي افعل بهم فعلاً من العقوبة والتنكيل ، يتفرق به من وراءهم من أعدائك ، ويُقال : شرِّدْ بهم أي سَمِّع بهم بلغة قريش . اهـ. زاد المسير٣٠/٣٧٢ .

(٥) هكذا قال الطبري في جامع البيان ٢٥/١٠ : التشريدُ : التَّطريدُ والتبديد والتفريق ، وانظر الصحاح مادة شرد .

٥٧ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾** [آية ٥٨] .

أي : غشاً ونقضاً للعهد ﴿ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ أي ألْقِ إليهم نقضَ عهدهم ، لتكون أنت وهم على سواء في العلم ، يُقال : نبذتُ إليه على سواءٍ : أي أعلمتُه أنيِّ قد عرفتُ منه ما أخفاه[1] .

وروى عمر بن عَنْبَة أن النبي ﷺ قال : « من كان بينه وبين قوم عهدٌ إلى مدَّةٍ ، فلا يشدَّ عقدةً ، ولا يحلَّها ، حتى ينقضي أَمَدُها ، أو ينبِذَ إليهم على سَوَاء »[2] .

٥٨ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا .. ﴾** [آية ٥٩] .

قال أبو عُبيدة : أي فاتوا ، ثم قال جلَّ وعز ﴿ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ روي عن ابن محيصن أنه قرأ[3] (لا يُعَجِّزُونِ) بالتشديد وكسر النون[4] .

---

(١) قال النحاس في إعراب القرآن ١٩٢/٢ : « هذا من معجز ما جاء في القرآن ، ممَّا لا يوجد في الكلام مثله ، على اختصاره وكثرة معانيه ، والمعنى : إمَّا تخافنَّ من قوم بينك وبينهم عهد خيانة ، فانبذ إليهم العهد أي قل : قد نبذت إليكم عهدكم ، وأنا مقاتلكم ، ليعلموا ذلك فيكونوا معك في العلم سواءً ، ولا تقاتلهم وبينك وبينهم عهد وهم يثقون بك ، فيكون ذلك خيانة » اهـ. أقول : رحم الله أبا جعفر النحاس فقد أبدع وأجاد .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١١١/٤ وأبو داود في الجهاد ٨٣/٣ برقم ٢٧٥٩ والترمذي في السير ٢٠٣/٥ من تحفة الأحوذي برقم ١٦٢٩ وقال الترمذي : حسن صحيح ، ولهذا الحديث قصة تنظر في كتب الحديث .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٤٩/١ .

(٤) ليست هذه القراءة من السبع ، وقد ذكرها في البحر ٥١١/٤ وناقش النحاس في تخطئتها .

قال أبو جعفر : هذا خطأ من جهتين :

إحداهما : أن معنى عجَّزه ضعَّفه ، وضعَّف أمره .

والأخرى : أنه كان يجب أن يكون بنونين .

ومعنى أَعْجَزَه : سبقه وفاته حتى لم يقدر عليه[1] .

٥٩ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ ، تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾**[آية ٦٠]

قال عكرمة : القوةُ : ذكورُ الخيل : ورباطُ الخيل : إناثها[2] .

وقال غيره : القوةُ : السلاحُ . وَرَوى عُقْبَةُ بنُ عامرٍ أن رسول الله ﷺ قال : « ﴿ وأعِدُّوا لَهُمْ مَااستَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ أَلَا إنَّ القوة الرميُ »[3] .

٦٠ ــ **ثم قال عز وجل : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ .. ﴾**[آية ٦٠] .

أي وتُرهبون آخرين ، أي تخيفونهم .

---

(١) في الصحاح ٣٨٨/٣ : العجزُ : الضعف ، تقول عجزتُ عن كذا أعجِزُ بالكسر عَجْزاً ، وأعجزتُ الرجل : وجدتُه عاجزاً ، وأعجزه الشيء : فَاتَه ، والتعجيزُ : التثبيطُ ونسبته إلى العجز . اهـ.

(٢) الأثر ذكره الطبري في جامع البيان ٣٠/١٠ واختار أن القوة يراد بها السلاح ، وذكره السيوطي في الدر ١٩٢/٣ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ١٥٢٢/٣ برقم ١٩١٧ وفيه : ألا إن القوة الرمي ، وكررها ثلاثاً ، وأخرجه أبو داود في الجهاد ١٤/٣ برقم ٢٥١٤ وابن ماجه ٩٤٠/٢ برقم ٢٨١٣ وأحمد في المسند ١٥٦/٤ .

قال مجاهد : هم بنو قريظة[1] . وقال ابن زيد : هم المنافقون[2] وقيل : هم الجن . وقال السديّ : أهل فارس[3] .

٦١ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا .. ﴾** [آية ٦١] .

جَنَحُوا : مالُوا . وقال أبو عمرو : والسَّلْمُ : الصُّلحُ ، والسِّلْمُ : الإسلام .

وأبو عبيدةَ يذهب إلى أن السِّلْم ، والسَّلْمَ ، والسَّلَمَ : الصلحُ[4] .

٦٢ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوك .. ﴾** [آية ٦٢]

أي بإظهار الصلح ﴿ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ ﴾ أي : كافيك ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي : قوّاكَ وأَلَّفَ بين قلوبهم .

وهذه من الآيات العظام ، لأن أحدهم كان يُلْطَمُ اللَّطمةَ فيقاتل عنه حتَّى يستقيدها ، وكانوا أشدَّ خلقِ اللهِ حميَّةً ، فلمَّا بُعِثَ النبيُّ ﷺ ، كان أحدهم يقاتِلُ أخاهُ على الإسلام[5] .

حدثنا أبو جعفر ، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن محمد

---

(١) و (٢) و (٣) انظر الآثار عن مجاهد ، وابن زيد ، والسدي في الطبري ١٠/٣١ والبحر ٤/٥١٣ والدر المنثور ١٩٨٣ .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٢٥٠ .

(٥) لا شك أن تأليف القلوب ، مع ما كانوا عليه من العداوة والبغضاء ، من أعظم الآيات الربانية ، وانظر ما كتبه الإمام الزجاج في معاني القرآن ٢/٤٦٨ حول هذه الآية الكريمة ، وانظر أيضاً البحر المحيط ٤/٥١٤ فقد أجاد فيه وأفاد .

بالأنبار ، قال نا نَصْرُ بنُ عليّ ، قال حدَّثني أبي ، قال : حدثنا شُعبة ، قال أخبرنا بشير ابن ثابت من آل النعمان بن بشير في قوله ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدكَ بِنَصْرِهِ وبالمؤمنين ﴾ حتى بلغ ﴿ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ قال : نزلت في الأنصار[1] .

٦٣ ـ **وقولُه جل وعزّ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾** [آية ٦٤] .

أي : اللهُ يكفيك ويكفي من اتَّبعك[2] .

وقيل : المعنى : ومن اتَّبَعك ينصُرُك .

٦٤ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾** [آية ٦٥] .

التحريضُ : الحثُّ الشديد وهو مأخوذٌ من الحَرَضِ ، وهو المقاربة

---

(١) أخرجه ابن إسحق ، وابن أبي حاتم ، كما في الدر المنثور للسيوطي ٣/٢٠٠ وفي الصحيحين ما يؤيده فقد روي أن النبي ﷺ لما خطب في الأنصار ، بشأن غنائم حُنين ، قال لهم : « يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمنُّ.. ثم قال لهم : ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون بالنبي إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار .. » الحديث ، وانظر صحيح البخاري ٥/٢٠٠ .

(٢) هذا قول ابن عباس ، وابن زيد ، والأكثرين ، وهو الذي رجحه ابن الجوزي ، وابن كثير ، والطبري ، والقول الثاني هو قول مجاهد ، وانظر جامع البيان ١٠/٣٧ وزاد المسير ٣/٣٧٧ وتفسير ابن كثير ٤/٣٠ .

للهلاك[1] . أي حُثَّهم حتى يعلم من يخالف أنه قد قارب الهلاك .

٦٥ ـــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾** [آية ٦٥] .

قال ابن عباس : فُرِض على الرجل أن يقاتِل عَشَرة ، ثم سُهِّل عليهم ، فقال : ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ واللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ وكُتب عليهم أن لا يفرَّ مائة من مائتين[2] .

قال ابن شبرمة : وأنا أرى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، كذا[3] .

وروى الأعمشُ ، عن مَرْو بنِ مُرَّةَ ، عن أبي عُبيدةَ ، عن عبد الله قال : « لمَّا كان يومُ بدرٍ ، جيء بالأسرى فقال رسول الله ﷺ :« ما تَرَوْنَ في هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر : يارسول الله : قومُك وأصلُك ، استَبْقِهم ، فلعلَّ اللهَ يتوبُ عليهم !! فقال عمر :

---

(١) قال في المصباح ١٤١/١ : حَرَضَ حَرَضاً من باب تَعِب : أشرف على الهلاك فهو حَرِض ، وحرَّضتُه على الشيء تحريضاً . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ٣٨/١٠ وابن كثير في تفسيره ٣١/٤ والسيوطي في الدر ٢٠٠/٣ وعزاه إلى البيهقي في شعب الإيمان ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .. أقول : وهو في البخاري ٧٩/٦ ولفظه : عن ابن عباس قال : « لما نزلت ﴿ إن يكنْ منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ﴾ شقَّ ذلك على المسلمين ، حين فُرض عليهم ألا يفر واحد من عشرة ، فجاء التخفيف فقال تعالى ﴿ الآن خفف عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ﴾ قال : فلما خفف عليهم من العِدَّة ، نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم » .

(٣) الأثر عن ابن شبرمة أخرجه السيوطي في الدر ٢٠٠/٣ ولفظه قال : « وأرى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر مثل هذا ، إن كانا رجلين أمرهما ، وإن كانا ثلاثة فهو في سعة من تركهم » .

يا رسول الله كذَّبوك ، وأخرجوكَ ، وقاتلوك ، قدِّمهم فاضربْ أعناقهم » وذكر الحديث[1] ، وقال فيه فأنزل الله :

٦٦ ـ ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ ..** ﴾ [آية ٦٧] .

قال مجاهد : الإثخانُ : القتلُ .

وقيل ﴿ حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ ﴾ حتى يُبالغ في قتل أعدائه[2] .

وقيل : حتى يتمكَّن في الأرض .

والإثخان في اللغة : القوَّة والشدَّةُ[3] .

٦٧ ـ **وقوله جل وعزّ ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾** [آية ٦٨] .

فيه أقوال :

قال مجاهد : سَبَقَ من اللهِ أن أحلَّ لهم الغنائم[4] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣٨٣/١ والترمذي في التفسير ٤٧٦/٨ تحفة الأحوذي وقال الترمذي : حديث حسن ، ورواه الحاكم في المستدرك ٢١/٣ وقال : صحيح الإسناد .

(٢) هذا قول الطبري في جامع البيان ٤٢/١٠ وهو قول أكثر المفسرين ، قالوا الإثخان : المبالغة في القتل .

(٣) قال الزجاج في معانيه ٤٧٠/٢ : والإثخان في كل شيء : قوة الشيء وشدته ، يقال : قد أثخنه المرض : إذا اشتدت قوته عليه ، والمراد حتى يبالغ في قتل أعدائه . اهـ . وانظر زاد المسير ٣٨٠/٣ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٤٥/١٠ وهو قول الأعمش أيضاً ، وأخرجه ابن الجوزي ٣٨١/٣ وذكره ابن عطيه في المحرر ٣٨٢/٦ وقال : هو قول الحسن ، وابن عباس ، وأبي هريرة .

وقال أبو جعفر : ويُقوِّي هذا أنه روى أبو صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « ما أُحِلَّتْ الغنائمُ لقومٍ سود الرؤوسِ قبلنا ، كانت تنزل نارٌ من السماء فتأكلها ، فلما كان يوم بدر وقع الناس فيما وقعوا فيه ، فأنزل اللهُ جلَّ وعز ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ ﴾ إلى قوله ﴿ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1] .

وقيل : سبق من الله جل وعز : أنه يغفر لأهل بدر ، ما تقدَّم من ذنبهم وما تأخرّ ، قال ذلك الحسن[2] ، رواه عنه أشعث .

وروى عنه سفيان بن حسين أنه قال : سبق من الله جل وعزّ أنْ لا يعذِّب قوماً إلا بعد تقدِمةٍ ، ولم يكن تقدم إليهم فيها[3] .

وَرَوَىٰ سالم عن سعيد بن جبير ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ ﴾ قال : لأهل بدرٍ من السعادة ﴿ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ ﴾ من الله عذاب عظيم[4] .

وقيل : سبق من الله أنه يغفر الصغائر ، لمن اجتنب الكبائر[5] .

(١) الحديث أخرجه بهذا اللفظ الطبري في جامع البيان ٤٥/١٠ وأصله في الصحيحين بلفظ « أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأُحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي .. » الحديث .

(٢) انظر الأثر في جامع البيان ٤٧/١٠ وفي الدر المنثور ٢٠٣/٣ .

(٣) و (٤) و (٥) انظر أقوال السلف والآثار في جامع البيان للطبري ٤٦/١٠ وفي الدر المنثور ٢٠٣/٣ وفي البحر المحيط ٥١٩/٤ وفي زاد المسير لابن الجوزي ٣٨١/٣ .

٦٨ ـــ **وقوله جل وعزّ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَـنْ فِي أَيْدِيكُـمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَـمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُـمْ خَيْـرَاً يُؤْتِكُـمْ خَيْـرَاً مِمَّـا أُخِـذَ مِنْكُـمْ .. ﴾** [آية ٧٠] .

قيل : في الآخرة . وقيل يُعوِّضكم في الدنيا .

ورُوي عن العباس أنـه قال : « أُسرتُ يومَ بدرٍ ومعـي عشرون أوقيـة ، فَأُخِـذتْ منِّـي ، فعوَّضنـي اللهُ عشريـن عبـداً ، ووعـدني المغفرة[1] » .

٦٩ ـــ **وقوله جلَّ وعزّ ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْـلُ .. ﴾** [آية ٧١] .

« خيانتك » أي نقضِ العهد .

٧٠ ـــ **وقولُه جل وعزّ : ﴿ إِنَّ الذِينَ آمَنُوا ، وَهَاجَرُوا[2] وَجَاهَدُوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴾** [آية ٧٢] .

---

(١) الأثـر أخرجـه ابـن جريـر في تفسيره ١٠/٤٩ ورواه ابـن أبي حاتم ، وابـن مردويـه ، والبيهقـي في الدلائل ، وابن عساكر ، ولفظه عن ابن عباس قال : « كان العباس رضي الله عنه قد أُسر يوم بدر ، فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب ، فقال حين نزلت ﴿ يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى ﴾ لقد أعطاني الله خصلتين ، ما أحب أن لي بهما الدنيا : إني أسرت يوم بدر ، ففديت نفسي بأربعين أوقية ، فأعطاني الله أربعين عبداً ، وإني أرجو المغفرة التي وعدنا الله » وانظر الدر المنثور ٣/٢٠٥ وروى البخاري ٥/١٠٩ عن أنس أن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ فقالوا : ائذن لنا فلنترك لابن أختنا العباس فداءه ، قال : والله لا تذرن منه درهماً .

(٢) وقع في المخطوطة زيادة لفظ « والذين هاجروا » والنص القرآني ما أثبتناه « وهاجروا » .

قيل : إنه يقال : هاجر الرجل ، إذا خرج من أرض إلى أرض .

وقيل : إنما قيل هَجَرَ ، وهَاجَرَ فلانٌ ، لأن الرجل كان إذا أسلم هَجَرَهُ قومه وهَجَرهم ، فإذا خاف الفتنة على نفسه رَحَل عنهم ، فسمِّي مسيرُه هِجْرَة[1] .

وقيل : هاجر ، لأنه كان على هجرته لقومه وهجرتهم له فهو مهاجرٌ ، هجر دار قومه ووطنه وارتحل إلى دار الإسلام ، وهما هجرتان . فالمهاجرون الأولون الذين هاجروا إلى أرض الحبشة والآخرون الذين هاجروا إلى المدينة إلى وقت الفتح .

وانقطعت الهجرة ، لأن الدارَ كلَّها دار الإسلام ، فلا هجرة[2] ، وهذا قول أهل الحديث ومن يوثق بعلمه .

٧١ ـ وقوله جل وعزّ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهُاجِروا[3] مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيءٍ .. ﴾ [آية ٧٢] .

---

(١) في الصحاح ٨٥١/٢ : الهَجْرُ ضدُّ الوصلِ ، وقد هَجَره ، هَجْراً ، وهِجْراناً ، والاسم الهِجْرةُ ، والهجرتان : هِجْرةٌ إلى الحبشة ، وهِجْرةً إلى المدينة ، والمهاجرةُ من أرضٍ إلى أرضٍ : تركُ الأولى للثانية .

(٢) أشار المصنف إلى ما رواه البخاري في المغازي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية » الحديث ، يريد بالفتح فتح مكة ، لأنه يفتحها دخل الناس في دين الله أفواجاً ، وأصبحت جميع الجزيرة العربية دار الإسلام ، فلا هجرة كما قال أهل الحديث .

(٣) في المخطوطة نقص فقد وردت الآية بلفظ « والذين لم يهاجروا » وصوابه ما أثبتناه كما هو النص القرآني ﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء ﴾ .

أي من نُصرتهم ووراثتهم .

قال قتادة : كان الرجلُ يؤاخي الرجل ، فيقول : ترثنـي وأرثك ، ثم نسخ ذلك بقوله تعـالى ﴿ وَأُولُـوا الأَرْحَـامِ بَعْضُهُـمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ[1] ﴾ .

٧٢ ــ ثم قال عز وجـل ﴿ وَالَّذِيـنَ كَفَـرُوا بَعْضُهُـمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ .. ﴾[2] [آية ٧٣] .

ومعنى « إِنْ لَا تَفْعَلُوهُ » إن لا تفعلوا النَّصرَ والموالاة[3] .

وروى ابـن أبي طلحـة عن ابـن عبـاس ﴿ إِلاَّ تَفْعَلُـوهُ ﴾ قال : يقول إلاَّ تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به[4] .

وقال ابن زيد : أي إلا تتركوهم يتوارثون على ما كانوا[5].

قال مجاهد : هذا منسوخٌ ، نَسَخَه ﴿ وَأُولُـوا الأَرْحَـامِ بَعْضُهُـمْ

---

(١) الأثر عن قتادة أخرجه الطبري في جامع البيان ٥٣/١٠ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٦/٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وعبد بن حميد ، وعبد الرازق ، وابن أبي حاتم .

(٢) سقـطت الآية من المخطوطـة ، وأثبتنـاها لضرورة فهـم الترابـط ، بين الآية وبين معنـى « إلا تفعلوه » .

(٣) هذا هو الأظهر والأشهر ، أن الضمير يعود إلى الموالاة والمناصرة ، وهو اختيار الطبري ، وقول ابـن جريج ، وإليه ذهب الأكثرون ، والمعنى : إلا تفعلوا ما أمرتكم به من النصرة والتعاون في الديـن ، والتبرىء من المشركين ، تكـن فتنـةٌ في الأرض وفساد كبير ، وانظر جامـع البيـان ٥٦/١٠ وزاد المسير ٣٨٦/٣ .

(٤) و (٥) انظر جميـع هذه الآثار عن السلـف في جامـع البيـان للطبري ٥٥/١٠ وزاد المسـير لابـن الجوزي ٣٨٦/٣ وتفسير ابـن كثير ٤٠/٣ والبحـر المحيـط ٥٢٢/٤ واختـار ابـن عطيـة في المحرر الوجيز ٣٩١/٦ أن ذلك عام في الموارثة ، والمعاونة ، والنصرة ، والله أعلم .

أَوْلى بِبَعضٍ ﴾[1] .

ورُوِي عن عبدالله بن الزبير أنه قال : هذا في العَصَبات ، كان الرجل يعاقد الرجل على أن يتوارثا ، فنسخ ذلك[2] ، وقيل نسخته الفرائض .

وأكثرُ الرواة على أن الناسخ له ﴿ وأُولوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ ﴾ الآية .

وروى سفيانُ عن السُدِّي عن أبي مالك قال : قال رجل : نورِّثُ أرحامنا المشركين فنزلتْ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾[3] . وَرَوَىٰ يونس عن الحسن قال : « كان الأعرابي لا يرثُ مهاجراً حتى نزلت ﴿ وأُولوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ في كِتَابِ اللهِ ﴾ فقد تبيَّن أن معنى الآية أنَّ أهل الأرحام يتوارثون بأرحامهم ، دون الذين حالفوهم ، ونسخ ذلك ما كان قبلَه من التوارث بالمخالفة »[4] .

انتهت سورة الأنفال

● ● ●

---

(١) و (٢) و (٣) المرجع السابق .

(٤) الأثر عن الحسن أخرجه الطبري في جامع البيان ١٠/٥٣ وهو قول ابن عباس وأخرج السيوطي في الدر المنثور ٣/٢٠٧ والحاكم وصححه عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : « أنزل الله فينا خاصة معشر قريش والأنصار ﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض ﴾ وذلك أنا معشر قريش ، لما قدمنا المدينة قدمنا ولا أموال لنا ، فوجدنا الأنصار نعم الإخوان ، فواخيناهم وتوارثنا ، فآخى أبو بكر رضي الله عنه « خارجة بن زيد » وآخى عمر رضي الله عنه فلاناً ، وآخى عثمان رضي الله عنه رجلاً من بني زريق .. قال الزبير : وواخيت أنا « كعب بن مالك » ووارثونا ووارثناهم ، فلما كان يوم أحد قيل لي : قُتل أخوك « كعب بن مالك » فجئته فانتقلته فوجدت السلاح قد ثقله فيما نرى ، فوالله يا بني لو مات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري ، حتى أنزل الله هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة ، فرجعنا إلى مواريثنا » .



تفسير سورة التوبة

مدنية وآياتها ١٢٩ آية



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التوبة وهي مدنية[1]

قال سعيد بن جبير : سألت ابن عباس عن سورة براءة فقال : تلك الفاضحة ، ما زال ينزل « وَمِنْهُمْ » « ومِنْهُمْ » حتى خفنا ألّا تدع أحداً[2] .

وقال يزيد الفارسي عن ابن عباس : سألتُ عثمان بن عفان ـــ رحمة الله عليه ـــ لِمَ عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ، وإلى براءة وهي من المِئين ، فجمعتم بينهما ، ولم تفصلوا بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم ، وجعلتموها مع السبع الطِّول[3] ؟ فقال مكث رسول الله ﷺ زماناً ، تنزل عليه السورة ذات العدد ـــ وفي بعض الروايات ذاتُ الآيات ـــ وربما سألته فيقول : « ألحقوها في موضع كذا » وهي تشبه قصة كذا ، وكانت براءة من آخر ما نزل ، وذهب عني أن أسأله عنها ، فوقَعَ بقلبي أنها شبهُ سورةِ الأنفال ، فجعلتها تليها ، ولم

---

(١) قال في البحر ٤/٥ : هذه السورة مدنية كلها إلا آيتين من آخرها ، فإنهما نزلتا بمكة ، قال : وهذا قول الجمهور . اهـ. وهكذا حكاه ابن الجوزي في زاد المسير ٣/٣٨٨ والآيتان هما ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم .. ﴾ إلى آخر السورة ، قال البخاري ٦/٨٠ عن البراء قال : آخر سورة نزلت براءة .

(٢) الأثر أخرجه ابن المنذر ، وابن مردويه ، وأبو الشيخ كما ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٢٠٨ وأخرجه ابن الجوزي في زاده ٣/٣٨٩ قال : « وسُميت الفاضحة لأنها فضحت المنافقين ، وما كادت تدع منهم أحداً » .

(٣) هكذا ورد في المخطوطة « السبع الطِّول » وفي الدر المنثور « السبع الطِّوال » أقول : والمرادُ بها : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والتوبة ، سميت السبع الطوال لكثرة عدد آياتها ، فهي أطول سور القرآن ، كما أن الجزء الأخير من القرآن العظيم قد حوى قصار السور .

أفصل بينهما بـ « بسم الله الرحمن الرحيم »[1] .

قال أبو جعفر : قال أبو إسحاق : حدثني بعضُ أصحابنا عن صاحبنا « محمد بن يزيد »[2] أنه قال : لم يكتب في أول براءة « بسم الله الرحمن الرحيم » لأن « بسم الله » افتتاح خيرٍ ، وبراءةُ أولها وعيدٌ ، ونقضٌ للعهود ، فلذلك لم يُكتب في أولها « بسم الله »[3] .

١ ــ **قال أبو جعفر** : ومعنى براءة : تبرُّؤٌ من الله ورسوله[4] ﴿ **إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ..** ﴾ [آية ٢] .

أي : فيقال لهم : سيحوا في الأرض ، أي اذهبوا وجيئوا آمنين ، أربعة أشهر ، ثم لا أمانَ لكم بعدها[5] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٥٧/١ ورواه الترمذي ٤٧٧/٨ برقم ٤٠٨١ من تحفة الأحوذي ، وقال : حديث حسن ، وأبو داود في كتاب الصلاة ٢٠٨/١ برقم ٧٨٦ والحاكم في المستدرك ٣٣٠/٢ وقال : صحيح الإسناد ، والسيوطي في الدر ٢٠٧/٣ وقد ضعَّف هذا الحديث أحمد شاكر في تعليقه على المسند ٣٩٩/١ وقال : في إسناده نظر كثير ، بل هو عندي ضعيف جداً بل هو حديث لا أصل له ، يدور إسناده في كل رواياته على « يزيد الفارسي » وهذا يكاد يكون مجهولاً .. إلخ . فانظره فيه فإنه الحقُّ ، والحديث ضعيف ، والله الموفق .

(٢) محمد بن يزيد هو الإمام المبرِّد أحد أعلام اللغة ، وقد تقدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٣) هذا هو المشهور أن ترك التسمية لأن السورة بدأت بالعذاب ، والوعيد والتهديد ، وقطع العلاقات مع ناقضي العهود ، والتسميةُ رحمة ، ولا تناسب بين الرحمة والعذاب ، هذا خلاصة قول السلف ، قال محمد بن الحنفيَّة : قلت لأبي ــ يعني علي بن أبي طالب ــ لِمَ لمْ تكتبوا في « براءة » بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال يا بُنيَّ : إن براءة نزلت بالسيف ، لأن التسمية رحمة ، والرحمة أمان ، وهذه السورة نزلت في المنافقين . اهـ. وانظر زاد المسير ٣٩٠/٣ .

(٤) قال الزجاج ٤٧٣/٢ : يُقال : برئتُ من الرجل والدَّيْن براءةً ، وبرئتُ من المَرَض بُرْءَاً ، والمعنى قد برئ الله من إعطائهم العهود والوفاء لهم بها ، لأنهم نكثوا في عهودهم .

(٥) قال في الصحاح : ساحَ في الأرض يسيح سياحةً وسيوحاً : أي ذهب . اهـ.

قال مجاهد وقتادة : الأربعة الأشهر : عشرون من ذي الحجة ، والمحرَّم ، وصفر ، وشهر ربيع الأول ، وعشرٌ من شهر ربيع الآخر[1] .

وقال الزهـــري : هنّ شوال ، وذو القعـــدة وذو الحجـــة ، والمحرم[2] .

٢ ــ **ثم قال عز وجل : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ .. ﴾** [آية ٢] .

أي : وإن أُجِّلتم هذا الأجل ، سيُنصَرُ المسلمونَ عليكم .

٣ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ .. ﴾** [آية ٣] .

الأذانُ : الإعلامُ[3] .

روى شُعبةُ عن الحَكَم ، عن يحيـى بن الجزار ، قال : خرج عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه إلى العيد ، راكباً على دابة ، فلقيه رجلٌ ، فقال له ــ وأخذ بلجامه ــ ما يومُ « الحجِّ الأكبر » ؟ فقال :

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٦٢/١٠ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٩٤/٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٩/٣ ورُوي عن ابن عباس أنها الأشهر الحُرم « رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم » .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٦٢/١٠ وابن كثير ٤٦/٤ وقال الحافظ ابن كثير : وهذا القولُ غريب ، وكيف يُحاسبون بمدة لم يبلغهم حكمها ، وإنما ظهر لهم أمرها يوم النحر ؟

(٣) في الصحاح ٢٠٦٨/٥ : الأذانُ : الإعلامُ ، ومنه أذانُ الصَّلاةِ ، وأَذِن بمعنى عَلِمَ ، قال تعالى ﴿ فأْذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ .

هو يومُك الذي أنتَ فيه ، خلِّ عنها[1] .

وكذلك رُوي الحديث عن علي .

ورَوَى شعبةُ عن سليمان بن عبد الله بن سِنَان قال : سمعتُ المغيرةَ بن شعبة يخطب على المنبر ، وهو يقول : يومُ « الحجِّ الأكبر » يومُ النحر[2] .

وروى سفيان عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن شدَّاد ، قال : « الحجُّ الأكبرُ : يومُ النحرِ والحجُّ الأصغرُ : العمرةُ »[3] .

وقال عبد الملك بن عمير سألت عبد الله بن أبي أوفى عن يوم الحج الأكبر فقال : « يومَ تُهرقُ فيه الدِّماءُ ، ويُحلق فيه الشَّعرُ »[4] .

وروى حماد بن يزيد عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : « يومُ الحج الأكبر ، يوم النَّحر »[5] وكذلك قال ابن عمر .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ٧٠/١٠ بهذا اللفظ ، وهذا هو رأي جمهور المفسرين ، أن الحجَّ الأكبر هو يوم النحر ، ويؤيده ما أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ١٢٤/٤ عن أبي هريرة قال : « بعثني أبو بكر رضي الله عنه فيمن يؤذِّن يوم النحر بمنى : لا يحجُّ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ويوم الحج الأكبر يومُ النحر ، وإنما قيل : الأكبر من أجل قول الناس الحج الأصغر ، فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام ، فلم يحج عام حجة الوداع الذي حج فيه رسول الله ﷺ مشرك » صحيح البخاري ، وقال الزجاج : يومُ الحج هو يوم عرفة ، وقيل : الحج الأصغر العمرة .. معاني الزجاج ٤٧٥/٢ .

(٢) و (٣) و (٤)هذه الآثار كلها ذكرها المفسرون ، ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان ٦٩/١٠ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٩٦/٣ وابن كثير في تفسيره ٥١/٤ وابن عطيه في المحرر الوجيز ٤٠٣/٦ والسيوطي في الدر ٢١١ .

ورَوَى غير سِمَاك ، عن عِكْرَمَةَ ، عن ابنِ عبَّاس قال : هو يوم عرفة[1] .

وروى ابن جُريج ، عن ابنِ طاووس ، عن أبيه قال : هو يوم عرفة[2] .

وكذا قال مجاهد .

وقال ابن سيرين : الحجُّ الأكبر : العامُ الذي حجَّ فيه النبيُّ ﷺ اتفق فيه حجُّ المِلَلِ[3] .

قال أبو جعفر : وأولاهَا القولُ الأوَّل لِجِلَّةِ[4] مَنْ قالَه .

ويدلُّ على صحته ، حديث الزُّهري عن حُميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرةَ « بعثني أبو بكر رضي الله عنه ، فيمن

(١) و (٢) ينظر تخريجها في التعليقة الأخيرة من الصفحة السابقة .

(٣) الأثر أخرجه الطبري من قول الحسن ٧٥/١٠ والسيوطي في الدر ٢١١/٣ عن ابن عون ولفظه قال : سألتُ محمداً عن يوم الحج الأكبر ، كان يوم وافق فيه حجُّ رسول الله ﷺ وحَجُّ أهل المِلَل » اهـ. وفي القرطبي ٧٠/٨ عن ابن سيرين : « وحجَّت معه فيه الأمم » وهو أصوبُ مما في المخطوطة « اتفق فيه حجُّ المِلَل » فإن أهل الملل حجُّوا مع أبي بكر ، لا مع رسول الله عليه السلام ، وقد ضعَّف ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز ٤٠٥/٦ هذا القول ، أنه سمي بالحج الأكبر ، لأنه حجَّ ذلك العام المسلمون والمشركون ، وصادف أيضاً عيد اليهود والنصارى .. إلخ . قال : وهذا ضعيف أن يصفه الله تعالى في كتابه بالكبر لهذا ، لأن فيه تعظيم الشرك والمشركين . .

(٤) قوله لجلة أي لجلالة قدر من قاله من الصحابة والتابعين .

أذَّن يومَ النَّحر بمنى ، ألَّا يحُجَّ بعدَ هذَا العامِ مُشركٌ »[1] .

وأيضاً فإن عرفات قد يأتيها النَّـاسُ ليـلاً ، وقـولُ النبـي ﷺ في حجة الوداع : أيُّ يوم أَحْـرَمُ ؟ قالـوا : يوم الحجِّ الأكبر ، قال : « فإنَّ دمـاءكم ، وأموالكـم ، وأعراضكـم ، عليكـم حرامٌ ، كحرمـةِ يومكـــم هذا »[2] .

فدل على أنه يوم النحر ، لأن منىً من الحرم ، وليـست عرفـات منه ، وقول ابنُ سيرين غَلَطٌ ، لأن المسلمين والمشركين حجُّـوا قبـل ذلك بعامٍ ، ونُودي فيهم أن لا يحجَّ بعد ذلك مشرك[3] .

وقـد يجوز أن يكـون النِّـــدَاءُ كان بمنـــى ، وعرفـــات ، فيصحُّ القولان .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٧٢/١٠ والسيوطي في الدر ٢١١/٣ وقد تقـدمت روايتـه في صحيح البخاري في كتاب الجهاد ١٢٤/٤ .

(٢) هذا طرف من حديث رواه البخـاري في كتـاب الحج ٢١٥/٢ ولفظـه عن ابـن عبـاس أن رسول الله ﷺ « خطب النَّاسَ يوم النحر ، فقال : يا أيها النـاسُ ، أي يومٍ هذا ؟ قالـوا : يومٌ حرام ، قال : فأيُّ بلدٍ هذا ؟ قالـوا : بلـدٌ حرام ، قال : فأيُّ شهـرٍ هذا ؟ قالـوا : شهـر حرام ، قال : فإن دماءكم ، وأموالكـم ، وأعراضكـم عليكـم حرام ، كحرمـة يومكـم هذا ، في بلـدكم هذا ، في شهركم هذا ، اللهمَّ هل بلغت ؟ اللهُّم هل بلَّغت ؟ قال ابن عبـاس : فوالـذي نفسي بيـده ، إنها لوصيته إلى أمته ، فليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ » وأخرجه مسلم برقـم ١٦٧٩ وأبـو داود برقـم ١٩٤٧ وأحمد في المسند ٣٧/٥ .

(٣) العام الذي حجَّ فيه رسول الله ﷺ لم يكن فيه مشرك ، وإنما كان ذلك في العام قبلـه وهـو العـام الذي كان فيه أبو بكر الصديق أمير الحج .

٤ ـ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ إلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ ، ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً .. ﴾** [آية ٤] .

وقرأ عطاءُ بنُ سِنَان « ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوكُمْ شَيْئاً »[١] .

يُقال : إنَّ هذا مخصوصٌ ، يُراد به « بنو ضَمْرَة » خاصة ، ثم قال : ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ ﴾ أي وإن كانت أكثر من أربعة أشهر .

وقوله جلَّ وعز : ﴿ وخُذُوهُمْ ﴾ أي أْسِرُوهم ، ويقال للأسير : أَخِيذٌ[٢] ، ﴿ وَاحْصُرُوهُمْ ﴾ أي احبسوهم[٣] .

٥ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ، فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ .. ﴾** [آية ٦] .

أي استجارك من القتل حتى يسمع كلامَ الله ، فَأَجِرْهُ .

٦ ـ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ .. ﴾** [آية ٧] .

أي فما أقاموا على العهد ولم ينقضوه ، فأَوْفوا لهم .

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٨٣/١ .

(٢) في البحر ١٠/٦ : « وخذوهم » عبارةٌ عن الأسر ، والأخيذُ : الأسيرُ . وانظر الصحاح ٥٧٨/٢ .

(٣) معنى الحصر في اللغة : الحبسُ ، ومنه قوله تعالى ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾ أي حبساً وسجناً .

٧ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ .. ﴾** [آية ٨] .

معناه : كيفَ يكون لهم عهد ، وإن يظهروا عليكم ، لا يرقبوا فيكم إلَّا ولا ذمةً ؟[١].

رَوى سفيان عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : أَلْإِلُّ : اللهُ جلَّ وعز[٢] .

وَرَوى ابن جريج عن مجاهد ، قال : الْإِلُّ : العَهْدُ[٣] .

وقال أبو عبيدة : الْإِلُّ : العهدُ ، والذِّمَّةُ : التذمُّمُ[٤] .

وقال قتادة : الحلفُ ، والذمَّةُ : العهدُ[٥] .

وقال الضحاك : الْإِلُّ : القرابةُ ، والذمةُ : العهد[٦] .

---

(١) يريد أن في اللفظ تقديماً وتأخيراً ، وهذا ما ذهب إليه الزجاج في معانيه ٢/٤٧٦ حيث قال : المعنى : إن طلب منك أحدٌ منهم أن تُجيره من القتل ، إلى أن يسمع كلام الله ، فأجِرْه ثم أبلغه مأمنه .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ١٠/٨٣ وابن الجوزي ٣/٤٠٢ والمعنى على هذا القول : لا يرقبون الله فيكم ، قال ابن عطية في المحرر ٦/٤١٨ : يجوز أن يراد بالإلِّ الله عز وجل ، ومنه قول أبي بكر حين سمع كلام مسيلمة : هذا كلام لم يخرج من إلٍّ .

(٣) الأثر ذكره الطبري ١٠/٨٤ وأبو حيان في البحر المحيط ٥/١٣ قال : « من رأى إنَّ الإلَّ هو العهد ، جعله والذمَّة لفظين لمعنى واحد ، أو متقاربين ، ومن رأى أن الإلَّ غير العهدِ ، فهما لفظان متباينان » . اهـ.

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١/٢٥٣ .

(٥) الأثر في الطبري ١٠/٨٤ وتفسير ابن كثير ٤/٥٨ وتفسير ابن الجوزي ٣/٤٠٢ .

(٦) الأثر في الطبري عن قتادة ١٠/٨٤ واختار الطبري أن تكون الكلمة شاملة للعقد ، والحلف ، والعهد ، والقرابة .

قال **أبو جعفر** : وهذا أحسنها ، والأصلُ في هذا أنه يُقال : أُذُنٌ مِؤَلَّلَةٌ أي محدَّدةٌ . والأَلَّةُ : الحَرْبَةُ[1] ، فإذا قيل للعهد إلٌّ : فمعناه أنه قد حُدِّد ، وإذا قيل للقرابة فمعناه إن أحدهما يَحادُّ صاحبَهُ ويقاربه ، وأنشد أهلُ اللغة :

لَعَمْـــــرُكَ إنَّ إلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ
كَإلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَـــامِ[2]

فأما ما رُوي عن أبي مِجْلَز[3] ، ومجاهد ، أن الإلَّ : اللهُ جلَّ وعزَّ فغيرُ معروفٍ ، لأنَّ أسماء اللهِ جل وعز معروفةٌ ، والذمَّةُ : العهدُ

---

(١) في الصحاح ٦٢٦/٤ : الإلُّ بالكسر : العهدُ والقرابة ، والأَلُّ بالفتح جمع أَلَّة وهي الحربة في نَصْلها عِرَضٌ ، ويُجمع أيضاً على إلال كخفنة وجِفان ، وألَّلْتُ الشيء تأليلاً : أي حدَّدت طرفه . اهـ.

(٢) البيت لحسان بن ثابت وهو في ديوانه١ /٣٩٤ وفي الصحاح، واللسان ، وتفسير القرطبي ٧٩/٨ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٠٢/٣ ، والسَّقْبُ : ولد الناقة ساعة يُولد ، والرَّأْلُ : ولد النعام ، يقول في هجاء أبي سفيان ــ قبل إسلامه :

ما قرابتك في قريش إلَّا كقرابة الفصيل من ولد النَّعام

أي لست منهم في نسب .

(٣) « أبو مجلز » هو « لَاحِقُ بن حُمَيْد السدوسي » قال العجلي : بصري ، تابعي ، ثقة ، مات سنة ١٠١هـ وانظر ترجمته في التهذيب ١٧١/١١ .

(٤) قال الزجاج في معانيه ٤٧٩/٢ : قيل : الإلُّ اسم من أسماء الله ، وهذا عندنا ليس بالوجه ، لأن أسماء الله معروفة معلومة ، ١٧٢/١١ كما سمعت في القرآن ، وتُليت في الأخبار ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ فالداعي يقول : يا ألله ، يا رحمن ، يا مؤمن ، يا مهيمن ، ولم يُسمع يا إلُّ في الدعاء .

قولٌ معروف ، ومنه أهل الذمة ، إنما هم أهل العهد ، وتذممتُ أن أفعلَ : استحييْتُ ، فصرتَ بمنزلة من عليه عهدٌ .

٨ ـ **وقولُه جل وعز : ﴿ فَإِنْ تَابُوا ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوا الزَّكَاةَ ، فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ .. ﴾** [آية ١١] .

أي فهم مثلكم ، قد غفر لهم نقضهم العهدَ ، وكفرهم .

٩ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ ﴾** [آية ١٢] .

أي نقضوا وطعنوا في دينكم ﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكُفْرِ ﴾ أي رؤساءَهُ(١) .

وقيل : هذا يوجبُ القتلَ ، على من طَعَنَ في الإسلام ، وإن كان له عهدٌ ، لأن ذلك ينقضُ عهدَهُ(٢) .

١٠ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾** [آية ١٢] .

رُوي عن عمار بن ياسر أنه قال : أي لا عهد لهم . وقرأ

---

(١) المراد صناديد الكفر والطغيان ، الذين يفتنون المؤمنين عن الإيمان .

(٢) المسألة خلافية فعلماء أهل الكوفة يقولون : لا يُقتل من طعن في الدين ، لأن ما عليه من الشرك أعظم ، وأكثر العلماء قالوا : من سبَّ النبيَّ أو استخفَّ بقدره يُقتل ، لأنَّا لم نعطه الذمة والعهد على هذا ، وانظر الأدلة في القرطبي ٨/٨٣ .

الحسنُ [لا إيمانَ لهم][1] .

قال أبو جعفر : وقراءتُهُ تحتمل معنيين :

أحدهما : لا إسلام لهم على النفي ، كما تقول لا علم له .

والمعنى الآخر : أي يكون مصدراً من قولك : آمنتُهُ إيماناً ، أي لا تؤمِّنوهم ولكن اقتلوهم[2] .

١١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَهُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ .. ﴾ [آية ١٣] .

قال مجاهد : قَاتَلوا حُلفاءَ رسول الله[3] . ثم قال : ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ﴾ ؟ أي أتخشون عاقبتهم ؟ ﴿ فاللهُ أحَقُّ أنْ تَخْشَوْهُ ﴾ أي تخشوا عاقبته . ثم وعدهم النَّصر ، وذلك من علامات النبوة ، فقال : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بَأَيْدِيكُمْ ، وَيُخْزِهِمْ ، وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ فدلَّ بهذا على أن غيظهم كان قد اشتد .

---

(١) هذه من القراءات السبع ، وهي قراءة ابن عامر ، وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٣١٢ .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٢/٤٨٣ .

(٣) كان النبي ﷺ قد صالح قريشاً عام الحديبية على وضع الحرب عشر سنين ، فدخلت خُزاعة في عهد رسول الله ﷺ ، ودخل بنو بكر في عهد قريش ، فعدَت بنو بكر على خُزاعة حلفاء الرسول ونقضوا عهدهم ، فخرج جماعة من خزاعة يستنجدون برسول الله عليه الصلاة والسلام ، وأنشده عمرُو بن سالم قصيدته المشهورة :

يا ربِّ إنِّي نَاشِدٌ مُحمَّداً ... حِلْفَ أبينَا وأبيهِ الأتْلَدَا
إن قريشاً أخلفوكَ المَوْعِدَا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا

.... إلى آخرها .

قال مجاهد يعني خزاعة حُلفاء رسول الله ﷺ[1] .

١١ ـ ثم قال جل وعز ﴿ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ .. ﴾ [آية ١٥] .

وهذا منقطع مما قبله[2] .

١٣ ـ وقوله جل وعز ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا .. ﴾ [آية ١٦] .

وذلك أنهم لما أُمروا بالقتال ، تبيَّن نفاقُ المنافقين[3] .

١٤ ـ ثم قال جل وعز ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ .. ﴾ [آية ١٦] .

وقد عَلِمَ ذلك عِلْمَ غيب ، وإنما تقع المجازاة على العِلْمِ المشاهد[4] .

١٥ ـ ثم قال جل وعز ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ ، وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً .. ﴾ [آية ١٦] .

---

(١) انظر الأثر في جامع البيان ٩١/١٠ وتفسير ابن الجوزي ٤٠٦/٣ وتفسير ابن كثير ٦٠/٤ .

(٢) أي ليس هذا جواباً للشرط ، ولو كان جواباً للشرط لكان مجذوماً لا مرفوعاً ، قال الطبري ٩١/١٠ : هو خبر مبتدأ ، ولذلك رُفع ، وجُزِم ما قبله على وجه المجازاة ، كأنه قال : قاتلوهم ، فإنكم إن تقاتلوهم ، يعذبهم الله بأيديكم .. إلخ . ثم ابتدأ فقال ﴿ ويتوب الله على من يشاء ﴾ .

(٣) قال الطبري ٩٢/١٠ والمعنى : أحسبتم أن تتركوا بغير اختبار ، يُعرف به أهل ولايته ، من المضيِّعين أمر الله !؟

(٤) نبَّه المصنف على أنَّ علم الله أزلي ، فلا يحتاج الله إلى امتحان العباد ليعلم المؤمن من المنافق ، وإنما هو للمجازاة على العمل ، حتى لا يبقى للإنسان عذر عند الله تعالى ، فهم علم إبداء ، لا علم بَدَاء ، أي علم كشف للخلق لا علم ظهور للخالق .

الوليجةُ : البطانـة ، من وَلَـجَ ، يَلِـجُ ، وُلُوجـاً : إذا دخـل[1] ، فالمعنى : دخيلةَ مودَّةٍ ، من دون الله ورسوله .

١٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللهِ .. ﴾** [آية ١٧] .

هكذا قرأ ابنُ عباس وهو اختيـار أبي عَمْـروٍ[2] ، واحتـجَّ بقولـه تعالى ﴿ فَلَا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ .

ومـن قرأ ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِيـنَ أَنْ يَعْمُـرُوا مَسَاجِـدَ اللهِ ﴾ فتحتمل قراءته معنيين :

أحدهما : أن يكون لجميع المساجد .

والآخر : أن يراد به المسجـد الحرام خاصة ، وهـذا جائـز فيمـا كان من أسماء الجنس ، كما يقال : قد صَارَ فلانٌ يركب الخيل ، وإن لم يركب إلَّا فرساً .

والقراءة « مساجدَ » أصوبُ[3] لأنه يحتمل المعنيين ، وقد أجمعـوا على قراءة قوله ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ ﴾ على الجمع .

---

(١) قال في الصحاح ٣٤٨/١ : وَلَـجَ ، يَلِـجُ ، وُلُوجـاً ، ولِجَـةً : أي دخـل ، ووليجـة الرجـل : خاصته وباطنتُه . اهـ.

(٢) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، وهي من القراءات السبعة المتواترة ، وانظر السبعة لابـن مجاهـد ٣١٣/١ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٧٨/٢ .

(٣) إذا كانت القراءتـان سبعيَّتين ، فلا يقـال عن واحـدة : إنها أصوب من الأخـرى ، وإنما يقـال : هذه القراءة أوضح وأظهر .

١٧ ـ وقوله جل وعز ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ ، وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ ، كَمَنْ آمَنَ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ .. ﴾ [آية ١٩] .

والمعنى : أجعلتم أهلَ سقاية الحاج[١] ، كما قال : ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ .

ومن قرأ ﴿ أَجَعَلْتُمْ سُقَاةَ الحَاجِّ[٢] وَعَمَرَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ ﴾ فهو عنده على غير حذف .

قال الشعبيُّ : نزلت في عليٍّ بن أبي طالب ، والعباس[٣] .

وقال الحسن : نزلت في علي ، والعبَّاس ، وعثمانَ بنِ طَلْحَةَ الحَجَبِي[٤] ، وشَيْبة .

وقال محمد بن سيرين : خرج عليُّ بنُ أبي طالب رحمة الله عليه ، من المدينة إلى مكة ، فقال للعباس : يا عم ألا تهاجر ؟ ألا تمضي إلى النبي ﷺ ؟ فقال : أنا أَعْمُرُ البيتَ ، وأحجُبُهُ ، فنزلت

(١) يريد أن في الكلام حذف مضاف ، كقوله سبحانه ﴿ واسأل القرية ﴾ المراد اسأل أهل القرية .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جنى ٢٨٥/١ .

(٣) انظر الأثر في الطبري ٩٦/١٠ وابن كثير ٦٤/٤ والدر المنثور ٢١٨/٣ .

(٤) الحَجَبِي : بفتح الحاء والجيم ، وكسر الباء ، هكذا ضبطه السمعاني في الأنساب ٧٠/٤ قال : وهذه نسبة إلى حجابة البيت المعظم . اهـ وهو صحابي اسمه « عثمان بن طلحة بن أبي طلحة » توفي سنة ٤٢هـ وانظر أسد الغابة ٥٧٨/٣ .

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ .. ﴾[1] إلى آخر الآية .

١٨ ـ **وقوله جل وعز ﴿ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ .. ﴾** [آية ٢٠] .

أي من غيرهم ، أي أرفع منزلة ، من سُقَاةِ الحاجِّ ، وعُمَّار المسجدِ الحرامِ ، والجهاد ﴿ هُمُ الفَائِزُونَ ﴾ بالجنة ، النَّاجون من النار . والفايز : الذي ظفر بأمنيَّته[2] .

١٩ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ .. ﴾** [آية ٢١] .

أي يُعْلِمُهم في الدنيا ولهم في الآخرة[3] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن أبي شيبة ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه عن عبد الله بن عبيدة ، وأخرجه الفريابي عن ابن سيرين كذا في الدر المنثور ٢١٨/٣ ، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٧/٣ : أن جماعة من رؤساء قريش، أُسروا يوم بدر ، فيهم العباس بن عبد المطلب ، فأقبل عليهم نفر من أصحاب النبي عليه السلام ، فعيَّروهم بالشرك ، وجعل عليٌّ بن أبي طالب يوبِّخ العباس ـ عمه ـ بقتال رسول الله ﷺ وقطيعة الرحم ، فقال له العباس : ما لكم تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا ؟ فقال : وهل لكم من محاسن ؟ فقال : نعم ، إنَّا لنعمر المسجد الحرام ، ونحجب الكعبة ، ونسقي الحجيج ، ونفك العاني ـ يعني الأسير ـ فنزلت هذه الآية ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر .. ﴾ ؟ الآية .

(٢) في الصحاح ٨٩٠/٣ : الفوزُ : النجاةُ والظَّفر بالخير ، وفي المصباح : فاز يفوز : ظفر ونجا ، ويُقال لمن أخذ حقه من غريمه : فاز بما أخذ أي سَلِمَ له ، وفَازَ : قطَعَ المفَازَةَ ، والمفازةُ الموضعُ المهلك ، وسميت به تفاؤلاً بالسلامة .

(٣) البشارة في اللغة العربية : الإخبار بما يُسرُّ له الإنسانُ ، وتظهر آثاره على بشرته ، والمراد أن الله عز وجل قد أخبرهم في الدنيا بما أعدَّ لهم من النعيم المقيم ، في دار التكريم ، في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ .

٢٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ .. ﴾** [آية ٢٥] .

أي في أماكن[١] ، ومنه : استوطَنَ فلان المكان أي أقام به .

٢١ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ .. ﴾** [آية ٢٦] .

أي ونصركم يوم حُنَيْن .

قال قتادة : حُنَيْنٌ : اسمُ ماءٍ بينَ مكَّة ، والطائف ، قال : « وكان النبي ﷺ في اثني عشر ألفاً من المهاجرين والأنصار ، وألفين من الطُّلقاء ، فقال رجل : لن تُغلبوا اليوم ، فتفرَّق أكثرهم »[٢] ثم دعا النبي ﷺ ، فأُجيب ونُصِر[٣] ، فأَعْلَمَهُمْ اللهُ جلَّ وعز أنهم لم يَغْلِبوا من كثرةٍ ، وإنما يَغْلبون بأن ينصرهمُ اللهُ .

---

(١) هكذا قال الزجاج في معانيه ٢/٤٨٦ ﴿ في مواطن كثيرة ﴾ أي في أمكنة كثيرة ، كقولك : في مقامات ، تقول : استوطن فلانٌ بالمكان : إذا أقام فيه ، وقال بعضهم إن مواطن لم تنصرف لأنه جمع وأنزها لا تجمع . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه ابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ عن قتادة ، كما في الدر المنثور ٣/٢٢٤ .

(٣) أشار المصنف إلى ما رواه مسلم في كتاب الغزوات « غزوة حنين » أن رجلاً قال للبراء بن عازب يا أبا عُمَارة : فررتم يوم حُنين ؟ قال : لا والله ما ولَّى رسولُ الله ﷺ ، ورسولُ الله على بغلته البيضاء ، وأبو سفيان يقودها ، فنزل واستنصر ، وقال :

أَنَا النبيُّ لا كَذِبْ   أَنَا ابنُ عَبْدِ المطَّلِب

٢٢ ـ **وقوله جل وعزَّ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ .. ﴾** [آية ٢٨] .

يقال لكل مُسْتَقْذَرٍ : نَجَسٌ ، فإذا قلت رِجْسٌ ، نِجْسٌ ، كسرتَ الراءَ والنون ، وأسكنتَ الجيم .

٢٣ ـ **وقوله جل وعز ﴿ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا .. ﴾** [آية ٢٨] .

روى ابن جريج عن عطاء ، قال : يريد بالمسجد الحرام الحَرَمَ كُلَّه[1] .

وروى ابن جُريج ، عن أبي الزبير ، عن جابر ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ، فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾ إلَّا أن يكون عَبْدٌ أو أحدٌ من أهل الجزية[2] .

وهذا مذهب الكوفيين أن المشركين في الآية يُرادُ بهم : من ليس له عَهْدٌ [وأن ذلك في سائر المساجد][3] .

ومذهب المدنيِّين أن الآية عامة لجميع الكفار ، وأنه يُحال بينهم وبين جميع المساجد[4] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٠/١٠٥ وابن كثير ٤/٧٤ وفي الدر المنثور ٣/٢٢٧ .

(٢) الأثر عن جابر في الطبري ١٠/١٠٨ وابن كثير ٤/٧٤ بلفظ : إلا أن يكون عبداً أو أحداً من أهل الجزية .

(٣) ما بين الحاصرتين من الهامش وليس في أصل المخطوطة .

(٤) انظر أدلة الفقهاء وأقوالهم في كتاب روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن ١/٥٨٢ .

ومـذهب الشافعي : أنَّ المشركين هاهنـا عام أيضاً ، كقـول مالك ، إلَّا أنه قال : إنما ذلك في المسجد الحرام خاصة .

ومذهب المدنيِّين[1] في هذا أحسنُ ، لقـول الله جل وعـز ﴿ في بُيُـوتٍ أَذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَـعَ ﴾[2] أي تُصَان ، فيـجبُ على هذا أن تُرفـع عن دخولهم ، لأنهم لا يعظِّمونها في دخولهم .

٢٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَإنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً .. ﴾ [آية ٢٨] .

والعَيْلَـةُ : الفَقْـرُ ، يُقـال : عَالَ ، يَعِيـلُ ، عَيْلَــةً[3] ، ومنـه ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ﴾ .

وقال علقمة[5] في مصحف عبد الله بن مسعود ﴿ وإنْ خِفْتُـمْ عَائِلةً ﴾[6] ومعناه خصلة شاقةً ، يُقال : عالني الأمر يَعْولني : أي شقَّ عليَّ ، واشتدَّ .

٢٥ ــ وقولـه جلَّ وعـز ﴿ قَاتِلُـوا الَّذِيـنَ لَا يُؤْمِنُـونَ باللهِ وَلَا بِاليَـوْمِ الآخِرِ .. ﴾ [آية ٢٩] .

---

(١) المراد بالمدنيِّين أصحاب الإمام مالك ، ومـالك رحمه الله هو إمـام دار الهجـرة ، على نبينـا أفضل الصلاة والتسليم .

(٢) سورة النور آية رقم ٣٦ .

(٣) قال القرطبي : العيلةُ : الفقر ، عال الرجل يعيل إذا افتقر .

(٤) سورة الضحى آية رقم ٨ .

(٥) في المخطوطـة « عصمـة » وصوابـه « علقمـة » كما في القرطبـي ١٠٧/٨ وهـو من تلامـذة ابـن مسعود .

(٦) هذه من القراءات الشاذة ، ذكرها ابن جني في المحتسب ٢٨٧/١ .

المعنى : قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله إيمان الموحِّدين ، لأن أهل الكتاب يؤمنون بالله ، ويقولون : له ولدٌ ، تعالى عن ذلك[1].

ويؤمنون بالآخرة ، ويقولون : لا أكل فيها ولا شراب ، فهذاخلاف على ما أمر الله له جل وعز .

٢٦ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ ﴾** [آية ٢٩] .

قال أبو عبيدة : مَجَازُهُ : ولا يطيعون طاعةَ الحق[2] .

قال أبو جعفر : أي طاعَةَ أهلِ الإسلام ، وكل مُطيعٍ مَلِكاً ، فهو دائنٌ له ، يُقال : دَانَ فلانٌ لفلانٍ .

قال زهير :

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ فِي بَنِي أَسَدٍ
فِي دِينِ عَمْرٍو ، وَحَالَتْ دُونَنَا فَدَكُ[3]

---

(١) إنما قال سبحانه ﴿ لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ مع أنهم يزعمون الإيمان ، ويعتقدون بالآخرة ، لأنهم يصفون الله عز وجل بما لا يليق أن يوصف به ، فيجعلون له زوجةً وولداً ، فإيمانهم تخيلات وأوهام باطلة ، لأنهم يعتقدون بالتثليث ، ويقولون النعيم والعذاب للروح لا للجسد ، ولا يؤمنون بخاتم الأنبياء ولا بالقرآن ، ولهذا نفى الله عنهم الإيمان ، وانظر معاني الزجاج ٤٨٨/٢ وتفسير ابن كثير ٧٤/٤ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٢٥٥/١ .

(٣) البيت لزهير بن أبي سُلمى ، يخاطب به الحارث بن ورقاء ، وهو في ديوانه ١٨٣ وفي جمهرة الأشعار . والطبري ١٠٩/١٠ والجمهرة ٣٦/٢ واللسان مادة (فدك) ومجاز القرآن ٢٥٥/١ و« فدك » قرية في وادي القرى ، و« جو » وادٍ من الأودية يقول : لئن حللتَ بحيث لا أدركك ، ليصلنَّ إليك هجوى ، ولأدنسنَّ به عرضك .

٢٧ ــ ثم قال جل وعز ﴿ مِنَ الَّذِينَ أُوْتُوا الكِتَابَ .. ﴾ [آية ٢٩] .

وهم اليهود والنصارى ، وسنَّ رسولُ الله ﷺ في المجوس أن يُجْرَوا مُجراهم[١] .

٢٨ ــ ثم قال جل وعز ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [آية ٢٩] .

روى أبو صالح عن ابن عباس في قوله جل وعز ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ قال : يمشون بها مُلَبَّبِينَ[٢] .

وروى عطاء عن أبي البَخْتَرِي[٣] عن سلمان قال : مذمومين[٤] .

وروى محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ﴿ عَنْ يَدٍ ﴾ قال : عن مَهْرٍ[٥] .

وقيل : معنى « يَدٍ » عن إنعام يدٍ ، أي عن إنعام منكم

---

(١) أشار المصنف إلى الحديث الذي رواه مالك والشافعي عن الرسول ﷺ أنه قال « سُنُّوا بهم سُنَّة أهل الكتاب » وانظر الدر ٣/٢٢٩ .

(٢) التلبيبُ هو الأخذ بمجامع الثوب عند اللبَّة وهي مكان المنحر من العنق ، كذا في المصباح المنير ، قال الطبري ١٠/١١٠ روي عن ابن عباس من وجه فيه .

(٣) أبو البختري هو سعيد بن فيروز الطائي الكوفي ، تابعي ثقة ، قال أبو حاتم : ثقة صدوق توفي سنة ١٨٣هـ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٤/٧٣ .

(٤) و(٥) انظر الآثار في الطبري ١٠/١١٠ وتفسير ابن الجوزي ٣/٤٢١ والبحر المحيط ٥/٣٠ .

عليهم ، لأنهم إذا أُخِذت منهم الجزية فقد أُنْعم عليهم بذلك[1]

وقيل ـــ وهو أصحُّها ـــ يُؤَدُّونها بأيديهم ، ولا يُوجِّهون بها ، كما يفعل الجَبَّارون[2] .

وقال سعيد بنُ جبير : يَدْفَعُها وهو قائمٌ ، والذي يأخُذُها منه جالس[3] .

وأكثر أهل اللغة[4] على أن المعنى عن قهرٍ وذلةٍ كما تقول : اليَدُ في هذا لفلانٍ .

ومذهب الشافعي في هذا أن تُؤْخَذَ الجزية منهم ، وأحكام المسلمين جاريةٌ عليهم .

---

(١) هذا القول حكاه الزجاج في معانيه ٤٨٩/٢ وهو في زاد المسير ٤٢٠/٣ فتكون الآية من باب حذف المضاف .

(٢) حكاه الماوردي كما في زاد المسير ٤٢٠/٣ والمعنى : يؤدونها بأيديهم ، ولا يبعثون بها مع أحدٍ من خدمهم ، واختاره الطبري في جامع البيان ١٠٩/١٠ حيث قال ﴿ عن يد ﴾ أي من يده إلى يد من يدفعه إليه ، وكذلك تقول العرب لكل معطٍ قهراً عنه ، طائعاً أو كارهاً : أعطاهُ عن يده ، وعن يدٍ ، وذلك نظير قولهم : كلَّمته فماً لفمٍ . اهـ.
وقال ابن كثير : أي عن قهرٍ لهم وغلبة .

(٣) الأثر ذكره ابن جرير في جامع البيان ١١٠/١٠ عن عكرمة ، قال ابن العربي : وهذا ليس من قوله « عن يَدٍ » وإنما هو من قوله ﴿ وهم صاغرون ﴾ يريد أن هذا القول ليس تفسيراً لقوله « عن يد » وإنما هو تفسير لقوله « وهم صاغرون » .

(٤) في المخطوطة « وإن كثر أهل اللغة » وصوابه ما أثبتناه « وأكثر أهل اللغة » وانظر معاني الزجاج ٤٨٩/٢ .

ثم قال ﴿ وهم صاغرون ﴾ .

قال أبو عبيدة : الصَّاغِر : الذليلُ الحقير(١) .

وقال غيره : الذي يُتَلْتَلُ ، ويُعَنَّفُ به .

٢٩ ــ ثم قال جل وعز ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ .. ﴾ [آية ٣٠] .

يُقال : قد عُلِمَ أن القول بالفم ، فما الفائدة في قوله ﴿ بأفواههم ﴾ ؟

والجواب عن هذا : أنه لا بيان عندهم ، ولا برهان لهم ، لأنهم يقولون : اتَّخَذَ الله صاحِبَةً ، ويقولون : له ولدٌ ، وقولُهم بلا حجَّةٍ(٢) .

٣٠ ــ ثم قالَ جلَّ وعز ﴿ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ .. ﴾ [آية ٣٠] .

أي يشابهون ويقتفون ما قالوا .

ويُقرأ ﴿ يُضَاهِئُونَ ﴾(٣) والمعنى واحدٌ ، يقال : امرأةٌ ضَهْيَا ، مقصورٌ ، وضَهْيَاءُ : ممدودٌ غير مصروف إذا كانت لا تحيض(٤) .

---

(١) انظر مجاز القرآن ٢٥٩/١ وهو أظهر الأقوال ، ومعنى الآية : حتى يدفعوا الجزية منقادين مستسلمين ، أذلاء حقيرين ، مقهورين بسلطان الإسلام .

(٢) المراد هذا القول الشنيع مجرد دعوى باللسان من غير حجة ولا برهان ، كما تقول لمن تكذبه : هذا قولك بلسانك ، وانظر التسهيل لعلوم التنزيل ٧٤/٢ .

(٣) في الآية قراءتان سبعيتان ﴿ يضاهئون ﴾ بالهمز ، وهي قراءة عاصم وحده ، « ويُضاهون » بغير همز وهي قراءة بقية القراء ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣١٤ .

(٤) قال الجوهري : الضَّهياءُ : المرأة التي لا تحيضُ ، وحكى أبو عمرو : امرأةٌ ضَهْيَاةٌ ، وَضَهْيَاةٌ ، بالتاء والهاء ، قال : وهي التي لا تطمث . اهـ. الصحاح ٢٤١٠/٦ .

ويُقال : هي التي لا ثدي لها[1] .

والمعنى أنها قد أشبهت الرجال في هذه الخصلة ، فمن جعل الهمزة أصلاً ، قال ﴿ يُضَاهِئُونَ ﴾ ومن جعلها زائدة ـــ وهو أجودُ ـــ قال ﴿ يُضَاهُونَ ﴾ .

٣١ ـــ **ثم قال تعالى ﴿ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾** [آية ٣٠] .

فخوطبوا بما يعرفون ، أي يجبُ أن يقال لهم هذا[2] .

ثم قال ﴿ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ ؟ أي من أن يُصرفون عن الحق بعد البيان ؟

٣٢ ـــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ .. ﴾** [آية ٣١] .

روى الأعمش ، وسفيان عن حبيب بنِ أبي ثابت ، عن أبي البَختَري ، قال : سُئِل حُذَيفةُ عن قول الله جل وعز ﴿ اتَّخُذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ هل عبدوهم ؟ فقال : لا ،

---

(١) جاء في الصحاح ٦/٤١٠ : الضَّهْيَاءُ : المرأة التي لا تحيضُ ، وحكى أبو عمر : أمرأةٌ ضَهْيَاةٌ ، وضَهْيَاهٌ بالتاء ، والهاء ، قال : وهي التي لا تطمث ـــ أي لا يأتيها دم الحيض ـــ قال الجوهري : وهذا يقتضي أن يكون الضَّهْيَا مقصوراً ، والمضاهاةُ : المشاكلةُ ، تُهمز ، ولا تُهمزُ ، يقال : ضاهَيْتُ ، وقُرِئ « يُضَاهِئُونَ » وهذا ضَهِيٌّ هذا : أي شبيهُهُ . اهـ. الصحاح للجوهري .

(٢) يريد أن هذه جملة دعائية « قاتلهم اللهُ » أي لعنهم الله ، فهم يستحقون أن يُقال لهم ذلك ، قال ابن عباس : كل شيء في القرآن قتلٌ فهو لعنٌ ، قال في البحر ٥/٣١ : دعاءٌ عليهم عامٌ لأنواع الشرِّ ، ومن قاتله اللهُ فهو المقتول ، وقال النقاش : أصل قَاتَلَ الدعاءُ ، ثم كثر استعمالهم حتى قالوه على جهة التعجب ، في الخير والشر ، وأنشد الأصمعي :

يا قَاتَلَ اللهُ لَيْلَى كَيْفَ تُعْجِبُنِي ... وأُخْبِرَ النَّاسُ أَنِّي لا أُبَالِيهَا

ولكنهم أحلُّوا لهم الحرام فاستحلُّوه ، وحرَّموا عليهم الحلال فحرَّموه[1] .

حدثنا أبو جعفر قال : نا أبو القاسم « عبدُ اللهِ بنُ محمد بنِ بنت أحمد بن منيع » قال : نا الحِمَّاني ، قال : نا عبد السلام بنُ حرب ، عن غُضَيْف[2] ـــ وهو ابن أَعْيَن ـــ عن مصعب بنِ سَعْدٍ عن عدي بن حاتم قال : أبصر النبيُّ ﷺ في رقبتي صليباً من ذهب ، فقال : اطرح هذا عنك !! قال : وسُئل عن قوله تعالى ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ ؟ قال : أَمَا إنهم ما كانوا يعبدونهم ، ولكن كانوا يُحلُّون لهم ما حرَّم الله عليهم ، فيستحلُّونه ، ويُحرِّمون عليهم ما أحلَّ الله لهم فيحرِّمونه[3] .

٣٣ ـــ وقوله جل وعز ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ .. ﴾ [آية ٣٤] .

يجوز أن يكون المعنى : ولا ينفقون الكنوز ، لأن الكنوز تشتمل

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٠/١١٤ وأبو حيان في البحر المحيط ٥/٣٢ والقرطبي في جامع الأحكام ٨/١٢٠ .

(٢) في المخطوطة : غطنيف وهو تصحيف ، وصوابه غُضَيْف بن أعين الشيباني وانظر الجرح والتعديل ٧/٥٥ .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير ٨/٤٩٢ من تحفة الأحوذي برقم ٥٠٩٣ وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، ولفظه عن عدي بن حاتم قال : « أتيتُ النبيَّ ﷺ وفي عُنُقي صليبٌ من ذهب ، فقال يا عديُّ : اطرح عنك هذا الوثن ، وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ قال : أما إنهم .. » وذكر تتمة الحديث وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٢٣١ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، والطبراني ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه ، وأخرجه الطبري أيضاً في جامع البيان ١٠/١١٤ .

على الذهب والفضة ها هنا[1] .

ويجوز أن يكـون لأحـدهما[2] ، كما قال : ﴿ واللَّهُ وَرَسُولُـهُ أحَـقُّ أنْ يُرْضُوهُ ﴾[3] .

وفي هذه الآية أقوال :

رَوى عكرمة عن ابن عباس ، وعطية ونافع عن ابن عمـر أنهمـا قالا : « ما أُدِّيَتْ زكاتُه فليس بكنزٍ »[4] .

ويقـوِّي ذلك أن **ابـن جريج** روى عن أبي الـزبير عن جابـر عن النبـي ﷺ أنـــه قال : « إذا أدَّيت زكاةَ مالكَ فقــد أذْهَـــبتَ شرَّه عنك »[5] .

وقيل : إن هذه الآية نزلت في المشركين .

وقال أبو هريرة : « من خلَّفَ عشرة آلاف ، جُعِلَتْ صفائـح ، وعُذِّبَ بها ، حتى ينقضي الحساب »[6] .

---

(١) و (٢) حكى القولين الزجاج في معانيه ٤٩٢/٢ فقال : ذكر تعالى الـذهب والـفضة ولم يقـل : ولا ينفقونهما في سبيـل الله ، فيجـوز أن يكـون محمـولاً على الأمـوال أي ولا ينفقـون الأمـوال ، أو لا ينفقون المكنوز ، ويجوز أن يكون ولا ينفقون الفضة ، وحذف الذهب لأنـه داخـل في الـفضة كما قال الشاعر :

نحن بما عندنـــا وأنت بما عنـــد ... كَ راضٍ ، والـــرأيُ مختلـــف

أي نحن راضون وأنت راضٍ ، وقال الفراء في معانيه ٤٣٤/١ : إن شئت اكتفيتَ بذكـر أحـدهما عن الآخر ، واستشهد بالآية .

(٣) سورة التوبة آية رقم ٦٢ .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١١٨/١٠ والسيوطي في الدر المنثور ٢٣٣ وابـن كثير في تفسيره ٨٠/٤ ولفظه : ما أُدِّي زكاتُه فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين ، ومـا كان ظاهـراً لا تُؤدى زكاتُـه فهو كنز » .

(٥) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وانظر الدر المنثور ٢٣٢/٣ .

(٦) هذا الأثر موقوف على أبي هريرة وهو منسوخ بآية فريضة الزكاة أو هو محمول على من لم يؤدِّ الزكاة .

وقال أبو أمامة : « مَنْ خَلَّفَ بيضاء ، أو صَفْرَاء ، كُوِيَ بها ، مغفوراً له أو غير مغفور له ،وإن حلية السيف من ذلك »[1] .

وروى موسى بن عُبيدة ، عن عمرانَ بن أبي أنس ، عن مالك ابن أوس بن الحَدَثان ، عن أبي ذرٍّ أنَّ رسول الله ﷺ قال : « من جَمَعَ ديناراً ، أو درهماً ، أو تِبْراً ، أو فِضَّةً ، لا يُعِدُّهُ لغريمٍ ، ولا يُنفقه في سبيل الله ، فهو كنزٌ يُكْوَى بهِ يومَ القيامة »[2] .

وقال معاوية : نزلت في أهل الكتابِ ، فردَّ عليه أبو ذرٍّ وقال : نزلت فينا وفيهم .

وحديثُ ابن عمر في هذا حسنٌ ، على تَوَقّيه ، وهو جيِّد الإسناد رواه مالك ، وأيوب ، وعُبيد اللهِ ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر .

وقد رُوي أيضاً عن عمر أنه قال : « ليس كنزاً ما أَدَّيْتَ زكاتهُ » .

وكذلك قال سعيد بن المسيب ، وعمرُ بن عبد العزيز ، إلا أنه قال : أراها منسوخةً ، لقوله تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ وليس في الخبر ناسخٌ ولا منسوخٌ .

---

(١) الأثر أخرجه ابن أبي حاتم والطبراني ، وانظر الدر المنثور ٢/٢٣٢ وهذا أيضاً لمن لم يؤدِّ الزكاة .

(٢) هذا طرف من حديث أخرجه ابن أبي شيبة ، وابن مزدويه عن أبي ذر مرفوعاً ولفظه « في الإبل صدقتها ، وفي البقر صدقتها ، وفي الغنم صدقتها .. فمن ربع ديناراً أو درهماً .. » الحديث . وانظر الدر المنثور ٣/٢٣٣ والقرطبي ٨/١٣١ .

(٣) انظر هذه الآثار وتوضيحها في البحر المحيط لأبي حيان ٥/٣٦ فقد حكاها عن السلف ثم قال : « والظاهر ذمُّ من يكنز ولا يُنفق في سبيل الله ، وما جاء في ذمٍّ من ترك صفراء وبيضاء =

وروَى **أبو الزبير** عن جابر عن النبي ﷺ قال : « ما من عبدٍ لا يؤدي زكاة مالـه إلَّا أتي له بمالـه ، فأُحْمِيَ عليه في نار جهنم ، فتكوى به جنباه ، وجبهته ، وظهرُه ، حتى يحكم الله بين عباده .. »[1] وذكر الحديث .

٣٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً في كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ .. ﴾

[آية ٣٦] .

الأربعة الحرمُ : « المحرَّمُ ، ورجبُ ، وذو القعدة ، وذو الحجة »[2] .

ثم قال جل وعز : ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ﴾ .

= ــ يعني ذهباً وفضة ــ وأنه يُكوى بها يوم القيامة ، إلى غير ذلك من أحاديث ، هو قبل أن تفرض الزكاة ، والتوعُّد في الكنز إنما وقع على منع الحقوق منه ، ولذلك قال كثير من العلماء : الكنز هو المال الذي لا تُؤدَّى زكاته ، وهذا قول ابن عمر ، وعكرمة ، والشعبي ، والسدي ، ومالك ، وجمهور أهل العلم قالوا مثل ذلك ، وقال أبو ذرٍّ وجماعةمعه : ما فَضَل من مال الرجل عن حاجته فهو كنز ، وقال عمر بن عبد العزيز : هي منسوخة بقوله تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ اهـ. وانظر أيضاً جامع البيان للطبري ١٢١/١٠ .

(١) الحديث أخرجه مسلم ٦٨٢/٢ بلفظ : « ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلَّا أُحمي عليه في نار جهنم ، فيُجعل صفائح ، فيُكوى بها جنباه وجبينه ، حتى يحكم الله بن عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » وانظر تفسير ابن كثير أيضاً ٨٣/٤ ففيه آثار كثيرة حول الآية الكريمة .

(٢) يؤيده ما جاء في صحيح البخاري ٨٣/٦ عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السَّنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » .

الديـن ها هنـــا : الحسابُ ، أي ذلك الحساب الصحيـــحُ ، والعددُ المستوفى .

وعـن ابـن عبـاس ﴿ ذَلِكَ الدِّيـنُ القَيِّـــمُ ﴾ قال : الـــقَضاءُ القيّمُ[1] .

وقال أبو عُبيدة : أي القائم[2] .

﴿ **فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ** ﴾ [آية ٣٦] .

أكثـرُ أهـل التـفسير على أنَّ المعنـى : فلا تظلمـــوا في الأربعـــة أنفسكـم[3] ، وخصَّهـا تعظيمـــاً كما قال : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الحَجِّ ﴾[4] .

وروى حماد بن سلمـة عن علي بن زيـدٍ عن يوسف بن مهـران

(١) الأثر أخرجه ابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٣/٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٥٣/٣ وعزاه إلى ابـن أبي حاتم .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٥٨/١ ولفظه ﴿ الدين القَيِّم ﴾ مجازه : القائم أي المستقيم . اهـ.

(٣) هذا قول قتادة ، وإليه ذهب الفراء ٤٣٥/١ في معانيه ، ودلل عليه بوجـه لغـوي فقـال : ويدلـل على أنه للأربعة قوله « فيهن » ولم يقل : فيها ، وكـذلك كلام العـرب لما بين الثلاثـة إلى العـشرة ، فإذا جازوا العـشرة قالـوا : خَلت ، ومضـت .. ويقولـون لما بين الثلاثـــة إلى الـــعشرة « هنَّ » و « هؤلاء » ورجحه ابن جرير في جامع البيان ، فانظره ١٢٧/١٠ .

(٤) سـورة البقرة آية رقم ١٩٧ .

عن ابن عباس ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ في الاثني عشر[1] .

وروى قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد بن الحنفية ، قال : فيهنَّ كلهنَّ[2] .

٣٥ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ إنما النسيء زيادة في الكفر .. ﴾** [آية ٣٧] .

النسيء : التأخيرُ ، ومنه : نَسَأَ اللهُ في أَجَلِك .

٣٦ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا .. ﴾** [آية ٣٧] .

قال الزهري ، وقتادة ، والضحَّاك ، وأبو وائل ، والشعبي : كانوا ربما أخَّروا تحريم المحرَّم إلى صفر[3] .

قال قتادة : وكانوا يسمونها : الصَّفَرَيْنِ[4] .

وقال مجاهد : كان لهم حُسَّابٌ يحْسُبون ، فربما قالوا لهم : الحجُّ في هذه السنة في المحرم ، فيقبلون منهم[5] .

ودلَّ على هذا قوله : ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾[6] أي إنه في ذي الحجة .

قال أبو جعفر : وأبينُ ما في هذا ما حدثناه بكرُ بن سهل ، قال : نا أبو صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن عليِّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ قال : كان جُنَادةُ بنُ

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) و (٥) انظر هذه الآثار جميعها في جامع البيان للطبري ١٣١/١٠ وتفسير ابن كثير ٩٠/٤ والبحر المحيط ٣٩/٥ والدر المنثور ٢٣٦/٣ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٣٥/٣ .

(٦) سورة البقرة آية رقم ١٩٧ .

أُمَيَّة[1] يوافي الموسم كلَّ عام ، وكان يُكنى « أبا ثُمامة » فينـادي : ألا إنَّ أبا ثُمامة لا يُخابُ ، ولا يُعاب[2] ، ألَا وإن صفر العامِ الأوِلِ العـامَ حلالٌ ، فيحلُّه للناس ، ويحرِّم صفراً عاماً ، ويُحرِّم المحَرَّم عامـاً ، فذلك قول الله جلَّ وعـز ﴿ إنَّمـا الـنَّسِيءُ زِيَـادَةٌ فِي الكُفْـرِ ﴾ الآية ، قال : والنَّسِيءُ تركهم المحَرَّم عاماً ، وعاماً يحرِّمونه[3] .

وقرأ الحسنُ ﴿ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[4] يعني بالَّذين كفـروا الحُسَّاب ، الذين يقولون لهم هذا .

ويُروى عن عبد الله بن مسعود ﴿ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي يُضِلُّ به الذين يقبلون من الحُسَّابِ[5] .

---

(١) في الطبري وابن كثير ٩١/٤ اسمه : جنادة بن عوف بن أمية الكناني ويكنى « أبـا ثمامـة » ولـيس جنادة بن أميـة ، وكـذلك ذكـره السيوطـي في الـدر المنثـور ٢٣٦/٣ : جنـادة بن عوف ، والله أعلم .

(٢) معنـى لا يخاب ولا يعـاب : أي لا ينسب إلى الخيبـة والعيـب ، هكـذا ورد في المخطوطـــة « لا يخاب » بالخاء ، وفي ابـن كثير « لا يحاب » بالحاء أي لا ينسب إلى الحوب وهـو الإثم ولعلـــه أظهر .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٣٠/١٠ وابن كثير ٩٢/٤ والسيوطي في الـدر ٢٣٦/٣ وعـزاه إلى ابـن أبي حاتم وابن المنذر .

(٤) هذه من القـراءات الثابتـة وهـي قراءة يعقـوب كما في الـنشر في القـراءات الـعشر ٢٧٩/٢ حيث قال : قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف ، وحفص ﴿ يُضَل به ﴾ بضمـة البـاء وفتـح الضاد ، وقـرأ يعقوب ﴿ يُضِل به ﴾ بضم الياء وكسر الضاد ، وقـرأ الباقـون ﴿ يَضِل به ﴾ بفتـح البـاء وكسر الضاد . اهـ. وأما قراءة ﴿ يَضَل ﴾ بفتح الياء والضاد فعدها ابن جني في المحتسب من الشواذ .

(٥) انظر تفسير ابن الجوزي ٤٣٦/٣ وجامع الأحكام للقرطبي ١٣٩/٨ قال : واختار هذه القراءة أبو عبيد .

ويُحتجُّ لمن قال بالقول الأول بقوله جل وعز ﴿ يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ ﴾ أي ليوافقوا ، فيحرِّموا أربعةً ، كما حرَّم الله جلَّ وعزَّ أربعةً .

٣٧ ــ **وقولُه جل وعز ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ .. ﴾** [آية ٣٨] .

قال مجاهد : في غزوة تبوك ، أُمروا بالخروج في شدة الحر ، وقد طابتِ الثمار ، وقالوا إلى الظِّلال[1] .

٣٨ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ .. ﴾** [آية ٣٨] .

أي أرضيتم بنعيم الحياة الدنيا ، من نعيم الآخرة[2] !

﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ .

والمتاع : المنفعة والنعيم .

٣٩ ــ **وقولُه جل وعز ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ ، إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ ، إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ .. ﴾** [آية ٤٠] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٠/١٣٤ وفي الدر المنثور ٣/٢٣٧ وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٣/٤٣٦ : هذا لما أمر رسول الله ﷺ بغزوة تبوك ، وكان في زمن عسرة وجدب ، وحر شديد ، وقد طابت الثمار ، فعظم على الناس ، وأحبوا المقام فنزلت الآية ﴿ وما لكم ﴾ استفهام معناه التوبيخ .

(٢) قال القرطبي ٨/١٤١ « من الآخرة » أي بدلاً ، والتقدير : أرضيتم بنعيم الدنيا بدلاً من نعيم الآخرة ، قال : عاتبهم الله على إيثار الراحة في الدنيا ، على الراحة في الآخرة ، إذ لا تنال راحة الآخرة إلا بنصب الدنيا . اهـ.

قال الزهري : خرج هو وأبو بكر ، ودخلا غاراً في جبل ثور[1] ، فأقاما فيه ثَلاثاً .

والمعنى : فقد نصره الله ثاني اثنين ، أي نصره الله منفرداً ، إلَّا من أبي بكر رضي الله عنه[2] .

٤٠ ـ وقولُه جلَّ وعز ﴿ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ [آية ٤٠] .

يجوز أن تكون تعود على « أبي بكر » والأشبه ـ على قول أهل النظر ـ أن تكون تعود على أبي بكر ، لأن النبي ﷺ قد كانت عليه السكينةُ ، وهي السكونُ والطمأنينةُ ، لأنه جلَّ وعز أخبر عنه أنه قال ﴿ لَا تَحْزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾ وسأذكر هذا في الإعراب على غاية الشرح[3] .

٤١ ـ وقوله جل وعز ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً .. ﴾ [آية ٤١] .

---

(١) في المخطوطة « في ثور جبل » وصوابه ما أثبتناه ، وفي البخاري : استأجر الرسول وأبو بكر رجلا هادياً ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال .. » الحديث .

(٢) قال الزجاج في معانيه ٤٩٧/٢ : وقوله « ثاني اثنين » منصوب على الحال المعنى : فقد نصره الله أحد اثنين ، أي نصره منفرداً إلا من أبي بكر رضي الله عنه .

(٣) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢١٥/٢ فقد فصل فيه القول ، وأن الضمير يعود على « أبي بكر » ورجح الطبري أن الضمير يعود على الرسول ﷺ ، وهو قول جمهور المفسرين لتتناسق الضمائر في الآية ، قال ابن عطية في المحرر ٤٩٩/٦ : « قال بعضهم : الضمير في « عليه » عائد على أبي بكر ، لأن النبي ﷺ لم يزل ساكن النفس ثقة بالله عز وجل ، وقال جمهور الناس : الضمير عائد على النبي ﷺ ، وهذا أقوى ، قال : والسكينة عندي ما ينزله الله على أنبيائه من الحياطة لهم ، والخصائص التي لا تصلح إلا لهم . اهـ. أقول : وهذا هو الأظهر لقوله تعالى بعده ﴿ وأيده بجنود لم تروها ﴾ ولا شك أن المؤيد بالملائكة والجنود هو النبي ﷺ

في معنى هذا أقوالٌ منها :

أنَّ أنس بن مالك رَوَى أن « أبا طلحة » تأوَّلَها : شباباً ، وشيوخاً[1] .

وقال المقداد : لا أجدُني ألا مُخفًّا أو مثقلاً[2] .

وقال الحسن : في العسرِ واليسر[3] .

وروى سفيان عن حصين بن عبد الرحمن عن أبي مَلَكٍ الغفاري قال : أول ما نزل من سورة براءة ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً ﴾[4]

وقال أبو الضحى : كذلك أيضاً[5] .

ثم نزل أولها وآخِرها .

ورَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً ﴾ قال : فيه الثقيلُ ، وذو الحاجةِ ، والضَّيْعَةِ ، والشغل ، وأنزل الله عز وجل ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً ﴾[6] .

---

(١) الأثر ذكره القرطبي ١٥٠/٨ فقال : روي عن أنس أن أبا طلحة قرأ سورة براءة حتى أتى على هذه الآية ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾ فقال : أي بني جهزوني ، فقال بنوه : يرحمك الله لقد غزوت مع النبي ﷺ حتى مات ، ومع أبي بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات !! فنحن نغزو عنك ، قال : لا ، جهزوني ، فإن الله استنفرنا شباناً وكهولاً ، فغزا في البحر فمات فيه ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام ، فدفنوها فيها ولم يتغير جسده رضي الله عنه .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٤٠/١٠ والقرطبي ١٥١/٨ .

(٣) و (٤) و (٥) و (٦) و(٧) انظر جميع هذه الآثار في جامع البيان ١٣٩/١٠ وتفسير ابن الجوزي ٤٤٢/٣ والبحر المحيط ٤٤/٥ وتفسير القرطبي ١٥٠/٨ وتفسير ابن كثير ٩٧/٤ والدر المنثور ٢٤٦/٣ مع تفاوت يسير في العبارات والآثار المروية .

وروى سفيان عن منصور في قوله ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾ قال : مَشَاغِيلَ ، وغير مشاغِيلَ .

وقال قتادة : ومذهب الشافعي : ركباناً ومشاةً[1] .

وقال قتادة : نشاطاً وغير نشاطٍ[2] .

وقال زيد بن أسلم : المثقلُ : الذي له عيالٌ ، والمخفُّ : الذي لا عيال له[3] .

وهذا حين كان أهل الإسلام قليلاً ، ثم نزل ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾[4] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة .

والمعنى : انفروا على كل الأحوال .

ومن أجمع هذه الأقوال قولُ الحسن[5] .

حدثنا إسحاق بن إبراهيم بنُ محمد الكناني بالأنبار ، قال : نا نَصْرُ بنُ عليٍّ ، قال : أخبرني أبي قال : نا شعبةُ عن منصور بن

---

(١) و (٢) و (٣) انظر هذه الآثار في الطبري ١٠/١٣٩ وتفسير ابن كثير ٤/٩٧ قال ابن كثير : وهذا كله من مقتضيات العموم في الآية .

(٤) سورة التوبة آية رقم

(٥) تقدم الأثر عن الحسن البصري أن المراد به : انفروا في حال العسر واليسر ، وانظر تفسير ابن كثير ٤/٩٧ .

زاذان[1] عن الحسن ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً ﴾ قال : في العُسْرِ واليُسْرِ[2] .

وقولُ أبي طلحة حسنٌ ، لأن الشاب تَخِفُّ عليه الحَرَكَةُ ، والشيخُ تثقل عليه .

٤٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً ، وَسَفَراً قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ .. ﴾** [آية ٤٢] .

العَرَضُ : ما يعرض من منافع الدنيا[3] ، أي لو كانت غنيمةً قريبة ، وسفراً قاصداً أي سهلاً ، لاتّبعوك ﴿ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾ والشُّقَّة : الغايةُ التي يُقصد إليها .

٤٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ؟ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ، وَتَعْلَمَ الكَاذِبِينَ ﴾** [آية ٤٣] .

أي حتى يتبيَّن مَنْ نافق ، ومن لم ينافق .

قال مجاهد : هؤلاء قومٌ قالوا : نستأذِنُ في الجلوس ، فإن أُذِنَ

---

(١) في المخطوطة « تاذان » وهو تصحيف ، وصوابه « منصور بن زاذان » وانظر الجرح والتعديل ١٧٢/٨ فقد جاء فيه : منصور بن زاذن الواسطي مولى عبد الله الثقفي ، روى عن أنس ، والحسن ، وابن سيرين ، قال عنه يحيى بن معين : ثقة ، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سئل أبي عن منصور فقال : شيخ ثقة .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٢٤٦/٣ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ .

(٣) في الصحاح ١٠٨٣/٣ : العَرَضُ بالتحريك : ما يعرض للإنسان من مرض ونحوه ، وَعَرَضُ الدنيا ما كان من مال قل أو كثر ، يقال : « الدنيا عَرَضٌ حاضر ، يأكل منها البر والفاجر » . اهـ.

لنا جَلَسْنَا ، وإن لم يُؤْذَن لنا جَلَسْنَا[1] .

وقال قتادة : نسخ هذه الآية بقوله في سورة النــور ﴿ فَإِنْ اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾[2] .

ثم بيَّن أن أمارةَ الكفر ، الاستئذان في التخلُّف فقال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ [آية ٤٤] .

٤٤ ـ وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ .. ﴾ [آية ٤٦] .

التثبيط : ردُّ الإنسان عما يريد أن يفعله[3] .

٤٥ ـ وقوله جل وعز ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً .. ﴾ [آية ٤٧] .

الخَبالُ : الفسادُ ، وذهابُ الشيءِ[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٤٢/١٠ وابن كثير ٩٩/٤ والسيوطي في الدر ٢٤٧/٣ .

(٢) سورة النور آية رقم ٦٢ .

(٣) قال الجوهري في الصحاح ١١٧/٣ : ثبطه عن الأمر تثبيطاً : شغله عنه ، وأثبطه المرض : إذا لم يكد يفارقه . اهـ. وفي المصباح المنير ٨٨/١ : ثبطه : قعد به عن الأمر ، وشغله عنه ، ومنعه تخذيلاً ونحوه .

(٤) هكذا قال أهل اللغة : الخبال : الشرُّ والفساد في كل أمر ، ومنه المخبول للمعتوه الذي فسد عقله ، وانظر المصباح المنير ، والصحاح للجوهري مادة خبل .

٤٦ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ .. ﴾ [آية ٤٧] .

الإيضاعُ : سرعةُ السَّيرِ[١] .

قال أبو إسحاق[٢] : معنى ﴿ خِلَالَكُمْ ﴾ فيما يُخِلُّ بكم[٣] .

وقال غيره : بينكم .

وقيل : الفتنةُ ها هنا : الشركُ .

٤٧ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ .. ﴾ [آية ٤٧] .

فيه قولان :

أحدهما : فيكم من يستمع ويخبرهم بما يريدون[٤] .

والقول الآخر : فيكم من يقبل منهم ، مثل « سَمِعَ اللهُ لمن حَمِدَه » .

---

(١) في الصحاح ٣/١٣٠٠ : وضع البعيرُ : أسرع في سيره ، قال دريد :
يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعْ　　أَخُبُّ فيها وَأَضَعْ
وأوضعه الراكبُ : أسرع به ، وقال غيره : أوضع الرجل : إذا سار بنفسه سيراً حثيثاً .

(٢) هو الإمام الزجاج ، وقد تقدمت ترجمته .

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢/٤٩٩ وعبارته : ولأسرعوا فيما يُخل بكم .

(٤) هذا قول مجاهد ، وابن زيد ، واختاره الطبري ١٠/١٤٦ قال : أي وفيكم عيون لهم ، يسمعون حديثكم ويبلغونه لهم .

والقول الأول أولى ، لأنه الأغلب من معنَيَيْهِ ، أنَّ معنى سمَّـاع : يُسَمّعُ الكلام ، ومثله ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ .

والقول الثاني : لا يكادُ يقال فيه إلا « سامعٌ » مثل قائل .

٤٨ ــ وقولـه جل وعـزَّ ﴿ وَمِنْهُـمْ مَنْ يَقُـولُ ائْــذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّــي .. ﴾ [آية ٤٩] .

فيه قولان :

قال الضحاك : ولا تُكَفِّرني[1] ، وكذلك قال قتـادة : أي : ولا تُؤْثِمْني[2] .

ومعنـاه : لا تُؤْثِمْني بالخروج ، وهو لا يَتَيَسَّرُ لي ، فإذا تخلــفت أَثمْتُ[3] .

والقول الآخر : وهو قول مجاهد أنه قيـل لهم : تغـزون فتغنمـون بناتِ الأصفر ، فقال بعضهم : لا تفتنِّي ببنات الأصفر[4] .

---

(١) و (٢) انظر الآثار في زاد المسير لابن الجوزي ٤٤٩/٣ والدر المنثور للسيوطي ٢٤٨/٣ .

(٣) هذا قول الزجـاج في معانيـه ٢ / ٥٠٠ وفي المخطوطـة « لا تسمنـي الخروج » وهـو تصحيـف ، وصوابه ما أثبتناه ، والمعنى لا يعرِّضني للإثم .

(٤) روي في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه ابن أبي حاتم عن جابر بن عبـد الله أن النبـي ﷺ قال لجد بن قيس : « يا جد هل لك في جلاد بني الأصفر ؟ ــ يعني الروم ــ قال جد : أتـأذن لي يا رسول الله ، فإني رجـل أحب النسـاء ، وإني أخشى إن أنـا رأيت نساء بنـي الأصفـر أن أفتـن بهن ، فقـال رسول الله ﷺ وهـو معـرض عنـه : قد أذنت لك » فأنـزل الله ﴿ ومنهم من يقـول ائذن لي ولا تفتنّـي ألَا في الفتنة سقطـوا وإن جهنـم لمحيطـة بالكافريـن ﴾ وانظـر أسبـاب النـزول للواحدي ص ١٤٢ والدر المنثور ٢٤٧/٣ .

قال أبو إسحاق : في « الجَدِّ بن قيس » أحد بني سلمة وهو الذي قال هذا .

٤٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ إنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ .. ﴾** [آية ٥٠] .

أي إن تظفر وتغنم يسؤوهم ذلك ﴿ وَإنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ ﴾ تُهْزَم ﴿ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي قد أخذنا بالحزم ، إذ لم نَخْرُج كذلك .

وقال مجاهد : **معناه** : **حَذِرْنا**[1] .

٥٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا .. ﴾** [آية ٥١] .

في معناه قولان :

أحدهما : إلَّا ما قدَّرَ اللهُ علينا .

والآخر : إلَّا ما أخبرنا به في كتابه ، مِنْ أنَّا نُقْتَل ، فنكونُ شهداء ، أو نقتُلُكُمْ .

وكذلك معنى ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إلَّا إحْدَى الحُسْنَيَيْنِ .. ﴾[2] [آية ٥٢] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٠/١٥٠٤ والسيوطي في الدر ٣/٢٤٩ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) قال الحافظ ابن كثير ٤/١٠١ المعنى : قل لهم يا محمد : هل تنتظرون بنا إلا إحدى الحسنيين : الشهادة أو الظفر بكم ؟ قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وغيرهم . اهـ.

٥١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا .. ﴾** [آية ٥٥] .

فيه تقديم وتأخير .

المعنى : فلا تعْجبكَ أموالُهم ولا أولادُهم في الحياة الدنيا ، إنما يريدُ اللهُ لِيُعذِّبهم في الآخرة[١] .

وهذا قولُ أكثرِ أهلِ العربية .

ويجوز أن يكون المعنى : فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا ، لأنهم منافقون[٢] ، فهو يُنْفقون كارهين ، فيعذَّبُون بما يُنْفِقون .

ثم قال ﴿ وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ ﴾ أي تخرج .

٥٢ ــ **وقولُه جل وعز ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً ، أَوْ مَغَارَاتٍ ، أَوْ مُدَّخَلاً ، لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾** [آية ٥٧] .

قال قتادة : الملجأُ : الحصونُ . والمغاراتُ : الغِيرانُ .

---

(١) هذا القول مروي عن قتادة كما حكاه الطبري عنه ١٠/١٥٣ .

(٢) هذا قول الحسن البصري ، وابن زيد ، وهو الذي رجحه الطبري في جامع البيان ١٠/١٥٣ قال : لأنه هو الظاهر من التنزيل ، وذلك بما يصيبهم من المصائب فيها فهي لهم عذاب ، وللمؤمنين أجر . أقول : وهذا هو الأصح والأرجح ، أن العذاب هنا في الدنيا ، فإن الله يهلكهم بأموالهم ، بهذه المخترعات الجهنمية التي يخترعونها من صواريخ ، وقنابل ذرية ، وهيدروجينية وأسلحة فتاكة ، فهم بأموالهم يدمرون .

والمدَّخَلُ : الأسراب[1] .

قال أبو جعفر : وهذا قول حَسَنٌ عند أهل اللغة ، لأنه يقال للحصن : ملجأٌ ، ولَجَأٌ ، والمغاراتُ مِنْ غَارَ يَغورُ : إذا استَتَرَ[2] .

وتُقرأ ﴿ أو مدَّخَلاً ﴾ بتشديد الدال والخاء ، وتُقرأ ﴿ أَوْ مُدْخلاً ﴾ وتُقرأ ﴿ أَوْ مَدْخلاً ﴾[3] . ومعانيها متقاربة ، إلا أنَّ « مَدْخلاً » من دَخَل يَدْخُل ، وَ « مُدْخلاً » من أَدْخَلَ يُدْخِل ، أي لو يجدون قوماً يُدْخِلُونهم في جملتهم ، أو قوماً يَدْخُلُونَ معهم ، أو مَكَاناً يَدْخلونَ فيه ﴿ لَوَلَّوْا إِلَيْهِ ﴾ أي لو وجدوا أحَدَ هذه الأشياء « لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ » أي يسرعون ، لا يَرُدُّ وجوهَهُمْ شيءٌ .

ومنه : فَرَسٌ جموحٌ[4] .

٥٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ، فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوْا .. ﴾ [آية ٥٨] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٠/١٥٥ وابن كثير ٤/١٠٤ والبحر المحيط ٥/٥٥ .

(٢) قال في البحر ٥/٥٥ : والمغارات جمع مغارة وهي الغار ، وتجمع على غيران ، من غار يغور إذا دخل ، وقيل : المغارة : السِّرب تحت الأرض كنفق اليربوع . اهـ.

(٣) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٢٧٩ فقد ذكر فيه أن يعقوب قرأ « أو مَدْخلاً » بفتح الميم وإسكان الدال مخففة ، وقرأ الباقون ﴿ أو مُدَّخلاً ﴾ بضم الميم ، وفتح الدال مشدَّدة . وأما بقية القراءات فليست من السبع ، وقد ذكر النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٢٢ أربع قراءات .

(٤) قال أهل اللغة : جمح : نفر بإسراع من قولهم : فرس جموح أي لا يرده اللجام ، وانظر لسان العرب مادة جمح .

قال مجاهد : أي يَرُوزُكَ ، ويسألك[1] .

وقال قتادة : أي يَطعُنُ عليك[2] .

قال أبو جعفر : والقولُ عند أهل اللُّغة قولُ قتادة ، يُقال : لَمَزَهُ ، يَلْمِزُه : إذا عابه[3] . ومنه : فلانٌ هُمَزَةٌ لُمَزَةٌ[4] : أي عَيَّابٌ للنَّاسِ .

ويقال : اللُّمَزَة هو الَّذِي يَعيب في سِرٍّ ، وإن الهمزة هو الذي يشير بعينيه[5] .

وهذا كله يَرْجعُ إلى أنه يَعِيبُ .

٥٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ إنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ والمَسَاكِينَ ﴾ [آية ٦٠] .

قال قتادة :الفقيرُ : المحتاجُ الذي له زَمَانَةٌ ، والمسكينُ :

---

(١) و (٢) الأثران في الطبري ١٠/١٥٦ والدر ٣/٢٥٠ وقول قتادة أوضح أنه بمعنى العيب والطعن ، والمعنى : من المنافقين من يعيبك يا محمد ويطعن عليك في قسمة الصدقات ، وهو « ذو الخويصرة » كما في صحيح البخاري « بينا النبي ﷺ يقسم إذ جاءه « ذو الخُويصرة » التميمي ، فقال : اعدل يارسول الله ، فقال : ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل .. » إلى آخر الحديث ، وانظر تمامه في الدر ٣/٢٥٠ ومعنى قول مجاهد « يروزك » أي يمتحنك ويختبرك ، وانظر الصحاح ٣/٨٨٠ .

(٣) قال ابن قتيبة ﴿ يلمزك ﴾ : يعيبك ويطعن عليك ، يقال : همزتُ فلاناً ولمزتُه : إذا اغتبته وعبته ، اهـ. زاد المسير ٣/٤٥٤ وقال الجوهري : اللمز : العيب ، يقال : لمزه إذا عابه ، وأصله الإشارة بالعين ونحوها ، ورجل لما رأى عياب .

(٤) أشار المصنف إلى قوله تعالى في سورة الهمزة ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ .

(٥) ذكره الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢/٥٠٤ عن بعض أهل اللغة .

الصحيحُ المحتاجُ[1] .

وقال مجاهد والزهري : الفقيرُ : الذي لا يَسْأَلُ ، والمسكينُ : الذي يَسْأَلُ[2] .

حدَّثنا محمد بن إدريس بن أسود ، قال : نا يونُس ، قال : أنبأنا ابنُ وهب : قال : أخبرني جرير بن حازم ، عن علي بنِ الحَكَم ، عن الضَّحاك ، قال : « الفقراءُ : من المهاجرين ، والمساكينُ : من الأعراب »[3] .

قال وكان ابن عباس يقول : الفقراءُ : من المسلمين ، والمساكينُ : من أهل الذمة[4] .

قال أبو جعفر الذي قاله الزهري ومجاهد حَسَنٌ[5] ، لأن المسكين مأخوذٌ من السُّكون والخضوع ، فالَّذين يَسْأَلون يظهر عليهم السكونُ والخضوعُ .

وإن كان الذي يسأل، والذي لا يسأل، يجتمعان في اسم الفقر ،

---

(١) و(٢) و(٣) و(٤) انظر جميع هذه الآثار في الطبري ١٠/١٥٨ والدر المنثور ٣/٢٥١ وابن كثير ٤/١٠٦ قال الحافظ ابن كثير : وإنما قدم الفقراء ههنا لأنهم أحوج من البقية على المشهور ، لشدة فاقتهم وحاجتهم ، وعند أبي حنيفة أن المسكين أسوأ حالاً من الفقير ، وهو كما قال ، لقول عمر : « الفقير ليس بالذي لا مال له ، ولكن الفقير الأخلق الكسب » .

(٥) قال ابن جرير في جامع البيان ١٠/١٥٩ : وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : الفقير هو ذو الفقر أو الحاجة ، ومع حاجته يتعفف عن مسألة الناس ، والمسكين هو المحتاج المتذلل للناس بمسألتهم ، لأن معنى المسكنة عند العرب : الذلة . اهـ.

فإن الطي يظهر عليه مع الفقر ما ذكرنا .

وفقِيرٌ في اللغة : إنَّما يُعْرَفُ بأنْ يُقال : إلى كَذَا .

فالمعنى ، والفقراءُ إلى الصدقة ، ومسكينٌ عليه ذلةٌ ، لأنه قد يكون به فقرٌ إليها ، ولا ذلَّةَ عليهِ فيها[1] .

وقال أهلُ اللغة : لا نعلمُ بينهم اختلافاً[2] .

الفقير الذي له بُلْغَةٌ ، والمسكينُ : الذي لا شيءَ له .

وأنشدوا :

أمَّا الفَقِيرُ الَّـذي كَانَتْ حَلُوبَتُهُ
وَفْقَ العِيَالِ فَلَمْ يُتْرَكْ لَهُ سَبَدُ[3] .

وقال يونس : قلت لأعرابي : أفقيرٌ أنتَ ؟ فقال : لا بل مسكينٌ .

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٠/١٦٠ فقد فصل فيه الموضوع أجمل تفصيل .

(٢) هذا قول ابن الأعرابي قال : المسكين هو الفقير ، فجعل الفقير والمسكين سواء . أقول : المشهور عند أهل اللغة التفريق بينهما ، قال في المصباح المنير ٣٠٣/١ : المسكين الذي لا شيء له ، والفقير الذي له بُلْغَةٌ من العيش ، وكذلك قال يونس : وجعل الفقير أحسن حالاً من المسكين ، قال : وسألت أعرابياً : أفقير أنت ؟ فقال : لا والله بل مسكين ، وقال الأصمعي : المسكين أحسن حالاً من الفقير ، لأن الله تعالى يقول ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ﴾ . اهـ.

(٣) البيت للراعي النميري وهو في ديوانه ص ٦٤ وفي شرح المفضليات لابن الأنباري ٢٣٥ والمخصص ٢٨٥/١٢ والقرطبي ١٦٩/٨ والسبد : الوبر والشَّعر ، والعرب تقول : ماله سبد ولا لبد أي ما له ذو وبر ولا صوف ، ويكنون به عن الإبل والغنم .

وروى **أبو هريرة** عن النبي ﷺ : « ليسَ المِسْكِينُ بالطَّوَافِ ، الذي تَرُدُّه اللُّقمةُ واللُّقْمَتانِ ، والتَّمْرةُ والتمرتان ، ولكن المسكينُ الذي لا يَسْأل ، ولا يُفْطَنُ له فيُعْطَى ، ولا يجدُ غنىً يُغْنيه »(١) .

قال أبو جعفر : قال علي بن سليمان : الفقيرُ : مشتقٌّ من قولهم : فَقَرْتُ له فَقْرَةً من مالي ، أي أعطيته قطعةً ، فالفقير [على هذا](٢) الذي له قطعةٌ من المال . والمسكينُ : مأخوذٌ من السكون ، كأنه بمنزلةِ من لا حَرَكةَ له(٣) .

وقال بعض الفقهاء : المسكينُ : الذي له شيءٌ ، واحتجَّ بقول الله عز وجل : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ ﴾(٤) .

قال أبو جعفر : وهذا الاحتجاج لا يلزم ، لأنك تقولُ : هذا التَّمْر لهذه النخلة ، وهذا البَيْتُ لهذه الدار ، لا تريد المِلْكَ ، فيجوز أن يكون قيل « لمساكين » لأنهم كانوا يعملون فيها(٥) .

---

(١) الحديث أخرجه الشيخان في كتاب الزكاة ، البخاري ١٥٤/٢ ومسلم ٩٥/٣ ورواه مالك في الموطأ ٩٢٣/٢ وأبو داود في الزكاة برقم ١٦٣١ والنسائي في الزكاة أيضاً ٨٥/٥ .

(٢) ما بين الحاصرتين من هامش المخطوطة .

(٣) إلى هذا القول ذهب أبو حنيفة ، أن المسكين الذي لا يملك شيئاً أصلاً ، واستدل بقوله تعالى ﴿ أو مسكيناً ذا متربة ﴾ كأنه لسكونه وشدة فقره واضطراره ، التصق بالتراب .

(٤) سورة الكهف آية رقم ٧٩ .

(٥) لفظ مساكين في الآية للترحم ، والعطف والشفقة ، أي هم ضعفاء أمام الملك الجبار ، الذي كان يغتصب كل سفينة ليس فيها عيب ، بجبروته وطغيانه ، وليست الآية للتعريف بأنهم فقراء ، لا يملكون شيئاً ، فليس فيها دليل على قول المصنف .

وقد قيل : إنه إنما هو تمثيلٌ ، كما قال النَّبِيُّ ﷺ لبعض النساء : « يا مِسكينةُ عليكِ السَّكِينةُ »[1] .

٥٥ ــ **ثم قال عزَّ وجل ﴿ والعَامِلِينَ عَلَيْهَا ﴾** [آية ٦٠]

وهم السُّعاة[2] ومن كان مثلهم .

٥٦ ــ **ثم قال تعالى ﴿ والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾** [آية ٦٠] .

قال الشعبي : هؤلاء كانوا في وقتِ النبيِّ ﷺ يُتَألَّفون ، فلمَّا وُلِّيَ أبو بكر رضي الله عنه زَالَ هذا[3] .

قال أبو جعفر : حديثُ الشعبي إنما رَواه عنه جابرٌ الجُعْفيُّ ، وقد قال يونُس : سألتُ الزُّهْرِيَّ قال : لا أعلمُ أنه نُسخ من ذلك شيءٌ .

فعلى هذا ، الحُكْمُ فيهم ثابتٌ ، فإن كان أحدٌ يحتاج إلى تألُّفِه ، ويُخاف أن يلحق المسلمينَ منه آفةٌ أو يُرجى أن يَحْسُنَ إسلامُه بعد ، دُفع إليه[4] .

---

(١) هذا طرف من حديث طويل رواه الطبراني ، ورجالُه ثقاتٌ في باب الرضخ للنساء ، وانظر الحديث في مجمع الزوائد ١٤/٦ .

(٢) المراد بهم الجباة الذين يجمعون الزكاة .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن عامر ١٦٣/١٠ بلفظ « إنما كانت المؤلفة قلوبهم على عهد النبي ﷺ ، فلما ولي أبو بكر رحمة الله عليه انقطعت الرشا » وأخرجه السيوطي في الدر ٢٥٢/٣ عن الشعبي ، وعزاه إلى البخاري في تاريخه ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .. والرشا جمع رشوة ، كأن ما يعطاه للدخول في الإسلام رشوة .

(٤) هذا هو الصحيح وما رجحه الطبري في جامع البيان ١٦٣/١٠ حيث قال : « إن الله جعل الصدقة في معنيين : أحدهما : سد خلة المسلمين . والآخر : معونة الإسلام وتقويته ، فالمؤلفة =

٥٧ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **وَفِي الرِّقَابِ** ﴾ [آية ٦٠] .

أي وفي فكِّ الرقاب .

قيل : هم المُكَاتِبُونَ .

وقيل : تبتاعُ الرِّقابُ فيكونُ الوَلَاءُ للمسلمين[١] .

٥٨ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **وَالغَارِمِينَ** .. ﴾ [آية ٦٠] .

قال مجاهد : « هم الذين أحرقت النار بيوتهم ، وأذهب السيل ماهم فادَّانوا لعيالهم »[٢] .

ورُوِيَ عن أبي جعفر ، ومجاهد ، وقتادة ، قالوا : الغارمُ : من استدَانَ لغير معصية[٣] .

قال أبو جعفر : وهذا لا يكون غيره ، لأنه إذا كان ذا دينٍ في

= قلوبهم يُعطون وإن كانوا أغنياء ، استصلاحاً لهم ، ولا حجة لمحتج بأن يقول : لا يتألف اليوم على الإسلام أحد ، لامتناع أهله بكثرة العدد ، فقد أعطى الرسول من أعطى منهم على ما وصفت » .

(١) هذا قول ابن عمر ، والحسن ، وبه أخذ أحمد قال : يعتق من الزكاة ، وولاؤه لجماعة المسلمين لا للمعتق ، كذا في البحر المحيط ٥/٦٠ وذهب الطبري ١٠/١٦٤ إلى أن المراد من الرقاب المكاتبون ، لأنه لا يرجع إليه منها نفع ، والمعتق رقبة يرجع إليه ولاء من أعتقه .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٠/١٦٤ والسيوطي في الدر المنثور ٣/٢٥٢ وعزاه إلى ابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ .

(٣) انظر الأثر في جامع البيان عن مجاهد وقتادة ١٠/١٦٤ ورجح ابن كثير ٤/١٠٨ أنه إذا غرم في معصيةوتَابَ يدفع له من الزكاة .

معصيةٍ ، فقُضِيَ عنه ، فقد أُعِينَ على المعصية[1] .

والغُرم في اللغة : الخُسْرَان ، فكأنَّ المستدينَ لا يجد قضاء دينه ، قد خسر ماله ، ومنه : ﴿ إنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ﴾[2] أي هلاكاً وخُسراناً .

ثم قال تعالى : ﴿ وفي سَبِيلِ اللهِ ﴾ أي في طاعة الله ، أي للمجاهدينَ ، والحُجَّاج[3] ﴿ وابنِ السَّبِيلِ ﴾ .

روى جابر عن أبي جعفر أنه قال : هو المجتازُ من أرضٍ إلى أرض[4] .

قال أبو جعفر : والسبيلُ في اللغة : الطريقُ ، فابنُ السبيل هو الذي قُطعت عليه الطريق ، أو جاء من أرض العدوِّ ، وقد أُخِذَ

(١) هذا هو الصحيح الراجح ، لأن من استدان في معصية الله لا يعان على معصيته ، اللهم إلا إذا تاب ، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، كما ذهب إليه ابن كثير ، وقال ابن عطية في المحرر ٦/٥٤٠ : وأما الغارم فهو رجل يركبه دين في غير معصية ولا سفه ، قال العلماء : فهذا يؤدى عنه دينه ، وإن كان له شيء يقيم رمقه ويكفي عياله .

(٢) سورة الفرقان آية رقم ٦٥ وتمام الآية ﴿ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ﴾ .

(٣) قال ابن عطيه في المحرر ٦/٥٤١ : وأما ﴿ في سبيل الله ﴾ فهو المجاهد ، يجوز أن يأخذ من الصدقة لينفقها في غزوة وإن كان غنياً ، ولا يعطى منها الحاج إلا أن يكون فقيراً ، فيعطى لفقره ، وقال ابن عباس ، وابن عمر ، وأحمد : يعطى منها الحاج وإن كان غنياً ، والحج سبيل الله ، ولا يعطى منها في بناء مسجد ، ولا شراء مصحف ونحوه . اهـ.

(٤) انظر جامع البيان للطبري ١٠/١٦٥ .

مالُهُ[1] .

قالت الفقهاء : أبناء السبيلِ الغائبون عن أموالهم ، الذين لا يصلون إليها ، لبعد المسافة بينهم وبينها ، حتى يحتاجوا إلى الصدقة ، فهي إذْ ذاك لهم مباحةٌ ، فقد صاروا إلى حكم من لا مَالَ له .

رَوَى المنهال بن عمروٍ ، عن زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ ، عن حُذيفة في قوله تعالى ﴿ إنَّما الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ والمَسَاكِينَ .. ﴾ .

قال : إنَّما ذكرَ اللهُ هذهِ الصَّدَقَات لتُعرف ، وأيَّ صنفٍ أعطيتَ منها أجزاك[2] .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ إنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ والمَسَاكِينِ ﴾ قال : في أيها وضعتَ أَجَزَأَ عنك[3] .

٥٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ ومِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ويَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ .. ﴾ [آية ٦١] .

قال مجاهد : هؤلاء قومٌ من المنافقين ، ذكروا النبيَّ ﷺ ، فقالوا : نقول فيه ، فإن بَلَغَهُ ذلك حلفنا لهُ فَصَدَّقَنَا[4] .

---

(١) في المصباح المنير ٢٨٤/١ : السبيل : الطريق ، يذكر ويؤنث ، وقيل للمسافر : ابن السبيل ، لتلبسه به ، قال والمراد بابن السبيل في الآية من انقطع عن ماله .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٦٦/١٠ عن حذيفة ، ولفظه : « إن شئت جعلته في صنف واحد ، أو صنفين ، أو لثلاثة ، وإذا وضعتها في صنف واحد أجزأ عنك » وذكره السيوطي في الدر ٢٥١/٣ .

(٣) الأثر في الطبري ١٦٧/١٠ والدر المنثور ٢٥١/٣ والبحر المحيط ٥٨/٥ .

(٤) الأثر ذكره الطبري ١٦٩/١٠ وابن كثير ١١٠/٤ والسيوطي في الدر ٢٥٣/٣ .

وكذلك الأُذُنُ في اللغـة : يُقـالُ : هو أُذُنٌ : إذا كان يسمـعُ ما يُقالُ لهُ ويَقْبلُهُ[1] .

[فالمعنى : إن كان الأمـرُ على ما يقولـون ، أن يكـون قريبـاً][2] منكم يقبل اعتذاركم .

٦٠ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ﴾** [آية ٦١] .

أي إن كان كما قلتم .

ثم أخبر أنه يؤمنُ باللهِ .

ومن قرأ ﴿ قل أُذْنٌ خَيْرٌ لَكُـمْ ﴾[3] ذَهَبَ إلى أنَّ معنـاه : قل هو مُسْتَمِعُ خيرٍ لكم .

٦١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ .. ﴾** [آية ٦٢] .

المعنـى عنـد سيبويـه : واللهُ أحـقُّ أن يُرضُوه ، ورسولُـه أحـقُّ أن

---

(١) قال أهـل اللغـة : الأذن : الرجـل الـذي يصدق كل ما يسمـع ، ويقبـل قول كل أحـــد ، سمي بالجارحة التي هي آلة السماع ، قال الشاعر :

قَدْ صِرْتَ أُذْنــاً لِلْـــوُشَاةِ سَمِيعـــةً … يَنَالُونَ مِنْ عِرْضِي ، ولَوْ شِئْتَ مَا نَالُوا

وانظر البحر المحيط ٦٢/٥ والصحاح للجوهري مادة أذن .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش .

(٣) هذه قراءة نافع وحـده ، بإسكـان الـذال فيهمـا ، وقـرأ الباقـون ﴿ ويقولـون هو أُذُن قل أُذُن خير لكم ﴾ بضم الذال ، وانظر السبعة لابـن مجاهـد صـ ٣١٥ وأمـا قراءة « أذن خير لكـم » بدون إضافـة ، فهـي قراءة الحسن ، وعـاصم في روايـة أبي بكـر ، وقـد ذكرهـــا القرطبـــي في تفسـيره ١٩٢/٨ قال الزجاج ٤٥٧/٢ ومعناها : من يسمع منكم ، ويقبل عذركم ؛ خيرٌ لكم .

يرضُوهُ ، ثم حُذِفَ ، كما قال الشاعر :

نَحْـــنُ بِمَـــا عِنْدَنَـــا وَأَنْتَ بِمَـــا
عِنْـدَكَ رَاضٍ ، وَالـرَّأْيُ مُخْتَلِــفُ[1]

وقال أبو العباس : هو على غير حذفٍ ، والمعنى : والله أحقُّ أن يُرْضُوهُ ورسولُهُ[2] .

وقال غيرهما : المعنى : ورسولُ اللهِ أحقُّ أن يرضُوه ، وقولُه جلَّ وعز ﴿ والله ﴾ افتتاح كلامٍ[3] ، كما تقول : هذا للهِ ولك[4] .

---

(١) البيت من شواهد سيبويه ص ١١٥ وقد نسب إلى قيس بن الخَطِيم ،ولم أره في ديوانه ، والصحيح أنه لعمرو بن امرىء القيس كما أنشده ابن السكيت ، وهو أحد أبيات سبعة لعمرو بن قيس الخزرجي ـــ جد ابن رواحة ـــ يخاطب فيها مالك بن العجلان في قصة مفصلة في الأغاني ١٩/٣ وانظر خزانة الأدب ١٩٠/٢ طبعة دار صادر ، وانظر الأبيات في حاشية ديوان قيس بن الخطيم ص ٦٣ تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد .

(٢) الضمير على هذا القول عاد على اسم الجلالة ، ورسوله مبتدأ وخبره محذوف تقديره : ورسوله أحق أن يرضوه أيضاً .

(٣) إلى هذا ذهب الفراء في معانيه ٤٤٥/١ فقد قال : وحد الضمير « يرضوه » ولم يقل « يرضوهما » لأنه بمنزلة قولك : ما شاء الله وشئت ، فهو تعظيم لله مقدم قبل الأفاعيل ، كما تقول لعبدك ، أعتقك الله وأعتقتك . أهـ.

(٤) ذكر أبو حيان في البحر المحيط ٦٤/٥ أن للعلماء في إفراد الضمير « يرضوه » آراء كثيرة ، ذكر منها ابن عطية ثلاثة :

(أ) أن الإفراد جاء لتعظيم الله سبحانه .

(ب) أنه في حكم أمر واحد إذ في رضى الله رضى الرسول .

(جـ) أو لأن الضمير موضوع اسم الإشارة يشار به إلى الواحد والمتعدد .

٦٢ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللهَ ورَسُولَهُ .. ﴾ [آية ٦٣] .

معناه يعادي ويجانب ، يُقال : حادَّ فلانٌ ، أي صارَ في حدٍّ غير حدِّه .

٦٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ يَحْذَرُ المُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ .. ﴾ [آية ٦٤] .

قال مجاهد : هؤلاء قومٌ من المنافقين ، ذكروا النبي ﷺ والمسلمين ، وقالوا نرجو أن لا يُفشي اللهُ علينا(١) .

٦٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ .. ﴾ [آية ٦٥] .

فالمعنى : ولئن سألتهم عمَّا قالوا .

قال قتادة : هؤلاء قومٌ من المنافقين قالوا في غزوة تبوك : أيطمعُ محمَّدٌ أن يدخل بلاد الروم ، ويُخَرِّبَ حُصُونهم !! فأطلعَ اللهُ النبيَّ ﷺ على ما قالوا ، فدعا بهم ، فقال : أقلتم كذا وكذا ؟ فقالوا : ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾(٢) .

---

(١) الأثر في جامع البيان للطبري ١٧١/١٠ والدر المنثور للسيوطي ٢٥٤/٣ وعزاه إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٧٣/١٠ ولفظه : عن قتاده قال : بينما النبي ﷺ في غزوة تبوك ، وَرَكْبٌ من المنافقين يسيرون بين يديه ، إذ قالوا : أيظن هذا الرجل أن يفتح قصور الروم وحصونها ؟ هيهات ، هيهات ، فأطلع الله نبيه على ذلك ، فقال : علي بهؤلاء النفر ، فدعاهم فقال : قلتم كذا وكذا ، فحلفوا ما كنا إلا نخوض ونلعب » وانظر القرطبي ١٩٧/٨ والدر المنثور ١٥٤/٣ .

وقال **سعيد بن جبير** قالوا : إن كان ما يقول محمد حقاً ، فنحن حميرٌ ، فأطلَعَهُ اللهُ جلَّ وعز على ما قالوا ، فسألهم ، فقالوا : إنما كنا نخوض ونلعب[1] .

٦٥ ــ **قال عز وجل ﴿ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ؟ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ .. ﴾** [آية ٦٥] .

أي قد ظَهَر منكم الكفرُ ، بعد ظُهُور الإيمان .

٦٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ .. ﴾** [آية ٦٧] .

قال مجاهد : أي لا يَبْسِطُونَها في حق ، ولا فيما يجبُ[2] .

٦٧ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ .. ﴾** [آية ٦٧] .

قال قتادة : أي نسيهم من الخير ، فأمَّا من الشرِّ فلم يَنْسَهم[3] .

والمعنى عند أهل اللغة : تركوا أمر الله ، فتركهم من رحمته وتوفيقه[4] ، يُقال : نَسِيَ الشيءَ إذا تَرَكَه .

---

(١) الأثر أخرجه الفريابي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن سعيد بن جبير ، كذا في الدر المنثور للسيوطي ٣/٢٥٤ وفيه : « إن كان ما يقول محمد حقاً فلنحن شر من الحمير » . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٠/١٧٤ بلفظ « لا يبسطونها بنفقة في حق » وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣/٢٥٥ والمراد أنهم يمسكون أيديهم عن الإنفاق في سبيل الله .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٠/١٧٥ عن قتادة ، وذكره في البحر المحيط ٥/٦٨ .

(٤) قال ابن جرير في جامعه ١٠/١٧٥ : ومعناه : تركوا الله أن يطيعوه ، ويتبعوا أمره ، فتركهم الله من هدايته ، وتوفيقه ، ورحمته .

٦٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ .. ﴾** [آية ٦٨] .

أي هي كافيهم ، أي هي على قدرِ أعمالهم ، ويقال : أَحْسَبَنـي الشيءُ أي كفاني .

٦٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ .. ﴾** [آية ٦٩] .

قال قتادة : أي بِدينهم[1] ، والمعنى عند أهـل اللغـة فاستمتعـوا بنصيبهم من الدنيا .

٧٠ ــ **وقوله جل وعزَّ ﴿ وَالمُؤْتَفِكَاتِ .. ﴾** [آية ٧٠] .

قال قتادة : هي مدائن قومِ لوطٍ[2] .

وقال أهـل اللغـة : سميت مؤتفكـات لأنها ائتفكـت بهم ، أي انقلبت[3] ، وهو من الإفك ، وهـو الكـذب لأنـه مقلـوبٌ ، ومصروفٌ عن الصِّدق .

٧١ ــ **وقوله جل وعزَّ ﴿ يَا أَيُّهَـا النَّبِـيُّ جَاهِـدِ الكُفَّـارَ والمُنَافِقِيـنَ وَاغْلُـظْ عَلَيْهِمْ .. ﴾** [آية ٧٣] .

---

(١) الأثر عن قتادة أخرجه الطبري ١٠/١٧٦ وهـو قول الحسن ، وقـال السدي : استمتعـوا بنصيبهم من الدنيا ، وهو أظهر ، واختاره الزجاج والطبري ، قال ومعناه : استمتعـوا بنصيبهم وحظهـم من دنياهم ودينهم .

(٢) الأثر في الطبري ١٠/١٧٧ والدر المنثور ٣/٢٥٥ والبحر المحيط ٥/٦٩ وتتمتـه في الـطبري قال : ائتفـكت بهم أرضهـم فجعـل عاليها سافلهـا وهـم قوم لوط ، وقـال الزجـاج ٢/٤٦١ : جمع مؤتفكة ، ائتفكتْ بهم الأرضُ : أي انقلبت ، وهم قوم لوط .

(٣) هذا قول الزجاج في معانيه ٢/٤٦٨ وقال الواحدي : معنى الائتفاك : الانقلاب ، أفكته فائتفك أي قلبته فانقلب ، والمؤتفكات صفة للقرى التي ائتفكت بأهلها .. وانظر البحر ٥/٦٩ .

قال الحسن : أي جاهد الكفار بالسيف ، والمنافقين بإقامة الحدود عليهم ، وباللِّسان[1] .

وقال قتادة : أي جاهد الكفار بالقتال ، والمنافقين بالإغلاظ في القول .

٧٢ ــ وقوله جل وعز ﴿ يَحْلِفُونَ باللهِ مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ ، وكَفَرُوا بَعْدَ إسْلَامِهِمْ .. ﴾ [آية ٧٤] .

قال مجاهد : سمعهم رجل من المسلمين ، وهم يقولون إن كان ما جاء به محمدٌ حقاً فنحن حمير ، فقال لهم : فنحن نقول ما جاء به حقٌّ ، فهل نحن حمير ؟ فَهَمَّ المنافقُ بقتله ، فذلك قوله ﴿ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾[3] [آية ٧٤] .

وقال غير مجاهد : همُّوا بقتل النبي ﷺ ، فأطلعه الله على ذلك[4] .

٧٣ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَمَا نَقَمُوا إلَّا أنْ أغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ .. ﴾ [آية ٧٤] .

أي ليس ينقمون شيئاً[5] ، كما قال النابغة :

---

(١) و (٢) و (٣) الآثار كلها وردت في جامع البيان للطبري ١٨٤/١٠ والبحر المحيط لأبي حيان ٧٣/٥ وتفسير ابن كثير ١١٩/٤ والدر المنثور للسيوطي ٢٥٨/٣ .

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل عن عروة وهم فئة من المنافقين هموا بالفتك بالنبي ﷺ مرجعه من غزوة تبوك ، وانظر كال القصة في الدر المنثور ٢٥٩/٣ .

(٥) هذه الصيغة تقال حيث لا ذنب ، أي ما عابوا على الرسول وما له عندهم ذنب ، إلا أن الله أغناهم ببركته ، ويمن سعادته ، قال الزجاج ٥١١/٣٢ : وإنما قيل ﴿ أغناهم الله ورسوله ﴾ لأن =

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْـــرَ أَنَّ سُيُوفَهُـــمْ
بِهِـــنَّ فُلُـــولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَـــائِبِ[1]

٧٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمِنْهُـمْ مَنْ عَاهَـدَ اللهَ لَئِـنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِـهِ لَنَصَّدَّقَنَّ .. ﴾** [آية ٧٥] .

قال قتادة : هذا رجل من الأنصار ، قال : لئن رزقني اللهُ شيئاً لأُؤدِيَنَّ فيه حَقَّـهُ ، ولأتصدقـنَّ ، فلمَّـا آتـاه الله ذلك ، فعـل مَا نُصَّ عليكم ، فاحذروا الكذب ، فإنه يُؤَدِّي إلى الفجور[2] .

وروى عليُّ بن يزيد ، عن القـاسم ، عن أبي أُمَامَـة البَاهِلِـيِّ ، أن ثعلبـةَ بنَ حاطِب الأنصاري[3] جاء إلى رسول الله ﷺ فقـال : يا

= أموالهم كثرت من الغنـائم ، وكان سبب ذلك رسول الله ﷺ . اهـ. وقـال أبـو حيـان في البحـر ٥/٧٣ : والجملة « وما نقموا » كلام أجـري مجرى التهكـم به كما تقـول : ما لي عنـدك ذنب إلا أني أحسنت إليك ، فإن فعلهم يدل على أنهم كانوا لئاماً .

(١) البيت للنابغة الذبياني ، وهو في ديوانه ص ٤٤ وفي الكامـل للـمبرد ١/٣٢ ومغنـي اللَّبيب ١١٤ وهمع الهوامع ١/٢٣٢ للسيوطي .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير في جامـع البيـان ١٠/١٩٠ بأوسع من هذا ، وذكـره السيوطـي في الـدر المنثور ٣/٢٦٢ وقال : أخرجه أبو الشيخ عن قتادة وفي روايته : قال : اجتنبوا الكذب فإنه باب من النفاق ، وعليكم بالصدق فإنه باب من الإيمان .

(٣) هذا غير «حاطب بن أبي بلتعة» الصحابي البدري، فذاك مسلمٌ، وهذا رجل منافق بنص القرآن العظيم، « ومنهم من عاهد الله » أي من المنافقين من عاهـد الله على أن ينفـق ويتصدق إن رزقـه الله مالاً وأما حاطب رضي الله عنه فقد قال عنه النبي ﷺ إنه : « شهد بدراً، ومايدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »وقد اشتبـه على البـعض بين « حاطب » وبين =

رسول الله : ادعُ الله أن يرزقني مالاً ، فقال : ويحك يا ثعلبةُ ، قليلٌ تؤدِّي شكره خيرٌ من كثيرٍ لا تطيقُه ، قال : ثم رجع إليه فقال : يا رسول الله : ادعُ الله أن يرزقني مالاً .

قال ويحك يا ثعلبة أَمَا تَرضى أن تكون مثلَ رسولِ الله ، واللهِ لو سألتُ اللهَ لَفِن يُسَيِّل عليَّ الجبال ذهباً وفضَّةً لسالت .

ثم رجع ، فقال : يا رسول الله : ادع الله أن يرزقني مالاً ، فواللهِ لئن أتاني اللهُ مالاً لأوتينَّ كلَّ ذي حَقٍّ حقَّه ، فقال رسولُ الله ﷺ : « اللهمَّ ارزق ثعلبةَ مالاً ، اللهم ارزق ثعلبةَ مالاً » ، فاتَّخذَ غنماً ، فنَمَتْ حتى ضاقت عليها أزقَّةُ المدينة ، فتنحَّى بها ، فكان يشهد الصلواتِ مع رسول الله ﷺ ، ثم نَمَتْ حتى تَعَذَّرَتْ عَلَيْهَا مراعي المدينة ، فتنحَّى بها مكاناً يشهد الجُمَعَ مع رسول الله ﷺ ، ثم نَمَتْ فتباعد بها ، فترك الجُمَعَ والجماعات ، فأنزل الله على رسوله ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ فخرج مصدِّقوا[1] رسول الله ﷺ فمنعهم ، وقال حتَّى ألقى رسول الله ، فأنزل الله جلَّ وعز ﴿ ومِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ .. ﴾ إلى آخر الآية ، القصةِ ، فأُخبِرَ ثعلبة فأقبل واضعاً على رأسه التراب ، حتى أتى النبيَّ ﷺ ، فلم يقبل منه ، ثم أتى أبا بكر فلم يقبل منه ، ثم أتى عمر فأبى

= ثعلبة هذا فأنكر القصة ، وقال : ما روي عنه غير صحيح ، وانظر جامع الأحكام للقرطبي ٨/٢١٠ .

(١) يعني الذين يقبضون الصدقات ، وهم العاملون عليها أي الجباة .

أن يقبل منه ، ثم أتى عثمان فلم يقبل منه ، ومات في خلافته[1] .

٧٥ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ .. ﴾ [آية ٧٧] .

يجوز أن يكون المعنى : فأعقَبَهم اللّهُ نفاقاً .

ويجوز أن يكون المعنى : فأعقبهمُ البُخْلُ لأن قوله ﴿ بَخِلُوا ﴾ يدلُّ على البُخْل[2] .

٧٦ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ .. ﴾ [آية ٧٩] .

قال قتادة : أي يعيبون المؤمنين ، قال : وذلك أنَّ « عبد الرحمن بن عوف » تصدَّق بنصفِ مالِهِ ، وكان مالُه ثمانيةَ آلاف دينار ، فتصدَّقَ منها بأربعة آلاف ، فقال قوم : ما أعظَمَ رِيَاهُ[3] !

---

(١) الحديث أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٤/٧ وقال : رواه الطبراني وفيه « علي بن يزيد الألهاني » وهو متروك وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف : رواه الطبراني ، والبيهقي في الدلائل ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، وابن مردويه ، كلهم من طريق « علي بن يزيد الألهاني » وقال : هذا إسناد ضعيف جدا .. وأخرجه السيوطي في الدر ٢٦٠/٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والعسكري في الأمثال ، وابن منده ، والطبراني ، وأبو نعيم ، وابن عساكر ، من حديث أبي أُمَامَة الباهلي . اهـ. أقول : ولعل الأمر التبس على بعض الرواة بين حاطب بن أبي بلتعة البدري ، وبين ثعلبه هذا المنافق ، فلذلك أنكر بعض المحدثين الرواية ، وانظر البحر ٧٤/٥ .

(٢) القول الأول رجحه الطبري ، وأبو حيان ٧٤/٥ حيث قال : والظاهر أن الضمير في قوله ﴿ فأعقبهم ﴾ عائد على الله ، عاقبهم على الذنب بما هو أشد منه ، وقال الحسن وقتادة : الضمير يعود للبخل أي فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم . اهـ. وانظر زاد المسير ٤٧٥/٣ فقد ذكر أن الأول قول ابن عباس ، ومجاهد .

(٣) قوله « رَيَاه » أي رياءه ، يريدون أنه ما تصدَّق إلا رياء وسمعة لا يقصد بعمله وجه الله .

فأنزل الله جل وعز ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ ، وجاء رجلٌ من الأنصار ، بنصف صُبْرَةٍ من تمر ، فقالوا : ما أغنى اللهَ عن هذا ؟ فأنزل الله ﴿ والَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾[1] .

[قُرِئ ﴿ جُهْدَهم ﴾ و ﴿ جَهْدَهم ﴾ بالضمِّ ، والفتح][2] .

قال أبو جعفر : وهما لغتان بمعنىً واحدٍ عند البصريِّين .

وقال بعض الكوفيين : الجَهْدُ : المشقَّة ، والجُهْدُ : الطَّاقةُ[3] .

٧٧ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللهُ مِنْهُم ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آية ٧٩] .

ومعنى « سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ » جازاهم الله على سُخريتهم ، فسمَّى

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس وبنحوه عن قتادة ١٩٥/١٠ وابن كثير ١٢٧/٤ والسيوطي في الدر المنثور ٢٦٣/٣ وعزاه إلى عبد الرزاق ، وابن عساكر ، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٤/٧ وقال : رواه البزار من طريقين : إحداهما متصلة ، والأخرى مرسلة . اهـ. أقول : أصل الحديث في الصحيحين فقد روى البخاري عن أبي مسعود قال : لما أُمرنا بالصدقة كنا نتحامل ، فجاء أبو عقيل بنصف صاع ، وجاء إنسان بأكثر منه ، فقال المنافقون : إن الله لغني عن صدقة هذا ، وما فعل هذا الآخر إلا رياء ، فنزلت ﴿ الذين يلْمِزُون المطوعين .. ﴾ الآية ، وانظر صحيح مسلم ١٠٥/٧ .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من معاني الزجاج ٤٦٢/٢ لأن المصنف شَرَحهما.

(٣) هذا قول ابن قتيبة كما في زاد المسير ٤٧٧/٣ وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٦٤/١ : الجهد بالفتح والضم سواء .. وقال الطبري في جامع البيان ١٩٨/١٠ : « وأما الجُهد فإن للعرب فيه لغتين : يقال : أعطاني من جُهده بضم الجيم ، وهي لغة أهل الحجاز ، ومن جَهده وهي لغة نجد ، وعلى الضم قراءة الأمصار » .

الثاني باسم الأول على الازدواج[1] .

٧٨ ـ **وقوله جل وعز ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ .. ﴾** [آية ٨٠] .

يُروى أن النبي ﷺ قال : لأستغفرنَّ لهم أكثرَ من سبعينَ مرَّة ، فنزلت ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾[2] فَتَرَكَ الاستغفار لهم[3] .

٧٩ ـ **وقوله جل وعز ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ ، وكرِهُوا أن يجاهدُوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله .. ﴾** [آية ٨١] .

الخِلَافُ : المُخَالَفَةُ ، والمعنى : من أجلِ مخالفة رسول الله ﷺ[4] ، كما تقول : جئتك ابتِغَاءَ العلمِ .

---

(١) يعني على سبيل المقابلة أي مقابلة اللفظ باللفظ مع اختلاف المعنى ، أي جازاهم على فعلهم وسخريتهم ، قال ابن عطية ٥٧٩/٦ : سمى العقوبة باسم الذنب ، وهي عبارة عما حل بهم من المقت والذل في نفوسهم . وقال أبو حيان في البحر ٧٦/٥ : « لما قال ﴿ فيسخرون منهم ﴾ قال ﴿ سخر الله منهم ﴾ على سبيل المقابلة ومعناه : أمهلهم حتى ظنوا أنه أهملهم ، وقيل معنى ﴿ سخر الله منهم ﴾ جازاهم على سخريتهم ، وجزاء الشيء قد يسمى باسم الشيء ، كقوله تعالى ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ » . اهـ. أقول : وهذا يسمى عند علماء البيان : « المشاكلة » وهي المماثلة في اللفظ مع الاختلاف في المعنى .

(٢) سورة المنافقون آية رقم ٦ .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن ابن عباس ٢٠٠/١٠ وابن كثير ١٢٨/٤ وأصله في الصحيحين من قصة صلاة النبي على عبد الله بن أُبَيٍّ بن سلول حين مات ، وانظر كمال القصة في البخاري ٨٥/٦ .

(٤) هذا قول الزجاج في معانيه ٥١٣/٢ والمعنى : مخالفة لرسول الله ﷺ .

ومن قرأ ﴿ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﴾ أراد التأخر عن الجهاد .

٨٠ ــ وقوله جل وعز ﴿ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا .. ﴾ [آية ٨١] .

فيه معنى الوعيد والتهديد[٢] .

٨١ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [آية ٨٢] .

قال أبو رُزين : يقول الله : أمرُ الدنيا قليلٌ ، فليضحكوا فيها ما شاءوا ، فإنهم سيبكون في النار بكاءً لا ينقطع ، فذلك الكثيرُ[٣] .

وقال الحسن : فليضحكوا قليلاً في الدنيا ، وليبكوا كثيراً في الآخرة في جهنم ، جزاءً بما كانوا يكسبون[٤] .

٨٢ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَاقْعُدُوا مَعَ الخَالِفِينَ ﴾ [آية ٨٣] .

---

(١) ذكر هذه القراءة الطبري ٢٠٠/١٠ وأبو حيان في البحر ٧٩/٥ وقال : إنها قراءة ابن عباس ، وأبي حيوة ، وعمرو بن ميمون ، وذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٤٧٨/٣ قال : ومعناها أنهم تأخروا عن الجهاد . اهـ. أقول : وليست من القراءات السبع .

(٢) قال الزجاج ٥١٣/٢ : وهذا وعيد في تركهم الجهاد ، وفي المخطوطة : الوعيد والتهدد ، والأظهر أنه التهديد ، أقول : ووجه الوعيد ، أنهم إذا كانوا يجزعون من حر القيظ ، فنار جهنم أشد حراً وأفظع ، فهي أحرى أن يجزعوا منها لو كانوا يفقهون .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٢٠٢/١٠ وابن كثير ١٣١/٤ وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، وزيد بن أسلم ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٦٥/٣ وعزاه إلى ابن أبي شيبة .

(٤) الأثر في الطبري ٢٠٢/١٠ وهو الأظهر والأرجح قال ابن عباس : الدنيا قليل ، فليضحكوا فيها ما شاءوا ، فإذا انقطعت الدنيا وصاروا إلى الله عز وجل ، استأنفوا بكاء لا ينقطع أبداً . وانظر الدر المنثور ٢٦٥/٣ .

والخالِفُ : الذي يتخلَّفُ مع مال الرجل ، وفي بيته[1] .

٨٣ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً .. ﴾** [آية ٨٤] .

رُوي عن أنس بن مالكٍ أن النبيَّ ﷺ ، تقدَّم ليصلي على « عبد الله بن أُبَيٍّ » فأخذ جبريل بردائِهِ فقال ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ منهم ماتَ أبداً ، ولا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾[2] .

ويُروى أن النبي ﷺ ، كان إذا صَلَّى عَلَى واحدٍ منهم ، وَقَفَ على قَبْرِهِ ، فَدَعَا له[3] .

---

(١) المعنى : اقعدوا مع المتخلفين عن الغزو من الأطفال والنساء ، قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٦٥/١ الخالف : الذي خلف بعد شاخص فقعد في رحله ، وهو من تخلَّف عن القوم . وقال ابن عطية : الخالفون : جميع من تخلَّف من نساء وصبيان وأهل عذر .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٢٠٥/١٠ والمشهور أن الذي أخذ بثوب النبي ﷺ هو عمر بن الخطاب ، لما رواه البخاري في صحيحه ٨٥/٦ عن ابن عمر قال : « لما توفي عبد الله ابن أُبيٍّ جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه ، يكفِّن فيه أباه فأعطاه ، ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله ﷺ ليصلي ، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله فقال : يا رسول الله : تُصَلِّي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله ﷺ : إنما خيَّرني الله فقال ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة .. ﴾ وسأزيده على السبعين ، قال : إنه منافق ، قال : فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله الآية .

(٣) انظر جامع البيان للطبري ٢٠٦/١٠ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٨١/٣ عن عثمان بن عفان ، ولفظه قال « كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت ، وقف عليه وقال : استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل » رواه أبو داود برقم ٣٢٢١ وسنده صحيح .

٨٤ ــ **وقوله عز وجل ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ ، وطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾** [آية ٨٧] .

قال مجاهد وقتادة : الخوالف : النِّساء[١] .

وقال غيرهما : الخوالف : أخِسَّاء النَّاس وأردياؤُهم ، ويُقال : فلانٌ خَالِفَةُ أهلِهِ ، إذا كان دُونهم[٢] .

قال أبو جعفر : وأصلُهُ من خَلَفَ اللَّبَنُ ، يخْلُفُ ، خِلْفَةً : إذا حَمُضَ من طول مكثِهِ ، وخَلَفَ فمُ الصائم : إذا تغيَّر ريحُهُ[٣] .

ومنه فلانٌ خَلْفُ سُوءٍ .

فأمَّا قول قتادة ﴿ فَاقْعُدُوا مَعَ الخَالِفِينَ ﴾ أي مع النِّساء ، فليس بصواب ، لأن المؤنث لا يجمعُ كذا ، ولكن يكون المعنى : مع الخالفين للفساد ، على ما تقدَّم[٤] .

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٢٦٦/٣ والطبري في جامع البيان ٢٠٨/١٠ وقال الزجاج ٥١٥/٢ : الخوالف : النساء وقد يجوز أن يكون خالفه في الرجال ، والخالف : الذي هو غير منجب . اهـ.

(٢) ذكره ابن قتيبة كما في زاد المسير لابن الجوزي ٤٨٢/٣ .

(٣) ومنه الحديث الصحيح « لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » والخلوف هو تغير رائحة الفم .

(٤) ذكر هذا القول ابن جرير في تفسيره ٢٠٤/١٠ ورده قال : فأمَّا ما قال قتادة من أن ذلك النساء فقول لا معنى له ، لأن العرب لا تجمع النساء إذا لم يكن معهن رجال بالياء والنون ، ولو كان معنياً به النساء لقال : فاقعدوا مع الخوالف ، أو مع الخالفات ، ولكن معناه : فاقعدوا مع مرضى الرجال ، والضعفاء منهم والنساء . اهـ.

ويجوز أن يكون المعنى مع مرضَى الرِّجال ، وأهلِ الزَّمَانةِ[1] .

٨٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَجَاءَ المُعَذِّرُونَ مِنَ الأعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ .. ﴾ [آية ٩٠] .

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ ﴿ وَجَاءَ المُعْذِرُونَ ﴾[2] .

قال أبو جعفر : « المُعَذِّرُونَ » يحتمل معنيين :

أحدهما : أن يكون المعنى الأصل : المعتذرون ثم أُدغمت التاء في الذال ، فيكونون الذين لهم عذر[3] . قال لبيد :

إِلَى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا
وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ[4]

---

(١) المراد بأهل الزمانة من كان به مرض مزمن ، مستعص شفاؤه .

(٢) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٢٨٠ فقد ذكر أن يعقوب قرأها بتخفيف الذال ﴿ المعذِرون ﴾ والباقون بالتشديد ﴿ وجاء المعذِّرون ﴾ فهي من القراءات العشر ، وانظر زاد المسير ٣/٤٨٣ .

(٣) قال الزجاج ٢/٥١٤ : المعذِّرون : بتشديد الذال تأويله المعتذرون ، إلا أن التاء أدغمت في الذال لقرب مخرجهما ، ومعناه : جاء الذين يعتذرون ، سواء كان لهم عذر أو لم يكن ، وهو هنا أشبه بمن لهم عذر . وقال الجوهري في الصحاح ٢/٧٤٠ : المعذِّر بالتشديد ، قد يكون محقاً ، وقد يكون غير محق ، فأما المحق فهو في المعنى المعتذر ، لأن له عذراً ، وأما الذي ليس بمحق فهو المقصر الذي يعتذر بغير عذر . اهـ.

(٤) البيت للبيد بن ربيعة ، وهو في ديوانه ص ٢١٤ وقبله قوله :

فَقُومَا وقُولَا بالَّذِي قَدْ عَلِمْتُمَا ... وَلَا تَخْمِشَا وَجْهاً وَلَا تَحْلِقَا شَعَرْ
وَقُولَا هو المَرْءُ الَّذي لَا خَلِيلَهُ ... أَضَاعَ وَلا خَانَ الصَّدِيقَ وَلَا غَدَرْ

يوصي ابنتيه بزيارة قبره حولاً بعد موته ويقول : إن هذا كاف ، والشاهد في البيت « اعتذر » =

وقد يعتذِرُ ولا عُذْر .

والقول الآخر : أن يكون « المُعَذِّرُون » الذين لا عُذْر لهم ، كما يقال عَذَّرَ فلانٌ .

وزعم أبو العباس[1] أنَّ المُعَذِّر هو الذي لا عُذْر له .

قال أبو جعفر : ولا يجوز أن يكون بمعنى المُعْتَذِر ، لأنه إذا وقع الإشكالُ ، لم يَجُزْ الإدغامُ ، و « المُعْذِرُونَ » الَّذِينَ قد بالغوا في العُذْرِ ، ومنه « قَدْ أَعْذَرَ مَنْ أَنْذَرْ »[2] أي قد بالغ في العُذْر من تقدَّم إليك فأنْذَرَكَ .

والمُعَذِّرُونَ : المُعْتَذِرُونَ ، للإتباع ، والكسرُ على الأصلِ[3] .

٨٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ ولاَ عَلَى الَّذِينَ إذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ، قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ، تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ .. ﴾** [آية ٩٢] .

قال الحسن وبكر بن عبد الله : نزلت في « عبد الله بن

= بمعنى جاء بعذر ، وهو في مجاز القرآن ١٦/١ ومشكل القرآن ص ١٣٨ ومعاني الزجاج ٥١٤/٢ والأغاني ٩٨/١٤ والخزانة ٢١٧/٢ .

(١) هو الإمام المبرد ، وقد تقدمت ترجمته .

(٢) هذا من أمثال العرب ، ومعنى المثل : قد بلغ في العذر أقصى الغاية من أنذرك ، وانظر الصحاح للجوهري ٧٤٠/٢ .

(٣) هذا هو الأظهر والمعنى : جاء المعتذرون الذين تخلفوا عن الجهاد وانتحلوا الأعذار ، قال البيضاوي : هم « أسد » و « غطفان » استأذنوا في التخلف ، معتذرين بالجهد وكثرة العيال .

المغَفَّل » من مُزَيْنَة ، أتى النبيَّ ﷺ يستحملُه[1] .

٨٧ ــ **وقوله جلَّ وعز** ﴿ **الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً ..** ﴾ [آية ٩٧] .

قال قتادة : لأنهم أبعدُ عن معرفة السُّنَنِ[2] .

وقال غيره : لأنهم أجفى وأقسى ، وأبعد عن سَمَاعِ التنزيل[3] .

٨٨ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **وأَجْدَرُ أنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ..** ﴾ [آية ٩٧] .

أي وأَخْلَقُ[4] بترك ما أنزل اللهُ على رسولِهِ .

---

(١) أي يطلب منه دابة ليغزو عليها فلم يجد ، أما الأثر فقد أخرجه أبو الشيخ ، عن الحسن ، وبكر ابن عبد الله المُزني ، كما ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٦٨/٣ وفي المخطوطة نزلت في « عبد الله بن المغفَّل » وفي الدر المنثور « عبد الله بن معقل » من مُزَينة ، وفي الطبري ٢١٣/١٠ هم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف ، ومنهم عبد الله بن عمرو المزني » والله أعلم بالصواب .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٤/١١ والسيوطي في الدر ٢٦٨/٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) إلى هذا القول نحى ابن جرير الطبري ٣/١١ حيث قال : « وإنما وصفهم جل ثناؤه بذلك ، لجفائهم ، وقسوة قلوبهم ، وقلَّة مشاهدتهم لأهل الخير ، فهم لذلك أقسى قلوباً ، وأقل علماً بحقوق الله تعالى » . اهـ.

(٤) قال الزجاج ٥١٥/٢ : « أنْ » في موضع نصب لأن الباء محذوفة من « أنْ » والمعنى : أجدر بترك العلم ، تقول : أنت جدير أن تفعل كذا ، وبأن تفعل كذا ، كما تقول : أنت خليق أن تفعل . اهـ. والمعنى أنهم أحرى وأخلق ألا يعرفوا أمور الدين لطيشهم ، وتربيتهم بغير سائس ولا مؤدب .

٨٩ ــ وقوله جل وعزَّ ﴿ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَماً .. ﴾ [آية ٩٨] .

أي غُرْماً وخسراناً(١) .

٩٠ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ .. ﴾ [آية ٩٨] .

الدوائر : أي ما يَدُورُ به الزَّمانُ من المكروهِ ، وأصل الدوائر : صروفُ الزَّمان ، مرة بالخير ، ومرَّةً بالشَّرِّ(٢) .

٩١ ــ ثم قال جل وعز ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ .. ﴾ [آية ٩٨] .

وتُقرأ : « عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوْءِ »(٣) .

والسُّوءُ : البلاءُ والمكروهُ ، والسَّوْءُ : الرَّداءَةُ ، ويقال : رَجُلُ سَوْءٍ ، والرَّجُلُ السَّوْءُ(٤) .

---

(١) قال الطبري ١١/٤ : أي يعدُّ نفقته التي ينفقها في جهاد أو معونة مسلم عرفاً لزمه .

(٢) قال ابن عطية ٨/٧ : الدوائر : المصائب التي لا مخلص للإنسان منها ، فهي تحيط به كما تحيط الدائرة ، وقد تحتمل أن تُشتق من دور الزمان ، والمعنى : ينتظر بكم ما تأتي به الأيام وتدور .

(٣) هذه من القراءات السبع ، وهي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، وقرأ نافع ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ﴿ دائرة السَّوء ﴾ بفتح السين ، وانظر السبعة في القراءات ص ٣١٦ .

(٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٩/٧ حيث قال : والفتح في السين يقتضي وصف الدائرة بأنها سيئة ، ولا يقال : « رجل سَوء » إلا بفتح السين ، هذا قول أكثرهم ، وقد حكي : « رجل سُوء » بضم السين ، وقد قال الشاعر :

وكنتَ كذِئْبِ السُّوءِ لمَّا رَأَى دَماً ... بصاحبه يوماً أَحَالَ على الدَّم

قال : ولم يختلف القراء في فتح السين في قوله تعالى ﴿ ما كان أبوكِ امرء سَوء ﴾ . اهـ. أقول : وفي اللسان « وكنت كذئب السَّوء » بفتح السين ، مادة سوأ .

٩٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ﴾** [آية ٩٩] .

فالصلاة ها هنا : الدعاء[١] .

قال الضحاك : ﴿ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ﴾ يقول : واستغفارُ الرسول[٢] .

والصلاة تقع على ضروب :

فالصلاةُ مِنَ الله جلَّ وعز : الرحمة ، والخيرُ ، والبركةُ ، قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾[٣] .

والصلاةُ من الملائكةِ : الدُّعَاءُ .

وكذلك هي من النبيِّ ﷺ ، كما قال سبحانه ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾[٤] .

أي دُعاؤُكَ تثبيتٌ لهم ، وطمأنينة ، كما قال الشاعر :

تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَحِلاً
يَا رَبِّ جَنِّبْ أَبِي الأَوْصَابَ والوَجَعَا

---

(١) ومنه قوله تعالى ﴿ وصلِّ عليهم إن صلاتك سكن لهم ﴾ أي ادع لهم بالمغفرة .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس وقتادة ١١/٥ قال : ﴿ صلوات الرسول ﴾ : استغفار النبي عليه الصلاة والسلام ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢٦٩/٣ عن ابن عباس ، وعزاه إلى ابن مردويه ، وابن أبي حاتم .

(٣) سورة الأحزاب آية رقم ٤٣ .

(٤) سورة التوبة آية رقم ١٠٣ .

عَلَيْكِ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيْتِ فاغْتَمِضِي
نَوْماً فَإِنَّ لِجَنْبِ المَرْءِ مُضْطَجَعَا[1]

٩٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ ، والأنْصَارِ ، والَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ .. ﴾ [آية ١٠٠] .

ورُوِيَ عن عمر أنه قرأ ﴿ والأنْصَارُ ﴾[2] .

فمن قرأ بالخفضِ ، ذهب إلى أن المعنى : ومنَ الأنصارِ[3] .

ومن قرأ بالرفع أراد الأنصارَ كُلَّهمْ ، ولم يجعلهم من السابقين .

قال سعيد بن المسيِّب ، وابنُ سِيرِينَ ، وقتادةُ : ﴿ والسَّابقونَ ﴾ الذين صَلَّوْا القبْلَتَيْنِ جميعاً[4] .

وقال عطاء : هم أهلُ بدرٍ[5] .

---

(١) البيتان لأعشى قيس من قصيدة يمدح بها « هوذة بن علي الحنفي » وانظر ديوان الأعشى ص ١٠٥ ولسان العرب مادة (صلّى) ومعاني الزجاج ٥١٦/٢ وزاد المسير ٤٨٩/٣ ومجاز القرآن ٢٨٦/١ .

(٢) هذه من القراءات العشر كما في النشر لابن الجزري ٢٨٠/٢ وهي قراءة يعقوب برفع الراء ﴿ والأنصار ﴾ قال : وقرأ الباقون بخفضها .

(٣) هذه قراءة الجمهور ، وهي القراءة السبعية ، قال الزجاج ٥١٧/٢ : من قرأ ﴿ والأنصارِ ﴾ نسق على المهاجرين ، والمعنى : والسابقون الأولون من المهاجرين ومن الأنصار ، ومن قال ﴿ والأنصارُ ﴾ نسق به على « والسابقون » كأنه قال : والسابقون والأنصارُ . اهـ.

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ٧/١١ بهذا اللفظ « صلّوا القبلتين جميعاً » وفي تفسير ابن الجوزي ٤٩٠/٣ : صلّوا إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ ، ويريد بالقبلتين : بيت المقدس ، والكعبة المشرفة .

(٥) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢٦٩/٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وأبي نعيم .

وقال **الشعبي** : هم الَّذين بايعوا بيعةَ الرِّضْوَانِ[1] .

٩٤ ــ **ثم قال جل وعزَّ ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ .. ﴾** [آية ١٠٠] .

أي رضي اللهُ أعمالهم ، ورضُوا مجازاتَهُ عليها[2] .

٩٥ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ، وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ .. ﴾** [آية ١٠١] .

في الكلام تقديمٌ وتأخير ، المعنى ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ﴾ مَرَدُوا على النِّفاق ﴿ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ ﴾ أي من أهل المدينة مثلُهم[3] .

٩٦ ــ **ثم قال جل وعزَّ ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ، سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ .. ﴾** [آية ١٠١] .

قال الحسن وقتادة : عذاب الدنيا ، وعذاب القبر[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١١/٦ والسيوطي في الدر ٢٧٠/٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٩٠/٣ .

(٢) قال الحافظ ابن كثير ١٤٢/٤ : « أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، فياويل من أبغضهم أو سبهم ، أو أبغض أو سب بعضهم ، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم ، أعني الصديق الأكبر ، والخليفة الأعظم أبا بكر رضي الله عنه ، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم ، عياذاً بالله من ذلك ، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة ، وقلوبهم منكوسة ، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن ، إذ يسبون من رضي الله عنهم ؟! . اهـ.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٥١٧/٢ فقد قرَّر هذا المعنى الذي ذكره المصنف .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١٠/١١ وابن كثير ١٤٤/٤ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧١/٣ وقال : أخرجه ابن أبي حاتم والبيهقي .

قال قتـادة : ﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إلى عَذَابٍ عَظِيـمٍ ﴾ أي عذاب جهنم[1] .

وقيل : سنعذبهم مرَّتين ، يعني : السِّبَاءَ ، والقتلَ[2] .

وقال الفراء : بالقتل ، وعذاب القبر .

وقال مجاهد : بالجوع ، والقتل[3] .

٩٧ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِـمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً .. ﴾ [آية ١٠٢] .

قال الضحاك : هؤلاء قومٌ تخلَّفـوا عن غزوة تبـوك ، منهم « أبـو لُبَابَـةَ » فندمـوا ، وربطـوا أنفسهـم إلى سواري المسجـد ، فقـال النبـي ﷺ : لا أعذرُهـم ، فأنـزلَ اللهُ جل وعـز : ﴿ وآخَـرُونَ اعْتَرَفُـوا بِذُنُوبِهِـمْ ، خَلَطُوا عَمَـلاً صَالِحـاً وآخَـرَ سَيِّئـاً ، عَسَى اللهُ أنْ يَتُـوبَ عَلَيْهِمْ ﴾[4] .

---

(١) و (٢) و (٣) الآثار هذه جميعها ذكرها المفسرون ، ابن جرير في جامع البيـان ١١/١١ وابـن كثير ١٤٤/٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٩٣/٣ والسيوطي في الدر ٢٧١/٣ وأما قول الفـراء فانظـره في معانيه ٤٥٠/١ .

(٤) الأثر عن الضحاك أخرجه ابن جرير الطبري ١٤/١١ وابـن كثير ١٤٥/٤ والسيوطـي في الـدر المنثور ٢٧٢/٣ ولفظ الطبري : نزلت في أبي لبابة وأصحابـه ، تخلفـوا عن نبـي الله ﷺ في غزوة تبوك ، فلمـا قفـل رسول الله ﷺ من غزوتـه ، وكان قريبـاً من المدينـة ، ندمـوا على تخلفهـم عن رسول الله ، وقالوا : نكون في الظلال ، والأطعمة ، والنساء ، ونبـيُّ الله في الجهـاد والـلأواء ، والله لنوثقـن أنفسنـا بالسواري ـــ يعنـي الأعمـدة ـــ ثم لا نطلقهـا حتـى يكـون رسول الله يطلقنـا ويعذرنا ، وأوثقوا أنفسهم ، فقدم رسول الله من غزوته ، فمرَّ في المسجـد وكان طريقـه فأبصرهـم ، =

و « عَسَى » من اللهِ وَاجبةٌ[1] ، فأتَوْا النبيَّ ﷺ بأمـوالهم ، فأبى أي يقبَلَها ، فأنزل الله ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ .

قال أبيٌّ : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ واستغفر لهم[2] .

وقيل : هم الثلاثةُ الذين خُلِّفوا[3] ، والعملُ الصالحُ الذي عملوه أنهم لحقوا برسول الله ﷺ وربطوا أنفسهم بسواري المسجد ، وقالوا : لا نقرب أهلاً ولا ولداً ، حتَّى يُنزل اللهُ عُذْرنا .

﴿ وآخَرَ سَيِّئاً ﴾ هو تخلُّفهم عن غزوة تبوك ، حتَّى قدمَ رسولُ الله ﷺ ، والأوَّلُ الصحيحُ[4] .

٩٨ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ .. ﴾ [آية ١٠٤] .

= فسأل عنهم ، فقيل : أبو لبابة وأصحابه تخلفوا فصنعوا بأنفسهم ما ترى ، وعاهدوا الله ألا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم ، فقال النبي ﷺ : لا أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم ، ولا أعذرهم حتى يعذرهم الله ، فأنزل الله الآية ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم .. ﴾ .

(١) قال ابن جرير ١٢/١١ ﴿ عسى الله أن يتوب عليهم ﴾ أي لعل الله أن يتوب عليهم و « عسى » من الله واجب ، ومعناه : سيتوب الله عليهم . اهـ.

(٢) ذكره الطبري ، والسيوطي عن ابن عباس ، وهو تفسير لقوله تعالى ﴿ وصل عليهم ﴾ أي استغفر لهم عن ذنوبهم التي أصابوها ، انظر تفسير الطبري ١٧/١١ .

(٣) أشار المصنف إلى قوله تعالى ﴿ وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا ﴾ أي تخلفوا عن غزوة تبوك .

(٤) قال الرازي ١٧٤/١٦ : هؤلاء قوم من المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك لا لنفاقهم بل لكسلهم ، ثم ندموا على ما فعلوا وتابوا . وقال ابن الجوزي ٤٩٥/٣ : العمل الصالح توبتهم ، والسيء : تخلفهم ، ذكره الفراء .

أي ويقبلها .

ومنه ﴿ خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بالعُرْفِ ﴾[1] .

ومنه الحديث « الصَّدَقَةُ تقــعُ في يدِ اللهِ عزَّ وجــــل »[2] أي يقبلها .

٩٩ ــ وقولُه جل وعز ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَونَ لِأَمْرِ اللهِ .. ﴾ [آية ١٠٦] .

أي مُؤَخَّرون .

يُقال : أرجأتُ الأمرَ ، وقد حُكِيَ أَرْجَيْتُ[3] .

١٠٠ ــ ثم قال جل وعز ﴿ إمَّا يُعَذِّبُهُــمْ وَإمَّــا يَتُــوبُ عَلَيْهِــمْ .. ﴾ [آية ١٠٦] .

و « إمَّا » لأحد أمْرَيْنِ ، ليكونوا كذا عندهم[4] .

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٩٩ .

(٢) هذا طرف من حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة وقال : حديث حسن صحيح وتمامه « إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه ، فيربِّيها لأحدكم كما يُربِّي أحدُكم مُهْره ــ أي ولد الفَرَس ــ حتى إن اللقمة لتصير مثل جبل أحد ، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ، ويأخذ الصدقات ﴾ و ﴿ يمحق الله الربا ويربي الصدقات ﴾ من تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٣٣٠/٣ ورواه مسلم بلفظ « لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه » وانظر تتمة الحديث في جامع الأحكام للقرطبي ٢٥١/٨ .

(٣) قال القرطبي في جامع الأحكام ٢٥٢/٨ : ﴿ وآخرون مرجون ﴾ من أرجأته أي أخَّرته ، ومنه قيل : مرجئة لأنهم أخروا العمل ، وقال المبرد : لا يقال أرجيته بمعنى أخرته ، ولكن يكون من الرجاء .

(٤) كلام المصنف هنا فيه إيجاز وغموض ، وقد وضَّحه الزجاج في معانيه ٥١٩/٢ فقال : « إما » لوقوع أحد الشيئين ، والله عز وجل عالم بما يصير إليه أمرهم ، إلا أن هذا للعباد ، خوطبوا بما يعلمون ، فالمعنى : ليكن أمرهم عندكم على الرجاء ، لأنه ليس للعباد أكثر من هذا .

ويُقال : إن المرجَئين ههنا هم الثلاثة الذين خُلِّفوا ، وذكرهم الله عز وجل في قوله ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾[1] .

وقرأ عكرمة : ﴿ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾[2] بفتح الخاء مخفَّفاً وقال : أي خلفوا بعَقْبِ النبي ﷺ .

ومعنى « خُلِّفوا » تُركوا فلم تُقبل توبتُهم ، كما قُرِئ على بكر ابن سهل ، عن أبي صالح عن الليث ، عن عقيل ، عن الزُّهري ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبيه كعب بن مالك ، وذكر الحديث ، وقال فيه : وليس الذي ذكَرَ اللهُ ممَّا خلِّفنا عن الغزو ، وإنما هو تخليفُه إيَّانا ، وإرجاؤه أمرنا عمَّن خَلَف له ، واعتذر إليه ، فقبِل منه .. قال : « سهلُ بن سَعْد » و « كعبُ بن مالك » و « هلال بن أمية » و « مُرارةُ بن الرَّبيع العَمْري »[3] .

قال مجاهد : هم من الأوس والخزرج[4] .

١٠١ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ والَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وكُفْراً .. ﴾** [آية ١٠٧] .

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١١٨ .

(٢) هو عكرمة بن هارون المخزومي ، كذا في البحر ١١٠/٣٥ وقد عدَّ هذه القراءة ابن جني في المحتسب ٣٠٥/١ من القراءات الشاذة قال ابن جني : وتأويله على هذه القراءة : أقاموا ولم يبرحوا .

(٣) انظر الطبري ٥٧/١١ والبحر المحيط ١٠٩/٥ والدر المنثور للسيوطي ٣٨٦/٣ قال : وكلهم من الأنصار ، وانظر قصتهم في صحيح البخاري ٨٨/٦ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٥٧/١١ والسيوطي في الدر ٢٨٦/٣ .

أي ومنهم الذين اتخذوا مسجداً ضراراً أي مُضارَّةً .

١٠٢ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَتفْرِيقاً بَيْنَ المُؤْمِنِينَ ، وإرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ .. ﴾ [آية ١٠٧] .

قال مجاهد : هو « أبو عَامِر » خرج إلى الشام يستنجد قيصر على قتال المسلمين ، وكانوا يرصدون له[١] .

وقال أبو زيد[٢] : يُقال : رصدتُه في الخير ، وأرصدتُ له في الشرِّ .

وقال ابن الأعرابي[٣] : لا يُقال إلَّا أرصدتُ ، ومعناه ارتقيت[٤] .

١٠٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً ، لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أن تَقُومَ فِيهِ .. ﴾ [آية ١٠٨] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٤/١١ والقرطبي ٢٥٣/٨ قال : ونزلت في « أبي عامر الراهب » وانظر قصته فيه ، وهو الذي كان يؤلِّب المنافقين على رسول الله عليه السلام ، وهو الذي بنى المسجد الذي سماه القرآن « مسجد الضرار » وأمر الرسول ﷺ بهدمه وتحريقه ، لأنه ما بُني لوجه الله ، إنما بُني ليكون وِكْراً لتفريق صفوف المسلمين .

(٢) أبو زيد هو : « سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري » إمام نحوي من كبار أئمة اللغة والأدب ، توفي سنة ٢١٥ وكان سيبويه إذا قال : سمعت الثقة عنى به أبا زيد ، وانظر ترجمته في بغية الوعاة في طبقات االنحاةِ للسيوطي ٥٨٢/١ والأعلام للزركلي ١٤٤/٣ ووفيات الأعيان ٢٠٧/١ .

(٣) ابن الأعرابي هو محمد بن زياد أبو عبد الله من موالي بني هاشم ، قال الجاحظ : كان نحوياً عالماً باللغة والشعر ، توفي سنة ٢٣١هـ وانظر ترجمته في بغية الوعاة ١٠٥/١ والأعلام ٣٦٥/٦ .

(٤) في الصحاح ٤٧٤/٢ : رَصَدته أرْصُده رَصْداً : ترقَّبته ، وأرصدت له : أعددت له قاله الأصمعي والكسائي .

يُروى أنهم دَعَوا النبيَّ ﷺ إلى الصَّلاة فيه ، كما صلَّى في مسجد قباء .

قال سهل بن سعيد ، وأبو سعيد الخدري : اختلف رجلان في عهد[1] النبي ﷺ في المسجد الذي أُسِّس على التقوى ! فقال أحدهما : هو مسجد النبي ، وقال الآخر : هو مسجدُ قباء ، فأتيا النبي ﷺ فسألاه ، فقال النبي ﷺ : « هو مسجدي هذا »[2] .

وفي حديث أبي سعيد وذلك خيرٌ كثير[3] .

١٠٤ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ، واللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ ﴾ [آية ١٠٨] .

---

(١) في المخطوطة « في وقت النبي » وصوابه : في عهد النبي ﷺ وهو ما أثبتناه كما في تفسير ابن الجوزي ٥٠٠/٣ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣٣١/٥ ورواه الترمذي ٥٠٢/٨ برقم ٥٠٩٧ وقال : حديث صحيح ، كما أخرجه النسائي في سننه ، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٧/٧ وذكره ابن جرير في جامع البيان ٢٨/١١ ورجحه ، ولفظ الترمذي « تمارى رجلان في المسجد الذي أُسِّس على التقوى .. » الحديث .

(٣) يريد المصنف أنه في مسجد النبي ﷺ الذي رواه أبو سعيد ، وفي مسجد قباء الذي أشار إليه بقوله « وذلك خير كثير » وأصل الحديث كما ورد : « المسجد الذي أسس على التقوى: مسجدي هذا ، وفي كل خير » وقد رجح الطبري ٢٨/١١ هذا القول أنه مسجد النبي ﷺ قال : لصحة الخبر بذلك ، وأما الحافظ ابن كثير ١٥٠/٤ فقد رجَّح أنه مسجد قباء فقال : والسياق إنما هو في معرض مسجد قباء ، فهو المسجد الذي أسس من أول يوم بنائه على التقوى ، وهي طاعة الله وطاعة رسوله ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح « صلاة في مسجد قباء كعمرة » وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يزور قباء راكباً وماشياً » . اهـ. أقول : وهذا القول يجعل الضمائر متناسقة فهو الأرجح والله أعلم .

يُروى أن النبي ﷺ سألهم عن طهورهم فقالوا : « إنّا نستنجي بالماء !! فقال : أحسنتم »[1] .

والهاءُ في قوله ﴿ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ يعودُ على مسجد النبي ﷺ .

والهاء في قوله ﴿ فيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾ يعود على مسجد قُباء[2] . ويجوز أن تكون تعود على مسجد النبي ﷺ .

١٠٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ .. ﴾ [آية ١٠٩] .

والشَّفَا : الحَرْفُ والحدُّ .

والجُرُفُ : ما جرفه السيل .

والهاري : المتهدِّم الساقطُ[3] .

---

(١) الحديث أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٩/١١ بلفظ « أن النبي ﷺ قال : يا معشر الأنصار ، ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم فيه ؟ قالوا : إنا نستطيب بالماء إذا جئنا الغائط » ورواه أبو داود في كتاب الطهارة ١١/١ والترمذي ٥٠٣/٨ من تحفة الأحوذي بلفظ « نزلت هذه الآية في أهل قباء ، كان يستنجون بالماء ، فنزلت هذه الآية فيهم » قال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، قال الحافظ في التلخيص : سنده ضعيف . اهـ.

(٢) في هذا القول تفكيك للضمائر ، والأظهر أن الضمائر كلها تعود على مسجد قباء .

(٣) هذا من أبدع وجوه التمثيل وأروعه ، فقد مثَّل تعالى لعمل المنافقين ، بمن أراد أن يبني قصراً مشيداً يسكنه ، فبناه على حافة واد سحيق ، من غير وضع أساس يرتكز عليه ، فما أن تمَّ البناء حتى انهار جميعه بصاحبه ، وهوى إلى مكان سحيق ، كذلك عمل المنافقين يهوي بصاحبه في نار =

١٠٦ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ .. ﴾ [آية ١١٠] .

قال قتادة : أي شكّا ، كأنهم عُوقبوا بهذا[1] .

وقال السدي : أي حَزَازة[2] .

١٠٧ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ، واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [آية ١١٠] .

قال عطاء ومجاهد وقتادة : ﴿ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ : إلا أن يموتوا[3] .

وقال غيرهم : أي إلَّا أن يتوبوا توبةً يندمون فيها على ما فعلوا ، حتى يكونوا بمنزلة من قد قُطِّع قلبُه[4] .

= جهنم ، ويا له من تمثيل في غاية الروعة والبيان ، قال القرطبي ٢٦٥/٨ : « وهذه الآية ضرب مثل لهم ، أي هل من أسَّس بنيانه على الإسلام ، خير أم من أسَّس بنيانه على الشرك والنفاق ، فبناء الكافر كبناء على حافة جهنم يتهور بأهله فيها » .

(١) الأثر أخرجه الطبري ٣٤/١١ والقرطبي ٢٦٦/٨ قال ﴿ ريبة في قلوبهم ﴾ أي شكاً في قلوبهم ونفاقاً ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك ، ومنه قول النابغة :

حَلَفْتُ فلمْ أَتْرُكْ لنفْسِكَ رِيبَةً ... وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٣٤/١١ وابن الجوزي في زاد المسير ٥٠٣/٣ والقرطبي في جامع الأحكام ٢٦٦/٨ وفي المخطوطة « حرارة » وهو تصحيف وصوابه « حزازة » كما في الطبري والقرطبي وغيرهما قال ابن الجوزي : المعنى لا يزال هدم بنيانهم حزازةً وغيظاً في قلوبهم ، قاله السدي والمبرد .

(٣) الأثر في الطبري ٣٣/١١ وفي ابن كثير ١٥٥/٤ وفي زاد المسير ٤٠٣/٣ .

(٤) هذا القول ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥٠٣/٣ وقال : ذكره الزَّجَّاج ، وهو في معاني الزجاج ٥٢٢/٢ عن بعضهم .

وقرأ **عكرمة** : « إلَى أنْ » على الغاية[1]

١٠٨ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ إنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أنْفُسَهُمْ وأمْوَالَهُمْ بأنَّ لَهُمْ الجَنَّةَ .. ﴾ [آية ١١١] .

هذا تمثيل ، كما قال جلَّ وعز ﴿ أوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلاَلَةِ بالهُدَى ﴾[2] .

١٠٩ ــ وقولـه جلَّ وعـز ﴿ التَّائِبُونَ ، العَابِدُونَ ، الحَامِدُونَ ، السَّائِحُونَ .. ﴾ [آية ١١٢] .

قال الحسن : أي التائبون من الشرك ، العابدون الله وحده ، السائحون .

رُوي عن النبي ﷺ أنه قال : « الصائمون » وقد صحَّ عن ابن مسعود[3] .

---

(١) هذه القراءة ذكرها ابن عطية في المحرر ٤٨/٧ وأبو حيان في البحر ١٠١/٥ وهي ليست من القراءات السبع ، وقد قرأ بها يعقوب ، وذكرها ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر ٢٨١/٢ فهي إحدى القراءات العشر .

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٦ .

(٣) تفسير السائح بأنه الصائم رُوي موقوفاً ومرفوعاً ، فقد ذكر الحافظ ابن كثير ١٥٦/٤ عن ابن مسعود موقوفاً ، ورواه أيضاً عن ابن عباس قال : « كل ما ذكر في القرآن السياحة هم الصائمون » وروي من حديث أبي هريرة مرفوعاً (السائحون الصائمون) قال : والموقوف أصح .

أقول : فسَّر بعضهم « السائح » بأنه الصائم ، وهو مرويٌّ عن الحسن ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وقال عطاء : هم الغُزاة المجاهدون في سبيل الله ، وقال ابن زيد : هم المهاجرون ، وقال الإمام الفخر الرازي ٢٠٩/٨ : هم طلاب العلم يتنقلون من بلد إلى بلد في طلب العلم ، وهو قول عكرمة ، وللسياحة أثر عظيم في تكميل النفس ، فإنه يلقى أنواع الضر والبؤس ، وقد ينقطع زاده ، فيحتاج إلى الصبر والتوكل على الله .. إلخ . والخلاصة : هم السائرون في الأرض للغزو أو =

قال أبو جعفر : وأصل السَّيح : الذَّهابُ على وجه الأرض ، ومنه قيل : ماءٌ سَيْحٌ ، ومنه سُمِّي سَيْحان[1] .

وقيل للصائم : سايحٌ ، لأنه تاركٌ للمطعم ، والمشرب ، والنكاح ، فهو بمنزلة السايح[2] .

١١٠ ــ ثم قال جل وعز ﴿ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُون ﴾ [آية ١١٢] .

أي المؤدون الفرائضَ[3] .

ثم قال جل وعز ﴿ الآمِرُونَ بالمَعْرُوفِ ﴾ أي بالإيمان بالله جل وعز .

ثم قال ﴿ والنَّاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ ﴾ أي عن الكفر[4] .

ويجوز أن يكون المعنى : الآمرون بكل معروفٍ ، والنَّاهون عن كلِّ منكرٍ .

= طلب العلم ، مأخوذ من السياحة وهي السير والذهاب في المدن والقفار ، للعظة والاعتبار ، وهي الأولى بتفسير الآية الكريمة ، كما يدل عليه قوله تعالى ﴿ فسيحوا في الأرض .. ﴾ الآية .

(١) انظر الصحاح للجوهري ٣٧٧/١ وفيه : ساح الماء سيحاً : إذا جرى على وجه الأرض ، وسيحان نهر بالشام .

(٢) في البحر ١٠٤/٥ قال ابن مسعود وابن عباس : ﴿ السائحون ﴾ الصائمون ، شُبِّهوا بالسائحين في الأرض لامتناعهم من شهواتهم .

(٣) هذا القول يعم الصلاة وغيرها ، والأظهر أن المراد بها الصلاة كما قاله الطبري : يعني المصلين الراكعين في صلاتهم الساجدين فيها .

(٤) هذا القول مروي عن الحسن وأبي العالية كما في الطبري ، وهو قول مرجوح ، والراجح أن كل ما أمر الله به عباده هو المعروف ، وكل ما نهى الله عنه عباده هو المنكر ، وهو قول الجمهور واختاره الطبري في جامع البيان ٣٩/١١ .

﴿ والحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ ﴾ أي العاملون بأمر الله جلَّ وعزَّ ونهيه .

١١١ ـ وقوله جلَّ وعز ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى .. ﴾ [آية ١١٣] .

وَرَوَى أبو الخليل[١] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « مررتُ برجلٍ من المسلمين ، يستغفر لأبيه وقد مات مشركاً ، قال : فنهيتُه ، فقال : قد استغفر إبراهيم لأبيه ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرته ، فأنزل الله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجحِيمِ . وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إيَّاهُ .. ﴾[٢] إلى آخر الآيتين .

وفي بعض الروايات ، فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ فقرأ : ﴿ ما كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ .. ﴾ الآيتين .

---

(١) أبو الخليل هو : صالح بن أبي مريم الضُّبعي ، وهو بصري ثقة ، قال ابن معين وأبو داود والنسائي : ثقةٌ ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وانظر ترجمته في التهذيب ٤٠٢/٤ والجرح والتعديل ٤١٥/٤ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٤٣/١١ عن عليٍّ بلفظ « سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان ، فقلت : أيستغفر الرجلُ لوالديه وهما مشركان ؟ فقال : أولم يستغفر إبراهيم لأبيه ؟ فأتيت النبي ﷺ فذكرت له ذلك ، فنزلت الآية » وأخرجه السيوطي في الدر ٢٨٢/٣ والترمذي في التفسير برقم ٣١٠٠ وقال : حديث حسن ، وأخرجه النسائي في الجنائز ٩١/٤ وأحمد في المسند ٩٩/١ وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة ، وأحمد ، وابن المنذر ، والحاكم وصحَّحه ، وانظر الدر المنثور ٢٨٢/٣ .

وروى الزُّهْرِيُّ عن سعيد بن المسيِّب ، عن أبيه أن النبيَّ ﷺ جاء أبا طالبٍ ، حين حَضَرَتْهُ الوفاةُ ، وكان « أبو جهلٍ » و « عبدُ اللهِ بنُ أميَّةَ » عنده ، فقال النبيُّ ﷺ : أي عمُّ ، قلْ : « لا إله إلا الله » أشهدُ لك بها عند الله !! فقال أبو جهل ، وعبد الله بن أبي أميَّة : أترغبُ عن ملَّةِ عبد المطلب ؟ فأبى أن يقول : لا إله إلا الله ، فقال النبي ﷺ : أمَا واللهِ لأستغفرنَّ لكَ ما لم أُنْهَ ، فأنزل الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِلْنَّبِيِّ والَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ .. ﴾ وأنزل ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ .. ﴾[1] .

قال ابن مسعود : « نَاجَى النبيُّ ﷺ قبرَ أُمِّهِ ، وبكَى ، وقال : إنِّي استأذنتُ رَبِّي في الاستغفارِ لها ، فلم يأذنْ لي ، ونَزَل ﴿ مَا كَانَ لِلْنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾[2] .

وقيل : معنى ﴿ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾ إنَّ أباه وَعَده

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ٨٧/٦ ومسلم في كتاب الإيمان ٤٠/١ وأحمد في المسند ٥٣/٥ والطبري في جامع البيان ٤١/١١ وأورده السيوطي في الدر ٢٨٢/٣ وزاد نسبته إلى النسائي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير عن عطية ، وابن عباس ٤٢/١١ وأخرجه الطبراني من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : « لما أقبل ﷺ من غزوة تبوك اعتمر ، فلما هبط من ثنيَّة عسفان ، نزل على قبر أمه آمنة ، فناجى ربه طويلاً ، ثم بكى واشتد بكاؤه ، فبكى الصحابة لبكائه ، فقال لهم ﷺ : دعوت الله أن يأذن لي في شفاعتها يوم القيامة فأبى .. » الأثر وانظر الدر المنثور ٢٨٣/٣ ولعلَّ هذا قبل أن يُخبر النبيُّ ﷺ بنجاة أهل الفترة لقوله تعالى ﴿ وما كنا معذِّبين حتى نبعث رسولاً ﴾ .

أن يُسلم ، فاستغفر له(١) .

﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ ﴾ بإقامته الكفر ﴿ تَبَرَّأَ منه ﴾ .

وقال عبد الله بن عباس : لمَّا تَبيَّن له أنه عدوٌّ للهِ ، بأن مات وهو كافر ، تبرَّأ منه(٢) .

١١٢ ــ وقوله عزَّ وجل ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [آية ١١٤] .

روى أبو ظبيان عن ابن عباس أنه قال : الأَوَّاهُ : الموقنُ(٣) .

ورُوي عَن عبد الله بن مسعود قولان ، أصحُّهما إسناداً ما رواه حمَّاد ، عن عاصم عن زرٍّ عن ابن مسعود أنه قال : هو الدَّعَّاءُ ، والآخر أنه الرَّحِيمُ(٤) .

ورُوِيَ عن مجاهد أنه الفقيه(٥) .

وقال كعب : إذا ذَكَرَ النَّارَ تأوَّه(٦) .

---

(١) هذا على القول بأن الضمير يعود على « آزر » والد إبراهيم أي إلا عنْ موعدة من أبيه له في أنه سيؤمن ، فكان إبراهيم قد قوي طمعه في إيمانه ، فحمله على الاستغفار له حتى نهي عنه ، وقيل : الضمير يعود على إبراهيم أي عن موعدة من إبراهيم لأبيه في قوله ﴿ سأستغفر لك ربي ﴾ ورجحه في البحر ١٠٥/٥ ، وقال الأخفش في معانيه ٥٦٢/٢ ﴿ إلا عن موعدة ﴾ يريد إلا من بعد موعدة ، كما تقول : ما كان هذا الشر إلا عن قول كان بينكما ، أي عن ذلك صار .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٤٥/١١ ولفظه : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما مات تبين له أنه عدو لله .

(٣) و (٣) و (٥) و (٦) الآثار هذه كلها عن السلف ذكرها الطبري ٤٧/١١ وابن كثير ١٦٢/٤ وذكر القرطبي في تفسير الأواه خمسة عشر قولاً عن السلف ، انظرها في جامع الأحكام ٢٧٥/٨ واختار ما رجحه المصنف .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال ليست بمتناقضة ، لأن هذه كلها من صفات إبراهيم ﷺ ، إلا أن أحسنَها في اللغة الدَّعَّاءُ ، لأن التأوُّه إنما هو صوتٌ ، قال المُثَقِّب :

إذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلَيْلٍ
تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الحَزِينِ[1]

وقول كعبٍ أيضاً حسنٌ ، أي كان يتأوَّه إذا ذَكَر النَّارَ .

وقال سعيد بن جبير : المسبِّح ، وقيل : الذي يتأوَّه من الذنوب فلا يعجل إلى معصية[2] . فلم يستغفر لأبيه إلَّا لوعده ، لأن الاستغفار للكافر تركُ الرضا لأفعال الله عز وجل وأحكامه .

١١٣ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ .. ﴾ [آية ١١٥] .

قال أبو عَمْرِو بنِ العَلَاءِ[3] رحمه الله : أي يحتجُّ عليهم بأمره[4] ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا

---

(١) البيت للمثقِّب العبدي يتحدث عن ناقته ، والقصيدة في ديوانه ٥ وانظر شرح المفضليات ٥٨٦ ومجاز القرآن ٢٤٧/١ ومعاني الزجاج ٥٢٥/٢ ولسان العرب مادة أوه وتفسير القرطبي ٢٧٦/٨ .

(٢) انظر الأثر عن سعيد بن جبير في الطبري ٥٠/١١ والدر المنثور ٢٨٥/٣ والقرطبي ٢٧٥/٨ .

(٣) أبو عمرو بن العلاء من أئمة علماء اللغة والنحو ، وقد تقدمت ترجمته .

(٤) ذكره الطبري في جامع الأحكام ٢٧٧/٨ ومراده « أن الله تعالى لم يكن ليضل هؤلاء الأقوام ، حتى يرشدهم إلى طريق الحق ، بما ركز فيهم من حجج العقول التي أغفلوها ، وتبيين ما يتقون =

فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾[1] .

وقال مجاهد : يُبيِّن لهم أمرَ إبراهيم ، ألَّا يستغفروا للمشركين خاصة ، ويُبيِّن لهم الطاعة والمعصية عامَّة[2] .

ورُوي أنَّه لما نَزَل تحريمُ الخمرِ ، وشدِّدَ فيها ، سألوا النبيَّ ﷺ عمَّن ماتَ وهو يشربها ؟ فأنزلَ اللهُ عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ﴾[3] .

١١٤ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ .. ﴾ [آية ١١٧] .

قال عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب : « خرجوا في غزوة تبوك ، في حرٍّ شديد ، وكان الرجلان والثلاثة على البعير الواحد ، فعطشوا يوماً عطشاً شديداً ، فأقبلوا ينحرون الإبل ، ويشقُّون أكْرَاشَها ، ويشربون ما فيها »[4] .

= بطريق الوحي ، فتظافرت عليهم الحجج العقلية والسمعية ، ومع ذلك لم يؤمنوا ، ولم يتَّبعوا ما جاءت به الرسل » ذكره أبو حيان في البحر ١٠٧/٥ .

(١) سورة الإسراء آية رقم ١٦ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٥٣/١١ وابن كثير ١٦٤/٤ وفي الدر ٢٨٦/٣ .

(٣) انظر البحر المحيط لأبي حيان ١٠٦/٥ ومعاني الزجاج ٥٢٦/٢ وجامع الأحكام للقرطبي ٢٧٧/٨ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٥٥/١١ وتتمة الأثر قال : وكان ذلك في عُسرة من الماء ، وعسرة من الظهر ، وعسرة من النفقة . وأخرجه ابن كثير ١٦٥/٤ عن عبد الله بن عباس بأوسع منه أنه قيل لعمر بن الخطاب في شأن العُسرة فقال عمر : « خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في =

١١٥ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيـغُ قُلُوبُ فَرِيـقٍ مِنْهُـمْ .. ﴾** [آية ١١٧] .

تَزِيغُ : تميلُ ، وليس مَيْلاً عن الإسلام ، وإنما هَمُّـوا بالقُفُـول ، فتاب الله عليهم ، وأمرهم به[١] .

١١٦ ــ **وقوله عزَّ وجـل ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَـةِ الَّذِيـنَ خُلِّفُـوا حَتَّى إذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ .. ﴾** [آية ١١٨] .

كان أبو مالك يقول : خُلِّفُوا عن التوبة[٢]

وحُكـي عن محمـد بن يزيـد معنـى « خُلِّفـوا » : تُرِكُـوا ، لأنَّ معنى خلَّفتُ فلاناً : فارَقْتَه قاعداً عمَّا نهضتَ فيه[٣] .

= قيظ شديد ، فنزلنا منزلاً ، فأصابنا فيه عطش ، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ، ويجعل على ما بقي على كبده ، فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله : إن الله عز وجل قد عوَّدك في الدعاء خيراً ، فادع لنا !! قال : تحب ذلك ؟ قال : نعم ، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى مالت السماء فأظلت ثم سكبت ، فملأوا ما معهم ، فنظرنا فلم نجدها جاوزت العسكر » وانظر جامع البيان للطبري ١١/٥٥ .

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٢/٥٢٦ قال : إن القلوب مالت إلى الرجوع للشدة التي لقوها ، ولم تزغ عن الإيمان . وهذا قول الحسن أيضاً حكاه عنه في البحر ٥/١٠٩ قال : همَّت فرقة بالانصراف لما لقوا من المشقة .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١١/٥٦ وابن الجوزي ٣/٥١٣ وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وانظر الدر ٣/٢٨٩ .

(٣) ذكره القرطبي في جامع الأحكام عن المبرد ٨/٢٨١ والراجح ما قاله ابن عطية في المحرر ٧/٧٢ قال : ومعنى « خلِّفوا » أُخِّروا وتُرك أمرهم ، ولم تُقبل منهم معذرة ، فكأنهم خلفوا عن المعتذرين ، وقيل معناه : خلفوا عن غزوة تبوك ، قاله قتادة ، وهذا ضعيف ، وقد ردَّه كعب =

وقرأ **عكرمة** بن خالد : « خَلَفُوا »[1] أي أقاموا بعَقِبِ رسولِ الله ﷺ .

ورُوِي عن جعفر بن محمد أنه قرأ « خَالَفُوا »[2] .

ومعنى ﴿ رَحُبَتْ ﴾ وَسِعَتْ .

ومعنى ﴿ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾ : وأيقنوا[3] .

١١٧ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا .. ﴾ [آية ١١٨] .

فيه جوابان :

أحدهما : أن المعنى ثم تاب عليهم ليثبتوا على التوبة[4] ، كما

= نفسه فقال : ليس بتخلفنا عن الغزو ، وإنما تُركوا عن قبول العذر ، ويقوِّه ﴿ حتى إذا ضاقت ﴾ فقد جعله غاية للتخلف ، وإنما ضاقت عليهم الأرض عن تخليفهم عن قبول العذر .

(١) و(٢) قراءة « خَلَفوا » و « خَالفوا » من القراءات الشاذة ، كما ذكره ابن جني في المحتسب ٣٠٥/١ .

(٣) الظن : يأتي بمعنى الشك ، وبمعنى اليقين ، قال في المصباح ٣٤/٢ : الظن : خلاف اليقين قاله الأزهري ، وقد يستعمل بمعنى اليقين كقوله تعالى ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ﴾ .

(٤) هذا القول هو الأظهر والأرجح ، أي وفَّقهم للثبات على الحق ، وتاب عليهم لما ندموا ، لأن الندم توبة ، وحكى ابن عطية في المحرر ٧٣/٧ قولاً بديعاً ، ننقله عنه لنفاسته وحسنه ، قال رحمه الله : « لما كان هذا القول في تعديد نعمه على المؤمنين ، بدأ في ترتيبه بالجهة التي هي عن الله عز وجل ، ليكون ذلك منبهاً على تلقي النعمة من عنده ، لا رب غيره ، ولو كان القول في تعديد ذنب ، لكان الابتداء بالجهة التي هي عن المذنب ، كما قال تعالى ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ ليكون هذا أشد في تقرير الذنب عليهم ، وهذا من فصاحة القرآن ، وبديع نظمه ، ومعجز اتساقه » . اهـ.

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا ﴾[1] .

والآخَرُ : أنـه فَسَحَ لهم ، ولم يُعجِّـل عقـابهم ، كما فعـل بغيرهـم ، قال جلَّ وعـزَّ ﴿ فَبِظُلْـمٍ مِنَ الَّذِيـنَ هَادُوا حَرَّمْنَـا عَلَيْهِـمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾[2] .

١١٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [آية ١١٩] .

قيل : « مَعَ الصَّادِقِينَ » : الذين يصْدُقون في قولهم وعملهم .

وقيل : الَّذين يَصْدُقون في إيمانهم ، ويُوفونَ بما عاهـدوا عليـه ، كما قال تعـالى ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِيـنَ رِجَـالٌ صَدَقُـوا مَا عَاهَـدُوا اللهَ عَلَيْهِ ﴾[3] .

١١٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﴾ [آية ١٢٠] .

وقد قال بعد هذا ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ، فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ .. ﴾ [آية ١٢٢] .

قال قتـادة : أُمِروا أَلَّا يتخلَّفـوا عن رسول الله ﷺ إذا خَرَجَ

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٣٦ والمراد بها الثبات والدوام والاستمرار على الإيمان ، والمعنى : يا أيها الذين آمنوا اثبتوا على إيمانكم ودوموا عليه .

(٢) سورة النساء آية رقم ١٦٠ وهذا القول ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٢٨٨/٨ ولم يعزه لأحد من أئمة التفسير .

(٣) سورة الأحزاب آية رقم ٢٣ .

بنفسِهِ ، فإذا وجَّهَ سَرِيَّـةً تَخَلَّـفَ بعضُهـم ، ليسمعـوا الوحـيَ ، والأمـرَ والنهيَ ، فيُخبروا به من كان غائباً[١] .

وروى علـيُّ بن أبي طلحـة ، عن ابـن عبـاس ﴿ وَمَـا كَانَ الْمُؤْمِنُـونَ لِيَنْفِـرُوا كَافَّـةً ﴾ أنها ليست في الجهـاد ، ولكـن لمَّـا دعـا رسولُ الله ﷺ على مُضَرَ بالسِّنين ، أجـدبت بلادُهـم ، فكـانت القبيلةُ تُقْبِل بأسرها ، حتى يحلُّـوا بالمدينـة من الجُهْـدِ ، وأجْهَدُوهـم ، فأنزل الله عزَّ وجـل ، يُخبر رسولَـه ﷺ أنهم ليسوا مؤمـنين ، فردَّهـم رسولُ الله ﷺ إلى عشائرهـم ، وحـذَّرَ قومَهـم أن يفعلـوا فعلهـم ، فذلك قولُـه سبحانـه ﴿ وَلِيُنْـذِرُوا قَوْمَهُـمْ إِذَا رَجَعُـوا إِلَيْهِـمْ لَعَلَّهُـمْ يَحْذَرُونَ ﴾[٢] .

وبهذا الإسنـاد قال : يعنـي ما كان المؤمنـون لينفـروا جميعـاً ، ويتركوا النبـي ﷺ وحـده . والتأويـلان متقاربـان ، والمعنـى : إنهم لا ينفرون كلهـم ، ويَدَعـون حفـظَ أمصارهـم وعمـرانها ، ومنـع الأعـداء

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٦٥/١١ والقرطبي ٢٩٢/٨ وابن عطية ٧٥/٧ ولفظـه : كان هذا الإلـزام خاصاً مع النبي ﷺ ، ووجوب النفر إلى الغزو إذا خرج هو بنفسه .. إلخ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٦٨/١١ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٢/٣ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن جرير ، وأخرجه ابـن الجوزي في زاد المسير ٥١٦/٣ وابـن كثير في تفسيره ١٧٣/٤ وهذا القول مرجوح ، والراجح ما ذكره الجمهـور وهـو أنـه لما نزل عيب المنافـقين المتخلـفين عن غزوة تبوك ، قال المؤمنون : والله لا نتخلف عن جيش أو سرية أبـداً ، فلمـا أرسل الـرسول ﷺ السرايا بعد تبـوك ، نفـر المسلمـون جميعـاً ، وتركـوا رسول الله وحـده ، فنـزلت هذه الآية ، قالـه أبو صالح عن ابن عباس ، واختاره الطبري في جامع البيان ٦٨/١١ .

منها ، وعليهم حفظُ نبيِّهم ﷺ ، كما خُفِّفَ عليهم حفظُ أمصارهم من الأعداء .

۱۲۰ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ ذَلِكَ بأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ .. ﴾** [آية ۱۲۰] .

﴿ ظَمَأٌ ﴾ أي عطش ، ﴿ وَلَا نَصَبٌ ﴾ وهو أشدُّ التَّعب .

قال قتادة : والمخمصة : المجاعةُ[1] .

۱۲۱ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَاناً .. ﴾** [آية ۱۲٤] .

أي فمن المنافقين من يقول أيُّكم زادته هذه إيماناً ؟ لأنه إذا آمن بها فقد ازداد إيمانُهُ .

۱۲۲ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾** [آية ۱۲٥] .

أي شكٌّ ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ أي كفراً إلى كفرهم[2] .

۱۲۳ ــ **وقوله جل وعز ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ .. ﴾** [آية ۱۲٦] .

---

(۱) انظر جامع البيان للطبري ٦٤/١١ وتفسير ابن كثير ١٧١/٤ والقرطبي ٢٩٠/٨ قال : وأصل المخمصة ضمور البطن ، ومنه رجل خميص ، وامرأة خمصانة ، أي جائع وجائعة .

(۲) قال الزجاج : « مَرَض » أي شك ونفاق ، والرِّجس : الكفر ، أي زادتهم كفراً إلى كفرهم ، لأنهم كلما كفروا بسورة ازداد كفرهم .

قال الحسن : أي يُبْتَلون بالغزو في كل سنة ، مرَّةً أو مرتين[1] .

قال مجاهد : أي يُبْتَلون بالسَّنَةِ والجَدْبِ[2] .

١٢٤ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ .. ﴾ [آية ١٢٧] .

لأنهم منافقون ، فكان بعضُهُم يومئُ إلى بعض ، فيقول : أيكم زادته هذه إيماناً ؟ ﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا ﴾ .

يجوز أن يكون المعنى : ثم انصرفوا من موضعهم[3] .

ويجوز أن يكون المعنى : ثم انصرفوا عن الإيمان .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٧٤/١١ وابن كثير ١٧٦/٤ وأبو حيان في البحر ١١٦/٥ والدر المنثور ٢٩٣/٣ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٧٣/١١ والسيوطي في الدر ٢٩٣/٣ وابن كثير في تفسيره ١٧٦/٤ وقد رجح ابن عطية أن الابتلاء هو كشف أسرارهم ، وفضح عقائدهم فقال ما نصه بعد نقل الأثرين : « والذي يظهر مما قبل الآية ومما بعدها ، أن الفتنة والاختبار إنما هي بكشف الله تعالى أسرارهم ، وإفشائه عقائدهم ، فهذا هو الاختبار الذي تقوم عليه الحجة برؤيته ، وترك التوبة ، وأما الجهاد أو الجوع فلا يترتب عليه ما ذكرناه ، فمعنى الآية على هذا : أفلا يزدجر هؤلاء الذين تُفضح سرائرهم كل سنة مرة أو مرتين ، ويعلمون أن ذلك من عند الله فيتوبون ويتذكرون وعد الله ووعيده !؟ . اهـ. قال في البحر ١١٦/٥ وهذا قول مقاتل قاله مختصراً قال : يُفضحون بإظهار نفاقهم .

(٣) على القول الأول يكون الانصراف على الحقيقة أي انصرفوا عن مجلس النبي ﷺ خشية الافتضاح ، وعلى القول الثاني يكون على المجاز أي انصرفوا عن الإيمان ذكره في البحر .

١٢٥ ــ ثم قال جل وعز ﴿ صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ بأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [آية ١٢٧] .

قال الزجاج : أي أضلَّهم مجازاةً على فعلهم[١] .

١٢٦ ــ وقوله جل وعز ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ .. ﴾ [آية ١٢٨] .

روى جَعْفَر بنُ محمد ، عن أبيه ، أنه قال : لم يكن في نَسَب رسول الله ﷺ شيءٌ يُعاب ، قال ﷺ : « أنَا مِن نِكَاحٍ لا مِنْ سِفاحٍ »[٢] .

قال أهل اللغة : يجوز أن يكون المعنى ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي بشرٌ كما أنكم بشرٌ ، فأنتم تَفْقَهُونَ عنهُ[٣] .

ويجوزُ أن يكون المعنى : أنه من العرب فهو منكم ، فأنتم

---

(١) انظر معاني الزجاج ٥٢٩/٢ .

(٢) الحديث أخرجه ابن عساكر عن علي مرفوعاً ٢٩٤/٢ وذكره الحافظ ابن كثير ١٧٧/٤ عن الرَّامَهُرمُزي بلفظ (خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ، لم يمسسني من سفاح الجاهلية شيء) وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٩٤/٣ عن عائشة عن رسول الله ﷺ قال : « خرجت من نكاح غير سفاح » ورواه بمثل رواية ابن كثير وقال : أخرجه الطبراني في الأوسط ، وأبو نعيم في الدلائل ، وابن عساكر عن علي بن أبي طالب . اهـ. وهكذا شرَّف الله نبيه ﷺ فجعله يتنقل من الأصلاب الطاهرة ، إلى الأرحام الطاهرة ، حتى استقر في صلب عبد الله ، فوُلد مطهراً من الدَّنس ، ليس في نسبه سفاح ، بل كلُّ آبائه وأصوله ، تناسلوا بطريق النكاح ، صلوات الله وسلامه عليه .

(٣) هذا قول الزجاج في معانيه ٥٩٢/٢ .

تقفون على صدقه ، ومذهبه[1].

١٢٧ ـ ثم قال جل وعز ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ [آية ١٢٨] .

أي شديد عليه عَنَتُكُمْ .

وأصلُ العَنَتِ : الهلاكُ ، فقيل لما يؤدي إلى الهلاك عَنَتٌ[2] .

١٢٨ ـ ثم قال جلَّ وعز ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [آية ١٢٨] .

قال قتادة : أي حريصٌ على من لم يُسْلِمْ أن يُسلم[3] .

١٢٩ ـ ثم قال جلَّ وعز ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ .. ﴾ [آية ١٢٩] .

أي يكفيني اللهُ .

يقال : أَحْسبني الشيءُ : إذا كَفَاني[4] .

---

(١) روي هذا عن ابن عباس ، كما حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٣/٥٢٠ وجمع ابن كثير بين القولين فقال : أي من جنسهم وعلى لغتهم كما قال المغيرة بن شعبة لرسول كسرى : « إن الله بعث فينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصفته ، ومدخله ومخرجه ، وصدقه وأمانته .. » إلخ .

(٢) في المصباح : العَنَتُ : المشقة . يقال : أكمة عنود أي شاقة ، وأعنته : أوقعه في العنت وفيما يشق عليه تحمله . اهـ. مصباح .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١١/٧٧ والسيوطي في الدر ٣/٢٩٦ ولفظ الطبري عن قتادة : حريص على ضالهم أن يهديه الله ، وعبارة ابن كثير : حريص على هدايتكم ، ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم .

(٤) قال الجوهري : أحسبني الشيء : أي كفاني ، وأحسبتُه وحَسَّبته بالتشديد بمعنى أي أعطيتُه ما يرضيه ، قال الشاعر : « ونُحْسِبُه إن كَانَ ليسَ بِجَائِعِ » أي تعطيه حتى يقول حَسْبي ، وحسبُكَ درهم أي كفاك ، و « عَطَاء حساباً » أي كافياً . اهـ. الصحاح ١/١١٠ .

١٣٠ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْـهِ تَوَكَّـلْتُ وَهُـوَ رَبُّ العَـرْشِ العَظِيمِ ﴾ [آية ١٢٩] .

وقرأ ابن مُحَيْصِنٍ ﴿ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمُ ﴾[1] .

وهي قراءةٌ حَسَنَةٌ بَيِّنَةٌ .

ورُوِيَ عن ابن عباس : أن آخر آية نزلت ﴿ لَقَدْ جَاءَكُـمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ .. ﴾[2]

تمت سورة براءة والحمد لله

• • •

---

(١) ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز عن ابن محيصن ٩١/٧ قال : وهي صفة للرب ، وذكرها القرطبي في جامع الأحكام ٣٠٣/٨ وقال : رُويت عن ابن كثير . اهـ. وكذلك ذكر في البحر ١١٩/٥ قال أبو بكر الأصم : وهذه القراءة أعجب إلي ، لأن جعل « العظيم » صفة الله تعالى ، أولى من جعله صفة للعرش . اهـ. أقول : ولم أرها في القراءات السبع ، فتنبه والله أعلم .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل من طريق يوسف بن مهران عن ابن عباس ، كذا في الدر المنثور ٢٩٥/٣ والصحيح الذي عليه الجمهور أن آخر ما نزل من القرآن ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾ وانظر جامع الأحكام ٣٠٣/٨ .

تَفْسِيرُ سُورَةِ يُونُسْ

مكية وآياتها ١٠٩ آيـة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يونس وهي مكية

١ ــ **قوله عز وجل** ﴿ **الٓر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ** ﴾ [آية ١] .

روى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير ، في قول الله تعالى ﴿ الٓر ﴾ قال : أَنَا اللهُ أرى[٢] .

قال أبو جعفر : حدثنا عليُّ بن الحُسَيْن ، قال : نا الزعفرانيُّ ، قال : نا عليُّ بن الجعْدِ ، قال : نا شريكٌ عن عطاءِ بنِ السائب ، عن أبي الضُّحى ، عن ابن عباس ﴿ الٓر ﴾ قال : أنا اللهُ أرى[٣] .

وفي رواية عكرمة عن ابن عباس (الٓر) و (حمٓ) ، و (نٓ) حروفُ الرحمن مقطَّعَةٌ[٤] .

قال أبو جعفر : قد بيَّنا هذا في أول سورة البقرة[٥] .

ومعنى ﴿ الحكِيم ﴾ عند أهل اللغة : المُحْكَم[٦] ، كما قال

(١) هذا على قول الجمهور ، وقال ابن عباس : مكية إلا ثلاث آيات ﴿ فإن كنت في شك .. ﴾ إلى آخرهن . اهـ. القرطبي ٣٠٤/٨ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٧٩/١١ وابن كثير ١٨٢/٤ والقرطبي ٣٠٤/٨ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٧٩/١١ وابن عطية ٩٤/٧ وابن كثير ١٨٢/٤ .

(٤) الأثر في الطبري ٧٩/١١ والقرطبي ٣٠٤٣/٨ والدر المنثور ٣٩٩/٣ وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٥) انظر الجزء الأول من هذا التفسير ٧٣/١ .

(٦) إلى هذا ذهب أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٧٢/١ قال : ﴿ الحكيم ﴾ المحكم المبيَّن الموضَّح . وقال القرطبي ٣٠٥/٨ : المحكم بالحلال والحرام ، والحدود والأحكام .

تعالى ﴿ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾ أي مُعَدٌّ .

٢ ـ **وقوله جل وعز ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ .. ﴾** [آية ٢] .

رُوي أنه يُراد بالنَّاسِ ها هنا : أهلُ مكة ، لأنهم قالوا : العجب ، ألم يجِدِ اللهُ رسولاً إلا يتيمَ أبي طالب ؟ فأنزل الله جلَّ وعز ﴿ أَكَانَ للنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ﴾[٢] .

٣ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾** [آية ٢] .

قال ابن عباس : أي منزلَ صِدقٍ[٣] .

وقيل : القَدَمُ : العملُ الصالح[٤] .

وقيل : السَّابِقَةُ .

ويُروى عن الحسن أو قتادة قال : القَدَم ، محمدٌ ﷺ يشفع لهم[٥] .

---

(١) سورة ق آية رقم ٢٣ وتمامها ﴿ وقال قرينه هذا ما لديَّ عتيد ﴾ .

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٠٦/٨ .

(٣) الأثر أخرجه القرطبي ٣٠٦/٨ وابن كثير في تفسيره ١٨٣/٤ ولفظه : أجراً حسناً بما قدَّموا .

(٤) روي هذا عن ابن عباس كما في زاد المسير ٥/٤ وهي رواية أبي صالح عنه قال : عمل صالح يقدمون عليه .

(٥) الأثر أخرجه الطبري ٨٢/١١ وابن الجوزي ٥/٤ والسيوطي في الدر ٣٠٠/٣ وذكره البخاري في كتاب التفسير ٩٠/٦ عن زيد بن أسلم ، ولفظُ البخاري ﴿ أنَّ لهم قَدَم صِدْق ﴾ : محمد ﷺ .

وقال أبو زيد : رجلٌ قَدَمٌ ، أي شجاعٌ .

وقال قتادة : أي سَلَف صدق .

وقال مجاهد : أي خيرٍ .

وفي رواية علي بن أبي طلحة عنه قال : سبقتْ لهم السَّعادة في الذِّكْرِ الأول[١] .

وهذه الأقوالُ متقاربة ، والمعنى : منزلةٌ رفيعة[٢] .

٤ ـ **وقوله جل وعزَّ ﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ .. ﴾** [آية ٣] .

ولم يَجْرِ للشَّفِيعِ ذكرٌ ، لأنه قد عُرِفَ المعنى ، إذ كانوا يقولون : « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » قال الله جل وعز ﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ أي لا يشفع شفيعٌ إلَّا لمن ارتضى[٣] .

٥ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَعْدَ اللهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ .. ﴾** [آية ٤] .

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ٨٢/١١ واختار ابن جرير أن المعنى : لهم أعمال صالحة عند الله يستوجبون منه الثواب ، قال : وذلك معروف عند العرب ، يُقال : هؤلاء أهل القدم في الإسلام ، ومنه قول حسان :

لَنَا القَدَمُ الأُوْلَى إِلَيْكَ وخَلْفُنَا ... لأَوَّلِنَا في طَاعَةِ اللهِ تَابِعُ

(٢) هذا ما اختاره الزجاج في معانيه ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/٤ .

(٣) ذكره ابن الجوزي عن الزجاج ٧/٤ قال : ولم يجر للشفيع ذكر قبل هذا ، ولكن الذين خوطبوا كانوا يقولون : الأصنام شفعاؤنا ، والمعنى : لا يشفع أحد إلا أن يأذن له ، قاله ابن عباس . اهـ. زاد المسير .

وقرأ أبو جعفر « يزيد بن القعقاع » : ﴿ أَنَّه يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾[1] .

قال أبو جعفر : وفتحُها يحتمل معنيين :

أحدهما : لأنه .

والآخرُ : وعْدَ اللهِ أنه .

والقسط : العدلُ .

٦ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُوراً وقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ﴾** [آية ٥] .

ولم يقل : وقدَّرهما ، لأنَّ المقدَّر لعددِ السنين والحساب : القمرُ . وهو ثمانٍ وعشرون منزلة .

قال أبو إسحاق : ويحتمل أن يكون المعنى : وقدَّرهما[2] ، ثم حُذِفَ كما قال :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا
عِنْدَكَ رَاضٍ ، والرَّأْيُ مُخْتَلِفُ[3]

---

(١) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٨٢/٢ فقد ذكر أنها قراءة أبي جعفر ، والباقون بكسر « إن » وعدها ابن جِنّي في المحتسب ٣٠٧/١ من القراءات الشاذة .

(٢) قال الزجاج : الهاء ترجع إلى القمر ، لأنه المقدَّر لعلم السنين والحساب ، وقد يجوز أن يعود إلى الشمس والقمر ، فحذف أحدهما اختصاراً . زاد المسير ٩/٤ .

(٣) البيت لقيس بن الخطيم ، وقد أنشده سيبويه مستشهداً على جواز الاكتفاء بضمير الواحد عن ضمير الآخر عند فهم المعنى ، إذ لم يقل راضون ، وانظر شواهد سيبويه ١١٥ والمحرر الوجيز ٤٧٦/٦ .

٧ ـــ وقوله جل وعز ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ .. ﴾ [آية ٩] .

قال مجاهد : أي يجعل لهم نوراً يمشون به[١] .

ويُروى عن النبي ﷺ ما يقوّي هذا أنه قال : « يتلقّى المؤمنَ عملُه ، في أحسن صورة ، فيؤنسه ويهديه ، ويتلَقّى الكافرَ عملُهُ في أقبح صورة ، فيوحِشُهُ ويُضلُّهُ »[٢] هذا معنى الحديث .

٨ ـــ وقوله جل وعز ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ .. ﴾ [آية ١٠] .

أي : دعاؤهم تنزيهُ اللهِ جلَّ وعز ﴿ وتحيتهم فيها سلام ﴾ أي يُحَيِّي بعضُهم بعضاً بالسلامة[٣] .

ويجوز أن يكون الله جل وعز يُحيِّيهم بالسلام ، إكراماً لهم[٤] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١١/٨٩ وابن الجوزي ٤/١٠ والسيوطي في الدر ٣/٣٠١ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر .

(٢) الحديث أخرجه ابن جرير ١١/٨٨ والسيوطي في الدر المنثور ٣/٣٠١ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، ولفظه عن قتادة قال : حدثنا الحسن قال : بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « إن المؤمن إذا خرج من قبره ، صُوِّر له عمله في صورة حسنة ، فيقول له ما أنت ؟ فوالله إني لأراك امْرأً صِدْقٍ ، فيقول : أنا عملك ، فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة ، وأما الكافر إذا خرج من قبره ، صُوِّر له عمله في صورة سيئة ، وريح منتنة ، فيقول له : ما أنت ؟ فوالله إني لأراك امرأ سوء ، فيقول : أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار » والحديث مرسل ، وانظر تفسير الحافظ ابن كثير ٤/١٨٧ .

(٣) هذا القول مروي عن ابن عباس ، كما في تفسير ابن الجوزي ٤/١١ .

(٤) هذا القول ذكره الماوردي ، وقال ابن كثير ٤/١٨٦ : وهذه الآية فيها شبه من قوله سبحانه ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾ وقوله تعالى ﴿ سلام قولاً من رب رحيم ﴾ .

٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وآخِرُ دَعْوَاهم أنِ الحمدُ للهِ رَبّ العالَمِينَ ﴾** [آية ١٠] .

فخبَّر أن افتتاحَ دعائهم تنزيهُ اللهِ ، وآخرُهُ شكرُه[١] .

١٠ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بالخَيْرِ ، لَقُضِيَ إلَيْهِمْ أجَلُهُمْ .. ﴾** [آية ١١] .

قال مجاهد : وهو دعاء الرجل عند الغضب ، على أهله وولده ، فلو عُجِّل لهم ذلك ، لَمَاتُوا[٢] .

وقيل : إنه قولهم ﴿ اللَّهُمَّ إنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدَكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾[٣] .

فلو عُجِّل لهم هذا لهلكوا .

١١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَإذَا مَسَّ الإنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ ، أوقَاعِداً ، أو قَائِماً .. ﴾** [آية ١٢] .

---

(١) انظر البحر المحيط ١٢٧/٥ فقد عزاه إلى الزجاج ، وقال ابن كيسان : يفتتحون بالتوحيد ، ويختمون بالتحميد . اهـ. أقول : وليس في تسبيحهم وتحميدهم كلفة ، لأن الجنة دار التشريف لا دار التكليف ، وإنما يحدث هذا منهم بدون جهد ولا عناء ، كما ورد في الحديث « إن أهل الجنة يُلهمون التحميد والتسبيح كما تلهمون النَّفسَ » .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٩٢/١١ وابن كثير ١٨٨/٤ وابن الجوزي ١١/٤ قال : وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة . وروى ابن كثير ما يؤيده مرفوعاً إلى النبي ﷺ من قوله عليه السلام : « لا تَدْعوا على أنفسكم ، لا تدعوا على أولادكم ، لا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة فيها إجابة ، فيستجيب لكم » رواه أبو داود والبزار ، وانظر ابن كثير ١٨٨/٤ .

(٣) سورة الأنفال آية رقم ٣٢ وهو قول المشركين يقولونه تهكماً واستهزاء ، وإمعاناً في الغيِّ والضلال .

ويجوز أن يكون المعنى : وإذا مسَّ الإنسانَ الضُرُّ مضطجعاً ، أو قاعداً ، أو قائماً ، دَعَانا .

ويجوز أن يكون التقدير : دعانا على إحدى هذه الأحوال[1] .

١٢ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ .. ﴾ [آية ١٢] .

روى أبو عبيد عن أبي عبيدة أنَّ « مرَّ » من مذهب استمرَّ[2] .

وقال الفراء : أي استمرَّ على ما كان عليه من قبل أن يمسَّه الضرُّ[3] .

١٣ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا .. ﴾ [آية ١٣] .

قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : الله جلَّ وعزَّ أخبر بما يعلم منهم لو بقَّاهم .

---

(١) هذا القول أصح وهو قول الجمهور ، قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٧٥/١ : أي دعانا على إحدى هذه الحالات ، دعانا وهو مُضْطَجع لجنبه ، أو هو قاعد ، أو قائم . وقال ابن كثير ١٨٦/٤ : أي أكثر الدعاء عند ذلك ، فدعا الله في كشف الضُرّ وزواله ، في حال اضطجاعه ، وقعوده ، وقيامه ، وفي جميع أحواله ، فإذا فرَّج الله شدته أعرض ونأى . اهـ. وكذلك قال ابن جرير .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٧٥/١ فقد جاء فيه ﴿ مرَّ كأن لم يدعنا ﴾ أي استمر فمضى . اهـ. وقال ابن جرير ٩٣/١١ : أي استمر على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضرُّ .

(٣) انظر معاني الفراء ٤٥٩/١ وجامع البيان للطبري ٩٣/١١ فقد اعتمد قول الفراء .

والآخر : أنه جازاهم على كفرهم ، بأن طَبَعَ على قلوبهم[١] .

ويدلُّ على هذا أنه قال ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ ﴾ .

١٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ، قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ .. ﴾ [آية ١٥] .

قال قتادة : الذين قالوا هذا مُشْرِكُو أهلِ مكة[٢] .

وقال غيره[٣] : أي ائتِ بقرآن ليس فيه ذكرُ البعث والنشورِ ، ولا سبُّ آلهتنا !! قال الله جلَّ وعز ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي .. ﴾[٤] [آية ١٥ / .

١٥ ــ ثم قال تعالى ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ .. ﴾ [آية ١٦] .

قال الضحاك : أي ولا أشعَرَكم به ، ولا أعلَمَكم به[٥] .

---

(١) القولان ذكرهما الزجاج في معانيه ، كما حكاه عنه ابن الجوزي في تفسيره ١٣/٤ واختار القرطبي القول الأول ٣١٨/٨ فقال : ﴿ وما كانوا ليؤمنوا ﴾ أي أهلكناهم لعلمنا أنهم لا يؤمنون . يخوِّف كفار مكة عذاب الأمم الماضية .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٩٤/١١ وتفسير ابن كثير ١٦٠/٤ وتفسير القرطبي ٣١٩/٨ .

(٣) أراد المصنف به الإمام الزجاج كما ذكره في معانيه ، وانظر زاد المسير ١٤/٤ .

(٤) هذا رد عليهم فيما طلبوا ، قال ابن كثير ١٦٠/٤ : أي قل لهم يا محمد ليس هذا إليَّ ، إنما أنا عبد مأمور ، ورسول مبلِّغ عن الله . اهـ.

(٥) هذا قول ابن عباس وقتادة كما في الدر المنثور للسيوطي ٣٠٢/٣ والضمير يعود على الله جل وعلا أي ولا أعلَمَكم الله به كما في تفسير ابن الجوزي ١٥/٤ وإليه ذهب ابن جرير الطبري ٩٦/١١ .

١٦ ـ ثم قال جلَّ وعز ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ.. ﴾ [آية ١٦] .

قال قتادة : لبث فيهم أربعين سنة ، وأقام سنتين يرى رؤيا الأنبياء ، وتُوفي ﷺ وهو ابن اثنتين وستين سنة(١) .

١٧ ـ وقوله جل وعز ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ .. ﴾ [آية ١٨] .

أي ما لا يضرُّهم إن لم يعبدوه ، ولا ينفعهم إن عبدوه(٢) .

١٨ ـ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ ، قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ .. ﴾ [آية ١٨] .

أي : أتعبدون ما لا يشفع ، ولا يَنْصُر ، ولا يُمَيِّز ، وتقولون : هو يشفع لنا عند الله فتكذبون ؟ وهل يتهيَّأ لكم أن تنبئوه بما لا يعلم(٣) ؟

١٩ ـ وقوله جل وعز ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا .. ﴾ [آية ١٩] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير عن قتادة ٩٦/١١ والسيوطي في الدر المنثور ٣٠٢/٣ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ عن السدي ، وروى السيوطي رواية أخرى عن ابن عباس قال : « بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة يُوحى إليه ، ثم أُمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين » أخرجه البخاري ٥٥٩/٦ من فتح الباري ، وأخرجه الترمذي في المناقب ٥٩١/٥ .

(٢) هذا منقول عن مقاتل ، وإليه ذهب الزجاج ، وانظر تفسير ابن الجوزي ١٦/٤ .

(٣) انظر جامع البيان للطبري ٩٨/١١ والبحر المحيط لأبي حيان ١٣٣/٥ قال : والإخبار بهذا عن الكفار هو على سبيل التجهيل والتحقير لهم ولمعبوداتهم ، والتنبيه على أنهم عبدوا ما لا يستحقُّ العبادة ، وقوله تعالى ﴿ قل أتنبئون الله ﴾ استفهام على سبيل التهكم ، كأنهم يخبرون بشيء لم يتعلق به علمه جل وعلا . اهـ. بإيجاز عن البحر .

فيه ثلاثة أقوال :

أبينُها قولُ مجاهد : وهو أنهم كانوا في وقت آدم ﷺ على دين واحدٍ ، ثم اختلفوا[1] .

والقولُ الثاني : أن هذا عام يُراد به الخاصُّ ، وأنه يُراد بالناس ها هنا العربُ خاصَّةً[2] .

والقولُ الثالث : أنه مثل قوله ﷺ « كلُّ مولودٍ يُولَدُ عَلى الفِطْرَة »[3] أي ثم يختلفون بعد ذلك .

٢٠ ـــ وقوله جل وعز ﴿ وإذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ .. ﴾ [آية ٢١] .

يُرادُ بالنَّاس ها هنا الكفار[4] ، كما قال تعالى ﴿ إنَّ الإنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾[5] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٩٨/١١ وابن الجوزي ١٦/٤ والسيوطي في الدر ٣٠٢/٣ واختار ابن كثير ١٩٣/٤ هذا القول فقال : أي كان الناس على دين واحد وهو الإسلام ، كما قال ابن عباس : « كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلهم على الإسلام ، ثم وقع الاختلاف بين الناس ، وعُبدت الأصنام والأوثان » ورجحه ابن الجوزي .

(٢) هذا القول للزجاج كما في البحر المحيط ١٣٥/٥ .

(٣) هذا طرف من حديث رواه البخاري في كتاب التفسير ١٤٣/٦ بلفظ « ما من مولودٍ إلَّا يولد على الفطرة ، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه ، أو يمجِّسانه .. » الحديث .

(٤) هذا رأي الجمهور كما في تفسير ابن الجوزي ١٧/٤ وفي البحر ١٣٦/٥ قال : وهذه الآية وإن كانت في الكفار ، إلا أنها تتناول من العاصين من لا يؤدي شكر الله عند زوال المكروه ، ولا يرتدع عن معاصيه ، وذلك في الناس كثير .

(٥) سورة العاديات آية رقم ٦ .

وقال **الحسن** : ذلك المنافق[1] .

والرحمة ها هنا : الفَرَجُ ، و ﴿ مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ ﴾ أي من بعد كَرْب .

﴿ إذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا ﴾ أي يحتالون حتى يجعلوا سبب الرحمة في غير موضعه .

قال مجاهد : ﴿ إذا لهم مكر في آياتنا ﴾ استهزاءٌ وتكذيبٌ[2] .

٢١ ــ وقوله جل وعز ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُم فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ .. ﴾ [آية ٢٢] .

قيل : المعنى حتى إذا كنتم في الفُلك ، ثم حُوِّلت المخاطبة إلى النبي ﷺ ، فصار المعنى : وجرين بهم يا محمد[3] .

وقيل : العربُ تُقيم الغائب مقام الشاهد ، فتخاطبه مخاطبته ، ثم ترده إلى الغائب .

٢٢ ــ وقوله عزَّ وجل ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾ [آية ٢٢] .

يُقال لمن وقع في بليَّة : قد أحيط به ، كأنَّ البلاء أحاطَ به ، وأصلُ هذا أن العدوَّ إذا أحاط بموضعٍ فقد هَلَكَ أهلُه[4] .

---

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي ١٨/٤ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٩٩/١١ وابن كثير ١٦٥/٤ والقرطبي ٣٢٣/٨ .

(٣) يسمى هذا النوع في علم البلاغة « الالتفات » ففيه التفات من المخاطب إلى الغائب ، وحكمته زيادة التقبيح والتشنيع على الكفار ، كأنهم ليسوا أهلاً للخطاب فأعرض عنهم ، وانظر البحر المحيط ١٣٨٣٥ وتفسير ابن عطية ١٢٩/٧ .

(٤) راجع البحر ١٣٩/٥ فقد قال : وهي كناية عن استيلاء أسباب الهلاك .

٢٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ .. ﴾ [آية ٢٢] .

البغيُ : الترامي إلى الفساد . قال الأصمعيُّ : يُقال : بغى الجرحُ يبغِي بغياً : إذا ترامى إلى فساد[1] .

٢٤ ــ ثم قال جل وعز ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ .. ﴾ [آية ٢٢] .

أي عملكم بالظلم يرجعُ عليكم .

٢٥ ــ ثم قال جل وعز ﴿ مَتَاعَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا .. ﴾ [آية ٢٣] .

أي ما تنالون بالبغي والفساد ، فإنما هو شيءٌ تتلذَّذون به في الدنيا ، هذا قولُ أهلِ اللغة[2] .

ورُوي عن سفيان بنِ عُيَيْنَة أنه قال : « أراد أن البغيَ متاعُ الحياةِ الدنيا ، أي عقوبتُه تُعجَّل لصاحبه في الدنيا »[3] .

---

(١) حكاه أبو حيان في البحر عن الأصمعي ١٤٠/٥ قال : بغى الجرح ترقَّى إلى الفساد ، وبغت المرأة فجرَت . اهـ. وفي الصحاح ٢٢٨١/٦ : البغي : التعدِّي ، وبغى الرجل على الرجل : استطال ، وبغى الجرح : ورِمَ وترامى إلى فساد ، وكل مجاوزة في الحد وإفراط فهو بغي . اهـ.

(٢) هذا قول الزجاج حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٢٠/٤ وقال ابن عباس : أي منفعة في الدنيا ، وانظر الطبري ١٠١/١١ فقد فرَّق بين قراءة الفتح ﴿ متاعَ الحياة الدنيا ﴾ وبين قراءة الرفع « متاعُ » .

(٣) الأثر في جامع الأحكام للقرطبي ٣٢٦/٨ ويؤيده ما رواه الحافظ ابن كثير ١٩٦/٤ وفي الحديث الشريف « ما من ذنب أجدر أن يُعجِّل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر الله لصاحبه في الآخرة ، من البغي وقطيعة الرحم » أخرجه أبو داود وابن ماجه وانظر جامع الأصول ٧١٦/١١ .

كما يقال : البغي مصرعةٌ ، وقال جل وعزَّ ﴿ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ ﴾[1] .

٢٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ .. ﴾** [آية ٢٤] .

اختلط النبات مع المطر ، والمطرُ مع النبات[2] .

٢٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا .. ﴾** [آية ٢٤] .

الزخرفُ في اللغة : كمالُ الحُسْنِ ، ومنه قيل للذهب : زُخْرفٌ[3] .

٢٨ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بالأَمْسِ .. ﴾** [آية ٢٤] .

أي كأنْ لم تَنْعم[4] .

---

(١) سورة الحج آية رقم ٦٠ وفي المخطوطة « ومن بُغي عليه » وصحة الآية ﴿ ثم بُغي عليه ﴾ كما أثبتناه .

(٢) عبارة الطبري ١٠١/١١ : فنبتَ بذلك المطر أنواع من النبات ، مختلط بعضها ببعض ، كما قال ابن عباس : اختلط فنبت بالماء كلُّ لون ﴿ مما يأكل الناس ﴾ من الحنطة والشعير وسائر حبوب الأرض ، وما تأكله الأنعام والبهائم من الحشيش والمراعي . اهـ.

(٣) انظر البحر المحيط ١٤٣/٥ فقد جاء فيه : الآية على جهة التمثيل ، والكلام فيه استعارة ، استعير لتلك البهجة والنضارة والألوان المختلفة لفظة الزخرف وهو الذهب .. إلخ .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١٠٣/١١ وفي الدر ٣٠٤/٣ .

والمعنى عند أهل اللغةِ : كأنْ لم تُعْمَر[1] .

والمعاني : المنازِلُ التي يعمرها الناس ، وغَنيتُ بالمنـزِلِ أقـمتُ به وعَمَرتُه[2] .

٢٩ ـــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾** [آية ٢٥] .

قال قتادة : دار السلام : الجنَّةُ ، والسَّلامُ : اللهُ عزَّ وجل[3] .

قال أبو جعفر : المعنى على هذا : واللهُ يدعو إلى داره .
وإعادةُ الاسمِ إذا لم يكن مشكلاً أفخم .

قال أبو إسحاق : ويجوز أن يكون المعنى ـــ والله أعلم ـــ يدعو إلى الدار التي يُسلَمُ فيها من الآفات[4] .

٣٠ ـــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ .. ﴾** [آية ٢٦] .

قال أبو جعفر : الذي عليه أهل الحديث أن الحُسْنَى :

---

(١) انظر معاني الزجاج ، وزاد المسير لابن الجوزي ٢١/٤ .

(٢) في الصحاح ٤٤٩/٦ : غَنِيَ بالمكان : أقام به ، وغنِي أي عاش ، والمغنى : واحد المغاني وهي المواضع التي كان بها أهلوها .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٠٣/١١ والقرطبي ٣٢٨/٨ والدر المنثور ٣٠٥/٣ وقال ابن كثير ١٦٨/٤ : والحديث مرسل ، وقد رُوي متصلاً من حديث جابر « خرج علينا رسول الله ﷺ .. » وذكر الحديث بطوله .

(٤) ذكره في البحر ١٤٥/٥ قال : ذكر تعالى أنه داع إلى دار السلامة والأمن ، وهي الجنة إذ أهلها سالمون من كل مكروه ، ويجوز أن يكون أضافها إلى اسمه الشريف على سبيل التعظيم والتشريف ، كما قيل : بيتُ الله ، وناقة الله . اهـ. وذكر القرطبي ٣٢٨/٨ أن هذا قول قتادة والحسن ، أن السلام هو الله ، والدار الجنة سميت دار السلام لأن من دخلها سلم من الآفات .

الجنَّة ، والزيادة النظر إلى الله جل اسمه . حدثنا الحسين بن عمر قال : نا هنَّادٌ قال : نا وكيعٌ عن أبي بكر الهُذَلي ، عن أبي تَمِيمة الهُجَيْمِي ، عن أبي موسى في قول الله تعالى ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى ﴾ قال : الجنة ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : النَّظَر إلى الله جلَّ وعز[1] .

حدثنا الحسين قال : نا هنَّاد قال : نا قَبِيصة ، قال : نا حماد بن سلمة ، وقُرِئ على ابنِ بنتِ منيعٍ ، عن هُدْبَةَ بنِ خالد ، قال : نا حمَّاد بنُ سلمة ، عن ثابتٍ البُنَانيِّ ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن صُهيب ، قال : إن رسول الله ﷺ قرأ ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ فقال : « إذا دَخَل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ ، نادى منادٍ : يا أهلَ الجنة ، إنَّ لكم عند اللهِ موعداً يريدُ أن يُنْجِزَكموه ، فيقولون : وما هُوَ ؟ ألم يثقِّلِ اللهُ موازيننا ، ويبيِّضْ وجوهنا ، ويدخلنا الجنَّة ، وينجِّنا من النار ؟ فيكشف عن الحجاب ويتجلَّى ، فينظرون إليه جلَّ وعز ، قال : فواللهِ ما أعطاهم اللهُ شيئاً أحبَّ إليهم من النَّظر إليه ، وهي الزيادة[2] .

قال أبو جعفر : وفي حديث ابن بنت منيع « ويُجِرْنا » وفي

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم ، وابن جرير في تفسيره ١٠٥/١١ وابن كثير ١٦٠/٤ والمراد بأبي موسى هو أبو موسى الأشعري كما صرَّح به ابن جرير ، وابن كثير رحمهما الله .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند عن صهيب ٣٣٣/٤ ومسلم في كتاب الإيمان ١٦٣/١ باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة ، والترمذي في تفسير سورة يونس ٥٢٢/٨ من تحفة الأحوذي رقم ٥١٠٣ وسنن ابن ماجه ٦٧/١ المقدمة ، ورواه ابن جرير ١٠٦/١١ والسيوطي في الدر ٣٠٥/٣ .

حديثه « فينظرون إلى الله جلَّ وعز » .

٣١ ـ ثم قال جل وعز ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ .. ﴾ [آية ٢٦] .

قال ابن عباس : القَتَر : سوادُ الوجوه[١] .

وقال غيره : القَتَر : جمع قَتَرةٍ ، وهي الغَبَرَة[٢] .

ومعنى ﴿ يَرْهَقُ ﴾ يغشى ، والذلَّةُ : الهَوَانُ .

وفي حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ قال : بَعْد نظرهم إلى ربهم[٣] .

والعاصم : المانعُ[٤] .

٣٢ ـ وقوله جل وعز ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً .. ﴾ [آية ٢٧] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٠٩/١١ وابن الجوزي ٢٥/٤ والبحر المحيط ١٤٦/٥ .

(٢) هذا قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢٧٧/١ واستشهد بقول الفرزدق :

مُتَوَّجٌ بِرِدَاءِ المُلْكِ يَتْبَعُهُ مَوْجٌ تَرَى فَوْقَهُ الرَّايَاتِ وَالقَتَرَا

وجمع الزجاج بين القولين فقال : القَتَرة : الغَبَرة التي معها سواد ، وكذلك قال ابن كثير ٢٠٠/٤ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ١٠٩/١١ والسيوطي في الدر ٣٠٧/٣ .

(٤) قال أهل اللغة : العاصم : المانع ، يُقال : عَصَمه إذا منعه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء ﴾ وفي الحديث الصحيح « فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم » إلخ . وانظر الصحاح للجوهري مادة عصم.

القِطَـعُ : جمعُ قِطْعـة ، ومـن قرأ ﴿ قِطْعـاً ﴾[1] فهـو اسم ما قُطِعَ ، يُقال : قَطَعَهُ قَطْعاً ، واسمُ مَا قَطَعتَ قِطَعٌ .

٣٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ ثُمَّ نَقُـولُ لِلَّذِيـنَ أشْرَكُـوا مَكَانَكُـمْ .. ﴾ [آية ٢٨] .

أي انتظـروا مكانكـم[2] ، توعُّـدٌ .

﴿ **فَزَيَّلْنَـا بَيْنَهُـمْ** ﴾ من قولك زِلتُ الشيءَ من الشيءِ : أي نحَّيْتُه ، وزَيَّلْتُ على التكثير[3] .

٣٤ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَكَفَـى باللهِ شَهِيـداً بَيْنَنَـا وَبَيْنَكُـمْ .. ﴾ [آية ٢٩] .

لأنهم قالوا : من يشهد لك أنَّك رسولُ الله !!

٣٥ ــ وقوله جل وعـز ﴿ هُنَـالِكَ تَبْلُـو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَـفَتْ .. ﴾ [آية ٢٩] .

قال مجاهد : أي تختبر[4] .

ومعناه : تجده وتقف عليه .

---

(١) هذه قراءة الكسائي وابن كثير ﴿ قِطْعاً ﴾ ساكنة الطاء ، وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٣٢٥ .

(٢) قال في البحر ١٥١/٥ ﴿ مكانكم ﴾ أي الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يُفعل بكم .

(٣) قال الفراء ٤٦٢/١ ﴿ فزيلنا بينهم ﴾ ليست من زُلْت إنما هي من زِلْت ، تقول : زِلت ذا من ذا : إذا فرَّقت هذا عن هذا ، والتضعيف ﴿ فزيَّلنا ﴾ لكثرة الفعل ، ولو أردت القليل لقلت : زِلْ ذا من ذا . وقال الواحدي : التزييل والتزيُّل ، والمزايلة . التمييز والتفريق ، وزيَّل مضاعف للتكثير . اهـ ١٥٢/٥ .

(٤) الأثر في الطبري ١١٢/١١ وفي الدر المنثور ٣٠٧/٣ .

وفي ﴿ تتلو ﴾ قولان :

قال الأخفش : أي تقرأ[1] ، كما قال ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً . اقْرَأْ كِتَابَكَ ﴾[2] .

والقولُ الآخر : أن معنى ﴿ تتلو ﴾ : تتبعُ كما قال :

« قَدْ جعلتْ دَلْوِي تَسْتَتْلِينِي »[3]

٣٦ ــ وقوله جل وعز ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا .. ﴾ [آية ٣٣] .

ثم بيَّنَ الكلمة فقال : ﴿ أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ فالمعنى : حقَّ عليهم أنهم لا يؤمنون .

ويجوز أن يكون المعنى : لأنهم لا يؤمنون ، وتكون « الكلمةُ » العقاب[4] .

---

(١) انظر معاني القرآن للأخفش ٥٦٨/٢ وعبارته ﴿ تبلو ﴾ أي تُخْبَر ، وقرأ بعضهم : ﴿ تتلو ﴾ أي تَتْبعه . اهـ. أقول : وقراءة ﴿ تَتْلو ﴾ بالتاء من القراءات السبع ، وهي قراءة حمزة والكسائي ، وانظر السبعة ص ٣٢٥ .

(٢) سورة الإسراء آية رقم ١٣ .

(٣) الرَّجز في اللسان مادة تلا ، وهو غير منسوب لقائل ، وتمامه كما في زاد المسير ٢٨/٤ :

قَدْ جَعَلَتْ دَلْوِي تِسْتَتْلِينِي ... وَلَا أُرِيدُ تَبَعَ القَرِينِ

وأما في البحر ١٥٣/٥ وفي القرطبي ٣٣٤/٨ فقد استشهد على أن معنى « تتلو » بمعنى تتبع بقول الشاعر :

إنَّ المُرِيبَ يَتْبَعُ المُرِيبَا ... كَمَا رَأَيْتُ الذِّيبَ يَتْلُو الذِّيبَا

(٤) هذا قول للزجاج حكاه عنه ابن الجوزي في زاده ٢٩/٤ فقال : ﴿ أنهم لا يؤمنون ﴾ بدل من « كلمة ربك » وجائز أن تكون الكلمة حقَّت عليهم لأنهم لا يؤمنون ، وتكون الكلمة ما وُعدوا به من العقاب .

٣٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا القُرْآنُ أنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ ﴾** [آية ٣٧] .

معناه لأنْ يُفترى ، أي لأن يُخْتَلَقَ .

ويجوز أن يكون المعنى ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا القُرْآنُ أنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ كما تقول : وما كان هذا القرآن كذباً .

٣٨ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ .. ﴾** [آية ٣٧] .

يجوز أن يكون المعنى : ولكن تصديقِ الشيءِ الذي القرآنُ بين يديه ، أي يُصَدِّقُ ما تقدَّمَه من الكتب ، وأنباء الأمم[1] .

ويجوز أن يكون المعنى : أنه يُصدِّقُ ما لم يأت من أمر الساعة[2] .

٣٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ أمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ .. ﴾** [آية ٣٨] .

المعنى : بسورةٍ مثل سُوَرِهِ ، مثلُ ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ والمراد الجنس[3] .

---

(١) إلى هذا ذهب الطبري والجمهور ، أن المعنى : ولكنَّ القرآن جاء مصدِّقاً لما سبقه من الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل ، وحكى هذا القول ابن الجوزي في تفسيره ٣٢/٤ عن ابن عباس ، وانظر القرطبي ٣٤٣/٨ .

(٢) هذا القول منقول عن الزجاج كما في تفسير ابن الجوزي ٣٢/٤ .

(٣) قال الزجاج : المعنى : فأتوا بسورة مثل سورة منه ، فذكر المِثلَ لأنه إنما التمس شبه الجنس . اهـ. ابن الجوزي ٣٣/٤ .

وقيل : المعنى : فأْتُوا بقرآنٍ مثلِ هذا القرآنِ ، والسورةُ قرآنٌ ، فكَنَى عنها بالتذكير على المعنى ، ولو كان على اللفظ لقيل : مثلِهَا[1] .

٤٠ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾** [آية ٣٨] .

أي ادعوا من يُعِينكم ، ممَّن يذهبُ إلى مذهبِكم ﴿ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أنه مفترى .

٤١ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ .. ﴾** [آية ٣٩] .

قيل : يُراد بهذا ــ والله أعلم ــ مَنْ كذَّبَ وهو شاكٌّ[2] .

وقيل ﴿ بمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ أي بما فيه من الوعيد على كفرهم[3] .

﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ أي ما يؤول إليه ذلك الوعيد .

وقيل : ﴿ ولمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ أي لم يعرفوه ، فهذا يدلُّ على

---

(١) قال الطبري ١١٧/١١ : أي جيئوا بسورة مثل هذا القرآن ، والهاء في (مثله) كناية عن القرآن ، وهذا هو الصواب عندي ، لأن السورة من القرآن ، وإن لم تكن جميع القرآن ، ولم يقل « مثلها » لأن الكناية أخرجت على المعنى لا على اللفظ .

(٢) ذكره ابن الجوزي ٣٣/٤ ولم يعزه لأحد من المفسرين ، والأظهر أن المعنى : بل كذب هؤلاء المشركون بالقرآن العظيم ، وسارعوا إلى الطعن به قبل أن يفقهوه ويتدبروا ما فيه .. وانظر الطبري ١١٨/١١ والبحر المحيط ١٥٨/٥ .

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ١٥٤/٧ قال : ليس الأمر كما قالوا في أنه مفترى ، بل كذبوا بما في القرآن من الوعيد الذي توعدهم الله عز وجل على الكفر .

أنه يجب أن يُنظر في التأويل[1] .

ويجوز أن يكون المعنى : ولمَّا يأتهم ما يؤول إليه أمرهم من العقاب[2] .

٤٢ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ [آية ٤٠] .

أي منهم من يعلم أنه حقٌّ ، ويُظهر الكفرَ عناداً ، وإبقاءً على رياسته ﴿ وَمِنْهُم مَنْ لَا يَؤْمِنُ بِهِ ﴾ في السِّرِّ والعلانية[3] .

٤٣ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ، أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ .. ؟ ﴾ [آية ٤٢] .

أي ظاهرهم ظاهرُ من يستمعون ، وهم لشدَّةِ عداوتهم ، وانحرافهم عن النبيِّ ﷺ ، بمنزلةِ الصُّمِّ[4] .

---

(١) و (٢) حكاهما القرطبي في جامع الأحكام ٨/٣٤٥ قال : ومعنى الآية : أي كذبوا بالقرآن ، وهم جاهلون بمعانيه وتفسيره ، وعليهم أن يعلموا ذلك بالسؤال ، فهذا يدل على أنه يجب أن يُنظر في التأويل ﴿ ولما يأتهم تأويله ﴾ أي حقيقة عاقبة التكذيب من نزول العذاب ، وقيل للحسين بن الفضل : هل تجد في القرآن أن « من جهل شيئاً عاداه » ؟ قال : نعم في موضعين ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴾ وفي قوله تعالى ﴿ وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾ . اهـ.

(٣) انظر تفسير ابن الجوزي ٤/٣٤ والبحر المحيط ٥/١٦٠ فقد توسَّع أبو حيان في توضيح هذا المعنى .

(٤) هذا قول الزجاج كما في ابن الجوزي ٤/٣٥ أقول : وهو من باب التمثيل ، فلم ينف القرآن عنهم السمع ، إنما شبههم بالصُمِّ الذين لا يسمعون قال ابن عباس : يريد أنهم شرٌّ من الصُمِّ ، لأن الصم لهم قلوب وعقول ، وهؤلاء قد أصم الله قلوبهم .

ثم قال جل وعز ﴿ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [آية ٤٢] .

أي وَلَوْ كانوا مع هذا جُهَّالاً[1] ؟!

٤٤ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي العُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ .. ﴾** [آية ٤٣] .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ﴾ أي يديم النظر إليك كما قال تعالى : ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ ﴾[2] .

٤٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالقِسْطِ ﴾** [آية ٤٧] .

قال مجاهد : يعني يوم القيامة[3] .

والمعنى على هذا فإذا جاء رسولهم يشهدُ عليهم بالإيمان والكفر ، كما قال تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾[4] ؟

---

(١) حكاه ابن الجوزي عن الزجاج كما في زاد المسير ٣٥/٤ قال أبو حيان في البحر المحيط ١٦١/٥ : وهذه الآية فيها تقسيم من لا يؤمن من الكفار إلى هذين القسمين ، والمعنى : من هؤلاء من يستمعون إليك إذا قرأت القرآن ، ثم نفى جدوى ذلك الاستماع بقوله ﴿ أفأنت تسمع الصم ﴾ أي هم وإن استمعوا إليك صم عن إدراك ما تُلقيه إليهم ، ليس لهم وعي ولا قبول ، ولا سيما قد انضاف إلى الصمم انتفاء العقل ، فحري بمن عدم السمع والعقل أن لا يكون له إدراك الشيء البتة ، بخلاف ما لو كان الأصم عاقلاً ، فإنه بعقله يهتدي إلى أشياء . اهـ. بإيجاز .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ١٩ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٢١/١١ وابن كثير ٢٠٨/٤ وابن الجوزي ٣٧/٤ .

(٤) سورة النساء آية رقم ٤١ .

وقال جل وعز ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾[1] .

وقال غير مجاهد : يجوز أن يكون إنه لا يعذّب أحداً ، حتى يجيئه الإعذار والإنذار ، وإنما يأتي بهذا الرُّسل[2] .

٤٦ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ .. ﴾ [آية ٤٥] .

أي قريبٌ ، ما بين موتهم ومبعثهم[3] ، ثم قال ﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي يعرف بعضهم بعضاً ، وهو أشدُّ لتوبيخهم إذا عَرَف بعضُهم بعضاً ، بالإضلال والفساد[4] .

٤٧ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ [آية ٤٧] .

قال مجاهد : أي وإما نرينَّك العَذاب في حياتك ﴿ أو

---

(١) سورة الفرقان آية رقم ٣٠ .

(٢) ذكر القولين أبو حيان في البحر ١١٤/٥ فقال : إما أن يكون إخباراً عن حالة ماضية ، فيكون ذلك في الدنيا ، ويكون المعنى : إنه بعث إلى كل أمة رسولاً يدعوهم إلى دين الله ، فكذبوه فقُضي بين الرسول وأمته ، فعُذب المكذبون ، وأنجي الرسول ، وإما أن يكون على الاستقبال أي فإذا جاء رسولهم يوم القيامة للشهادة عليهم ، قضي بينهم بالعدل ، قاله مجاهد وغيره . اهـ . البحر .

(٣) قال الضحاك : قصُرَ عندهم مقدار الوقت الذي بين موتهم وبعثهم ، فصار كالساعة من النهار لهول ما رأوا . اهـ. ابن الجوزي ٣٦/٤ .

(٤) هذا تعارف توبيخ وافتضاح ، وليس تعارف محبة ومودة ، يلقى الواحد الآخر فيقول : أنت أضللتني وأغويتني ، البحر ١٦٣/٥ .

نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل ذلك ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ .

[**وقال غيره : يريد بقوله جلَّ وعزَّ**][1] ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ وقعة بدر[2] . والله أعلم .

٤٨ ـ وقوله جلَّ وعز ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [آية ٥٠] .

يجوز أن يكون المعنى : ماذا يستعجل من الله .

ويجوز أن يكون ماذا يستعجل من العذاب المجرمون .

قال أبو جعفر : وهذا أشبه بالمعنى ، لقوله تعالى ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ﴾[3] ؟

٤٩ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ الآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [آية ٥١] .

وفي الكلام حذفٌ ، والمعنى : الآنَ تؤمنون به[4] .

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الحاشية .

(٢) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٣٤٩/٨ قال : والمقصود إن لم ننتقم منهم عاجلاً انتقمنا منهم آجلاً ، وقال ابن الجوزي ٣٦/٤ : كانت وقعة بدر مما أراه الله في حياته من عذابهم .

(٣) ما رجحه المصنف هو الأظهر والأشهر ، وهو الذي اختاره الطبري وذهب إليه الجمهور ، قال ابن الجوزي ٣٨/٤ : البَيَات : كل ما كان بليل ، و « ماذا » بمعنى الذي ، أو أي شيء ، والهاء في « منه » تعود على العذاب ، والمعنى : أيَّ شيء يستعجل المجرمون من نزول العذاب ؟ وجائز أن تعود على ذكر الله تعالى ، فيكون المعنى : أي شيء يستعجل المجرمون من الله تعالى ؟ وعودُها على العذاب أجود لقوله تعالى ﴿ أَثُمَّ إذا ما وقع آمنتم به ﴾ ؟ .

(٤) قال القرطبي ١٢٢/١١ : المعنى : الآن تصدقون به وقد كنتم قبل ذلك بنزوله تكذِّبون ؟

٥٠ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ .. ﴾ [آية ٥٣] .

المعنى : ويستخبرونك فيقولون : أحقٌّ هو ؟

﴿ قُلْ إي وربِّي إنَّه لَحَقٌّ ﴾ أي المعنى : نعم[١] .

٥١ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [آية ٥٣] .

أي ما أنتم ممن يُعْجِزُ عن أن يُجازى بكفره[٢] .

٥٢ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَأَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ .. ﴾ [آية ٥٤] .

في معناه قولان :

أحدهما : أن الرؤساء الدُّعاة إلى الكفر أسرُّوا الندامة لمَّا رأوا العذابَ .

والآخر : أن ﴿ أسَرُّوا ﴾ بمعنى : أظهروا[٣] .

---

(١) الضمير يعود على العذاب أو على البعث ، قال القرطبي والمعنى : يستخبرك هؤلاء المشركون من قومك ، فيقولون : أحقٌّ ما تعدنا به من عذاب الله ؟ قل لهم يا محمد : نعم وربي إنه لحق لا شك فيه . اهـ. جامع البيان ١٢٢/١١ .

(٢) هذا قول الزجاج كما حكاه عنه ابن الجوزي ، والأظهر ما قاله ابن جرير ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ أي لستم بمعجزين الله بهرب أو امتناع من العذاب ، بل أنتم في قبضته وسلطانه ، فاتقوا الله في أنفسكم . اهـ. الطبري ١٢٢/١١ .

(٣) قال ابن عطية في المحرر ١٦٥/٧ : لفظة ﴿ أسَرُّوا ﴾ تجيء بمعنى أخفَوْا وهي من السر ، وتجيء بمعنى أظهروا وهي حينئذ من أسارير الوجه قال القرطبي : المعنى : وأخفى رؤساء هؤلاء الكفار الندامة عن سَفَلَتِهِمْ ووضعائهم . اهـ.

وقال أبو العباس[١] : إن كان هذا صحيحاً فمعناه بَدَتْ النَّدَامَةُ في أسِرَّةِ وجوههم ، وواحدها سِرَارٌ ، وهي الخطوط التي في الجبهة[٢] .

٥٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ .. ﴾** [آية ٥٧] .

يعني القرآن[٣] .

٥٤ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَلْيَفْرَحُوا .. ﴾** [آية ٥٨] .

قال الحسن : فضلُه : الإسلام ، ورحمتُهُ : القرآن[٤] .

وقال أبو التَّيَّاح[٥] ﴿ بِفَضْلِ اللهِ ﴾ يعني الإسلام ﴿ وَبِرَحْمَتِهِ ﴾ يعني القرآن ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا ﴾[٦] يا أصحابَ محمد ﷺ ﴿ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ قال : يعني الكفار[٧] .

---

(١) المراد به الإمام المبرد وقد تقدمت ترجمته ١/٥٥ .

(٢) انظر تحقيق القول في البحر المحيط ١٦٩/٥ .

(٣) راجع جامع البيان للطبري ١٢٤/١١ .

(٤) الأثر عن الحسن أخرجه الطبري ١٢٥/١١ وابن الجوزي ٤٠/٤ والبحر المحيط ١٧١/٥ .

(٥) أبو التيَّاح : هو يزيد بن حُمَيد الضُّبَيعي البصري ، تابعي ثقة توفي سنة ١٢٨هـ قال أحمد : ثبت ثقة ، وانظر ترجمته في التهذيب لابن حجر ٣٢٠/١١ .

(٦) هذه القراءة بالخطاب ﴿ فلتفرحوا ﴾ ذكرها ابن الجزري في النشر ٢٨٥/٢ من قراءة أُبيٍّ بن كعب عن رسول الله ﷺ وعدَّها ابن جني في المحتسب ٣١٣/١ من القراءات الشاذة ، وذكر أبو حيان في البحر ١٧٢/٥ هذه القراءة فقال : رُويت عن النبي ﷺ « فلتفرحوا » و « تجمعون » بالتاء فيهما على المخاطبة ، وهي قراءة جماعة من السلف ، والجمهور بالياء . اهـ.

(٧) الأثر أخرجه الطبري ١٢٦/١١ وابن الجوزي ٤١/٤ .

وروى **عكرمة** عن ابن عباس ﴿ بِفَضْلِ اللهِ ﴾ القرآنُ ﴿ وَبِرَحْمَتِهِ ﴾ أن جعلنا من أهله[1] .

٥٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً .. ﴾** [آية ٥٩] .

قال مجاهد : يعني البحائر والسَّوائب[2] .

وقال الضحاك : يعني بقوله ﴿ وَجَعَلُوا للهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً ﴾[3] .

٥٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ .. ﴾** [آية ٦١] .

معنى ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ﴾ أي : وأيَّ وَقْتٍ تكونُ في شأنٍ ، من عبادةٍ ، أو غيرها ﴿ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ ﴾ قال أبو إسحاق : المعنى من الشأن[4] .

٥٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾** [آية ٦١] .

أي : تأخذون فيه ، ومنه : أَفَاضَ في الحديث .

---

(١) انظر الأثر في الطبري ١٢٥/١١ وابن الجوزي ٤١/٤ والبحر المحيط ١٧١/٥ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٢٧/١١ وابن الجوزي ٤١/٤ وابن كثير ٢١١/٤ .

(٣) سورة الأنعام آية رقم ١٣٦ .

(٤) قال الفراء والزجاج : الهاء في « منه » تعود على الشأن أي وما تحدث شأناً فيُتلى من أجله القرآن ، أو ينزل فيه قرآن ، وقال الطبري : الضمير في « منه » يعود على كتاب الله تعالى ، وأعيد « من قرآن » تفخيماً . انظر جامع الأحكام للقرطبي ٣٥٦/٨ .

٥٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ .. ﴾** [آية ٦١] .

أي وما يبعد ولا يغيبُ .

ومثقال الشيءِ : وزنُه ، والذرّةُ : النملة الصغيرةُ[١] .

٥٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾** [آية ٦٢] .

يُروى أن رجلاً قال للنبي ﷺ : من أولياء الله ؟ فقال : « الَّذين إذا رُؤوا ذُكِرَ الله »[٢] .

حدثنا أبو جعفر : قال : نا الحسين بن عمر الكوفي ببغداد ، قال : نا العلاء بن عمرٍو قال : نا يحيى بنُ اليمان ، عن أشعث بن إسحاق القُمِّي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ ﴿ ألا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ قال : يُذْكَرُ اللهُ جلَّ وعزَّ برؤيتهم »[٣] .

---

(١) إلى هذا ذهب ابن جرير في تفسيره ١١/١٣٠ قال : ويعني بالذرة : النملة الصغيرة ، واحدة الذر وهو صغار النمل ، وذلك خبر عن الله عز وجل أنه لا يخفى عليه أصغر الأشياء . اهـ. وذكر غيره أن الذرَّة الهباءة من التراب الناعم .

(٢) الحديث ذكره الطبري عن سعيد بن جبير مرسلاً ١١/١٣١ وأورده ابن كثير في التفسير ٤/٢١٤ من رواية البزار مرفوعاً عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ ، وخرَّجه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٠٩ وزاد نسبته إلى ابن المبارك ، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ، والبزار ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن ابن عباس .

(٣) الحديث أخرجه الطبري في جامع البيان ١١/١٣١ والسيوطي في الدر ٣/٣٠٩ وعزاه إلى الطبراني ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والضياء في المختارة عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً .

٦٠ ــ وقوله جل وعز ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ .. ﴾ [آية ٦٤] .

قال عبادة بن الصامت : سألت رسول الله ﷺ عن قوله جل وعز ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ فقال : « هي الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا المسلمُ ، أو تُرَى له ، وفي الآخرة : الجنةُ »[١] .

وفيها قول آخر رواه شعبة عن ابن عمران الجونِي عن عبد الله ابن الصامت عن أبي ذر قلت للنبي ﷺ : « الرجل يعمل لنفسه خيراً ، ويحبُّه النَّاسُ ، فقال : تلك عاجلُ بُشرى المؤمنين في الدنيا »[٢] .

٦١ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ .. ﴾ [آية ٦٤] .

أي لا خُلْفَ لوعده[٣] .

وقيل : معنى ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ﴾ لا تبديل لأخباره ، أي لا ينسخها شيءٌ ، ولا تكون إلَّا كما قال[٤] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣١٥/٥ وابن جرير ١٣٣/١١ والسيوطي في الدر المنثور ٣١١/٣ وزاد نسبته إلى الترمذي ، وابن ماجه ، والطبراني ، والحاكم وصحَّحه ، وابن مردويه ، والبيهقي .

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد ١٥٦/٥ ورواه مسلم في كتاب البر « باب إذا أثني على الصالح فهي بشرى » ٢٠٣٤/٤ برقم ٢٦٤٢ ولفظه : عن أبي ذر قال : قيل لرسول الله ﷺ « أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ، ويحمده الناس عليه ؟ قال : تلك عاجل بشرى المؤمن » وفي تفسير ابن كثير بزيادة « ويثنون عليه به » ٢١٥/٤ وقال : أخرجه أحمد ومسلم ، وانظر أيضاً البحر المحيط ١٧٥/٥ .

(٣) ذكره ابن الجوزي ٤٤/٤ عن ابن عباس قال : لا خُلْف لمواعيده ، وذلك لأن مواعيده بكلماته .

(٤) انظر جامع أحكام القرآن للقرطبي ٣٥٩/٨ .

٦٢ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ .. ﴾** [آية ٦٥] .

أي لا يحزنك إيعادُهم ، وتكذيبُهم ، واستطالتُهم عليك[١] .

٦٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ إِنَّ العِزَّةَ للهِ جَمِيعاً .. ﴾** [آية ٦٥] .

أي إن الغلبة لله .

٦٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾** [آية ٦٦] .

أي يَحْدِسون ويحزرون[٢] .

٦٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً .. ﴾** [آية ٦٧] .

أي مُبْصِراً فيه على النسب[٣] ، كما قال ﴿ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾[٤] أي ذات رضىً ، أي يُرضَى بها .

---

(١) المراد بالإيعاد : وعيدُهم وتهديدهم للرسول عليه الصلاة والسلام ، وانظر البحر المحيط ١٧٦/٥ .

(٢) الحَدْسُ : الظنُّ كما في المصباح المنير ، وما ذكره المصنف في تعريف الخرص ، هو قول ابن قتيبة كما في تفسير ابن الجوزي ٤٦/٤ والمراد أنهم يحدسون ويكذبون ، يظنون الأوهام حقائق ويُغرقون في الضلال .

(٣) قال ابن الجوزي ٤٦/٤ المعنى : جعل النهار مضيئاً تُبصرون فيه ، وإنما أضاف الإبصار إلى النهار ، لأنَّ السامع يفهم المقصود ، إذ النهار لا يُبصر ، وإنما هو ظرف يُفعل فيه غيره كما يُقال : ليل نائم وكقوله تعالى ﴿ في عِيشَةٍ راضية ﴾ أي في عيشةٍ مرضيَّة .

(٤) سورة الحاقة آية رقم ٢١ والمراد أن العيشة مرضية .

٦٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ إنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا .. ﴾** [آية ٦٨] .

أي ما عندكم من حجة بهذا[١] .

٦٧ ــ **ثم قال جل وعزّ ﴿ قُلْ إنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾** [آية ٦٩] .

تم الكلام .

ثم قال : ﴿ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ﴾ أي ذلك متاعٌ في الدنيا[٢] .

٦٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ .. ﴾** [آية ٧١] .

قال الفراء : معناه وادعُوا شركاءكم ، قال : والإجماعُ : الإعداد ، والعزيمةُ على الأمر[٣] .

وقال أبو العباس[٤] : هو محمول على المعنى ، لأن معنى « أَجْمِعُوا » و « اجْمَعُوا » واحد .

وقال أبو إسحاق[٥] : المعنى مع شركائكم ، قال : وقولُ الفراءِ لا معنى له ، لأنه إن كان يذهب إلى أن المعنى : وادْعُوا شركاءكم ليعينوكم ، فمعناه معنى « مع » وإن كان يذهب إلى الدعاءِ فقط ، فلا

(١) نبَّه المصنف على أن « إنْ » في الآية نافية بمعنى « ما » وليست شرطية .

(٢) قال الكسائي ، وقال الأخفش : لهم متاع في الدنيا ، وانظر القرطبي ٣٦١/٨ .

(٣) معاني الفراء ٤٧٣/١ .

(٤) هو المبرِّد ، وقد تقدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٥) أبو إسحق هو الإمام الزجاج ، وقد تقدمت ترجمته ٧٤/١ .

معنى لدعائهم لغير شيءٍ[1] .

وقرأ **الجحدريُّ** ويُروى عن الأعرج ﴿ فَاجْمَعُوا أمْرَكُمْ ﴾ بوصل الألف وفتح الميم[2] .

وقرأ **الحسن** : ﴿ فأَجْمِعُوا أمْرَكُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ﴾[3] .

قال أبو جعفر : وهذا يدلُّ على أنهما لغتان بمعنى واحد .

٦٩ ـــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً .. ﴾** [آية ٧١] .

فيه قولان :

أحدهما : أن معنى « غُمَّة » كمعنى غَمّ .

والآخر : وهو أصحُّ في اللغةِ أن المعنى : ليكنْ أمركُمْ ظاهراً ، يُقال : القومُ في غُمَّة : إذا عَمِيَ عَليهم أمرُهُم والتبس ، ومن هذا : غُمَّ الهلالُ على الناس ، أي غَشِيَهُ ما غطَّاه[4] .

---

(١) انظر كلام الزجاج في زاد المسير لابن الجوزي ٤/٤٨ .

(٢) هذه من القراءات السبع كما في السبعة لابن مجاهد ص ٣٢٨ وهي رواية نصر عن الأصمعي ، وروى غير الأصمعي عن نافع مثل قراءة سائر القرَّاء ﴿ فأجْمِعوا أمركم ﴾ بالهمزة وكسر الميم من « أجمعت » .

(٣) هذه القراءة عدَّها ابن جني في المحتسب ١/٣١٤ من القراءات الشاذة .

(٤) في الصحاح ٥/٩٩٨ : الغُمَّة : الكُربة ، ويُقال : أمرٌ غُمَّة أي مبهم ملتبس ، وغُمَّ الهلال على الناس إذا ستره عنهم غيم فلم يُرَ ، قال الراجز :

ليلةُ غُمَّى طَامِسٌ هِلَالُهَا أوغلتُها ومُكرَةٌ إيغَالُهَا

والغَمُّ من هذا إنما هو ما غَشِيَ القلبَ[1] من الكَرْبِ فضَيَّقه ، وأصلُ هذا مشتق من الغَمَامَةِ .

٧٠ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴾** [آية ٧١] .

أي ثم افعلوا ما بدا لكم .

قال الكسائي : ويُقرأ ﴿ وأفْضُوا إِلَيَّ ﴾[2] بقطع الألف والفاء .

٧١ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا .. ﴾** [آية ٧٨] .

قال قتادة : أي لتلوينا[3] .

قال أبو جعفر : وهذا معروفٌ في اللغة ، يقال لَفَتَهُ يَلْفِتُه : إذا عَدَله[4] . ومن هذا التفت إنما هو عَدَل عن الجهة التي بين يديه .

٧٢ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ ﴾** [آية ٧٨] .

---

(١) في الحديث (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولا أذى ، ولا هم ، ولا غم ، إلا كفَّر الله بها من خطاياه) أخرجه البخاري ١٠/٩١ في المرضى ، ومسلم برقم (٢٥٧٣) في البرِّ ، والترمذي برقم (٩٦٦) في الجنائز .

(٢) ذكرها ابن جني في المحتسب ١/٣١٥ من القراءات الشاذة ، وهي قراءة السرِّي بن ينعم ومعناها أسرعوا إليَّ ، من أفْضيت ، وهو أفْعلت من الفضاء ، قال : لأن الإنسان إذا صار في الفضاء تمكَّن من الإسراع .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١١/١٤٦ والقرطبي ٨/٣٦٧ والدر المنثور ٣/٣١٤ .

(٤) قال الجوهري : اللَّفت : اللَّيُّ ، ولفت وجهه عني : صرفه ، ولفته عن رأيه صرفه . الصحاح ١/٢٦٤ .

قال مجاهد : أي المُـلْك[1] ، وذلك معـروفٌ في اللغـة ، وإنما قيل للملك : كبرياء ، لأنه أكبر ما يُنال في الدنيا .

٧٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَلَمَّـا أَلْقَـوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُـمْ بِهِ السِّحْـرُ .. ﴾**[2] [آية ٨١] .

من قرأ ﴿ آلسِّحْـرُ ﴾ فمعنـاه عنـده التوبيـخ ، أي : أيُّ شيء جئتم به آلسِّحرُ هو ؟

٧٤ ــ **وقولـه جلَّ وعـزَّ ﴿ فَمَـا آمَـنَ لِمُـوسَى إِلَّا ذُرِّيَّـــةٌ مِنْ قَوْمِـــهِ .. ﴾** [آية ٨٣] .

قال ابن عباس : أي قليل[3] .

وقـال مجاهـد : يعنـي أنـه لم يؤمـن به منهم أحـدٌ ، وإنما آمـن أولادهم[4] .

وقال بعض أهل اللغة : إنما قيل لهم ذريـة ، لأن آباءهـم قِبـطٌ ، وأمهـاتهم من بنـي إسرائيـل ، كما قيـــل لمن سقـــط من فارس إلى اليمن

---

(١) الأثـر أخرجـه الـطبري ١١/١٤٧ وابـــن كثير ٤/٢٢٠ وابـــن الجوزي ٤/٥٠ ولفظـــه قال : الكبرياء : الملك والشَّرف ، قاله ابن عباس .

(٢) قال القرطبي ٨/٣٦٨ : « ما » في موضع رفع بالابتداء ، والخبر « جئتم به » والتقدير : أيُّ شيء جئتم به ، على التوبيـخ والتصغير لما جاءوا به من السحـر . اهـ. وقـــال الفـــراء : قرأ مجاهـــد ﴿ آلسِّحرُ ﴾ على الاستفهام أي أيُّ شيء جئتم به ؟ آلسحر هو ؟

(٣) الأثر أخرجه ابن الجوزي عن ابن عباس ٤/٥٢ .

(٤) الأثـر أخرجـه الـطبري عن مجاهـد ١١/١٥٠ واختـاره قال : وإنما من أولاد من أُرسل موسى إليهم من بني إسرائيل لطول الزمان هلك وبقي الأبناء فآمنوا . اهـ.

الأبناء ، يذهب إلى أنهم رجالٌ مذكورون(١) .

٧٥ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ .. ﴾** [آية ٨٣] .

فقال : « وَمَلَئِهِمْ » لأنه قد عُلم أن معه من يأتمر له ، ويرجع إلى قوله(٢) .

وقيل : المعنى على خوفٍ من آل فرعون(٣) .

٧٦ ـ **وقوله جل وعز ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾** [آية ٨٦] .

قال مجاهد : أي لا تهلكنا بأيدي أعدائنا ، ولا تعذّبنا بعذاب من عندك ، فيقول أعداؤنا : لو كانوا على حقٍّ لما سُلِّطْنَا عليهم ، ولَمَا عُذِّبوا ، أي فيفتتنوا بذلك(٤) .

وقال أبو مجلز(٥) : لا يظهروا فيرَوا أنهم خيرٌ منَّا(٦) .

---

(١) هذا قول الفراء في معانيه ٤٧٦/١ .

(٢) و (٣) هذا والذي بعده قولان للفراء في معانيه ٤٧٦/١ قال : وإنما قال « وملئِهم » بالجمع وفرعون واحد لأن الملك إذا ذكر ، ذهب الوهم إليه وإلى من معه ، كما تقول : قدم الخليفة فغَلت الأسعار ، لأنك تنوي بقدومه قدوم من معه ، وقد يكون أريد بفرعون « آل فرعون » وتحذف الآل فيجوز . اهـ. وذكر القرطبي ٣٦٩/٨ عن هذا ستة أجوبة .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ١٥٢/١١ وابن كثير ٢٢٣/٤ وابن الجوزي ٥٤/٤ .

(٥) أبو مجلز هو « لاحق بن حُميد السدوسي » البصري ، ثقة من كبار الثالثة توفي سنة ١٠٦هـ وانظر ترجمته في تقريب التهذيب ٣٤٠/٢ .

(٦) الأثر في الطبري ١٥٢/١١ وابن كثير ٢٢٣/٤ والدر المنثور ٣١٤/٣ .

٧٧ ــ وقوله عز وجل ﴿ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً .. ﴾ [آية ٨٧] .

قال ابن عباس : أي مساجد(١) .

وقال مجاهد : أي نحو الكعبة(٢) .

وقال إبراهيم النخعي : كانوا على خوف كما أخبر الله جل وعزّ ، فأُمروا أن يُصلُّوا في بيوتهم ، لئلا يلحقهم أذىً(٣) .

٧٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وأَمْوَالاً فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، رَبَّنَا لِيَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ .. ﴾ [آية ٨٨] .

وَلِيُضِلُّوا(٤) .

المعنى : فأصارهم ذلك إلى الضلال كما قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً ﴾(٥) أي : فآل أمرهم إلى ذلك ، وكأنهم فعلوا ذلك لهذا(٦) .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٥٣/١١ وابن الجوزي ٥٤/٤ والدر ٣١٤/٣ .

(٢) الأثر في الطبري ١٥٥/١١ وابن كثير ٢٢٤/٤ وفي الدر المنثور ٣١٤/٣ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٥٤/١١ وابن كثير ٢٢٤/٤ قال : وكذا قال قتادة والضحاك .

(٤) قال ابن عطية في المحرر ٢٠٥/٧ : قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرة ، وابن عامر ، والحسن ، والأعرج ، ومجاهد : « لَيَضلوا » بفتح الياء على معنى : لَيَضلوا في أنفسهم ، وقرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي « لِيُضلوا » على معنى لِيُضلوا غيرهم .

(٥) سورة القصص آية رقم ٨ .

(٦) قال ابن الجوزي ٥٥/٤ وفي لام « ليضلوا » أربعة أقوال : أحدها : أنها لام « كي » أي كيْ يضلوا . والثاني : أنها لام العاقبة كقوله تعالى ﴿ ليكون لهم عدواً وحزناً ﴾ أي آل أمرهم إلى أن صار لهم عدواً ، لا أنهم قصدوا ذلك ، وهذا كما تقول : كسب المال لحتفه ، كما قال الشاعر :

وللمنايا تُرَبِّي كلُّ مرضعةٍ ... وللخراب يُجِدُّ النَّاسُ عمرانا

وبعضُ أهل اللغة يقول : لامُ الصيرورة ،وهي لام « كَيْ » على الحقيقة .

٧٩ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ .. ﴾** [آية ٨٨] .

قال قتادة : بَلَغَنَا أن أموالهم وزروعهم صارت حجارة[١] .

قال مجاهد : أي أهلِكْهَا[٢] .

قال أبو جعفر : ومعروفٌ في اللغة أن يُقال : طَمَسَ الموضعُ : إذَا عَفَا وَدَرَسَ .

٨٠ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ .. ﴾** [آية ٨٨] .

قال مجاهد : أي بالضلالة[٣] .

وقال غيره : أي قسِّها[٤] .

والمعنى واحدٌ .

٨١ ــ **ثم قال عز وجل ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوا العَذَابَ الأَلِيمَ ﴾** [آية ٨٨] .

قال مجاهد : دعا عليهم[٥] .

قال أبو جعفر : وهذا لأنهم إذا رأوا العذاب لم ينفعهم الإيمان ، فقد دعا عليهم .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٥٨/١١ وابن الجوزي ٥٦/٤ وابن كثير ٢٢٥/٤ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٥٨/١١ والسيوطي في الدر ٣١٥/٣ .

(٣) هذا قول ابن قتيبة كما في زاد المسير ٥٧/٤ .

(٤) و (٥) الأثران عن مجاهد في الطبري ١٥٩/١١ وابن الجوزي ٥٧/٤ والدر المنثور ٣١٥/٣ .

قال أبو إسحاق : قال أبو العباس : هو معطوف على قوله : ﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾ .

٨٢ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ قَدْ(١) أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا ﴾** [آية ٨٩] .

قال قتادة : دعا موسى ، وأَمَّن هارونُ(٢) .

حدثنا محمد بن الحسين بن سَمَاعَة بالكوفة قال : نا أبو نعيم ، قال : نا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية قال : ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴾ قال : دعا موسى فأَمَّنَ هارون صلَّى الله عليهما(٣) .

قال أبو جعفر : وهو حَسَنٌ عند أهل اللغة ، لأن التأمين دعاءٌ ، أَلَا ترى أن معنى آمين : استجبْ(٤) .

٨٣ ـــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنودُهُ بَغْياً وَعَدْواً .. ﴾** [آية ٩٠] .

---

(١) في المخطوطة « فقد أجيبت » والصواب بدون فاء كما هو النص القرآني ﴿ قد أجيبت ﴾ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١١/١٦١ وابن كثير ٤/٢٢٦ قال : وهو قول أبي العالية ، وعكرمة ، والربيع بن أنس أيضاً .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٣/٣١٥ وعزاه إلى سعيد بن منصور عن محمد بن كعب القرظي قال : كان موسى يدعو ، وهارون يؤمِّن ، والداعي والمؤمن شريكان » وأخرجه ابن كثير عن أبي العالية وعكرمة ٤/٢٢٦ وهو أيضاً في الطبري ١١/١٦١ .

(٤) قال ابن جرير ١١/١٦٠ : فإن قيل : كيف نُسبت الإجابة إلى اثنين والدعاء إنما كان من واحد ؟ قيل : إن الداعي وإن كان واحداً فإن الثاني كان مؤمناً وهو هارون ، فلذلك نسبت الإجابة إليهما لأن المؤمن داع أيضاً . اهـ. وكذلك قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٧/٢٠٨ .

وقرأ قتادة : ﴿ فاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ ﴾ بوصل الألف[1] .

قال الأصمعي : يُقال : أَتْبَعَهُ ، بقطع الألف إذا لَحِقه وأدركه ، واتَّبَعَهُ ـ بوصل الألف ـ : إذا اتَّبع أثره ، أدركه أو لم يدركه ، وكذلك قال أبو زيد[2] .

وقيل : اتَّبعه ـ بوصل الألف ـ في الأمر : اقتدى به ، وأَتْبَعَهُ بقطع الألف خيراً أو شرًّا ، هذا قول أبي عمرو .

وقيل : هما واحد[3] .

وقرأ قتادة ﴿ بَغْياً وَعُدُوًّا ﴾ والعُدُوُّ : الظلمُ[4] .

٨٤ ـ وقوله جلَّ وعز ﴿ حَتَّى إذا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّه لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ .. ﴾ [آية ٩٠] .

روى شعبة عن عدي بن ثابت ، وعطاء بن السائب ، قالا :

---

(١) ذكر هذه القراءة ﴿ فاتبعهم ﴾ عن الحسن وقتادة أبو حيان في البحر ١٨٨/٥ بتشديد التاء ، وقراءة الجمهور ﴿ فأتبعهم ﴾ بالقطع بمعنى لحقهم ، وذكرها أيضاً ابن عطية في المحرر ٢١٠/٧ ولم أرها في القراءات السبع .

(٢) انظر الكشاف ٢٠١/٢ والبحر المحيط ١٨٨/٥ والمحرر الوجيز ٢١٠/٧ .

(٣) هذا قول أبي عبيدة كما في زاد المسير ٥٩/٤ قال : أتبعهم وتبعهم سواء ، وذكر الطبري ١٦٢/١١ عن الكسائي أن « أتبعهم » بهمز الألف يراد به الاتباع واللحاق بالخير والشر ، وإذا أُريد به اتَّبع أثرهم أو اقتدى بهم ، فإنها تكون مشددة التاء غير مهموزة الألف . اهـ.

(٤) ذكرها ابن عطية ٢١٠/٧ فقال : قرأ الحسن وقتادة ﴿ وعُدُوًّا ﴾ على مثال : عَلَا عُلُوًّا ، وقرأ الجمهور ﴿ وعَدْواً ﴾ على مثال غزا غزواً ، وكذلك ذكرها ابن الجوزي ٥٩/٤ وهذه القراءة ﴿ عُدُوًّا ﴾ ليست من القراءات السبع المتواترة ، والمراد بالعُدُوِّ على هذه القراءة الظلم والعدوان .

سمعنا سعيدَ بنَ جبيرٍ ، يُحدِّث عن ابن عباس ، قال شُعْبَةُ : رَفَعَه أحدُهما إلى النبيِّ ﷺ قال : « إنَّ جبرائيل عليه السلام كان يَدُسُّ الطِّين ، فيجعله في فِي فِرْعونَ ، قال : مخافة أن يقول : لا إله إلا أنت ، فيغفر له »[1] .

وقال عونُ بنُ عبد الله : بلغني أن جبرائيل قال للنبي عليه السلام : « ما وَلَدَ إبليسُ ولداً قطُّ أبغض إليَّ من فرعون ، وأنَّه لما أدركه الغرق ، قال : ﴿ آمَنْتُ ﴾ الآية .. فخشيتُ أن يقولها فيُرحم ، فأخذتُ تُربةً أو طينةً فحشوتها في فيهِ[2] .

وقيل : إن جبرائيل إنَّما فَعَل هَذا به ، عقوبةً له ، على عظيم ما كان يأتي .

٨٥ ــ **وقوله جل وعز﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً .. ﴾** [آية ٩٢] .

قال قتادة : لم تصدِّق طائفةٌ من النَّاس أنَّه غرق ، فأُخرج لهم

---

(١) الحديث أخرجه الطبري ١١/٦٣ بلفظ « مخافة أن تدركه الرحمة » ورواه أحمد في المسند ١/٣٠٥ ورواه الترمذي مرفوعاً برقم ٥١٠٧ من حديث ابن عباس بلفظ « لما أغرق الله فرعون ، قال فرعون : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، فقال جبرائيل : يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر ــ أي طينه الأسود ــ وأَدسُّه في فيه ، مخافة أن تدركه الرحمة » قال الترمذي : هذا حديث حسن ، ورواه برقم ٥١٠٨ وقال : حديث حسن غريب صحيح ، وانظر ما كتبه العلامة المباركفوري في تحفة الأحوذي على شرح الترمذي ٨/٥٢٥ .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣١٦ وعزاه إلى الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة مرفوعاً ولفظه : « قال لي جبريل : ما كان على الأرض شيء أبغض إليَّ من فرعون ، فلما آمن جعلت أحشو فاه حمأةً ، وأنا أغطُّه خشية أن تدركه الرحمة » وذكره ابن عطية ٧/٢١٢ في المحرر الوجيز ، وبنحوه أخرجه الطبري ١١/١٦٣ .

ليكون عظة وآية[1] .

وقال غيره : الآية فيه أنه يدَّعي أنه ربٌّ ، وكان قومُه يعبدونه ، فأراهم الله إيَّاه بعدما غرَّقَهُ .

ومن الآية فيه أنه غَرِق هو وقومُه ، فأُخرِجَ دونَهم .

قال أبو عبيدة : معنى ﴿ نُنَجِّيكَ ﴾ نُلقيك على نَجْوَةٍ من الأرض[2] .

وقال غيره : النَّجْوَة والنَّبْوةُ : ما ارتفعَ من الأرض .

وقُرئ ﴿ نُنْجِيكَ ﴾[3] والمعنى واحد .

ورُوي عن يزيد المكي أنه قَرَأَ ﴿ فاليَوْمَ نُنَحِّيك ﴾[4] بالحاء .

﴿ بِبَدَنِكَ ﴾ قيل : أي وحدك[5] . وقيل : بدرعك[6] .

وقال مجاهد : بجسدك[7] . وهذا أحسن الأقوال .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٦٥/١١ وابن كثير ٢٢٨/٤ وابن الجوزي ٦١/٤ وفي رواية للطبري : قالت بنو إسرائيل لموسى : إنه لم يمت فرعون ، فأخرجه الله إليهم ، ينظرون إليه مثل الثور الأحمر .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٨١/١ .

(٣) هذه قراءة يعقوب كما في النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٨٧/٢ .

(٤) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٣١٦/١ .

(٥) هذا القول لابن قتيبة كما في تفسير ابن الجوزي ٦١/٤ .

(٦) قاله أبو صخر ، قال : كانت له درع من لؤلؤ ، وقيل : من ذهب ، فعُرف بدرعه . اهـ. زاد المسير ٦١/٤ .

(٧) الأثر عن مجاهد أخرجه الطبري ١٦٥/١١ وابن الجوزي ٦١/٤ وابن كثير ٢٢٨/٤ .

قيل : معناه بجسدك فقط ، أي عُرياناً بغير روح[4] .

٨٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنا بَنِي إسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ .. ﴾** [آية ٩٣] .

أي أنزلناهم[2] .

قال قتادة : يعني الشَّامَ وبيتَ المقدسِ[3] .

وقال الضحَّاك : مصرَ والشَّامَ[4] .

٨٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَإنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ .. ﴾**[5] [آية ٩٤] .

في معناه أقوال :

١ ــ **منها** : أن المخاطبةَ للنبي ﷺ مخاطبةٌ لأمته ، فالمعنى على هذا : فإن كنتم في شكٍّ كما قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾[6] .

---

(١) هذا قول الزجاج ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٤/٦١ .

(٢) في المصباح ١/٧٥ : بوَّأته داراً : أسكنته إياها . وفي الصحاح ١/٣٦ : تبوأت منزلاً أي نزلته ، وبوَّأت للرجل منزلاً وبوَّأته بمعنى ، أي هيَّأته ومكَّنت له فيه ، والمباءة : منزل القوم . اهـ.

(٣) و (٤) الأثران عن قتادة والضحاك في الطبري ١١/١٦٦ وابن الجوزي ٤/٦٢ والبحر المحيط ٥/١٩٠ .

(٥) هذا ما اختاره ابن عطية ٧/٢١٧ أن المخاطبة للنبي ﷺ ، والمراد بها سواه من كل من يُمكن أن يشك أو يعارض . قال أبو حيان في البحر ٥/١٩١ : ولذلك جاء بعده ﴿ قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني .. ﴾ الآية .

(٦) سورة الطلاق آية رقم ١ .

٢ ــ **وقيل** : هذا كما يُقال : إنْ كنتَ أبي فافعل كذا ، وهو أبوه[1] .

٣ ــ **وقيل** : « إنْ » ها هنا بمعنى (ما) كما قال جل وعز ﴿ إِنِ الكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾[2] والمعنى : فما كنت في شكٍّ ممَّا أنزلنا إليك ، فاسألِ الَّذين يقرءون الكتاب من قبلك ، سؤال ازدياد[3] ، كما قال تعالى إخباراً عن إبراهيم ﴿ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[4] .

وقال أبو العباس محمد بن يزيد : المعنى يا محمّد : قل للشاكِّ : إنْ كنتَ في شكٍّ ، فاسأل الذين يقرءون الكتاب ، أي سَلْ من آمَنَ من أهلِ الكتاب ، فيخبرك بصفة النبي ﷺ في كتابه .

(١) هذا ما ذهب إليه ابن جرير ، وانظر جامع البيان ١٦٩/١١ وقال الفراء في معانيه ٤٧٩/١ : « قال ذلك تعالى لنبيه وهو يعلم أنه غير شاك ، ولم يشك عليه السلام ، فلم يسأل ، ومثله في العربية أن تقول لغلامك الذي لا يُشكُّ في ملكك إياه : إن كنت عبدي فاسمع وأطع » . اهـ.

(٢) سورة الملك آية رقم ٢٠ .

(٣) هذا القول أنَّ « إنْ » نافية ، حكاه ابن عطية عن الحسن ٢١٧/٧ قال : والجمهور على أن « إنْ » شرطية ، وحكاه ابن الجوزي في زاده ٦٣/٤ قال : والمعنى : ما كنت في شك ، فلسنا نريد أن نأمرك أن تسأل لأنك شاك ، بل لتزداد بصيرة ، قال : ذكره الزجاج . اهـ. ولأبي حيان في البحر المحيط ١٩١/٥ رأي بديع في تفسير الآية نذكره بإيجاز ، قال رحمه الله : إن « إنْ » الشرطية تقتضي تعليق شيء على شيء ، ولا تستلزم وقوعه ، بل قد يكون ذلك من المستحيل كقوله تعالى ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ فكذلك هذا مستحيل أن يكون ﷺ في شك .. إلخ .

(٤) سورة البقرة آية رقم ٢٦٠ .

قال الحسن : لم يسألْ ولم يشكَّ[1] .

وقال الضحاك : الذين يقرءون الكتاب ، يعني بهم مَنْ آمَنَ مِنْ أهلِ الكتاب ، وكان من أهل التقوى[2] .

٨٨ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ إنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ[3] رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾** [آية ٩٦] .

قال قتادة : أي إنَّ الذيـنَ حقَّ عليهم غضبُ الله وسَخَطُهُ بمعصيتهم ، لا يؤمنون[4] .

٨٩ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إيمَانُهَا إلَّا قَوْمَ يُونُسَ .. ﴾** [آية ٩٨] .

قال قتادة : لم يُؤمنْ قومٌ حين رأوا العذابَ إلَّا قومَ يونس[5] .

وقال غيره : لم يروا العذابَ ، وإنما رأوا دليله ، فقُبِلَتْ توبتهم .

وذُكِرَ هذا على أثرِ قصةِ فرعونَ ، لأنه آمن حين رأى العذابَ ، فلم ينفعه ذلك .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٦٨/١١ والسيوطي في الدر ٣١٧/٣ وعزاه إلى عبد الرزاق عن قتادة قال : ذُكر لنا أن رسول الله ﷺ قال : لا أشك ولا أسأل ، وروي هذا القول عن ابن عباس .

(٢) انظر تفسير ابن الجوزي ٦٤/٤ والبحر المحيط ١٩١/٥ والطبري ١٦٨/١١ .

(٣) قرأ أبو عمرو ، وعاصم ، والحسن ، وأبو رجاء ﴿ كلمة ربك ﴾ بالإفراد ، وقرأ نافع وأهل المدينة ﴿ كلمات ربك ﴾ بالجمع ، وانظر المحرر ٢٢٠/٧ والنشر في القراءات العشر ٢٨٧٣٢ .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١٧٠/١١ والسيوطي في الدر ٣١٧/٣ عن مجاهد ، وأبو حيان في البحر ١٩١/٥ عن قتادة .

(٥) الأثر أخرجه الطبري ١٧١/١١ وابن كثير ٢٣٢/٤ والسيوطي في الدر ٣١٧/٣ .

قال قتادة : خرج قومُ يونس ففرَّقوا بين البهائِم وأولادها ، وأقاموا يدعون الله جلَّ وعز ، فتاب عليهم[1] .

٩٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ .. ﴾** [آية ٩٨] .

هذا عند الخليل ، وسيبويه ، استثناءٌ ليس من الأول[2] .

وقال غيرهما : هو استثناءٌ منقطعٌ ، لأنهم أمةٌ غيرُ الأمم الذين استُثْنوا منهم ، ومن غير جنسهم وشكلهم ، وإن كانوا من بني آدم[3] .

ومعنى ﴿ إِلَى حِينٍ ﴾ إلى حين فناء آجالهم[4] .

٩١ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً .. ﴾** [آية ٩٩] .

فيه قولان[5] :

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١١/١٧١ وابن الجوزي ٤/٦٥ وتفسير ابن عطية ٧/٢٢٢ .

(٢) هذا قول أبي عبيدة ، وابن قتيبة ، والزجاج ، كما حكاه عنهم ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٦٤ .

(٣) يريد أنه استثناء منقطع ، لأن قوم يونس غير أمم الأنبياء صلوات الله عليهم ، قال الفراء في معانيه ١/٤٧٩ : « لولا » بمعنى هلَّا ، وهي قراءة أُبيٍّ « فَهَلَّا » ثم استثنى قوم يونس بالنصب على الانقطاع مما قبله ، ألا ترى أن ما بعد « إلَّا » في الجحد ــ أي النفي ــ يتبع ما قبلها !! فتقول : ما قم أحد إلَّا أبوك ، لأن الأب من الأحد ، فإذا قلت : ما فيها أحد إلا كلباً وحماراً ، نصبت لأنها منقطعة مما قبل « إلا » . اهـ. وقال ابن عطية ٧/٢٢١ : والاستثناء بحسب اللفظ منقطع ، وكذلك رسمه النحويون أجمع » . اهـ. الفراء .

(٤) ذكره الطبري في جامع البيان ١١/١٧١ .

(٥) هذا قول السدي كما في البحر المحيط ٥/١٩٢ .

أحدهما : أنه قد سبق في علمه ، أنه لن يؤمن إلَّا من قد سبقت له السعادة ، في الكتاب الأول ، كما رَوَى ابنُ أبي طلحةَ عن ابن عباس قال : « خبَّره جلَّ وعز أنه لن يؤمن إلَّا من قد سَبَقَ له من اللهِ ، سعادةٌ في الذِّكْرِ الأول ، ولا يَضِلُّ إلَّا مَنْ سَبَقَ له من اللهِ الشَّقَاءُ في الذِّكْرِ الأول »[1] .

والقول الآخر : ولو شاء ربُّك لعاجَلَ الكافرَ بالعقوبة ، فآمَنَ الناسُ كلُّهم ، ولكنْ لو كان ذلك لم يكن لهم في الإيمان ثوابٌ ، فوقعت المحنةُ بالحكمة[2] .

وعن ابن عبَّاس ﴿ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ ﴾ قال : السَّخَط[3] .

ثم قال : ﴿ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أي لا يعقلون عن الله حُجَجه ومواعِظَه ، وبراهينَه الدَّالةَ على النبوَّة .

٩٢ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ .. ﴾ آية ١٠١] .

[أي من الدليل على قدرة الله جلَّ ذكره][4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٧٣/١١ عن ابن عباس والقرطبي ٣٨٥/٨ وابن الجوزي ٦٧/٤ .

(٢) ذكر نحوه الزمخشري في الكشاف ٢٠٤/٢ قال أبو حيان في البحر ١٩٣/٥ : أخبر تعالى أنه خلق أهلاً للسعادة ، وأهلاً للشقاوة ، وأنه لو أراد إيمانهم كلهم لفعل ، وأنه لا قدرة لأحد على التصرف في أحد ، والمقصود بيان أن القدرة القاهرة ، والمشيئة النافذة ليست إلا له تعالى . اهـ.

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٣١٨/٣ وابن الجوزي في زاده ٦٨/٤ قال : وهو رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس .

(٤) ما بين الحاصرتين ، ذكر في المخطوطة مقدماً على بعض الآيات ، فوقع التباس وخلل بسببه ، ومكانه هنا حسب النظم القرآني .

ثم قال : ﴿ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّـذُرُ ﴾ أي الأدلَّـةُ ، والنُّـذُرُ : جمع نذيـرٍ ، وهـو الـرسولُ ﴿ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُـونَ ﴾ أي لا يُصَدِّقُـون حتَّى يَرَوْا العذابَ[1] .

٩٣ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَهَـلْ يَنْتَظِـرُونَ إِلَّا مِثْـلَ أَيَّـام الَّذِيـنَ خَلَـوْا مِنْ قَبْلِهِمْ .. ﴾** [آية ١٠٢] .

يعني هؤلاء المكذبين من العقـاب

﴿ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِـمْ ﴾ .

قال قتـادة : يقـول : وقائـع اللهِ جلَّ وعـزَّ في الذيـن خَلـوْا من قبلهـم ، قوم نوحٍ ، وعادٍ ، وثمودَ[2] .

٩٤ ــ **ثم قال جلَّ وعــزَّ ﴿ ثُمَّ نُنَجِّـــي رُسُلَنَـــا وَالَّذِيـــنَ آمَنُـــوا .. ﴾** [آية ١٠٣] .

أي من ذلك الهلاكِ ﴿ كذلك ﴾ أي كما فعلنا بالماضين[3] .

٩٥ ــ **ثم قال جل وعـز ﴿ يَا أَيُّهَـا النَّـاسُ إِنْ كُنْتُـمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِـي ﴾** [آية ١٠٤] .

---

(١) قال الحافـظ ابـن كثير ٢٣٣/٤ ومعنـى الآية : أي شيء تجدي الآيات السماويـــة والأرضيـــة ، والرسل بآياتها وحججها ، وبراهينها الدالة على صدقها ، عن قوم لا يؤمنون بالله !؟

(٢) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٧٦/١١ والسيوطي في الـدر المنثـور ٣١٨/٣ وزاد نسبتـه إلى ابن أبي حاتم ، وأبي الشيـخ . والمراد بالوقائـع : البلايـا والنكبـات التـي حلَّت بهم ، قال ابـن الأنباري : والعرب تكني بالأيام عن الشرور والحروب ، وقد تقصد بها أيـام السرور والأفـراح ، إذا قام على ذلك دليل كقوله تعالى ﴿ وذكرهم بأيام الله ﴾ وانظر تفسير ابن الجوزي ٦٩/٤ .

(٣) قال الطبري ١٧٦/١١ : أي كما فعلنا بالماضين من رسلنا ، فأنجيناهم والمؤمنين معهـم ، وأهلكنـا أممهم ، كذلك نفعل بك يا محمد ، فننجيك وتنجي المؤمنين .

أي الذي أدعوكم إليه ، فلم تعلموا أنّه حقٌّ ﴿ فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ من الأوثان وغيرها ، التي لا تنفع شيئاً ولا تضرُّ ﴿ ولكِنْ أَعْبُدُ اللهَ ﴾ الذي لا ينبغي أن تشكّوا فيه ﴿ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ أي يقبض الخلق فيميتهم ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي وهو أمرني أن أكون من المصدِّقين[1] .

٩٦ ــ **ثم قال جل وعزَّ ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً .. ﴾** [آية ١٠٥] .

« أنِ » الثانية عطفٌ على الأولى : أي أقم نفسَكَ على دين الإسلام ﴿ حنيفاً ﴾ مائلاً إلى الإسلام ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي ممن أشركَ في عبادته الأنداد .

٩٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ .. ﴾**[2] [آية ١٠٦] .

أي في دين ولا دنيا .

﴿ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ أي فإن فعلت ذلك فعبدتها ، فإنك إذاً من الظالمين لأنفسهم[3] .

---

(١) راجع تفسير الآية في جامع البيان ١١/١٧٦ والبحر المحيط ٥/١٩٥ .

(٢) سقط من الآية في المخطوطة لفظ ﴿ ولا تدعُ ﴾ وأثبتناها كما هو النص الكريم .

(٣) قال ابن جرير ١١/١٧٧ : ومعنى الآية : ولا تدع يا محمد شيئاً لا ينفعك ولا يضرك ، في دين ولا دنيا ــ يعني بذلك الآلهة والأصنام ــ يقول : لا تعبدها راجياً نفعها ، أو خائفاً ضُرَّها ، فإنها لا تنفع ولا تضر ، فإن فعلت ذلك فدعوتها من دون الله ، فإنك من المشركين بالله ، الظالمين لأنفسهم .

٩٨ ــ **ثم قال جل وعــــز ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ .. ﴾** [آية ١٠٧] .

أي دون ما يعبدُه هؤلاء المشركون ﴿ وإنْ يُرِدْكَ بِخَيْــرٍ ﴾ أي برخاءٍ ونعمة ، وعافيةٍ وسرور ﴿ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ أي فلا يقدر أحدٌ أن يحول بينك وبين ذلك ، ولا يردَّه عنك ، لأنه الذي بيده ذلك ، لا إلى غيره[١] .

٩٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ .. ﴾** [آية ١٠٨] .

أي القرآنُ الَّذي فيه بيانُ ما بالناس إليه حاجة ﴿ فَمَنِ اهْتَدَى ﴾ سَلَكَ سبيلَ الحقِّ ﴿ فإنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾ أي فإنما يستقيم على الهدى لخير نفسه ﴿ وَمَن ضَلَّ ﴾ أي عَدَل عن الحق الذي أتاه ﴿ فَإنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ أي : فإنَّما يَجْنِي به على نفسه ، لا على غيرها .

١٠٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾** [آية ١٠٨] .

أي بمسلَّط على تقويمكم ، إنَّما أمْرُكم إلى الله جلَّ وعزَّ ، هو الذي يُقَوِّم من شاءَ منكم ، وإنما أنا مبلِّغٌ .

١٠١ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ واتَّبِعْ ما يُوحَى إلَيْكَ .. ﴾** [آية ١٠٩] .

أي اعمل به[٢] .

---

(١) انظر جامع البيان ١٧٧/١ والبحر المحيط ١٩٦/٥ فقد أبدع أبو حيان في كلامه حول الآية .

(٢) كذلك قال الطبري في جامع البيان ١٧٨/١١ .

ثم قال جل وعزَّ ﴿ واصبِر ﴾ أي على ما أصابك في الله ، من مشركي قومك ﴿ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ ﴾ أي حتى يقضي فيهم .

وقيل : أمْرَه بِفِعْلٍ فاصل[1] . ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ ﴾ أي خير القاضين وأعدل الفاصلين .

وقال ابن زيد : هذا منسوخٌ ، حَكَم الله بجهادهم ، وأمر بالغلظة عليهم[2] .

وقال غيره : حَكَمَ بينَهُ وبينهم يوم بدرٍ ، فقتلَهم بالسيف ، وأمر نبيَّه ﷺ فيمن بقيَ منهم ، أن يَسْلك بهم سَبيلَ من أُهْلِك منهم ، أو يَتُوبوا .

تمت سورة يونس

• • •

---

(١) هذا قول الطبري ١١/١٧٨ وفي المخطوطة « أمره بفصل فاصل » وصوابه « بفعل فاصل » كما ذكره ابن جرير ، وعبارته : « حتى يقضي الله أمره فيك وفيهم ، بفعل فاصل » .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١١/١٧٨ وابن عطية ٧/٢٣١ وابن الجوزي ٤/٧١ عن ابن زيد قال : والصحيح أنه ليس ههنا نسخ . وقال في البحر ٥/١٩٧ : ذهب ابن عباس وجماعة إلى أن قوله تعالى ﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴾ منسوخ بآية السيف ، وذهب جماعة إلى أن الآية محكمة ، وحملوا قوله تعالى ﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴾ على معنى أنه ليس بحفيظ على أعمالهم بل ذلك لله ، وقوله ﴿ واصبر ﴾ على الصبر على طاعة الله ، وحمل أثقال النبوة ، وأداء الرسالة ، وعلى هذا لا تعارض بينها وبين آية السيف ، وإلى هذا ذهب المحققون .



تَفْسِيرُ سُورَةِ هُودٍ

مكية وآياتها ١٢٣ آيــة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة هود وهي مكّيّة[1]

١ ــ من ذلك قوله جل وعز ﴿ آلـر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ .. ﴾ [آية ١] .

المعنى : هو كتابٌ أحكمت آياتُه .

قال الحسن : أُحكمت بالأمر والنهي ، ثم فُصِّلَتْ بالثَّواب والعقاب[2] .

وقال قتادة : أحكمها اللهِ من الباطل ، ثم فصَّلها بعلمه ، وبيَّن حلالها وحرامها ، والطاعة والمعصية[3] .

وقال مجاهد : فُصِّلت : فُسِّرت .

وقيل : أحكمت فلا ينسخها شيءٌ بعدها ، ثم فُصِّلت : أُنْزِلَتْ شيئاً بعد شيء[4] .

---

(١) على رأي الجمهور وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وعكرمة ، ومجاهد أن السورة كلها مكية ، وانظر زاد المسير ٧٢/٤ وجامع الأحكام للقرطبي ٣/٩ .

(٢) الأثر في الطبري ١٧٩/١١ والقرطبي ٣/٩ وزاد المسير ٧٣/٤ .

(٣) الأثر في الطبري ١٨٠/١١ وابن الجوزي ٧٣/٤ والبحر المحيط ٢٠٠/٥ .

(٤) رُوي هذا عن ابن عباس واختاره ابن قُتيبة كما في زاد المسير ٧٣/٤ .

ومن أحسنها قولُ قتادة : أي أحكَمَها من الخَلَل والباطل[1] .

ثم قال جل وعز ﴿ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ .

قال قتادة : أي من عند حكيم خبير .

٢ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وبَشِيرٌ ﴾** [آية ٢] .

يجوز أن يكون المعنى : بأن لا تعبدوا إلَّا الله .

ويجوز أن يكون المعنى : لئلا تعبدوا .

ويجوز أن يكون المعنى : أمرتم أن لا تعبدوا إلا الله[2] .

٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى .. ﴾** [آية ٣] .

يُمَتِّعكُمْ : يُعَمِّركم ، وقيل : لا يهلككم .

وأصل الإمتاع : الإطالةُ ، ومنه : أَمْتَعَ اللهُ بك ، ومتَّع .

قال قتادة : إلى أجلٍ مسمًّى ، أي إلى الموت[3] .

---

(١) إلى هذا القول ذهب ابن عطية في المحرر ٧/٢٣٣ فقال : والمعنى أُتْقِنت وأُجيدت شبه ما تُحكم من الأمور المتقنة ، وبهذه الصفة كان القرآن محكماً ومفصَّلاً . اهـ. وانظر البحر المحيط ٥/٢٠٠ .

(٢) انظر البحر المحيط في توجيه هذه الأقوال ٥/٢٠٠ .

(٣) الأثر في الطبري ١١/١٨١ وابن الجوزي ٤/٧٥ قال : وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة .

٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ .. ﴾** [آية ٣] .

أي من كان له عملٌ صالح ، أُوْتي ثوابه[١] .

٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ .. ﴾** [آية ٥] .

قال عبد الله بن شَدَّاد :كان أحدهم يمرُّ بالنبي ﷺ فيثني صدرَه ، ويتغشَّى ثوبَه ، كراهةَ أن يراه النبي ﷺ[٤] .

وقال أبو رَزِين[٣] : كان الرجلُ يضطجع على شِقِّه ، ويتغشَّى ثوبه ليستخفي[٤] .

وقال مجاهد : ﴿يثنون صدورهم﴾ شكًّا وامتِراءً ﴿ليستخفوا منه﴾ أي من الله إن استطاعوا[٥] .

وقال الحسن : يعني حديثَ النفس ، فأعلَمَ اللهُ جلَّ وعزَّ أنهم حين يستغشون ثيابهم في ظلمة الليل ، وفي أجواف بيوتهم ، يعلم تلك

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٧٥ وذكره ابن عطية ٧/٢٣٦ واختاره وعزاه إلى ابن مسعود

(٢) الأثر في الطبري ١١/١٨٣ وفي ابن الجوزي ٤/٧٦ وابن كثير ٤/٢٣٨ .

(٣) أبو رَزِين : مسعود بن مالك الأسَدِي ، كوفيٌّ ثقة ، ذكره ابن حبان في الثقات ، توفي سنة ٨٥هـ . التهذيب ١٠/١١٨ .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١١/١٨٤ والسيوطي في الدر ٣/٣٢٠ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ عن أبي رَزِين .

(٥) الأثر أخرجه ابن جرير ١١/١٨٣ والسيوطي في الدر ٣/٣٢٠ وابن الجوزي ٤/٧٧ .

الساعة ، ما يُسِرُّون وما يُعلنون[1] .

قال أبو جعفر : وهذه المعاني متقاربةٌ ، أي يُسِرُّون عداوةَ النبي ﷺ ويطوون .

ومن صحيح ما فيه ما حدَّثناهُ عليُّ بنُ الحُسَيْنِ ، قال : قال الزعفرانيُّ : حدثنا حجَّاجُ ، قال ابنُ جريج أخبرني محمَّد بنُ عَبَّاد بن جعفر ، أنه سمع ابنَ عباس يقرأ : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ ﴾[2] قال : سألتُه عنه فقال : « كان ناسٌ يستحيون أن يتخلَّوْا ، فيُفْضُوا إلى السماء ، فنزل ذلك فيهم[3] .

ويُرْوَى أن بعضهم قال : أغلقتُ بابي ، وأرخيتُ سِتري ، وتغشَّيْتُ ثوبي ، وثَنَيْتُ صدري فمن يعلم بي ؟ فأعلمَ اللهُ جلَّ وعزَّ أنه يعلم ما يُسِرّون وما يعلنون[4] .

ونظيرُه ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[5] . ومن قرأ ﴿ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ ﴾[6] وهي قراءة ابن عباس ، ذهب إلى

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٨٤/١١ وأبو حيان في البحر ٢٠٣/٥ والسيوطي في الدر ٣٢٠/٣ .

(٢) عدَّ هذه القراءة ابن جني في المحتسب ٣١٨/١ من القراءات الشاذة ، وانظر أيضاً المحرر الوجيز ٢٣٩/٧ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٨٥/١١ وابن عطية ٢٣٩/٧ وأبو حيان في البحر ٢٠٣/٥ .

(٤) انظر البحر المحيط لأبي حيان ٢٠٣/٥ .

(٥) سورة المجادلة آية رقم (٧) .

(٦) تقدَّم أنها من القراءات الشاذة .

معنى التكثير ، كما يقال : احْلَوْلَى الشيء ، وليست تَثْنَونِي حتى يُثنوها ، فالمعنى يَؤُولُ إلى ذاك[1] .

٦ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا .. ﴾** [آية ٦] .

يُقال لكلِّ ما دبّ من الناس وغيرهم : دابٌّ ودابَّةٌ على المبالغة ، تأنيث على الصفة والخِلْقة[2] .

٧ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا .. ﴾** [آية ٦] .

قال عبد الله بن مسعود : ﴿ مُسْتقرُّها ﴾ في الرَّحِمِ ، و ﴿ مستودَعُها ﴾ في الأرضِ التي تموتُ فيها[3] .

وقال مِقْسَمٌ[4] عن عبد الله بن عباس : مستقرُّها حيث تأوي إليه ومستودعها حيث تموت في الأرض[5] .

---

(١) قال ابن الجوزي ٧٧/٤ : ﴿ تَثْنَوْنِي ﴾ تَفْعَوعِلُ معناه المبالغةُ في تثنِّي الصدور ، كما تقول العربُ : احْلَولَى الشيء يَحْلَوْلي : إذا بالغوا في وصفه بالحلاوة ، قال عنترة :

وقَولَكَ للشَّيءِ الَّذي لَا تَنالُه ... إذَا ما هو احْلَولَى ألَا لَيتَ ذَالِيَا

(٢) قال أهل اللغة : كلُّ شيء يدبُّ على وجه الأرض ، من إنسانٍ أو حيوان ، فهو دابة ، وانظر الصحاح مادة دبَّ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٢/١٢ والسيوطي في الدر المنثور ٣٢١/٣ .

(٤) « مِقْسَم بن بُجْرَة » بكسر الميم وضمِّ الباء ، قال العجلي : مكيٌّ تابعيٌّ ثقة توفي سنة ١٠١هـ وانظر ترجمته في التهذيب ١٨٩/١٠ .

(٥) الأثر في الطبري ٢/١٢ والسيوطي في الدر ٣٢١/٣ ورجح هذا القول ابن جرير ، دون العلم بما تضمنته الأرحام والأصلاب .

وقيـــل : ﴿ مُسْتَقَرُّهَـــا ﴾ ما يستقــــرُّ عليـــه عملهـــــا ، و ﴿ مستودعها ﴾ ما تصير إليه .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : مستقرها في الرحم ، ومستودعها في الصلب[1] .

٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ .. ﴾** [آية ٧] .

فخبَّر جلَّ وعز أنَّ من قَدَر على هذا ، لا يُعْجِزه شيءٌ .

٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ .. ﴾** [آية ٧] .

قال سعيد بن جبير : سألتُ ابنَ عبَّاس على أيِّ شيءٍ كان الماءُ ، ولم يَخْلُق سَمَاءً وَلا أَرْضاً ؟ فقال : على متنِ الرِّيح[2] .

١٠ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً .. ﴾** [آية ٧] .

أي ليختبركم فيظهر منكم ما يجازيكم عليه ، لأنه إنَّما يجازي على الفعل ، وإن كان قد عَلِمه قبلُ .

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٢/٢ والبحر المحيط ٢٠٤/٥ والدر المنثور ٣٢١/٣ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢/٥ وابن الجوزي ٧٩/٤ والسيوطي في الدر ٣٢٢/٣ وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، والحاكم وصحَّحه .. وروى السيوطي عن أبي رَزِين قال : (قلتُ يا رسول الله : أين كان ربُّنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : كان في عَمَاءٍ ، ما تحتَه هواءٌ ، وما فوقه هواء ، وخَلَق عرشَه على الماء) أخرجه أحمد والترمذي وحسنَّه ، قال الترمذي : عَمَاء أي ليس معه شيء .

١١ ــ **وقوله عز وجل ﴿ وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾** [آية ٧] .

ويُقرأ ﴿ سَاحِرٌ ﴾[١] .

قال أبو جعفر : قال أبو إسحاق[٢] : والسِّحْرُ عندهم باطلٌ ، فكأنَّهم قالوا : إنْ هذا إلَّا باطلٌ[٣] .

١٢ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ .. ﴾** [آية ٨] .

[**قال ابن عباس** :أي إلى أجل معدود][٤] .

وقال مجاهد أي إلى حين[٥] .

١٣ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾** [آية ٨]

أي جزاءُ استهزائهم . والمعنى : أَحَاطَ بهم العذابُ .

---

(١) هذه قراءة حمزة ، والكسائي ، وخَلَف ، وهي من القراءات السبع ، وانظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٢٥٦ .

(٢) أبو إسحاق هو الإمام الزَّجاج وقد تقدمت ترجمته .

(٣) قال الزجاج في معانيه كما في تفسير ابن الجوزي ٤/٧٩ .

(٤) الأثر عن ابن عبّاس أخرجه الطبري ١٢/٦ والقرطبي ٩/٩ وهو قول الجمهور ، وأصلُ الأُمة الجماعة فعبَّر عن المدة والسنين بالأمة لأن الأُمَّةَ تكون فيها ، وما بين الحاصرتين من الهامش .

(٥) الأثر عن مجاهد أخرجه الطبري ١٢/٦ وابن عطية ٧/٢٤٦ وجمع القرطبي بين القولين فقال : ومعنى ﴿ إِلَى أُمَّةٍ ﴾ أي إلى أجلٍ معدودٍ ، فالأمة هنا المدة ، وهو قول ابن عباس ومجاهد وجمهور المفسرين . اهـ .

١٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ ﴾** [آية ٩] .

أي الكفار . ﴿ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ أي رزقاً[(١)] .

١٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾** [آية ١١] .

استثناء ليس من الأول ، بمعنى « لَكِنْ » ويجوزُ أن يكون استثناءً من الهاءِ ، لأن تقديره : إنَّ الإِنسان ، والانسانُ الجنسُ[(٢)] .

١٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ .. ﴾** [آية ١٢] .

أي كراهة أن يقولوا[(٣)] .

ثم قال تعالى ﴿ إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ ﴾ أي : إنَّما عليك أن تُنْذِرهم وليس عليك أن تأتيهم من الآيات بما اقترحوا .

١٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ .. ﴾** [آية ١٣] .

المعنى : كل سورةٍ منها مثل سورةٍ منه[(٤)] ﴿ وادْعُوا مَنِ

---

(١) أي هو على حذف مضاف ، وانظر جامع البيان للقرطبي ٩/١٠ .

(٢) قال الطبري ١٢/٨ : جاز استثناؤهم منه ، لأنَّ الإنسان بمعنى الجنس ومعنى الجمع كقوله تعالى ﴿ والعصرِ إن الإنسانَ لفي خُسْرٍ ﴾ . اهـ. ورجح ابن عطية أنه استثناء متَّصِلٌ ، وانظر المحرر الوجيز ٧/٢٤٨

(٣) انظر معاني الفراء ٢/٥ .

(٤) قال أبو حيان في البحر ٥/٢٠٨ : تحدَّاهم أولاً بعشر سورٍ مفتريات ، قبل تحدِّيهم بسورة ، إذ كانت هذه السورة مكية ، والبقرة مدنية ، ومقتضى التحدي بعشرٍ أن يكون قبل المعارضة=

اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ أي لِيُعينكم .

١٨ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ، نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾** [آية ١٥] .

قال الضحاك : يعني المشركين ، إذا عملوا عملاً جُوزوا عليه في الدنيا[(١)] .

وقال سعيد بن جبير : من عمل عملاً يريد به غيرَ الله ، جوزي به في الدنيا[(٢)] .

وقال مجاهد : من عمل عملاً ولم يُتقبل منه أُعطي ثوابَه في الدنيا[(٣)] .

قال أبو جعفر : وأحسنُها قولُ الضَّحَّاك ، لقوله بعد ذلك ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ﴾ .

قال مجاهد : ﴿ لا يُبْخَسُونَ ﴾ : لا يُنْقَصون[(٤)] .

بسورة ، فلما نسبوه إلى الافتراء طلب منهم أن يأتوا بعشر مثله مفتريات ، وكأنه يقول لهم : هبوا أني اختلقتُه ، فأتوا أنتم بكلام مثله مختلق ، فأنتم عرب فصحاء مثلي ، لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام ، وإنما عين بقوله ﴿ مثلِهِ ﴾ أي في حسن النظم والبيان وإن كان مفترى . اهـ .

(١) الأثر في الطبري ١٢/١٢ والقرطبي ١٣/٩ وابن عطية في المحرر ٢٥٣/٧ .

(٢) الأثر في الطبري ١١/١٢ وابن كثير ٢٤٤/٤ والدر المنثور ٣٢٣/٣ .

(٣) الأثر في الطبري ١٣/١٢ وابن كثير ٢٤٤/٤ والدر المنثور ٣٢٤/٣ وعزاه إلى ابن أبي الشيخ عن مجاهد .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ١١/١٢ قال : « لا يُبْخَسون » أي لا ينقصون أجرهم ولكنهم يوفّونه فيها .

١٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ .. ﴾** [آية ١٧] .

قال عكرمة وإبراهيم ومنصور : يعني النبيَّ ﷺ . ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ جبريل عليه السلام[١] .

وقال ابن عباس ومجاهد وإبراهيم ﴿ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ أي جبريل ﷺ[٢] .

وقال الحسن : ﴿ شاهِدٌ مِنْهُ ﴾ يعني لسانه[٣] .

وقال الضحاك : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ محمدٌ ﷺ . ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ أي من الله وهو جبريل عليه السلام[٤] .

وقال أبو جعفر : حدثني سعيد بن موسى بِقَرقِيسْيَا قال : نا مخلد بن مالكٍ ، عن محمد بن سَلَمة ، عن خُصَيف ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ قال : النبيُّ ﷺ ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ قال :

---

(١) و (٢) الأثر في الطبري ١٢/١٦ وابن كثير ٤/٢٤٥ والدر المنثور ٣/٣٢٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢/١٤ والسيوطي في الدر ٣/٣٢٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر والطبراني في الأوسط عن محمد بن علي بن أبي طالب قال : قلتُ لأبي : إن الناس يزعمون في قوله تعالى ﴿ وَيَتْلُوه شاهد منه ﴾ أنك أنت التالي ؟! قال : وَدِدت أني أنا هو ، ولكنه لسانُ محمد ﷺ .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢/١٦ عن الضحاك ورجَّحه ، وأخرجه ابن كثير ٤/٢٤٥ وقال : وكلاهما قريب في المعنى ، لأن كلاً من جبريل ومحمد صلوات الله وسلامه عليه بلَّغ رسالة الله تعالى ، فجبريلُ بلّغها لمحمد ، ومحمد إلى الأمة .

جبريل عليه السلام[1] .

قال أبو جعفر : تكون الهاءُ في ﴿ رَبِّهِ ﴾ للنبيِّ ﷺ ، وفي ﴿ يَتْلُوهُ ﴾ تعود على البيِّنة ، لأنَّ البيِّنة والبيانَ واحد ، وفي ﴿ مِنْهُ ﴾ تعود على اسم الله جلَّ وعزَّ[2] .

وقول الحسن يحتمل المعنى أي ولسانُه يعبِّر عنه ويميِّز .

ويجوز أن تكون الهاء في ﴿ مِنْهُ ﴾ تعود على ﴿ مَنْ ﴾ .

وقيل : الشاهدُ القرآن ﴿ وَيَتْلُوهُ ﴾ يكونُ بعده تالياً شاهداً ﴿ وَمَنْ قَبْلِهِ ﴾ أي ومن قبلِ الشاهد ، وقد قيل ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ يُعنى به النبيُّ ﷺ والمسلمون ، واستشهد صاحب هذا القول بقوله ﴿ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ والمعنى على القول الأول : أفمن كان على بيِّنة من ربه ، كالَّذي يريد الحياة الدنيا وزينتها[3] ؟

٢٠ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً ﴾

[آية ١٧] .

أي يُصَدِّقه .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٢/١٦ وابن كثير ٤/٢٤٥ والسيوطي في الدر ٣/٣٢٤ .

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي ٤/٨٦ .

(٣) هذا القول حكاه المفسرون عن الزجاج كما في زاد ابن المسير لابن الجوزي ٤/٨٧ أقول : وتوضيح معنى الآية : أفمن كان على نور واضح ، وبرهان ساطع من الله عز وجل وهو النبي ﷺ وأتباعه المؤمنون ، كمن كان يريد الحياة الدنيا ؟ فجوابه محذوف ، يريد أن بينهما تفاوتاً عظيماً وتبايناً بعيداً ، فلا يستوي من أراد الله ، ومن أراد الدنيا وزينتها ، وإنما حُذِف لظهور المعنى ، وانظر المحرر الوجيز لابن عطية ٧/٢٦١ وجامع أحكام القرآن للقرطبي ٩/١٦ .

وقيل : هو معطوفٌ على الشاهد ، أي ويتلوه كتاب موسى .

وقال مجاهد : في قوله ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى ﴾ التَّوراة[1] .

٢١ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ .. ﴾ [آية ١٧] .

قال قتادة : الأحزاب أهلُ المللِ كلهم[2] .

وقال سعيد بن جبير : كنتُ إذا وجدتُ الحديث عن النبيِّ ﷺ صحيحاً ، أصبتُ مصداقَهُ في كتاب الله ، فَأَفْكرتُ[3] في قولِ النبيِّ ﷺ « ليسَ يسمعُ بي أحدٌ فلا يؤمنُ بي ، ولا يهوديٌّ ولا نَصْرَانيٌّ إلَّا دَخَلَ النار »[4] فطلبتُ مصداقه في كتاب الله ، فإذا هو

---

(١) الأثر في الطبري ١٢/١٨ والدر المنثور ٣/٣٢٥ قال : والمعنى : ومن قبله جاء بالكتاب إلى موسى .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢/١٩ ولفظه قال : الكفار أحزاب كلهم على الكفر . وذكره ابن الجوزي ٤/٨٨ .

(٣) في المصباح ٢/١٣٥ : الفِكرُ بالكسر : تردُّد القلب بالنظر ، والتدبر لطلب المعنى ، وفَكَرتُ في الأمر من باب ضَرَب ، وتفكَّرت فيه ، وأفْكرتُ بالألف ، بمعنى التفكير ، والافتكار مثلُ العِبرة والاعتبار .

(٤) الحديث ذكره المصنف هنا بالمعنى ، وأخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٢/١٩ والسيوطي في الدر االمنثور ٣/٣٢٥ وعزاه إلى الطبراني وابن مردويه ، وأخرجه مسلم في صحيحه ١/١٣٢ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة ، يهودي ولا نصراني ، ثم يموت ولم يُؤمن بالذي أُرسلت به ، إلَّا كان من أصحاب النار » .

﴿ وَمَـنْ يَكْفُـرْ بِهِ مِنَ الأَحْـزَابِ فَالنَّـارُ مَوْعِـدُهُ ﴾ والأحـزابُ : أهـلُ الأديان كلِّها لأنهم يتحاربون[1] .

٢٢ ــ **وقولُه جل وعز ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّـنِ افْتَـرَى عَلَـى اللهِ كَذِبـاً ، أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَـى رَبِّهِـمْ وَيَقُـولُ الأَشْهَـادُ هَؤُلَاءِ الَّذِيـنَ كَذَبُـوا عَلَـى رَبِّهِمْ .. ﴾** [آية ١٨] .

قال الضحـاك : الأشهـاد الأنبيـاءُ والمرسلـون[2] ، قال الله جل وعز ﴿ فَكَيْـفَ إِذَا جِئْنَـا مِنْ كُلِّ أُمَّـةٍ بِشَهِيـدٍ وَجِئْنَـا بِكَ عَلَـى هَؤُلَاءِ شَهِيداً ﴾ .

وقال مجاهد : الأشهاد الملائكة[3] .

وقـال سفيـان : سألتُ الأعـمش عن الأشهـــاد فقـــال : هم الملائكة[4] .

٢٣ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ يُضَاعفُ لَهُمُ العَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْـعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾** [آية ٢٠] .

---

(١) في المصبـاح ١٤٤/١ : الحزبُ الطائفـة من النـاس ، والجمـع أحـزاب ، وتحزَّب القـــومُ : صاروا أحزاباً .

(٢) الأثر أخرجه ابن الجوزي ٨٩/٤ قال : وهو قول أبي صالح عن ابن عباس .

(٣) و (٤) الأثـران في الـطبري ٢١/١٢ والقرطبـي ١٨/٩ وزادُ المسير ٨٩/٤ واختـــار ابـــن كثير أن الأشهاد عام يشمل جميع الخلائق ، من الملائكة ، والـرسل ، والأنبيـاء ، وسائـر الـبشر والجان . اهـ. ابن كثير ٢٤٧/٤ .

قال قتادة : ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا خيراً فينتفعوا به ، ولا يبصرون خيراً فيأخذوا به[1] .

وحكى الفراء عن بعض المفسرين أن المعنى : يُضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ولا يعقلون[2] .

وذهب إلى أن هذا مثل قولهم : جزيته فعله وبفعله .

ومن أحسنِ ما قيل فيه ــ وهو معنى قول ابن عباس ــ إن المعنى : لا يستطيعون أن يسمعوا الحقَّ سماع منتفع ، ولا يبصرونه بصر مهتد ، لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين[3] .

وقد رُوي عنه ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ يعني : الآلهة[4] .

٢٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى والأَصَمِّ والبَصِيرِ والسَّمِيعِ .. ﴾ [آية ٢٤] .

---

(١) الأثر في الطبري ٢٢/١٢ والقرطبي ١٨/٩ وتفسير ابن الجوزي ٨٩/٤ وعزاه إلى ابن عباس ومقاتل .

(٢) انظر معاني الفراء ٨/٢ والمعنى عنده : بما كانوا يستطيعون السمع ولا يسمعونه ، وبما كانوا يبصرون حجج الله ولا يعتبرون بها ، فحذف الباء كما تقول العرب : لأجزينك ما عملتَ ، وبما عملت .

(٣) هذا ما رجحه الطبري في جامع البيان ٢٣/١٢ وهو قول ابن عباس وقتادة .

(٤) حكاه الطبري في جامع البيان ٢٣/١٢ قال : وهذا قولٌ رُوي عن ابن عباس ، من وجه كرهت ذكره لضعف سنده ، والمعنى على هذا القول أن الآلهة لم يكن لها سمع ولا بصر . اهـ. وذكره ابن الجوزي ٩١/٤ وهو قول ضعيف كما قاله الطبري .

قال الضحاك : الأعمى والأصمّ مثلٌ للكافر ، والبصير والسميعُ مثلٌ للمؤمن[1] .

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ حسنٌ يدل عليه قوله تعالى ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ﴾ ؟ فدلَّ هذا على أن هذا لاثنين .

٢٥ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ فَقَالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا ، وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا .. ﴾** [آية ٢٧] .

الملأُ : الرؤساءُ ، والأراذلُ : الأشرار الذين ليسوا برؤساء ، واحدهم أرذل[2] .

٢٦ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾** [آية ٢٧] .

ويُقرأ ﴿ بَادِئ الرَّأْيِ ﴾[3] بالهمز ، فمعنى المهموز ابتداء الرأي[4] ، أي إنما اتَّبعوك ولم يُفكِّروا ولم ينظروا ، ولو فكَّروا لم

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٥/١٢ عن ابن عباس وقتادة قالا : هذا مثلٌ ضربه الله للكافر والمؤمن ، فأمَّا الكافر فصُمَّ عن الحق لا يسمعه ، وعَمِي عنه فلا يبصره ، وأما المؤمن فسَمِع الحقَّ فانتفع به ، وأبصره فوعاه وحفظه وعمل به .

(٢) قال ابن قتيبة : أراذل جمع أرذل ، يقال : رجل رَذْلٌ ، وقد رَذُلَ رَذَالة ورُذُولة ، ومعنى الأراذل : الأشرار . اهـ. زاد المسير ٩٥/٤ .

(٣) هذه قراءة أبي عمرو كما في السبعة لابن مجاهد ص ٢٣٢ وقرأ الجمهور ﴿ بَادِي الرَّأْيِ ﴾ بدون همز . والقراءتان سبعيتان .

(٤) ذكر ابن جرير المعنى على القراءتين ، ورجَّح قراءة من قرأ ﴿ بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ من غير همز ، قال لأن معنى الكلام : إلَّا الذين هم أراذلنا في ظاهر الرأي ، وفيما يظهر لنا .

يتَّبعوكَ[1] .

ومعنى الذي ليس بمهموز : اتَّبعوكَ في ظاهر الرأي ، وباطنُهم على خلافِ ذلك .

يُقال : بَدَا يَبْدُو : إذا ظهر[2] .

ويحتمل أن يكون معناه : اتَّبعوكَ في ظاهر الرأي ، ولم يفكِّروا في باطنه وعاقبته ، فيكونُ على هذا القول بمعنى المهموز[3] .

٢٧ ــ وقوله جل وعز ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي .. ﴾ [آية ٢٨]

أي على يقين وبيان ، وهذا جوابٌ لهم ، لأنهم عابوا من اتَّبعه ، فقال : ﴿ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ﴾ أي فإذا كنتُ على بيِّنةٍ من ربِّي ، فمن اتَّبعني فهو بصير ، ومغفور له[4] .

٢٨ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ .. ﴾ [آية ٢٨] .

---

(١) هذا المعنى ــ والله أعلم ــ هو الأظهر ، لأن مرادهم إنهم اتَّبعوك في ظاهر الرأي من غير تفكُّر ولا رويَّة ، وانظر أقوال المفسرين في المحرر الوجيز لابن عطية ٢٧٢/٧ .

(٢) هذا على قراءة ﴿ بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ من بَدَا يَبْدُو ، إذا ظهر ، فأما من همز فهو من بَدأ يبدأ ، وانظر الطبري ٢٧/١٢ والبحر المحيط ٢١٦/٥ .

(٣) انظر زاد المسير ٩٦/٤ ومعاني القرآن للزجاج ٤٨/٣ .

(٤) قال ابن عطية في المحرر ٢٧٤/٧ : والاستفهام في الآية على جهة التقرير ، كأنه قال لهم : أرأيتم إن هَدَاني الله وأضَلَّكم ، أأجبركم على الهُدى وأنتم كارهون ؟!

قال الفراء : يعني الرسالة ، لأنها نعمةٌ ورحمةٌ[1] .

٢٩ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ [آية ٢٨] .

أي لم تفهموها ، يُقال : عَمِيتُ عن كذا ، وعَمِيَ عليَّ كذا ، أي لم أفهمه ، والمعنى : فَعَمِيَتْ الرحمةُ .

ويُقرأ ﴿ فَعُمِّيَتْ ﴾[2] فقيل هو مِثْل : دَخَلَ الخفُّ في رجلي مجازٌ[3] ، إلَّا أن الرحمة هي التي تُعَمَّى ، وصاحبُها يَعْمَى .

وقال ابن جُريج : ﴿ وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ ﴾ : الإسلام والهدى ، والحكم والنبوة[4] .

٣٠ ــ ثم قال جل وعز ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ [آية ٢٨] .

أي أنوجبها عليكم وأنتم كارهون لفهمها ؟

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٢ .

(٢) قال ابن مجاهد في السبعة في القراءات ص ٣٣٢ : قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ونافع ، وابن عمر ﴿ فَعَمِيَتْ ﴾ بتخفيف الميم وفتح العين ، وقرأ حمزة ، والكسائي ، وكذلك حفص عن عاصم ﴿ فَعُمِّيَتْ ﴾ بضم العين وتشديد الميم . اهـ .

(٣) قال ابن قتيبة : والمعنى على قراءة التخفيف : عَمِيتُم عنها ، يُقال : عَمِي عليَّ هذا الأمر : إذا لم أفهمه، وعَميتُ عنه، بمعنىً واحد، وقال الفراء ٢/١٢ :وسمعتُ العرب تقول : قد عُمِّي عليَّ الخبرُ ، وعَمِيَ عليَّ بمعنى واحد ، وهذا ممَّا حوَّلت العربُ الفعلَ إليه وليس له ، ألا ترى قولَ العرب : دخل الخاتم في يدي ، والخُفّ في رِجْلي ، والرِّجلُ هي التي تدخل في الخُفِّ ، والأصبع في الخاتم ، واستجازوا ذلك إذا كان المعنى معروفاً . اهـ .

(٤) الأثر في الطبري ١٢/٢٩ والبحر المحيط ٥/٢١٦ والدر المنثور ٣/٣٢٦ .

٣١ ــ **ثم قال الله جل وعز ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا .. ﴾** [آية ٢٩] .

فدلَّ بهذا على أنهم سألوه أن يطردهم[1] .

٣٢ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾** [آية ٢٩] .

أي فيجازي من طَرَدهم على ما فَعَلَ .

قال الفراء : معنى ﴿ مَنْ يَنْصُرُنِي ﴾ : من يمنعني[2] ؟

٣٣ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ ﴾** [آية ٣١] .

معنى « تَزْدَرِي » : تستقلُّ وتستخِسُّ ، يُقال : زريتُ على الرجلِ : إذا عِبْتَه واستَخْسَسْتَ فعله ، وأزريتُ به : إذا قصَّرتَ بهِ[3] .

والمعنى : إنكم قلتم : إن هؤلاء اتَّبعوني في ظاهر الرأي ، وإنما أدعو إلى توحيد الله جلَّ وعزَّ ، فمنِ اتَّبعني قَبِلْتُه ، وليس عليَّ ما غاب[4] .

---

(١) في البحر ٥/٢١٨ : وكانوا سألوا منه طرد هؤلاء المؤمنين ، رفعاً لأنفسهم من مساواة أولئك الفقراء ، كما اقترحت قريش على رسول الله ﷺ طرد أتباعه المؤمنين .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٣ .

(٣) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٣/٩٨ قال القرطبي ٩/٢٧ : ﴿ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ ﴾ أي تستقل وتحتقر أعينكم ، والأصل تزدريهم ، حُذفت الهاء والميم لطول الاسم ، يُقال : أزريتُ عليه إذا عبتَه ، وزريتُ عليه إذا حقَّرته ، وأنشد الفراء :

يُبَاعِدُهُ الصَّدِيقُ وَتَزْدَرِيهِ ... حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ

(٤) هذا قول ابن جرير في جامع البيان ١٢/٣٠ قال والمعنى : والله أعلم بضمائر صدورهم ، وهو وليٌّ أمرهم في ذلك ، وإنما لي منهم ما بدا وظهر ، وقد أظهروا الإيمان واتبعوني ، فلا أطردهم . اهـ.

٣٤ ـ وقوله جل وعز ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [آية ٣٢] .

وقرأ ابن عباس : ﴿ فَأَكْثَرْتَ جَدَلَنَا ﴾[١] والجِدَال والجَدَلُ : المبالغة في الخصومة[٢] .

وقال مجاهد : ﴿ جَادَلْتَنَا ﴾ أي مارَيْتَنا[٣] .

قال الزجَّاج : ومعنى ﴿ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾ أي يضلَّكم ويُهلككم[٤] .

وقيل : يُخَيِّبَكُمْ .

وقال محمد بن جرير : ﴿ يُغْوِيَكُمْ ﴾ يُهلككم بعذابه ، حكى عن طيٍّ أصبَحَ فلانٌ غاوياً أي مريضاً ، وأغويته : أهلكته[٥] ، ومنه ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[٦] .

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٣٢١/١ .

(٢) قال الزجاج ٤٩/٣ : الجدال : هو المبالغة في الخصومة والمناظرة ، وهو مأخوذ من الجل وشدَّة الفتل . وانظر أيضاً زاد المسير ٩٩/٤ .

(٣) الأثر في الطبري ٣١/١٢ والدر المنثور للسيوطي ٣٢٦/٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٤) انظر زاد المسير ١٠٠/٤ وقد حكى عن ابن الأنباري ﴿ يُغويكم ﴾ يهلككم ، قال : وهو قول مرغوب عنه .

(٥) انظر جامع البيان للطبري ٣٢/١٢ فقد ذكر هذا القول عن طيىء ، وقد ضعَّف هذا القول ابن الأنباري .

(٦) سورة مريم آية رقم (٥٩) .

٣٥ ــ وقولُه جلَّ وعــز ﴿ أَمْ يَقُولُــونَ افْتَــرَاهُ ، قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُــهُ فَعَلَــيَّ إِجْرَامِي .. ﴾ [آية ٣٥] .

أي إن اختلقته فعليَّ إثمُ الاختلاقِ[1] ﴿ وأنــا بَرِيءٌ مِمَّــا تُجْرِمُونَ ﴾ أي من تكذيبكم .

ومن قرأ (أَجْرَامِي) بفتح الهمزة ، ذَهَبَ إلى جمع جُرْمٍ[2] .

٣٦ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَأُوْحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ .. ﴾ [آية ٣٦] .

قال الضحاك : فدعا عليهم ، أي لمَّا أُخبِرَ بهذا[3] ، قال : ﴿ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً ﴾[4] .

٣٧ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [آية ٣٦] .

قال مجاهد وقتادة : أي فلا تحزن[5] .

---

(١) هذا مجاز بالحذف أي عقوبة إجرامي ، وجاء بـ « إن » الدالة على الشك لبيان أنه على سبيل الفرض والتقدير ﴿ قُلْ إن افتريتُهُ ﴾ بخلاف إجرامهم فإنه محقَّق لا شك فيه ولهذا قال ﴿ وأنا بريء ممَّا تُجرمون ﴾ وهذا من لطائف أسرار القرآن .

(٢) ذكرها في البحر نقلاً عن النحاس ٥/٢٢٠ وفسَّرها ﴿ فعليَّ أَجْرَامي ﴾ أي فعليَّ آثامي ، وليست من القراءات السبع بل هي شاذة .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن الضحاك ١٢/٣٣ وأخرجه السيوطي في الدر ٣/٣٢٦ قال : « إن نوحاً لم يدع على قومه حتى نزلت عليه الآية ﴿ لَنْ يُؤْمِنَ من قَوْمِكَ إِلَّا من قد آمن ﴾ فانقطع عند ذلك رجاؤه منهم فدعا عليهم » وعزاه إلى أحمد في الزهد وابن المنذر عن الحسن رضي الله عنه .

(٤) سورة نوح آية رقم (٢٧) .

(٥) الأثر أخرجه الطبري ١٢/٣٣ وابن الجوزي ٤/١٠٠ والسيوطي في الدر ٣/٣٢٧ وهو قول ابن عباس .

قال أبو جعفر : وهو عند أهل اللغة حُزْنٌ مع استكانةٍ[1] .

٣٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَيَصْنَعُ الفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ .. ﴾ [آية ٣٨] .

يُروى أنهم كانوا يمرُّون به وهو يصنع الفُلْك ، فيقولون : هذا الذي كان يزعم أنه نبيٌّ قد صار نجاراً[2] .

٣٩ ــ ثم قال جل وعز ﴿ قَالَ إنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [آية ٣٨] .

أي إن تستجهلونا فنحن نستجهلكم كما استجهلتمونا[3] .

٤٠ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ [آية ٣٩] .

أي من يؤول أمره إلى هذا ، فهو الجاهل .

٤١ ــ وقوله جل وعز ﴿ حَتَّى إذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ .. ﴾ [آية ٤٠] .

رُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : أي وطلع

---

(١) في الصحاح ٩٠٧/٣ : المبتئسُ : الكارهُ والحزين « ولا تبتئس » : أي ولا تحزَنْ ولا تَشْتَك ، قال حسان :

مَا يَقْسِمِ اللهُ اقبَلْ غَيْرَ مُبْتَئِسٍ مِنْهُ وَاقْعُدْ كَرِيماً نَاعِمَ البَالِ

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٣٤/١٢ والبحر المحيط لأبي حيان ١٢١/٥ .

(٣) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٥٠/٣ وانظر زاد المسير ١٠٣/٤ وتفسير ابن عطية ٢٩٠/٧ .

الفجر ، كأنه يذهب إلى تنوير الصبح[1] .

قال عبد الله بن عباس : التَّنُّور : وجهُ الأرضِ وكانت علامة بين نوحٍ وربه جلَّ وعز . أي إذا رأيتَ الماء قد فار على وجه الأرض ، فاركب أنت وأصحابُكَ السفينة[2] .

وقال قتادة : التَّنُّور : أعلى الأرض وأشرفُها ، وكان ذلك علامة له[3] .

وكان مجاهد يذهب إلى أنه تنور الخابز[4] .

وقال الشعبي : جاء الماءُ من ناحية الكوفة[5] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال ليست بمتناقضة ، لأن الله قد خبرنا أن الماء قد جاء من السماء والأرض ، فقال : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ

---

(١) هذا قول غريب مخالف لما عليه جمهور المفسرين ، ذكره ابن جرير ٣٩/١٢ وابن الجوزي ١٠٥/٤ وابن كثير ٢٥٤/٤ قال : التنور فلق الصبح ، وتنويرُ الفجر وهو ضياؤه وإشراقه ، ورجح ابن كثير قول ابن عباس أن التنور وجه الأرض فقال : وهو أظهر ، ومعناه صارت الأرض عيوناً تفور .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٣٨/١٢ وابن كثير ٢٥٤/٤ والسيوطي في الدر ٣٢٨/٣ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٣٩/١٢ وابن الجوزي ١٠٥/٤ والسيوطي ٣٢٩/٣ .

(٤) الأثر في الطبري ٣٨/١٢ وابن كثير ٢٥٤/٤ وابن الجوزي ١٠٥/٤ وهو قول ابن عباس ، وعكرمة ، والزهري ، ورجحه ابن جرير فقال : هو التنور الذي يُخبز فيه ، لأن هذا هو المعروف من كلام العرب .

(٥) ذكر هذا القول ابن جرير الطبري ٤٠/١٢ وابن كثير ٢٥٤/٤ وقال : هذه أقوال غريبة .

السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ . وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً ﴾[1] فهذه الأقوال تجتمع في أنَّ ذلك كان علامةً .

٤٢ ــ وقوله جل وعز ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ .. ﴾ [آية ٤٠] .

قال مجاهد : أي ذكراً وأنثى[2] .

وقال قتادة : أي من كلٍّ صنفين[3] .

والزوج في اللغة : واحدٌ معه آخر لا يستغني عنه .

يقال عندي زوجان من الخِفَافِ ، وما أشبهَ ذلك[4] .

٤٣ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وأهلك إلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ .. ﴾ [آية ٤٠] .

أي : إلَّا من سبقَ عليه القولُ بالهلاك .

---

(١) سورة القمر آية رقم (١١ ، ١٢) .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٢/٤٠ وعبارته عن مجاهد : ذكرٍ وأنثى من كل صنف ، وذكره ابن الجوزي ٤/١٠٦ وقال الزجاج : المعنى احمل زوجين من كل شيء .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عنْ قتادة ولفظه : من كلِّ صنفٍ اثنين ، وقال الضحاك يعني بهما ذكراً وأنثى .

(٤) في المصباح : الزوج يكون واحداً ويكون اثنين ، وقوله تعالى ﴿ من كلٍّ زوجين اثنين.﴾ هو هنا واحدٌ ، قال الأزهري : وأنكر النحويون أن يكون الزوج اثنين ، وهو عندهم الفردُ ، وهذا هو الصواب ، والعامة تخطيء فتظن أن الزوج اثنان وليس ذلك من مذهب العرب ، إذْ كانوا لا يتكلمون بالزوج موحَّداً في مثل قولهم : زوج حمام ، وإنما يقولون : زوجان من حمام ، وزوجان من خفاف . اهـ .

ثم قال جل وعز : ﴿ وَمَنْ آمَنَ ﴾ أي واحمل مَنْ آمَنَ .

٤٤ ـ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾** [آية ٤٠] .

يروى عن ابن عباس أنه قال : حمل معه ثمانين[١] .

وقال قتادة : ما آمن معه إلَّا ثمانية ، خمسةُ بنين ، وثلاث نسوة[٢] .

٤٥ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا .. ﴾** [آية ٤١] .

أي باللهِ إجراؤها وإرساؤها .

ومن قرأ ﴿ مَجْرَاها ومَرْسَاهَا ﴾[٣] ذهب إلى أن المعنى : جريُها ورسُوُّها أي ثباتها .

ورُوي عن أبي رجاء العُطَاردي أنه قرأ ﴿ باسْمِ اللهِ مُجْرِيهَا وَمُرْسِيهَا ﴾ على النَّعْتِ[٤] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٤٣/١٢ وابن كثير ٢٥٥/٤ والسيوطي في الدر ٣٣٣/٣ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٤٢/١٢ وابن الجوزي ١٠٧/٤ قال : وهو قول القرظي أيضاً وابن جرير .

(٣) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمر ، وعاصم في رواية أبي بكر ﴿ مُجْرِيها ﴾ بضم الميم ، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ﴿ مَجْرِيها ﴾ بفتح الميم وكسر الراء ، وكان ابن كثير وابن عامر يفتحان الراء من ﴿ مُجْرَاها ﴾ والسين من ﴿ مُرْسَاها ﴾ وجميع هذه القراءات من المتواتر ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٣٣ .

(٤) انظر القراءات وتخريجها مفصلة في زاد المسير لابن الجوزي ١٠٨/٤ والبحر المحيط لأبي حيان ٢٢٥/٥

٤٦ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ .. ﴾ [آية ٤٢] .

قال عبد الله بن عباس : ما بَغَتْ امرأةُ نبيٍّ قطُّ ، وكان ابنه[١] .

وقال سعيد بن جبير : هو ابنه ، لأن الله عز وجل خبَّرنا بذلك[٢] .

وقال عكرمة : إن شئتم حلفتُ لكم أنه ابنه[٣] .

وقال الضحاك : هو ابنُه ، قال الله جل وعز ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾[٤] .

وقال مجاهد : ليس هو ابنه، ويُبَيِّنُ ذلك قولَ الله تبارك وتعالى ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾[٥] .

قال الحسن : لم يكن ابنَه وإنما وُلد على فراشه فنُسِبَ إليه[٦] .

والقول الأول أبينُ وأصحُّ ، لجلالةِ من قاله ، وأن قوله ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ ليس مما ينفي عنه أنه ابنُه ، وقد قال الضحاك : معناه : ليس من أهل دينك ، ولا من أهل ولايتك[٧] .

---

(١) الأثر عن ابن عباس أخرجه الطبري ٥١/١٢ وابن كثير ٢٥٩/٤ وابن الجوزي ١١٣/٤ .

(٢) و (٣) و (٤) و (٥) و (٦) هذه الآثار عن السلف أوردها المفسرون الطبري ، وابن الجوزي ، والسيوطي ، وغيرهم .

(٧) هذا هو القول الصحيح ، وهو الذي اختاره الجمهور ، فما زنت امرأة نبيٍّ قط ، كما قال ابن عباس ، حبر الأمة وترجمان القرآن ، وإنما المراد ليس من أهل دينك وأهل ملتك ، وانظر ما قاله الحافظ ابن كثير في الحاشية الآتية .

وقـال سفيـان : معنـاه : ليس من أهـلك الذيـن وعـــدتُك أن أنجيهم[1] .

قال أبو جعفر : وهذان القولان حَسَنَان في اللُّغةِ ، والأوَّلُ أولى .

ورَوَى أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه أنـه قرأ ﴿ وَنَـادَى نُوحٌ ابنَه وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ﴾ يريد : ابنها ، ثم حذفَ الألفَ[2] .

ومثل هذا لا يجوزُ عند أهل العربية علمتُه .

ويجوز أن يكون معنى ﴿ وَكَانَ فِي مَعْـزِلٍ ﴾ أي في معـزل عن دين أبيه ، ويكونُ في معزل عن السفينة ، وهذا أشبه .

ومعنى ﴿ يَعْصِمُنِي ﴾ : يمنعني .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ٢٥٩/٤ : ﴿ قَالَ يا نُوحُ إنَّـه ليس من أهْـلِك ﴾ أي من الذيـن وعـدتك بإنجائهم ، ولهذا قال ﴿ وأهْلَكَ إلا من سَــبَقَ عَليـهِ القَـولُ ﴾ فكـان هذا الولد ممن سبَقَ عليـه القول بالغرق ، لكفره ومخالفته أباه نوحاً عليه السلام ، وقد نصَّ غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير الآية إلى أنه ليس بابنه ، وإنما كان ابن زِنْـية ، وقال ابن عباس وغيرُ واحد من السلف : ما زنت امرأة نبيٍّ قطُّ ، وقول ابن عباس في هذا هو الحقُّ الذي لا محيد عنـه ، فإن الله عز وجلَّ أغيرُ من أن يمكِّن امرأة نبي من الفاحشة . اهـ.

وقال ابن الجوزي ١١٣/٤ : في الآية قولان : أحدهما : ليس من أهل دينك ، والثـاني : ليس من أهلك الذين وعدتك نجاتهم ، وما رُوي عن مجاهد ، والشعبـي ، والحسن أنـه لم يكـن ابنـه ، وأن امرأته خانته ، يكون الكلام على ظاهره ، قال : والأول أصحُّ لموافقته ظاهر القـرآن ، ولاجتماع الأكثرين عليه ، وهو أولى من رمي زوجة نبي بالفاحشة . اهـ .

(٢) قال القرطبـي في جامـع الأحكـام ٣٨/٩ : وهـذه قراءة شاذة ، وهـي مروية عن علـيٍّ كرَّم الله وجهـه ، قال : وزعـم أبـو حاتم أنها تجوز على أنـه يريـد « ابنَهـا » فحـذف الألـف ، ولم يُجـزه النحَّاس . اهـ.

٤٧ ــ وقولــه جل وعــز ﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ اليَــوْمَ مِنْ أَمْــرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ .. ﴾ [آية ٤٣] .

فيه قولان :

أحدهما : أنه استثناء ليس من الأول[١] .

والآخر : أنه على النسبة ، فيكون المعنى لا معصومَ[٢] ، كما قال ﴿ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ﴾[٣] أي مدفوق .

وذكر محمد بن جرير قولاً ثالثاً ، وزعم أنه أولى ما قيل فيه ، فقال : لا مانع اليوم من أمرِ الله ، الذي قد نزل بالخلق من الغَرَق والهَلَاك ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ أيْ إلَّا الله ، كما تقول : لا منجي اليوم إلا اللهُ ، فمَنْ في موضع رفع ، ولا تجعل « عاصم » بمعنى معصوم ، ولا « إلَّا » بمعنى « لكنْ »[٤] .

٤٨ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا المَوْجُ فَكَانَ مِنَ المُغْرَقِينَ ﴾ [آية ٤٣] .

---

(١) أي إنه استثناء منقطع والمعنى : لكنْ من رحمه الله فهو يعصمه ، قال الزجاج .

(٢) على هذا القول يكون الاستثناء متصلاً ، و « عاصم » بمعنى « معصوم » كما قال الشاعر : وأمسى فؤادي به فاتناً أي مفتوناً .

(٣) سورة الطارق آية رقم (٦) وتمامها ﴿ خُلِقَ من ماء دافق ﴾ بمعنى مدفوق .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ١٢/٤٥ فقد قرَّر هذا الكلام وقال المعنى : لا عاصم اليوم يعصم من أمر الله إلَّا الله الذي رحمنا . أقول : وهذا القول وإن كان وارداً ، إلا أنه خلاف الظاهر ، والأظهر ما قاله الجمهور أن المعنى : إلا من رحمه الله فنجَّاه من الغرق ، قال في البحر ٥/٢٢٧ : وقرىء ﴿ إِلَّا مَنْ رُحِمَ ﴾ بضمِّ الراء مبنياً للمفعول ، وهذا يدل على أن المراد بـ « مَنْ » ــ في قراءة الجمهور الذين فتحوا الراء ــ هو المرحوم لا الراحم . اهـ.

قال الفـراء : أي حال بين ابـن نوحٍ وبين الجبـل الماءُ ، فكـان من المغرقين[1] .

٤٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ .. ﴾** [آية ٤٤] .

قال قتادة : أي ابلعي كل ماءٍ عليك ﴿ وَيَـا سَمَـاءُ أَقْلِعِـي ﴾ أي لا تمطري[2] .

ثم قال جل وعز ﴿ وَغِيضَ المَاءُ ﴾ .[آية ٤٤] .

قال مجاهد : أي : نَقَصَ[3] .

وقال قتادة : أي ذَهَب[4] .

ثم قال جل وعـز : ﴿ وَقُضِيَ الأَمْـرُ ﴾ أي : قُضِي الأمـر بهلاكهم .

ثم قال : ﴿ واسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ ﴾ [آية ٤٤] .

قال الضَّحاك : هو جبل الموصل[5] .

٥٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ إنَّه عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾** [آية ٤٦] .

في معناه أقوال :

---

(١) انظر معاني القرآن للفـراء ١٧/٢ وورد في المخطوطـة « وحـال بين نوح وبين الجبـل » وصوابـه ما أثبتناه « وحال بين ابن نوح وبين الجبل الماء فكان من المغرقين » كما في معاني الفـراء لأن ابنـه هو الذي غرق ، حيث حال الموج بينه وبين وصوله إلى الجبل .

(٢) و (٣) و (٤) و (٥) الآثار كلها قد ذكرها الطبري ٤٧/١٢ والقرطبي ٤١/٩ والدر المنثور ٣٣٤/٣ .

منها : أن المعنى أنه ذو عملٍ غيرِ صالح[1] .

وقيل : إنَّ عملَه عَمَلٌ غير صالح .

وقال قتادة : معناه إن سؤالكَ إيَّايَ ما ليس لك به علمٌ في قوله ﴿ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ ﴾ عَمَلٌ غير صالح ، وهذا عملٌ غير صالح[2] .

قال أبو جعفر : وهذا أحسن ما قيل فيه ، لأن عبد الله بن مسعود قرأ ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ أن تسألني ما ليس لك به عِلمٌ ﴾[3] .

٥١ ــ وقوله جل وعز ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّن مَعَكَ .. ﴾ [آية ٤٨] .

قال محمد بن كعب : قد دخل في هذا كل مؤمن إلى يوم القيامة ، ودخل في قوله ﴿ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُم ﴾ كلُّ فاجرٍ إلى يوم القيامة[4] .

---

(١) هذا قول الزجاج كما في زاد المسير لابن الجوزي ١١٤/٤ وعلى هذا القول يكون على حذف مضاف .

(٢) ذكره الطبري ٥٣/١٢ عن قتادة ، وابن الجوزي ١١٤/٤ قال : وهو قول ابن عباس ، وقتادة ، وهذا ظاهر ، لأنه تقدَّم السؤال فيه في قوله ﴿ ربِّ إنَّ ابْنِي من أهلي ﴾ فرجع الضمير إليه .

(٣) هذه ليست بقراءة ، وإنما هي محمولة على جهة التفسير من ابن مسعود رضي الله عنه .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ٥٥/١٢ عن محمد بن كعب القرظي ، وأخرجه السيوطي في الدر ٣٣٧/٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ .

وقـال الضحـاك : نحواً من هذا ، إلَّا أنـه بخِـلاف هذه الألفـاظ[1] ، وتقديرُه في العربيـة على مذهبـه : على ذرِّيـة أمـمٍ ممَّـن معك ، وذريَّـةِ أمـمٍ سنمتِّعهـم ، ثم حذف ، كما قال ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ .

٥٢ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوْحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا .. ﴾** [آية ٤٩] .

أي : ما أوحيناه إليك من خبرِ نوح ، لم تكـن تعلمـه أنتَ ولا قومك ، لأنهم ليسُوا أهلَ كتاب[2] .

٥٣ ـ **وقوله جل وعز ﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذي فَطَرَنِي .. ﴾** [آية ٥١] .

قال مجاهد : أي خلقني[3] .

٥٤ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً .. ﴾** [آية ٥٢] .

يُروى أنهم كانـوا أصحـابَ زروعٍ ، وعمـارة ، وكانـوا يسكنـون

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٢/٥٥ فقد ذكر قول الضحاك مفصَّلاً .

(٢) الإشارة في قولـه ﴿ تلك ﴾ تعـود إلى القصص والأخبـار التـي ذُكـرت في هذه السورة أي هذه القصة وأشباهها من أخبار الغيوب السالفـة التـي لم تشهدهـا يا محمـد ، نعلـمك إياهـا بواسطـة الوحي .

(٣) ذكره الطبري ١٢/٥٧ عن قتادة . والسيوطي في الدر ٣/٣٣٤ .

رمالاً بين الشام واليمن ، فبعثت عليهم الريح فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم[1] .

و ﴿ مِدْرَاراً ﴾ على التكثير : أي يتبع بعضُها بعضاً[2] .

٥٥ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إلى قُوَّتِكُمْ .. ﴾** [آية ٥٢] .

قال مجاهد : أي شدَّةً إلى شدتكم[3] .

وقال غيره : كانوا قد أقاموا ثلاث سنين لا يُولد لهم[4] .

٥٦ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ إن نَقُولُ إلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضَ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ .. ﴾** [آية ٥٤] .

قال مجاهد : أصابَتكَ بسوءٍ أي بجنونٍ بسبِّك إياها[5] .

ويقال : عَراه واعتراه واعترَّه : إذا ألـمَّ به[6] ، ومنه ﴿ وَأَطْعِمُوا القَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾[7] وقال الشاعر :

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ٢٢٠/٨ والبحر المحيط ٣٢٣/٤ وتفسير ابن كثير ٤٣١/٣ .

(٢) قال القرطبي ٥١/٩ و « مِدْراراً » منصوب على الحال ، وفيه معنى التكثير ، أي يرسل السماء بالمطر متتابعاً يتلو بعضه بعضاً .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٥٨/١٢ والقرطبي ٥١/٩ وابن الجوزي في زاد المسير ١١٧/٤ .

(٤) قال أبو حيان في البحر ٢٣٣/٥ : حُبس عنهم المطر ثلاث سنين ، وعقِمتْ أرحامُ نسائهم .

(٥) الأثر أخرجه الطبري ٥٩/١٢ وابن الجوزي ١١٨/٤ وابن كثير ٢٦٢/٤ .

(٦) قال ابن قتيبة : يُقال عراني كذا ، واعتراني : إذا ألمَّ بي . زاد المسير ١١٨/٤ .

(٧) سورة الحج آية رقم (٣٦) .

أَتَيْـتُكَ عَارِيــاً خَلَقــاً ثِيَابِـــي
عَلَـى خَوْفٍ تُظَـنُّ بِيَ الظُّنُــونُ[1]

المعنى : ما نقولُ إلَّا أصابَكَ بعضُ آلهتنا بجنون ، لسبِّكَ إيَّاهَا .

٥٧ ــ **وقوله عز وجل ﴿ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴾** [آية ٥٥] .

وهذا من علاماتِ النبوَّةِ ، أن يكون الرسولُ وحده ، يقول لقومه « فَكِيدُونِي جَمِيعاً » وكذلك قال النبيُّ ﷺ لقريشٍ ، وقال نوحٌ ﷺ ﴿ فأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾[2] .

٥٨ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا .. ﴾** [آية ٥٦] .

أي هي في قبضته ، وتنالُهَا قدرتُه[3] .

---

(١) البيت للنابغة وهو في ديوانه ص٢٢٢ بشرح ابن السكيت بلفظ « على خَوْفٍ تُظَنُّ بيَ الظُّنُونُ » ، وغريب القرآن ٢٠٥ وزاد المسير لابن الجوزي ١١٨/٤ واللسان مادة عرى وقد جاء في المخطوطة « على نوف » وصوابه « على خوف » كما في الديوان ولسان العرب .

(٢) سورة يونس آية رقم (٧١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٢٣/٧ « وكان هذا القول معجزةً له ، وذلك أنه حرَّض جماعتهم عليه ، مع انفراده وقوتهم وكفرهم ، فلم يقدروا على نيله بسوء ، قال : ومعنى ﴿ تُنْظِرُونِ ﴾ : تؤخروني ، أي عاجلوني بما قدرتم عليه » . اهـ.

(٣) قال في البحر ٢٣٤/٥ : وقوله تعالى ﴿ آخِذٌ بناصيتها ﴾ تمثيل ، إذْ كان القادرُ المالكُ ، يقود المقدور عليه بناصيته ، كما يُقاد الأسير والفرس بناصيته ، حتى صار عُرفاً على الحيوان .. وقال الطبري ٦٠/١٢ : أي ليس من شيء يدبُّ على الأرض ، إلَّا والله مالكه ، وهو في قبضته وسلطانه ذليل له خاضع . اهـ .

٥٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾** [آية ٥٦] .

قال مجاهد : أي على الحقِّ ، أي يجزي المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، لا يظلم أحداً ، ولا يقبل إلَّا الإيمان به[١] .

قال أبو جعفر : والصراطُ في اللغة : المنهاجُ الواضح .

والمعنى : إنَّ الله جل ثناؤه وإن كان يقدر على كل شيءٍ[٢] ، فإنه لا يأخذهم إلَّا بالحق .

٦٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً ﴾** [آية ٥٧] .

أي لا تقدرون له على ضَرَره إذا أراد إهلاككم .

وقيل : لا يضرُّه هلاكُكم إذا أهلككم ، أي لا تُنقِصونه شيئاً ، لأنه سواء عنده أكنتم أم لم تكونوا[٣] .

٦١ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾** [آية ٥٧] .

أي يحفظني من أن ينالني بسوء[٤] .

٦٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾** [آية ٥٩] .

---

(١) انظر الأثر في جامع البيان للطبري ٦٠/١٢ وزاد المسير لابن الجوزي ١١٨/٤ .

(٢) في المخطوطة « يقدر على شيء » وصوابه ما أثبتناه « على كل شيء » كما نقله عنه القرطبي في جامع الأحكام ٥٣/٩ .

(٣) ذكر هذا القول الطبري في جامع البيان ٦١/١٢ بصيغة التضعيف : وقيل .

(٤) هكذا ورد في المخطوطة « من أن ينالني بسوء » ، ولعل صوابه « يحفظني من أن تنالوني بسوء » كما في القرطبي ٥٣/٩ .

العنيد ، والعَنُود ، والعَانِدُ : المدافعُ بغير حقٍّ[1] .

٦٣ ـــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾** [آية ٦٠] .

أي وأُلْحِقوا .

ومعنى ﴿ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ غير تخسيرٍ لكم ، إذا ازددتم كفراً[2] .

٦٤ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً ﴾** [آية ٦٤] .

يُروى أنها خرجت من صخرة[3] .

٦٥ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾** [آية ٦٤] .

أي قريب ممَّن مسَّها .

٦٦ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾** [آية ٦٧] .

---

(١) في الصحاح ٥١٣/٢ : عَنَد عن الطريق : أي عَدَل فهو عَنُودٌ ، وعَنَد يَعْنِدُ بالكسر عُنُوداً أي خالف وردَّ الحقَّ وهو يعرفه ، وجمع العنيد عُنُدٌ . اهـ. وقال ابن قتيبة : العَنُودُ ، والعَنِيدُ ، والعاندُ : المعارضُ بالخلاف عليك .

(٢) هذا قول الفراء في معانيه ٢٠/٢ قال : وهذا كقولك للرجل : ما تزيدني إلَّا غضباً أي غضباً عليك ، وهذا القول مروي عن مجاهد قال : ما تزدادون أنتم إلَّا خساراً ، واختاره الطبري وابن عطية ، والأقرب ما ذكره في البحر ٢٣٩/٥ : أن المعنى : إن اتبعتكم فيما دعوتموني إليه ، لم أزدَدْ إلَّا خُسْراناً في الدين ، فأصير من الهالكين الخاسرين . اهـ. وهو مروي عن مقاتل ، كما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٢٥/٤ أقول : ويؤيده قوله تعالى قبله ﴿ فمن ينصرني من الله إن عصيتُه ﴾ ؟ فهو كالدلالة على المعنى .

(٣) انظر تفصيل القصة في جامع البيان ٦٥/١٢ وتفسير ابن كثير ٤٣٦/٣ .

قال قتادة : أي ميتين[1] .

٦٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾** [آية ٦٨] .

قال قتادة : أي كأن لم يعيشوا فيها[2] .

قال الأصمعي : المغاني : المنازل .

قال غيره : غَنِيتُ بالمكان إذا نزلت به .

والمعنى : كأن لن يُقيموا فيها في سرورٍ وغبطة[3] .

٦٨ ــ **وقوله جل عز ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ﴾** [آية ٦٩] .

أي بالبشرى بالولد .

٦٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ ﴾** [آية ٦٩] .

ويُقرأُ ﴿ قَال سِلْمٌ ﴾[4] .

قال الفراء : سِلْمٌ وسَلَامٌ واحد ، كما يقال : حِلٌّ وحَلَالٌ[5] .

٧٠ ــ **ثم قال جل وعزّ ﴿ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾** [آية ٦٩] .

---

(١) و(٢) الأثران عن قتادة في الطبري ٦٨/١٢ وابن كثير ٤٣٩/٣ والبحر المحيط ٣٣١/٤ .

(٣) في الصحاح : غَنِيَ بالمكان : أي أقام به ، وغَنِي أي عاش ، والمغنى : واحد المغاني وهي المواضع التي كان بها أهلها وسُكَّانها .

(٤) هذه قراءة حمزة والكسائي ﴿ قَالَ سِلْمٌ ﴾ وهي من القراءات السبع كما في النشر ٢٩٠/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٣٣٧ .

(٥) انظر معاني الفراء ٢١/٢ قال الفراء : وأنشدني بعضُ العرب « مَرَرْنا فَقُلْنا إيه سِلْمٌ فسَلَّمَتْ » .

رَوى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال : هو النضيج ، وكذلك قال قتادة[1] .

وقال الضحاك : هو الموقَدُ عليه حتى ينضج[2] .

وقول أبو عبيدة ﴿ حَنِيذٍ ﴾ بمعنى محنوذ أي مشوي ، يقال : حَنَذْتُ فرسي أي عَرَّقْتُهُ[3] .

والمعنى : فما أبطأ إذ تَضَيَّفُوه بأن جاءهم بِعِجْلٍ ، ثم حذفَ الباءَ من « أنْ »[4] .

وقيل : الرسل « جبريلُ ، وميكائيلُ ، وإسرافيلُ » عليهم السلام ﴿ بِالبُشْرَى ﴾ البشارة بإسحاق[5] .

وقيل : البشارةُ بهلاك قومِ لوط[6] .

٧١ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ .. ﴾
[آية ٧٠] .

---

(١) و (٢) الأثران في الطبري ٧٠/١٢ وزاد المسير ١٢٨/٤ وقال ابن كثير : الحنيذ : المشوي على الرَّضَف وهي الحجارة المحماة .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٩٢/١ والطبري ٦٩/١٢ وانظر أيضاً معاني الفراء ٢١/٢ .

(٤) قال ابن الجوزي ١٢٨/٤ : ما أقام حتى جاء بعجلٍ حنيذٍ أي نضيج ــ وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ــ لأنه ظنَّهم أضيافاً ، وكان الملائكة قد جاءته في صورة غِلْمَان وِضَاء ــ أي جسان ــ .

(٥) مما يدل على هذا القول قوله تعالى ﴿ فَبشَّرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ .

(٦) هذا قول قتادة كما في زاد المسير لابن الجوزي ١٢٧/٤ وذكر القولين الطبري ٦٨/١٢ .

يقال :نَكِرَ ، وأَنْكَرَ ، واستنكر ، بمعنى[1] .

قال قتادة : كان الضيف إذا نزل ولم يأكل ، رأوا أنه لم يأت بخير ، وأنه قد أتى بشرٍّ[2] .

٧٢ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ [آية ٧٠] .

أي أضمر.

﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ أي أُرسلنا بالعذاب ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ ﴾ وهو قاعد[3] .

٧٣ ــ وقوله تعالى ﴿ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [آية ٧١] .

فيه أقوال :

أحسنُها : أنه لمَّا لم يأكلوا نكرهم وخافهم ، فلمَّا قالوا : لا تخف وخبرُّوه أنهم رسلٌ ، فَرِح بذلك ، فضحِكَتْ امرأتُه سُروراً بفرحه[4] .

---

(١) في المصباح ٢/٢٩٦ : أنكرتُه إنكاراً : خلاف عرفته ، ونَكِرْته مثل تَعِبْتُ كذلك غير أنه لا يتصرف . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/٢٩٣ : نَكِرَهم ، وأنكرهم ، واستنكرهم سواء ، قال الأعشى :

فَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذي نَكِرَتْ ... مِنَ الحَوَادِثِ إلَّا الشَّيْبَ والصَّلَعَا

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢/٧١ وابن الجوزي في زاد المسير ٤/١٢٨ وأبو حيان في البحر المحيط ٥/٢٤٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣/٣٣٦ .

(٣) قال الطبري ١٢/٧ : ﴿ وامرأته قائمة ﴾ قيل : كانت قائمة من وراء السِّتر تستمع كلام الرسل ، وقيل : كانت قائمة تخدم الرسل وإبراهيم جالس معهم .

(٤) هذا ما اختاره أبو حيان في البحر المحيط ٥/٢٤٣ .

وروى **الفراء** أن بعض المفسريـــن قال : المعنى : فبشرناهـــا بإسحاق فضحكت[1] .

قال أبو جعفر : وهذا القول لا يصحُّ ، لأن التقديم والتأخير لا يكون في الفاء[2] .

وقيل : فضحكت فَحَاضَتْ .

وهذا قولٌ لا يُعْرَفُ ولا يَصحُّ[3] .

وقيل : إنها كانت قالت له : أَحْسِبُ أن هؤلاء القوم سينـــزل بهم عذابٌ ، فضُمَّ لوطاً إلَيك ، فلمَّا جاءَ الرسلُ بما قالته سُرَّتْ بِهِ فضحكت ، وهذا إن صحَّ إسنادُه فهو حسنٌ[4] .

وقال قتادة : ضحكت من غفلة القوم وقد أتاهم العذاب[5] .

٧٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَمِنْ وَرَاءِ إسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [آية ٧١] .

قال الشعبي :الوراءُ : ولد الولد[6] .

---

(١) انظر معاني الفراء ٢٢/٢ وقد رجَّح أنها إنما ضحكت سروراً بالأمر ، فأتبعوها البشرى بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، فضحكت ، فكانت البشارة بعد الضحك .

(٢) لأن الفاء في اللغة العربية تفيد الترتيب والتعقيب ، وهذا ينافي القول بالتقديم والتأخير .

(٣) وكذلك قال الفراء في معانيه ٢٢/٢ قال : وأما قوله « فضَحِكتْ » بمعنى حاضت ، فلم نسمعه من ثقة ، وكذلك قال الزجاج في معانيه ٦٢/٣ : وأمَّا من قال « ضَحِكتْ » بمعنى حاضت فليس بشيء .

(٤) هذا القول ذكره ابن الجوزي في تفسيره ١٣١/٤ وعزاه إلى ابن الأنباري .

(٥) الأثر أخرجه ابن جرير ٧٢/١٢ وابن كثير ٢٦٥/٤ ورجحه الطبري في جامع البيان .

(٦) الأثر في تفسير الطبري ٧٢/١٢ وتفسير ابن الجوزي ١٣١/٤ قال : واختاره أبو عبيدة . قال القرطبي ٦٩/٩ : بُشِّرت بولد يكون نبياً ويلد نبياً ، فكان هذا بشارة لها بأن ترى ولدَ ولدِها .

وقال بعض أهلِ النَّظَر : في هذا دليل على أن إسماعيل هو الذَّبيحُ ، لأنها بُشِّرت بأنها تعيش حتى يولد إسحاق ، وحتى يولد لإسحاق يعقوبُ ، وكيف يؤمر بذبحه وقد بُشِّرت بأن يولد له[1] .

٧٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً ﴾ [آية ٧٢] .

قال الفراء : يُروى أنه كان لها حين بُشِّرت ثمانٍ وتسعون سنة ، وإبراهيم أكبر منها بِسَنة[2] .

٧٦ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ ﴾ [آية ٧٤] .

قال قتادة : أي الفزع[3] .

وقوله جل وعز : ﴿ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى ﴾ [آية ٧٤]

قال قتادة : بَشَّرُوه بأنهم إنما أتَوْا بالعذاب إلى قوم لوط ، وأنه لا يخاف[4] .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ٢٦٥/٤ : أي بشرناها بولد لها يكون له ولد وعَقِبٌ ونسل ، فإن يعقوب ولد إسحاق ، ومن ههنا استدل بعضهم بهذه الآية على أن الذبيح هو إسماعيل ، ويمتنع أن يكون إسحاق لأنه وقعت به البشارة ، وأنه سيولد له يعقوب ، فكيف يُؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ، ولم يُولد له يعقوب !! وهذا من أحسن الاستدلال وأصحِّه وأبينه .

(٢) ذكره الفراء في معانيه ٢٣/٢ وابن الجوزي ١٣٢/٤ وعزاه إلى ابن عباس ، وذكر الطبري عن مجاهد أنها كانت ابنة تسع وتسعين سنة ، وإبراهيم ابن مائة وعشرين سنة .

(٣) و(٤) الأثران عن قتادة أخرجهما الطبري ٧٧/١٢ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤١/٣ .

قال معمر : وقال غير قتادة : بشَّروه بإسحاق[1].

وروى حُميدُ بن هلالٍ عن جُنْدبٍ عن حُذَيفَةَ قال المجادلةُ ها هنا أنه قال لهم : أرأيتم إن كان فيهم خمسون من المسلمين أتُهْلِكُونهم ؟ قالوا : لا ، قال : فإن كان فيهم أربعون ؟ قالوا : لا ، قال : فإن كان فيهم ثلاثون ؟ قالوا : لا ، قال : فإن كان فيهم عشرون ؟ قالوا : لا ، قال : فإن كان فيهم عشرة أو خمسة ؟ ــ شَكَّ حُمَيدٌ ــ قالوا : لا .. قال قتادة نحواً منه ، قال : فقال ــ يعني إبراهيم ــ قومٌ[2] ليس فيهم عشرٌ من المسلمين لا خير فيهم ، قال عبد الرحمن بن سَمُرَة : كانوا أربعمَائَةِ ألِف[3] .

٧٧ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ .. ﴾ [آية ٧٧] .

أي : سَاءَه مجيئُهم لَمَا يَعْرِفُ من قومه[4] .

ورُوي أنهم أتوه واستضافوه ، فقام معهم وكانوا قد أُمروا أن لا

---

(١) أخرجه ابن جرير ٧٨/١٢ والقرطبي ٧٢/٩ .

(٢) سقط من المخطوطة لفظة « قومٌ » وأثبتناها من القرطبي ٧٢/٩ والدر المنثور ٣٤١/٣ .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٤١/٣ وعزاه إلى عبد الرزاق ، وأبي الشيخ ، عن قتادة ، ورواه القرطبي في جامع الأحكام ٧٢/٩ وذكر نحوه ابن الجوزي في زاد المسير ١٣٤/٤ .

(٤) أي من سفههم وجهلهم ، قال ابن جرير ٨١/١٢ : ساءه مجيئهم وضاقت نفسه غماً ، لأنه خاف عليهم من قومه أن يرتكبوا معهم الفاحشة .

يهلكوهم حتّى يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات ، فقال لهم : إن قومي شرُّ خلق الله ثلاث مرات[1] .

٧٨ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً .. ﴾** [آية ٧٧] .

قال أبو العباس : يقال : ضقت بالأمر ذرعاً إذا لم تجد في قدرتك القيام به ، وهو مأخوذ من الذراع ، لأن فيها القوة[2] .

٧٩ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾** [آية ٧٧] .

قال مجاهد : أي شديد . وذلك يُعرفُ في اللغة ، يقال : وذلك يُعرفُ في اللغة ، يقال : عَصِيبٌ ، وعَصَبْصَبٌ : للشديد المنكر[3] .

٨٠ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ .. ﴾** [آية ٧٨] .

قال ابن عباس : أي يُسرِعون[4] .

وقال مجاهد : يُهروِلون في المشي[5] .

وقال أهل اللغة : يقال : أُهْرِعَ : إذا جاء مسرعاً ، وكان مع

---

(١) ذكره أبو حيان في البحر ٥/٢٤٦ قال : لمَّا وصلوا إليه قالوا : إنا نريد أن تُضيفنا الليلة ، فقال لهم : أوَما سمعتم بعمل هؤلاء القوم ؟ فقالوا : وما عملهم ؟ فقال : أشهدُ بالله إنهم شرُّ قوم في الأرض ، وقد كان الله تعالى قال للملائكة : لا تعذِّبوهم حتى يشهد عليهم لوطٌ أربع شهادات ، فلما قال ذلك ، قال جبريل : هذه واحدة ، وكرَّر لوط الشهادة أربع مرات .

(٢) في الصحاح ٣/٢١٠ : ضِقتُ بالأمرِ ذرعاً : إذا لم تطقه ولم تَقْوَ عليه .

(٣) انظر الصحاح للجوهري ١/١٨٣ ولسان العرب مادة عصب .

(٤) و(٥) انظر قول ابن عباس ومجاهد ، في الطبري ١٢/٨٣ والدر المنثور ٣/٣٤٢ .

ذلك يُرْعَدُ[١] .

٨١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ .. ﴾** [آية ٧٨] .

فيه أقوال :

أحسنها قول مجاهد ، قال : يريد : نساءَ أمته[٢] ، ويقوِّيه قولُ الله جلَّ وعز ﴿ وأزواجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾[٣] .

ويُروى أنَّ أُبَيَّ بنَ كعبٍ ، وابنَ مسعودٍ قَرَءا ﴿ وأزواجُهُ أُمَّهَاتُهُم وَهو أبٌ لهم ﴾[٤] .

وقيل : المعنى هؤلاء بناتي إن أسلمتم[٥] .

وقيل : كان في ملَّتهم جائزٌ أن يتزوج الكافر المسلمة .

وقال عكرمة : لم يعرض عليهم بناته ولا بناتِ أمته ، وإنما قال لهم هذا لينصرفوا[٦] .

---

(١) قال الجوهري ٣٠٦/٣ : الإهراع : الإسراع ، وأُهرِعَ الرجل : إذا كان يُرعَدُ من غضب ، أو حمَّى ، أو فزع .

(٢) الأثر في الطبري ٨٥/١٢ وابن كثير ٢٦٨/٤ والقرطبي ٧٦/٩ قال في البحر ٢٤٦/٥ : ويدل عليه أنه كان له ابنتان ، ولا يمكن أن يزوِّج ابنتيه من جميع قومه .

(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٦) .

(٤) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر ٢٤٦/٥ والقرطبي في جامع الأحكام ٧٦/٩ وليست من القراءات السبع بل هي شاذة .

(٥) هذا القول حكاه الزجاج في معانيه ٦٧/٣ ولفظه : « قيل : إنهم عُرِضَ عليهم التزويج ، وكأنه عرضه عليهم إن أسلموا » وانظر زاد المسير أيضاً ١٣٨/٤ .

(٦) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٧٦/٩ .

٨٢ ـــ وقوله جل وعز ﴿ قَالَ لَوْ أَنّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [آية ٨٠] .

قال **مجاهد** : يعني العشيرة[١] .

٨٣ ـــ وقوله جل وعز ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنْ اللَّيْلِ .. ﴾ [آية ٨١] .

قال **قتادة** : أي : بطائفةٍ من الليل[٢] ، يقال : سَرَى وأَسْرَى : إذا سَارَ بالليل[٣] .

فإن قيل : السُّرَى لا يكون إلّا بالليل ، فما معنى بِقِطْعٍ من الليل ؟

فالجواب : أنه لو لم يقل ﴿ بِقِطْعٍ من اللَّيْلِ ﴾ جاز أن يكون أوله .

٨٤ ـــ وقوله جل وعز ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ .. ﴾ [آية ٨١] .

المعنى : فأَسْرِ بأهلِكَ إلّا امرأتَكَ[٤] .

ويُروى أنها في بعض القراءات كذا ، وقرأ أبو عمرو ﴿ إلّا امرأتُكَ ﴾[٥] بالرفع .

---

(١) و(٢) انظر الآثار في البحر المحيط ٢٤٨/٥ والقرطبي ٧٩/٩ والدر المنثور ٣٤٥/٣ .

(٣) قال الزجاج : يُقال : سَرَيتُ وأَسْرَيْتُ : إذا سِرتَ ليلاً ، قال الشاعر :

سَرَيْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَّ مَطِيُّهُمْ ... وَحَتَّى الجِيَادُ مَا يُقَدْنَ بِأَرْسَانِ

(٤) حكاه ابن الجوزي ١٤٢/٤ عن الزجاج ، وهذا على قراءة النصب ، قال : ومن قرأ بالرفع حمله على معنى : ولا يلتفتْ منكم أحدٌ إلا امرأتُك ، فيكون الاستثناء منقطعاً وانظر معاني الزجاج ٦٩/٣

(٥) هذه من القراءات السبع ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرٍو ، كما في السبعة لابن مجاهد ص ٣٣٨ وقرأ الباقون بالنصب .

٨٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴾** [آية ٨٢] .

فيه أقوال :

قال مجاهد : هو بالفارسية أي أوَّلُها حجارةٌ ، وآخرُهَا طينٌ[١]

وقال قتادة : أي من طين .

وقال أبو جعفر : وهذان القولان حَسَنَان.

وإنما ذهب مجاهد إلى أن أصله بالفارسية ثم أعرب .

قال أبو جعفر : وإنما استحسنَّاه لأنه قال في موضع آخر ﴿ حِجَارةً من طِينٍ ﴾[٢] .

قال أبو عبيدة : السجِّيلُ : الشديد[٣] ، وأنشد :

« ضَرْباً تَوَاصَى بِهِ الأَبطَالُ سِجِّيناً »[٤]

وردَّ عليه هذا القول عبد الله بن مسلم[٥] ، وقال : هذا سجينٌ ، وذاك سجِّيلٌ ، وكيف يُستشهد به ؟

قال أبو جعفر : وهذا الردُّ لا يلزم ، لأن أبا عُبيدة ذهب إلى

---

(١) الأثر في جامع البيان للطبري ٩٣/١٢ وتفسير ابن الجوزي ١٤٤/٤ .

(٢) سورة الذاريات آية رقم (٣٣) .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٩٦/١ .

(٤) من قصيدة نونية لابن مقبل في جمهرة الأشعار ١٦٢ وهي في ديوانه ٣٣٣ ومجاز القرآن ٢٩٦/١ وصدرُه « وَرَجْلةٍ يضربون البِيض ضَاحِيةٍ » وهي في لسان العرب مادة سجن .

(٥) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أحد أئمة أعلام اللغة والأدب صاحب كتاب « غريب القرآن » المتوفى سنة ٢٧٦ هـ وانظر ترجمته في الأعلام ٢٨٠/٤ ومعجم المؤلفين ١٥٠/٦ .

أن اللَّام بدلٌ من النون ، لقرب إحداهما من الأخرى .

وقول أبي عبيدة يُردُّ من جهةٍ أخرى ، وهي أنه لو كان على قوله لكان « حجارةً سِجِّيلاً » لأنه لا يقال حجارة من شديد ، لأنَّ شديداً نعتٌ[1] .

وقوله جلَّ وعز : ﴿ مَنْضُودٍ ﴾ أي بعضه يعلو بعضاً ، يُقال نَضَدْتُ المَتَاعَ، واللَّبِنَ : إذا جعلتَ بعضَه على بعضٍ ، فهو منضودٌ ، ونَضِيد[2] ، قال الشاعر :

خَلَّتْ سَبِيلَ أَتِيٍّ كَانَ يَحْبِسُهُ
ورفَّعتهُ إلَى السِّجفَيْنِ فَالنَّضَدِ[3]

ويقال : سجيلٌ من قولهم : أسْجَلْتُ إذا أعطيتَ ، ويُقال : هو من السِّجِلِّ كأنه مما كُتِبَ عليهم ، وقُدِّر أن يصيبهم[4] .

قال أبو جعفر : وأبو إسحاق[5] يستحسن هذا القول ، قال : ويدلُّ عليه قوله تعالى ﴿ إنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا

---

(١) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٨٢/٩ .

(٢) انظر الصحاح للجوهري ٥٤٤/٢ فقد جاء فيه : نَضَدَ متاعَه نَضْداً : وضعَ بعضَه على بعض .

(٣) البيت للنابغة الذبياني وهو في ديوانه ص ١٥ من قصيدة يمدح فيها النعمان بن المنذر « يا دَارَ مَيَّة بالعلياء فالسَّند » وَالأَتيُّ : سيلٌ شديد جاء نحو بيتها ، يقول : إن الماء لما كثر ، وعجزت عن دفعه ، خلَّت سبيله في البيت ، وسهَّلت مسلكه ، لينفذ ويتجاوز البيت . وانظر جامع الأحكام ٨٣/٩ ، ولسان العرب ٤٢٣/٣ .

(٤) في الصحاح ١٧٢٦/٥ : أَسجلتُ الكلام أي أرسلته والسِّجلُ : الصكُّ ، وحجارة من سجيل هي حجارة من طين ، طُبخت بنار جهنم ، مكتوب عليها أسماء القوم .

(٥) يراد به الإمام الزجاج ، وقد تقدمت ترجمته .

سِجِّين . كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾[1] وسِجِّينٌ ، وسجِّيلٌ واحد[2] .

٨٦ ــ **وقوله جلَّ ذكره** ﴿ **مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ** ﴾ [آية ٨٣] .

قال مجاهد : أي مُعْلَمة[3] .

قال أبو جعفر : ويقال : سَوَّمتُ الشيء إذا عَلَّمتَه ، ويُروى أنه كان عليها أمثال الخواتيم[4] .

وقال الحسن : مُعَلَّمةٌ ، وفيها دليلٌ أنها ليست من حجارة الدنيا ، وأنها مما عُذِّب به[5] .

ويُقال : سوَّمت الشيءَ إذا أرسلته إرسالاً ، إلَّا أنه لم يقل هذا في هذا الحرف .

٨٧ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ** ﴾ [آية ٨٣] .

قال مجاهد : يرهِّب بهذا قريشاً[6] .

وقال غيره : المعنى من ظالمي هذه الأمة .

قال أبو جعفر : والقولان يرجعان إلى معنى واحد .

وقيل : وما هي ممن عمِل عَمَل قومِ لوطٍ ببعيد .

٨٨ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً** .. ﴾ [آية ٨٤] .

---

(١) سورة المطفِّفين آية رقم (٧ ــ ٩) .

(٢) انظر البحر المحيط ٥/٢٥٠ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٢/٩٥ والقرطبي ٩/٨٣ قال : مأخوذة من السِّيما وهي العلامة .

(٤) انظر الصحاح للجوهري مادة سوم .

(٥) الأثر ذكره ابن الجوزي ٤/١٤٦ عن ابن جريج ، والسيوطي في الدر المنثور ٣/٣٤٦ عنه أيضاً .

(٦) انظر جامع البيان للطبري ١٢/٩٦ وزاد المسير لابن الجوزي ٤/١٤٦ .

المعنى : وإلى أهل مدين[1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْقُصُوا المِكْيَالَ والمِيزَانَ إنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ ﴾ [آية ٨٤] .

قال الحسن : كان سعرهم رخيصاً[2] .

والذي توجهُ اللغة أن يكون عاماً[3] .

٨٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آية ٨٦] .

قال الحسن :حظُّكم من الله جل وعز[4] .

قال مجاهد : أي طاعة الله[5] .

قال أبو جعفر : والمعنى : ما يبقي له ثوابه .

٩٠ ــ وقوله جل وعز ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ[6] تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا .. ﴾ [آية ٨٧] .

---

(١) أي هو على حذف مضاف لأن « مدين » اسم للبلدة التي كانوا يسكنونها .

(٢) الأثر في الطبري ٩٨/١٢ والقرطبي ٨٥/٩ وابن الجوزي ١٤٧/٤ وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن .

(٣) قال الفراء : أموالكم كثيرة ، وأسعاركم رخيصة ، فأيُّ حاجة بكم إلى سوء الوزن والكيل ؟!

(٤) و (٥) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٠٠/١٢ وزاد المسير لابن الجوزي ١٤٩/٤ وجامع الأحكام للقرطبي ٨٦/٩ .

(٦) القراءة التي ذكرها المصنف بالجمع ﴿ أَصَلَوَاتُكَ ﴾ من القراءات العشر كما في النشر ٢٩٠/٢ وقرأ حمزة ، والكسائي ، وخَلَف ، وحفص ، بحذف الواو على الإفراد .

قال **سفيان** عن الأعمش : أي قراءتُكَ[1] .

ودلَّ بهذا على أنهم كانوا كفاراً .

ثم قال : ﴿ أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ ؟ .

رُوي عن زيد بن أسلم أنه قال : كان مما نهاهم عنه حذف الدراهم[2] .

وقيل : معنى ﴿ أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ إذا تراضينا فيما بيننا بالبخس ، فلم تمنعنا منه ؟

قال أبو جعفر : قال أبو إسحاق : معنى ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ على السخرية[3] .

وقال غيره : معناه إنك لأنتَ الحليم الرشيد عند نفسك .

٩١ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً ﴾ [آية ٨٨] .

قيل : حلالاً[4] .

وقيل : ما وُفِّقَ له من الطاعة[5] .

---

(١) الأثر في جامع البيان ١٠٢/١٢ وجامع الأحكام ٨٦/٩ وزاد المسير ١٤٩/٤ .

(٢) الأثر في الطبري ١٠٢/١٢ والقرطبي ٨٧/٩ ومعنى حذف الدراهم أي قطعُها من أطرافها .

(٣) هذا قول قتادة ، وإليه ذهب الطبري والفراء ، قال الفراء ٣٦/٢ : استهزاءٌ منهم به .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ١٠٣/١٢ وهو مروي عن ابن عباس .

(٥) انظر تفسير ابن الجوزي ١٥١/٤ .

٩٢ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَمَا أُرِيدُ أنْ أُخَالِفَكُمْ إلَى مَا أُنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ [آية ٨٨] .

قال قتادة : أي ليس أنهاكم عن شيء وأركبه[١]

ومعنى ﴿ وإلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ وإليه أرجع .

٩٣ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي .. ﴾ [آية ٨٩] .

قال قتادة : أي لا يَحْمِلَنَّكُم[٢] .

قال أبو جعفر : والشقاقُ في اللغة : العداوة ، كأنه يصير في شقٍّ غير شِقِّه[٣] .

٩٤ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾ [آية ٨٩] .

يُقال : إن أقربَ الإهلاكات التي عرفوها إهلاك قوم لوط .

أي : فالعظة لكم فيها بيِّنةٌ ، بقربه منكم[٤] .

٩٥ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً ﴾ [آية ٩١] .

قال سفيان : بلغنا أنه كان مصاباً ببصره[٥] .

---

(١) و (٢) الأثر في الطبري ١٠٣/١٢ وتفسير ابن الجوزي ١٥١/٤ والدر المنثور ٣٤٧/٣ .

(٣) انظر لسان العرب لابن منظور ، والصحاح للجوهري ، مادة شَقَّ .

(٤) هذا قول الزجاج كما حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير ١٥١/٤ .

(٥) رُوي هذا عن ابن عباس ، وابن جبير ، وقتادة ، وانظر الدر المنثور ٣٤٨/٣ وهذا القول وإن رُوي عن بعض السلف لكنه ضعيف ، لأن العمى والزمانة يُخلَّان بصفات الداعية ، والرسلُ =

قال أبو جعفر : وحكى أهل اللغة أن حِمْيَر تقولُ للأعمى : ضعيفٌ ، أي قد ضَعُفَ بذهابِ بصره ، كما يقال له : ضريرٌ ، أي قد ضُرَّ بذهاب بصره ، كما يُقال : مكفوفٌ ، أي قد كُفَّ عن النَّظر بذهاب بصره .

٩٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ .. ﴾** [آية ٩١] .

أي ولولا عشيرتك لقتلناك بالرجم[١] . ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ ﴾ أي أنتم تزعمون أنكم تتركون قتلي من أجل عشيرتي ، ولا تَخَافُون من الله جل وعز ، في ردِّكم أمْرَهُ[٢] ؟!

ويُقال : إن رهطه كانوا على ملتهم ، فلذلك أظهروا الميل إليهم[٣] .

٩٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾** [آية ٩٢] .

قال مجاهد : أي تركتم ما جئتكم به[٤] .

= دعاةٌ إلى الله ، يبلِّغون الناس رسالات الله ، فلا بدَّ أن يكونوا على غاية الكمال في الخَلْق والخُلُق ، قال أبو روق : إن الله لم يبعث نبياً أعمى ، ولا نبياً به زمانة . اهـ. والأظهر أنه المراد بقوله تعالى ﴿ وإنَّا لَنَراك فينا ضَعِيفاً ﴾ أي لا قوَّة لك ولا منعة ، ولا عزَّ لك بيننا ، وانظر البحر المحيط ٢٥٦/٥ فقد أجاد فيه وأفاد .

(١) إلى هذا ذهب الجمهور واختاره الزجاج ورجحه الطبري ، وقيل : إن المراد بالرجم ههنا الشتمُ والأذى ، وانظر تفسير ابن الجوزي ١٥٢/٤ .

(٢) هذا استفهام بقصد التوبيخ ، والمعنى : أتتركوني لأجل قومي ، ولا تتركوني إعظاماً لأمر الله وإجلالاً لجنابه ؟ فهل عشيرتي أعزُّ عندكم من الله وأكرم ؟

(٣) حكاه الزجاج في معانيه ٧٤/٣ وانظر زاد المسير ١٥٣/٤ .

(٤) الأثر في الطبري ١٠٧/١٢ والدر المنثور ٣٤٨/٣ عن مجاهد ، وهذا على أن الضمير يعود على=

قال أهل اللغة : المعنى : واتَّخذتم أمرَ الله وراءكم ظِهْرِيًّا ، يقال : اتَّخذتُه ظِهْرِياً ، وجعلتُ حاجَته بِظَهْرٍ ، أي إذا لم تُعْنَ بذلك[1] .

٩٨ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾** [آية ٩٣] .

يُروى أن جبرائيل ﷺ صاح بهم صيحة فماتوا أجمعون ، وبيَّن هذا قوله تعالى ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ أي ميِّتين لا حَرَاك لهم..

٩٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾** [آية ٩٤] .

قال قتادة : أي كأن لم يعيشوا فيها[2] .

قال أبو جعفر : وقد ذكرناه فيما تقدم ، وهو مأخوذٌ من الصوت ، لأنه إنما يُقال مغنًى : للمنزل إذا كان أهله فيه[3] .

١٠٠ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ أَلَا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾** [آية ٩٥] .

= شعيب ، قال في البحر ٢٥٦/٥ : والظاهر أن الضمير في قوله ﴿ واتخذتموه ﴾ عائد على الله تعالى ، أي نسيتم الله وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر ، لا يُعبأ ولا يُكترث به . اهـ. وكذلك قال ابن كثير ٢٧٦/٤ .

(١) انظر معاني الفراء ٢٦/٢ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٩٨/١ قال الزجاج ٧٥/٣ : والعرب تقول لكل من لم يعبأ بأمر : قد جعل فلان هذا الأمر بظهر .

(٢) انظر الأثر في الطبري ١٠٩/١٢ والقرطبي ٩٢/٩ وابن كثير ٢٧٧/٤ .

(٣) انظر الصحاح للجوهري ٤٥٠/٦ .

يُقال : بَعِدَ يَبْعَدُ : إذا هلك ، ومن النأيِ بَعُدَ يبعُدُ[1] .

١٠١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾** [آية ٩٦] .

السُّلطان : الحجةُ ، ومن هذا قيل للوالي : سلطانٌ ، لأنه حُجَّةُ اللهِ جلَّ وعز في الأرض[2] .

ويُقال : إنه مأخوذٌ من السَّلِيطِ[3] وهو ما يُضَاءُ به .

١٠٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ ويَوْمَ القِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفود ﴾** [آية ٩٩] .

قال مجاهد : زيدوا لعنةً يوم القيامة[4] .

قال أبو جعفر : والرِّفْدُ في اللغةِ : المَعُونة ، والإعطاءُ ، والمعنى الذي يقوم لهم مقام المعونةِ : اللعنُ[5] .

والتقدير : بئسَ الرِّفْدُ رِفْدُ المرْفُود .

(١) قال الجوهري ٤٤٨/٢ : البُعْدُ : ضِدُّ القرب ، وقد بَعُدَ بالضمِّ فهو بعيد ، أي تباعَدَ ، والبَعَد : الهَلَاك تقول منه : بَعِدَ بالكسر ، وتنحَّ غيرَ بعيد أي كن قريباً . اهـ. الصحاح .

(٢) قال في البحر ٢٥٨/٥ : السلطانُ المبينُ : هو الحُجج الواضحة الدالة على صدق موسى عليه السلام .

(٣) في المصباح المنير ٣٠٥/١ : السَّليط : الزَّيت ، والسلطان : الحجة ، والبرهان ، والولاية .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير عن مجاهد ١١٠/١٢ والسيوطي في الدر ٣٤٨/٣ وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٥) سُمِّي العذاب رفداً على سبيل التهكم ، لأن الرِّفد معناه العون والعطية ، تقول : رَفَدته أرْفِده : إذا أعطيته وأعنته ، والمرفود : المُعْطَى ، والمعنى : بئست العطية والعونُ المعطى لهم اللعنة في الدارين ، وهذه ليست عطاء إنما هي بلاء ، فهو على حد قولهم : « تحية بينهم ضرب وجيع » .

١٠٣ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [آية ١٠٠] .

قال قتادة : القائمُ : ما كان خاوياً على عروشه ، والحصيدُ : ما لا أثر له[١] .

١٠٤ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ [آية ١٠١] .

قال مجاهد وقتادة : غير تخسير[٢] .

قال أبو جعفر : وكذلك هو عند أهل اللغة[٣] ، ومنه ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ .

١٠٥ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [آية ١٠٥] .

وقد قال في موضع آخر ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾[٤] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١١٢/١٢ أي منها قائم بنيانه عامر ، ومنها بنيانه خرابٌ لا يُرى له أثر ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٩/٣ عن الضحاك قال : الحصيد الذي قد خُرِّب ودُمِّر .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١١٣/١٢ وابن كثير ٢٧٨/٤ وفي الدر المنثور ٣٤٩/٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) قال الجوهري : التَّبابُ : الخسران والهلاك ، تقول : تَبَّ تَبَاباً ، وتَبَّتْ يَدَاه أي ألزمه الله هلاكاً وخُسراناً . اهـ. الصحاح ٩٠/١ .

(٤) سورة الصافات آية رقم (٩) .

ففي هذا جوابان :

أحدهما : أنه مِثْلُ قولِهِ ﴿ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴾[1].

والمعنى : لا ينطقون بحجَّةٍ لهم ، كما يقال لمن تكلَّم كثيراً بغير حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ : لم يأت بشيءٍ ، ولم يتكلَّمْ بشيءٍ[2] .

والجوابُ الآخرُ : أن ذلك اليومَ فيه أهوالٌ وشدائد ، فمرَّةً يُمْنعون من الكلام ، ومرَّةً يُؤْذَنُ لهم ، فعلى هذا ﴿ لَا تكَلَّم نفسٌ إلَّا بإذنه ﴾[3] .

١٠٦ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾** [آية ١٠٥] .

روى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر ، عن عمرَ ، قال : « لمَّا نزلت ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ قلتُ يا رسول الله فعلامَ نَعْمَلُ ، أعلى شيءٍ قد فُرِغ منه ، أم على شيء لم يُفْرغ منه ؟ قال : بلى ، على شيء قد فُرغ منه يا عمرُ وجرت به الأقلام ، ولكن كلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له »[4] .

---

(١) سورة المرسلات آية رقم (٣٥) .

(٢) إلى هذا ذهب الزجاج في معانيه ٧٨/٣ حيث قال : أي لا ينطقون بحجة تكون لهم ، وإنما يتكلمون بالإقرار بذنوبهم ، ولوم بعضهم بعضاً ، وهذا كما تقول للذي يخاطبك وخطابه فارغ من الحجة : ما تكلمت بشيء ، وما نطقت بشيء ، كما قال سبحانه ﴿ صمٌّ بكمٌ عميٌ ﴾ فهم بمنزلة الصمِّ . قال الشاعر : « أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعُ » .

(٣) هذا الوجه هو الذي اختاره شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في كتابه « فتح الرحمن فيما يلتبس من آيات القرآن » صفحة ٢٧٠ فقال : في يوم القيامة مواقف ، ففي بعضها لا يُؤذن لهم في الكلام فيُكَفُّون عنه ، وفي بعضها يُؤذن لهم فيه فيتكلمون . اهـ .

(٤) الحديث أخرجه الحافظ أبو يعلى في مسنده عن عمر بن الخطاب كما في تفسير ابن كثير=

١٠٧ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ . خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ .. ﴾ [آية ١٠٧] .

في هذا أجوبةٌ : منها : أن العَرَبَ خُوطِبت على ما تعرف وتستعمل ، وهم يقولون : لا أُكلمك ما اختلف اللَّيلُ والنَّهارُ ، وما دامتِ السماواتُ والأرضُ ، يريدون بذلك : الأبَدَ[1] .

ويكون معنى ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ سوى ما شاء ربك ، من زيادةِ أهلِ النَّار في العذاب ، وأهل الجنَّةِ في النعيم ، وقد صحَّ أنهم يُزادون .

رَوى الأعمشُ عن أبي صالح ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنَّه قال : قال الله جل وعز : « أعددتُ لعبادي الصالحين ما لَا عَيْنٌ رأتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ على قلب بشر ، بَلْهَ ما أُطْلِعْتُم » ثم قرأ أبو هريرة ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[2] .

= ٢٨٠/٤ وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير ٥٣٢/٨ من تحفة الأحوذي وقال : حديث حسن غريب ، ورواه ابن جرير في جامع البيان ١١٧/١٢ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٩/٣ .

(١) هذا القول هو المشهور ، وهو الذي رجحه الطبري ١١٧/١٢ وابن كثير ٢٨٠/٤ قال الطبري : من عادة العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبداً أن تقول : هذا دائم دوام السموات والأرض ، ويقولون : هو باقٍ ما اختلف الليل والنهار ، وما سمر لنا سمير .. إلخ . وانظر البحر المحيط ٢٦٣/٥ وتفسير ابن الجوزي ١٥٩/٤ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في بدء الخلق ٢٣٠/٦ باب صفة الجنة ، وفي تفسير سورة السجدة ﴿ فلا تعلم نفسٌ ﴾ وفي التوحيد ، ورواه مسلم في الجنة رقم (٢٨٢٤) والترمذي في التفسير رقم (٣١٩٥) قال ابن الأثير في جامع الأصول ٤٩٦/١ : « بَلْهَ ما أطلعكم عليه » بَلْهَ من أسماء الأفعال ، كـ « مَهْ » ، وَصَهْ ، ومعناها : دعْ واترك .

وقيل : معنى (إلَّا) معنى « سوى » أيضاً، إلَّا أن المعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة في الخلود .

وهذان قولان حسنان ، لأنه معروف في اللغة أن يقال : لك عندي كذا وكذا ، إلَّا كذا ، وسوى كذا ، وغيرَ كذا .

وحكى سيبويه : « لو كان معي رجل إلا زيدٌ » فهذا بمعنى : سِوَى ، وغيرَ .

وحكى الكوفيون : لك عندي ألفٌ إلَّا ألفين ، ويُعبَّر عن « إلَّا » في مثل هذا ، أنها بمعنى « سوى ، وغير ، ولكن » والمعاني متقاربة[1] .

وقيل : هذا استثناء ، لأنهم يقيمون في قبورهم ، فالمعنى على هذا ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ من مقامهم في قبورهم .

وقيل : هذا استثناء ، لأن قوماً من الموحِّدين يدخلون النار ، ثم يخرجون منها[2] .

فالمعنىٰ على هذا : خالدين في النار ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ من إخراج من شاء برحمته ، وشفاعة

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٧٩ فقد مثَّل بما حكاه الكوفيون .

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/٢٨١ : « اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء على أقوال كثيرة ، حكاها علماء التفسير ، واختار ابن جرير أن الاستثناء عائدٌ على العُصَاةِ من أهل التوحيد ، ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين ، من الملائكة والنبيِّين ، والمؤمنين ، ثم تأتي رحمةُ أرحم الراحمين ، فيخرج من النار من قال يوماً « لا إله إلا الله » كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة ، ولا يبقى بعد ذلك في النار إلا من وجب عليه الخلود ، وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديماً وحديثاً . اهـ. وانظر أيضاً جامع البيان لابن جرير الطبري ١٢/١٢٠ .

النبي ﷺ[1] .

وقال جابر بن عبد الله في قوله عز وجل ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً ﴾[2] إنه الشفاعة[3] .

ويكون المعنى في أهل الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ من دخول قومٍ النار ، وخروجهم إلى الجنة[3] .

حدثنا أحمد بن محمد الأزدي قال حدثنا أحمد بن داود بن موسى البصري ، المعروف بالمكي ، قال : نا شيبانُ بن فَرُّوخ[4] قال : نا أبو هلال ، قال : نا قتادةُ في هذه الآية ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ ﴾ إلى قوله ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ فقال عند هذا : حدَّثنا أنسُ ابنُ مالكٍ أن رسول الله ﷺ قال : « يخرج قوم من النار » قال قتادة : لا نقول كما يقول أهل حروراء[5] .

وقيل : في هذا قول خامس وهو أن المعنى : خالدين فيها

---

(١) قال ابن الجوزي ٤/١٧١ : في الاستثناء المذكور في حقِّ أهل النار سبعة أقوال : أحدها أن الاستثناء في حقِّ الموحِّدين الذين يخرجون بالشفاعة ، وهو قول ابن عباس ، والضحاك .. إلخ . وانظر زاد المسير فقد ذكر فيه أقوال أئمة علماء التفسير ، والأول الذي ذكرناه أرجحها .

(٢) سورة الإسراء آية رقم (٧٩) .

(٣) انظر الطبري ١٢/١٢٠ والبحر المحيط ٥/٢٦٣ وتفسير ابن عطية ٧/٤٠٢ .

(٤) في المخطوطة « شيبان بن فراوخ » وصوابه « ابن فرُّوخ » كما في التهذيب ٤/٣٧٤ قال : شيبان بن فروخ بن أبي شيبة الحَبْطي ، قال عنه أحمد : ثقة ، وقال أبو زرعة : صدوقٌ ، مات سنة ٢٣٥هـ .

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري ١٢/١١٨ وأخرجه ابن مردويه ، وأبو الشيخ عن قتادة ، والسيوطي في الدر المنثور ٣/٣٥٠ ومراده بقوله « أهل حروراء » الرافضة الذين يقولون بخلود أهل المعاصي من المؤمنين في نار جهنم ، وانظر تفسير ابن عطية ٧/٤٠٢ .

أبداً[1] ، ثم قال : ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ فخاطبهم على ما يعرفون من الاستثناء ، وردَّ الأمرَ إلى اللهِ جلَّ جلاله ، كما قال تعالى ﴿ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾[2] وقد بَيَّن هذا بقوله ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ قال مجاهد : أي غير مقطوع[3] .

قال أبو جعفر : وذلك معروفٌ في اللغة ، يقال : جَذَذْتُ الشَّيءَ : أي قطعته .

وقد قيل في هذه الآية قول سادس : يكونُ الاستثناء لمُقَامهم في عَرْصَةِ[4] القيامة .

وقال قتادة : تُبدَّل هذه السماءُ وهذه الأرضُ[5] .

فالمعنى : خالدين فيها ما دامت تلمك السماءُ ، وتلك الأرض المبدَّلتان من هاتين[6] .

---

(١) هذا القول هو الذي رجحه الطبري ، وابن كثير ، فكأنه جعل دوام السماء والأرض بمعنى الأبد .

(٢) سورة الفتح آية رقم (٢٧) .

(٣) الأثر في الطبري ١٢/١٢١ وابن كثير ٤/٢٨٢ والبحر المحيط ٥/٢٦٤ قال أبو حيان : أي غير مقطوع ، بل هو ممتدٌّ إلى غير نهاية .

(٤) عَرْصَة أي ساحة وهي البقعة الواسعة ، وفي تهذيب اللغة : سميت ساحة الدار « عَرْصَة » لأن الصِّبْيانَ يعترصون فيها أي يلعبون ويمرحون .

(٥) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٥٠ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وهو قول ابن عباس والسدي أيضاً قال : سماء الجنة ، وأرض الجنة ، وسماء النار ، وأرض النار .

(٦) أحسن ما قيل في الآية ما حكاه ابن عطية في تفسيره المحرر ٧/٤٠١ حيث قال : معنى ﴿ ما دامت السموات والأرض ﴾ عبارة عن التأبيد بما تعهده العرب ، وذلك أن من فصيح كلامها ، إذا أرادت أن تخبر عن تأبيد شيء ، أن تقول : « لا أفعل كذا مدى الدهر ، وما ناح الحَمام ، وما دامت السموات والأرض » ونحو هذا مما يريدون به طولاً من غير نهاية ، فأفهمهم الله تخليد الكفرة بذلك ، وإن كان قد أخبر بزوال السموات والأرض . اهـ.

١٠٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴾ [آية ١٠٩] .

رَوى **سفيان** عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قال : ما كُتِب لهم من خيرٍ أو شرٍّ[١] .

١٠٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ .. ﴾ [آية ١١٠] .

أي بالتأخير إلى يوم القيامة ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ يعني في الدنيا[٢] .

١١٠ ــ وقوله جل ذكره ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ .. ﴾ [آية ١١٣] .

قال عكرمة : أي تودُّوهم وتطيعوهم[٣] .

١١١ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ .. ﴾ [آية ١١٤] .

قال الحسن : طَرَفَا النَّهارِ : الصُّبحُ والعصرُ ﴿ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ﴾ المغربُ والعِشاءُ ، قال النبي ﷺ : « هما زُلْفَتا اللَّيْلِ »[٤] .

---

(١) الأثر عن ابن عباس أخرجه ابن جرير ١٢/١٢٢ وابن الجوزي ٤/١٦٢ والسيوطي في الدر ٣/٣٥١ .

(٢) هذا قول ابن قتيبة قال : لولا نَظِرةٌ لهم إلى يوم الدِّين لقُضي بينهم في الدنيا . اهـ. تفسير ابن الجوزي ٤/١٦٢ قال ابن عطية ٧/٤٠٧ : والكلمة هاهنا عبارة عن الحكم والقضاء .

(٣) الأثر أخرجه أبو الشيخ عن عكرمة ، وانظر الدر المنثور للسيوطي ٣/٣٥١ .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري ١٢/١٢٨ وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الحسن ، وانظر الدر المنثور ٣/٣٥١ .

وروى سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : طرفا النهار : الصبحُ والظهر ، والعصرُ ﴿ وزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ﴾ العِشَاءُ ، والعتمة[1] .

وروى حجّاج عن ابن جريج ، عن مجاهد ﴿ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ﴾ قال : ساعةً من الليل إلى العتمة[2] .

وقول مجاهد الأول أحسن ، لأنه يجتمع به الصلواتُ الخمس[3] .

ولأنَّ ابن عباس قال في قوله تعالى ﴿ إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ يعني الصلوات الخمس .

وروى علقمة والأسود عن عبد الله أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني وجدتُ امرأةً في بستان فقبَّلتُها والتزمتُها ، ونلتُ منها كلَّ شيءٍ إلَّا الجماع ، فافعلْ فيَّ ما شئتَ فأنزل الله جل وعز ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيْ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ فقال معاذ بن جبلٍ : يا رسول الله : أخاصٌّ له ، أم عامٌّ للنَّاسِ ؟ فقال : بل عامٌّ[4] .

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٢/١٢٨ والدر المنثور للسيوطي ٣/٣٥١ .

(٢) الأثر في تفسير ابن الجوزي ٤/١٦٨ والدر المنثور ٣/٣٥١ وهو قول أبي عبيدة في معانيه ١/٣٠٠ قال : أي ساعات ، واحدتها زُلْفة أي ساعة ومنزلة قال العجّاج :

« طيَّ اللَّيالي زُلَفاً فزُلَفا »

(٣) انظر الأثر في الطبري ١٢/١٢٨ وابن كثير ٤/٢٨٤ وقد تقدَّم .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١/٤٤٥ ومسلم في كتاب التوبة ٤/٢١١٦ باب « إنَّ الحسناتِ يُذْهِبنَ السيئات » وفي سنن أبي داود كتاب الحدود ٤/١٦٠ وفي الترمذي « تفسير سورة هود » رقم (٣١١٢) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .. وفي رواية أحمد قال : قبَّلتها ولزمتُها ولم أفعل غير ذلك ، فافعل بي ما شئتَ !! فلم يقل رسول الله ﷺ شيئاً ،

والمعروفُ من قراءة مجاهد : « وزُلْفَى » بضم الزَّاي وبحرفِ التأنيث .

وقرأ ابن محيصن بهذه القراءة إلَّا أنه نوَّنَ في الإدراج . ويُقرأ ﴿ وزُلُفاً من اللَّيلِ ﴾[1] وهو واحد مثل الحُلُمُ ، والقراءة المشهورة ﴿ وزُلَفاً ﴾ وأنشد سيبويه :

طيَّ اللَّيالِي زُلَفاً فزُلَفَا
سَمَاوَةَ الهِلالِ حَتَّى احْقَوْقَفَا[2]

وهو جمع زُلْفَة ، وهو ساعةٌ تقرب من أُخرى ، ومنه الزُّلْفة ، ومنه سميت مزدلفة[3] ، لأنها منزلةٌ تقربُ من عَرَفة .

١١٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ .. ﴾** [آية ١١٦] .

قيل : أولوا طاعةٍ[4] .

= فذهب الرجل ، فقال عمر : لقد ستر الله عليه لو ستر نفسه !! فأتبَعَه رسول الله بصَرَه ، ثم قال : ردُّوه عليَّ ، فردُّوه ، فقرأ عليه الآية ﴿ وأقِمِ الصَّلاة طَرَفَيْ النَّهارِ .. ﴾ إلى آخر الحديث .

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ١/٣٣٠ .

(٢) انظر ديوان العجاج ص ٨٤ ومجاز القرآن لأبي عُبيدة ١/٣٠٠ والمحرر لابن عطية قال في اللسان : أي منزلةً بعد منزلة ، ودرجة بعد درجة ، وسماوة الهلال : شخصه إذا ارتفع عن الأفق شيئاً ، ومعنى « احْقَوْقَفَا » طال واعوجَّ ، وكلُّ ما طال واعوج فقد احقوقف ، كشخص الهلال ، وظهر البعير . اهـ.

(٢) انظر ديوان العجاج ص ٨٤ ومجاز القرآن لأبي عُبيدة ١/٣٠٠ واللسان للصحاح .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٣٠٠ .

(٤) قال القرطبي ٩/١١٣ : أي أصحاب طاعة ودين ، وعقل وبصر . وقال القرطبي ١٢/١٣٨ : أي ذوو بقيَّة من العقل والفهم .

وقيل : أولو تمييزٍ[1] .

وقيل : أولو حظٍّ من اللهِ جل وعز[2] .

١١٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ .. ﴾** [آية ١١٦]

قال مجاهد : من تَملُّكهم ، وتجبُّرهم ، وتركهم الحقَّ[3] .

١١٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً .. ﴾** [آية ١١٨] .

أي على دين واحد .

١١٥ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ .. ﴾** [آية ١١٩] .

قال أبو جعفر : وهذه الآية من المشكل ، وقد قيل فيها أقوال .

روى عبد الكريم الجزري : عن مجاهد أنه قال : وللرحمة خلقهم[4] .

---

(١) ذكره الزجاج في معانيه كما حكاه ابن الجوزي عنه ١٧٠/٤ .

(٢) أظهر الأقوال في معنى الآية ما ذكره الحافظ ابن كثير ٢٩٠/٤ قال والمعنى : فهلَّا وُجِد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ، ينهون عمَّا كان يقع بينهم من الشرور ، والمنكرات ، والفساد في الأرض !!

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٤٠/١٢ والسيوطي في الدر ٣٥٦/٣ ولفظه « في ملكهم ، وتجبُّرهم ، وترك الحق » . وقال في البحر ٢٧٢/٥ : أي اتَّبعوا ما نُعِّموا به ، من حبِّ الرياسة ، والثروة ، وطلب العيش الهنيء ، وكان ذوي جرائم .

(٤) الأثر في المحرر الوجيز ٤٢٥/٧ وفي البحر ٢٧٣/٥ ولفظه : قال مجاهد وقتادة ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ : ذلك إشارة إلى الرحمة التي تضمنها قوله تعالى ﴿ إلَّا من رحم ربُّك ﴾ والضمير في ﴿ خَلَقَهُمْ ﴾ عائد على المرحومين . اهـ.

وكذلك قال قتادة .

ورُوي عن الحسن فيها أقوال :

منها أنه قال : وللاختلاف خلقهم .

ومنها : أنه يقال : وللرحمة خلقهم .

ومنها أنه قال : خلقهم للجنة والنار ، والشقاءِ والسعادة .

وقيل : هذا القول الذي عليه أهل السنة ، وهو أَبْيَنُها وأجمعها [(١)]

والذي رواه عبد الكريم عن مجاهد ليس بناقض له ، لأنه قد بيَّنه حجَّاج في روايته عن ابن جريج ، عن مجاهد أنه قال في قول الله جل وعز ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ قال : أهل الباطل ﴿ إِلَّا مَنْ

---

(١) هذه الآثار عن السلف كلُّها واردة عنهم ، وقد ذكرها المفسرون : الطبري ١٢/١٤١ وابن كثير ٤/٢٩١ وابن الجوزي ٤/١٧٢ وأبو حيان في البحر المحيط ٥/٢٧٣ وأصحُّ ما قيل في معنى هذه الآية ﴿ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ أي لا يزالون مختلفين عن مِلَل شتَّى ، وأديان متعددة ، من يهودي ، ونصراني ، ومجوسي ، إلا فريقاً هداهم الله ولَطَف بهم ، فاتفقوا على دين الحق ولم يختلفوا ، وهم المؤمنون « ولذلك خلقهم » وهذه اللام تسمى لام الصيرورة أي خلقهم ليصير أمرهم إلى الاختلاف ، فينقسموا إلى سعداء وأشقياءَ ، وتكون عاقبتهم الهداية أو الضلالة ، قال الطبري ١٢/١٤٤ : أي وللاختلاف بالسعادة والشقاء خَلَقهم ، فريقٌ في الجنة ، وفريق في السعير . وقال ابن عطية ٧/٤٢٥ : فإن قيل : كيف خلقهم للاختلاف ؟ وهل الاختلاف هو المقصود بخلقهم ؟ فالجواب أن نقول : إن الله عز وجل خلق خلقاً للسعادة ، وخلقاً للشقاوة ، ثم يسَّر كلاً لما خُلق له ، وهو نص الحديث الصحيح « اعملوا فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلق له » وجعل بعد ذلك الاختلاف على الحق في الدين أمارة الشقاوة ، وبه يتعلق العقاب ، فتكون اللام للصيرورة أي خلقهم ليصير أمرهم إلى ذلك » .

أقول : وكلام ابن عطية كلام نفيسٌ ، وفيه توضيح وتبيين لمعنى الآية الكريمة .

رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ قال : أهلُ الحقِّ ﴿ وَلِـذَٰلِكَ خَلَقَهُـمْ ﴾ قال : للرحمة خَلَقَ أهل الجنة .

قال أبو جعفر : فهذا قولٌ بَيِّنٌ مفسَّرٌ .

ومن قال أيضاً : خلقهم للاختلاف ، فليس بناقضٍ لهذا ، لأنه يذهب إلى أن المعنى : وخلق أهل الباطل للاختلاف .

وأبينُها قولُ الحسن الذي ذكرناه ، ويكون المعنى : ولا يزال أهل الباطل مختلفين في دينهم ، إلا من رحم اللهُ ، وأهلُ الإسلام لا يختلفون في دينهم ، ولذلك خَلَق أهلَ السعادة للسَّعادةِ ، وأهلَ الشقاء للشقاء ، وبيَّن هذا قوله جلَّ وعز ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[1] [آية ١١٩] .

وقيل : التقديرُ : ينهون عن الفساد في الأرض ، ولذلك خَلَقهم[2] .

١١٦ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ .. ﴾ [آية ١٢٠] .

أي نزيدك به تثبيتاً ، كما قال جل ذكره ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ؟ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[3] .

---

(١) ما رجحه المصنف هو قول ابن عباس ، وهو اختيار الطبري ، واختاره الزجاج ، قال : لأن اختلافهم مؤدِّيهم إلى سعادة وشقاوة ، وانظر زاد المسير ١٧٢/٤ .

(٢) ذكره في البحر ٢٧٢/٥ ولم يعزه لقائل ، وهو بعيدٌ ، لأنه قد فصل بين الآيات مقاطع عديدة ، وفيه تكلُّف في الربط بين الآيات ، والله أعلم .

(٣) سورة البقرة آية رقم (٢٦٠) .

١١٧ـ **ثم قال جل وعز ﴿ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ ومَوْعِظَةٌ وذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾** [آية ١٢٠] .

قال أبو موسى : وابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ﴿ في هذه الحقُّ ﴾ : في هذه السورة[1] .

وقال شعبة : سمعتُ قتادة يقول : في هذه الدنيا[2] .

وهذا القولِ حسنٌ ، إلا أنه يُعَارَضُ بأن ذلك يُقال : ـ قد جاءه الحقُّ في هذه السورة وغيرها ـ وإن كان هذا لا يلزم ، لأنه لم يَنْفِ شيئاً ، ألا ترى أنه يقال : فلانٌ في الحق ، إذا جاءه الموت ، ولا يُراد به أنه كان في باطلٍ ، فتكونُ هذه السورة خُصَّت بهذا توكيداً ، لما فيها من القصص والمواعظ[3] .

---

(١) الآثار عن ابن عباس والحسن ومجاهد في الطبري ١٢/١٤٥ وابن الجوزي ٤/١٧٣ والبحر المحيط ٥/٢٧٤ والمعنى جاءك في هذه السورة الحقُّ .

(٢) ذكره الطبري عن قتادة ١٢/١٤٧ وابن الجوزي ٤/١٧٣ قال ابن جرير : « وأولى التأويلين بالصواب ، قولُ من قال : وجاءك في هذه السورة الحقُّ ، لإجماع الحجة على هذا التأويل » أقول : وقد يمكن أن تكون الإشارة إلى القصص والأنباء أي وجاءك يا محمد في هذه الأنباء التي قصَّها الله عليك ، النبأُ اليقيني الصادق ، وما فيه عظة وعبرة للمعتبرين ، وهذا الذي اختاره صاحب البحر ، وقال : هو رأي الجمهور ، وانظر البحر ٥/٢٧٤ .

(٣) هذا دفع لقول قد يَرِدُ اعتراضاً على التفسير ، بيَّنه المصنف وابن جرير ، وخلاصته أن يقال : ألم يجيء النبيَّ الحقُّ إلا في هذه السورة ، حتى يُقال : وجاءك في هذه السورة الحق ؟ قال الطبري : قيل له : بلى قد جاءه الحقُّ فيها كلِّها ، ومعنى الكلام : قد جاءك في هذه السورة الحقُّ مع ما جاءك في سائر سور القرآن ، أو إلى ما جاءك من الحق في سائر سور القرآن ، وليس معناه: وجاءك في هذه السورة الحقُّ دون سائر سور القرآن » . اهـ. جامع البيان للطبري ١٢/١٤٧ .

١١٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴾** [آية ١٢١] .

أي عاملون ما أنتم عليه[١] .

وهـذا تهديـدٌ ووعيـدٌ[٢] ، ألا تَرَى أنَّ بعـده ﴿ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ؟!

تمت سورة هود

• • •

---

(١) العبارة قلقة ، وأوضح منها ما قاله ابن الجوزي ٤/١٧٤ أي اعملوا ما أنتم عاملون فستعلمون عاقبة أمركم . اهـ .

(٢) قال في البحر ٥/٢٧٤ : ﴿ اعْمَلُوا ﴾ صيغة أمر ، ومعناه : التهديد والوعيد ، والخطاب لأهل مكة وغيرهم ، وقوله ﴿ على مكانتكم ﴾ أي جهتكم وحالكم التي أنتم عليها . اهـ. ومعنى الآية : اعملوا على طريقتكم ومنهجكم ، إنا عاملون على طريقتنا ومنهجنا ، سيق الكلام مساق التهديد والوعيد كقوله تعالى ﴿ اعملوا ما شئتم إنَّه بما تعملون بصير ﴾ وقوله تعالى ﴿ وانتظروا إنا منتظرون ﴾ تهديد آخر أي انتظروا ما يحلّ بنا ، إنا منتظرون ما يحلُّ بكم من عذاب الله وسخطه ، والله أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .



تفسير سورة يوسف

مكية وآياتها ١١١ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يوسف وهي مكية[1]

١ ـ **من ذلك قوله جل جلاله وتقدست أسماؤه ﴿ الر ﴾** [آية ١] .

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : أنا الله أرى[2] .

وقد تقدم شرح هذه الحروف[3] .

٢ ـ **وقوله جل وعز ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ ﴾** [آية ١] .

أي هذه تلك الآياتُ[4] ، والتي كنتم توعدون بها في التوراة .

٣ ـ **وقوله جل وعز ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا ﴾** [آية ٢] .

يجوز أن يكون المعنى : إنا أنزلنا القرآن عربياً .

---

(١) سورة يوسف مكية بالإجماع ، وآياتها إحدى عشرة ومائة آية ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ١٧٦/٤ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٧٩/١١ وابن كثير ١٨٢/٤ والسيوطي في الدر المنثور ٣٩٩/٣ .

(٣) انظر أول سورة البقرة ٧٣/١ من هذا التفسير .

(٤) أشار المصنف إلى أن الإشارة بالبعيد عن القريب لمعنى بلاغـيٍّ ، وهـو الإشارة إلى بعـد مرتبتـه في الكمـال وعلـوُّ الشأن ، وكـذلك قال ابـن كثير : إن المعنـى : « هذه آيـات الكتـاب الـواضح الجلي » فأتى « بتلك » عوضاً عن « هذا » للناحية البلاغية .

ويجوز أن يكون المعنى : إنا أنزلنا خبر يوسف ، وهذا أشبه بالمعنى[1] ، لأنه يُروى أنَّ اليهود قالوا : سَلُوه لِمَ انتقلَ آلُ يعقوبَ من الشام إلى مصر ؟ وعن خبر يوسف ؟ فأنزل الله جل وعز هذا بمكة موافقاً لما في التوراة[2] .

وفيه زيادةٌ ليست عندهم ، فكأنَّ هذا النبيَّ ﷺ إذْ أخبرهم ــ ولم يقرأ كتاباً قط ، ولا هو في موضع كتاب ــ بمنزلةِ إحياء عيسى عليه السلام الميِّت[3] .

٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ .. ﴾** [آية ٣] .

أي نبيِّن لك ، والقاصُّ : الذي يأتي بالقِصَّةِ على حقيقتها[4] .

٥ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾** [آية ٣] .

أي بوحينا .

ثم قال : ﴿ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ .

أي : لمن الغافلين عن قصة يوسف ، لأنه لم يَقْرأ كتاباً قبلَ

---

(١) هذا قول الزجاج وابن الأنباري كما في البحر المحيط ٢٧٧/٥ وضعفه ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٣١/٧ . وانظر معاني القرآن للزجاج ٨٧/٣ .

(٢) سبب النزول أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ امتحاناً عن قصة يوسف ، وما حصل مع إخوته من أولاد يعقوب فنزلت السورة الكريمة ، وانظر البحر المحيط ٢٧٧/٥ والدر المنثور للسيوطي ٢/٤ وفيه قصة الحبر اليهودي مفصَّلة ، قال : وأخرجها البيهقي في الدلائل عن ابن عباس .

(٣) يعني أن معجزته ﷺ في الإخبار عن الغيب ، كمعجزة عيسى عليه السلام في إحياء الميت .

(٤) هذا قول الزجاج كما في زاد المسير ١٧٩/٤ .

ذلك ، وإنما عَلِمها بالوحي[1] .

٦ ــ **وقوله جل ذكره ﴿ إذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً ، والشَّمْسَ والقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾** [آية ٤] .

قال قتادة والضحاك وهذا لفظ قتادة : الأحد عشر كوكباً : إخوته ، و « الشمس والقمر » : أبوه وأمه[2] .

قال معمر وقال غير قتادة : أبوه وخالته[3] .

وقال غيره : أوَّلَ « لأحدَ عَشَرَ كوكباً » أحد عشر رجلاً ، يُستضاء بهم كما يُستضاء بالكواكب ، وأوَّلَ القمر أباه ، وأوَّل الشمس أمه أو خالته .

وقال عبد الله بنُ شَدَّاد بن الهاد[4] : كان تفسير رؤيا يوسف ﷺ بعد أربعين سنة ، وذلك منتهى الرؤيا[5] .

---

(١) قال العلماء : وإنما سُميت قصة يوسف أحسن القصص ، لأنها جمعت ذكر قصص الأنبياء والصالحين ، والملائكة والشياطين ، وسيرِ الملوك والمماليك ، وأخبار التجار والعلماء ، والرجال والنساء ، وحيل ومكر النسوة ، وتعبير الرؤيا والسياسة ، والحلم والعز والحُكم ، إلى غير ذلك من العجائب .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٥٢/١٢ والدر المنثور ٤/٤ .

(٣) انظر الطبري ١٥٢/١٢ قال ابن جرير : ورُوي هذا عن ابن عباس من وجه غير محمود ، فكرهتُ ذكره .

(٤) انظر ترجمته في الجرح والتعديل للرازي ٨٠/٥ فقد ذكر عن أبي زُرعة أنه مدنيٌّ ثقة .

(٥) انظر البحر المحيط ٢٨٠/٥ والدر المنثور ٤/٤ .

٧ ــ **وقولـه جل وعـز ﴿ قَالَ يَا بُنَـيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَـاكَ عَلَـى إِخْـوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً .. ﴾** [آية ٥] .

أي فيحتالوا عليك .

٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾** [آية ٦] .

أي يختـارك ، وأصلـه من جَبَـيْتُ الشَّيْءَ : أي حَصَّلْتُـه ، ومنـه جَبَيْتُ الماء في الحوض[1] .

٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ ويُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾** [آية ٦] .

قال مجاهد :أي تأويل الرؤيا[2] .

وقال غيره : أي أخبار الأمم[3] .

١٠ ــ **ثم قال جل ذكره ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾** [آية ٦] .

فأخبره أنـه يكـون نبيًّـا[4] ، لأنـه قال : ﴿ كَمَـا أَتَمَّهَـا عَلَـى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ﴾ .

---

(١) في الصحاح ٢٩٧/٦ : الجِبى بالكسر : الماءُ المجمـوع في الحوض للإبـل ، والجابيـةُ : الحوضُ الذي يُجبى فيه الماء للإبل ، واجتباه : أي اصطفاه . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٥٣/١٢ وابن كثير ٢٩٩/٤ .

(٣) هذا قول الزجاج كما حكاه ابن الجوزي في تفسيره ١٤١/٤ .

(٤) انظر ابـن الجوزي ١٨١/٤ وابـن كثير ٢٩٩/٤ ففيـه : رُوي عن ابـن عبـاس ﴿ ويُتِـمُّ نعمتَـه عليكَ ﴾ بالنبوة .

١١ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾ [آية ٧] .

قيل : بَصِيرَةٌ .

وقيل : أي عِبْرَةٌ[1] .

وروي أنها في بعض المصاحف « عبرةٌ للسائلين »[2] .

١٢ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ [آية ٨] .

أي جماعة .

وقال بعض أهل اللغة : العُصْبَة : العَشَرَةُ إلى الأَرْبَعِينَ[3] .

١٣ ــ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [آية ٨] .

أي ضلَّ في محبة يوسف لا في دينه[4] .

١٤ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً .. ﴾ [آية ٩] .

فيه حذف ، والمعنى : أو اطرحوه أرضاً يبعُدُ فيها عن أبيكم ،

---

(١) ذكر هذه الأقوال القرطبي في جامع الأحكام ١٣٠/٩ .

(٢) في البحر ٢٨٢/٥ أن هذه القراءة في مصحف « أُبَيِّ بن كعب » وليس من القراءات السبع .

(٣) هذا مروي عن ابن عباس وقتادة كما في زاد المسير ١٨٣/٤ وكذلك قال في الصحاح ١٨٢/١ : العصبة من الرجال : ما بين العشرة إلى الأربعين .

(٤) قال القرطبي ١٣١/٩ : لم يريدوا ضلال الدين ، إذْ لو أرادوه لكانوا كفاراً ، بل أرادوا أنه في خطأٍ بيِّنٍ ، في إيثار اثنين على عشرة ، وكذلك قال الزجاج في معانيه ٩٣/٣ .

ودلَّ على هذا الحذف ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ أي يفرُغُ لكم . ﴿ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أي تكونوا من بعد إهلاكه ﴿ قَوْماً صَالِحِينَ ﴾ أي تائبين .

١٥ ــ ثم قال جل وعز ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الجُبِّ ..﴾ [آية ١٠] .

الغَيَابَةُ عند أهل اللغة : كلُّ ما غُيِّبَ عنك[١] ، والجُبُّ : البئرُ التي ليس بمطويَّة .

ويُروى أن الجبَّ هاهنا بئرُ بيتِ المقدس[٢] ، وهي من جَبَبْتُ أي قطعتُ ، كأنها قُطِعت ولم يحدث فيها شيءٌ بعد القطع .

قال الضحاك : الذي قال لهم ﴿ لا تقتلوا يوسف ﴾ هو الذي قال ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾ وهو أكبرهم[٣] .

وقال غيره : هو « يَهُوذَا »[٤] وكان أشدَّهم .

---

(١) في الصحاح ١٩٦/١ : الغيبُ : كل ما غاب عنك ، وغَيَابَةُ الجُبِّ : قَعْرُه ، تقول : وقعنا في غَيْبَةٍ وَغَيَابَةِ الوادي أي في هَبْطَةٍ من الأرض . اهـ . وقال الزجاج : الغَيَابَةُ كلُّ ما غاب عنك أو غيَّب شيئاً عنك .

(٢) هذا قول مروي عن قتادة كما في جامع البيان ١٥٦/١٢ .

(٣) حكاه ابن كثير عن قتادة ٣٠٠/٤ قال : كان أكبرهم واسمه « روبيل » وانظر أيضاً الطبري ١٥٦/١٢ .

(٤) هذا قول السدي كما في تفسير ابن كثير ٣٠٠/٤ وقال مجاهد : هو شمعون .

١٦ ــ وقوله جل وعز ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ ﴾[1] [آية ١٢] .

روى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ، وورقاءُ عن ابن أبي نجيحٍ عن مجاهد قال : أي : نتحافظ ونَتَكَالأُ[2] .

وزاد ابنُ أبي نجيح في روايته : ونتحارس .

قال هارون : سألت أبا عمرو بن العلاء رحمه الله : كيف قالوا : « وَنَلْعَبُ » وهم أنبياء ، فقال : لم يكونوا يومئذٍ أنبياء[3] .

ومن قرأ « يرتعْ ويلعبْ » بالياء ، فمعناه عندي : يرعى الإبل ، يُقال : رعى وارتعى بمعنى واحد[4] ، وهذه قراءة أهل المدينة .

ورُوي عن مجاهد ﴿ نَرْتِع ﴾ بالنون وكسر التاء ، يُقال : أرتع صاحِبَهُ وإبلَهُ فرتعت : أي أقامت في المرتع ، والله أعلم بما أراد .

وقرأ أهل الكوفة ﴿ يَرْتَعْ ويَلْعَبْ ﴾ بإسكان العين ، ومعناه : يتَّسعُ في الخِصب ويأكلُ ، ويُقال : رتعتِ الإبلُ : إذا رعتْ كيف شاءت ، وكذا غيرها ، وأرعيتُها : تركتها ترعى[5] . ويقال : فلانٌ راتعٌ أي مُخْصِب ومنه :

---

(١) هذه قراءة أبي عمرو ، وابن عامر بالنون فيهما ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي « يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ » بالياء فيهما وقرأ ابن كثير « نرتع ونلعبْ » بكسر العين ، وجميعُها من القراءات السبع المتواترة ، كما في السبعة لابن مجاهد ص ٣٤٥ .

(٢) انظر الأثر عن مجاهد في جامع البيان للطبري ١٥٩/١٢ والسيوطي في الدر ١٠/٤ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٣٠٠/٤ فقد ذكر أنه لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف ، وهذا هو الأظهر والله أعلم .

(٤) هذا قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٣٠٣/١ .

(٥) انظر البحر المحيط ٢٨٥/٥ وزاد المسير لابن الجوزي ١٨٧/٤ .

تَرْتَـعُ ما غَفَـلَتْ حَتَّـى إذَ ادَّكَـــرتْ

فَإنَّمَـــا هِيَ إقْبَـــالٌ وإدْبَـــــارُ[1]

وكذا معنى (نَرْتَعْ) بفتح النون وإسكان العين ، وهـي قراءة أبي عَمْرٍو وأهل مكة .

وَرَوى سعيد عن قتادة قال : ﴿ نَرْتَعْ ﴾ نَنْشَط ونلهـو[2]» وهـو كمعنى الأول .

وأما حجَّةُ أبي عمرو أنهم لم يكونوا يومئذٍ أنبياء ، فلا يُحتـاج إلى ذلك ، لأنه ليس باللعب الصَّادِّ عن ذكر الله جل وعز[3] .

وقال النبي ﷺ : « ألَا بكراً تلاعبُها وتلاعبُكَ »[4] ؟!

١٧ ــ وقوله جل وعز ﴿ وأَوْحَيْنَـا إلَيْـهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُـمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾آية ١٥] .

يجوز أن يكون المعنى : وأوحينـا إليـه في الجبِّ وهـم لا يشعـرون

---

(١) البيت للخنساء من قصيدة ترثي بها أخاها صخراً ، وقد تقدَّم فيما سبق هذا الشاهد .

(٢) الأثر في الطبري ١٥٩/١٢ وأخرجه السيوطي في الدر ٩/٤ عن ابن عباس .

(٣) قال في البحر ٢٨٥/٥ : اللعبُ هنا هو الاستباقُ والانتضالُ ، للتدرب على قتال العدو ، سمَّـوه لعباً لأنه بصورة اللعب ، ولم يكن ذلك للَّهو ، بدليل قولهم ﴿ إنا ذهبنا نستبق ﴾ ولو كان لعب لهوٍ ما أقرَّهم عليه يعقوب عليه السلام .

(٤) هذا طرف من حديث رواه مسلـم ١٠٨٧/٢ ولفظـه : عن جابـر بن عبـد الله قال : « تزوَّجت امـرأةً ثيِّبـاً ، فقـال لي رسول الله ﷺ : يا جابرُ ، تزوَّجتَ ؟ قلتُ : نعم ، قال : فبكـــرٌ أم ثيِّبٌ ؟ قلتُ : بل ثيِّب يا رسول الله ، قال : فهـلَّا جاريـــةً تلاعبها وتلاعـبُك ، وتضاحكهـــا وتضاحكك ؟! .. » الحديث .

بذلك الوحي ، هذا قولُ قتادة[1] .

ويجوز أن يكون المعنى : لتخبرنَّهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون[2] .

١٨ ــ **وقوله جل ذكره ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴾** [آية ١٧] .

أي ننتضِل[3] .

والمعنى : نَسْتَبِقُ في الرَّمي .

١٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾** [آية ١٧] .

أي قد اتهمتنا ووقع بقلبك أنَّا لا نَصْدُقُ ، فأنتَ لا تُصدِّقُنا .

٢٠ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ .. ﴾** [آية ١٨] .

رَوى إسرائيل عن سِمَاك بن حرب ، عن عِكْرَمة عن ابنِ عبَّاس قال : كان دم سَخْلَةٍ[4] .

وروى سفيان عن سِمَاك عن عكرمة عن ابن عباس قال :

---

(١) الأثر في الطبري ١٦١/١٢ وجامع الأحكام للقرطبي ١٤٢/٩ قال : وهو قول الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك .

(٢) هذا القول مرويٌّ عن مجاهد ، واختاره ابن جرير ١٦١/١٢ وذكره في الدر ٩/٤ .

(٣) حكاه ابن الجوزي عن ابن عباس ١٩١/٤ قال : ومعناه : يسابق بعضنا بعضاً في الرمي ، وقيل : تستبق على الأقدام ، قاله السدِّي ، ورجح ابن جرير ١٦٢/١٢ القول الأول .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ١٦٣/١٢ وابن كثير ٣٠٣/٤ والسَّخلة : الصغيرة من أولاد الغنم ساعة تضعها أمهاتها ، من الضأن والمعز ، وانظر تهذيب اللغة مادة سخل .

« لَمَّا نظر إليه قال : كَذَبتُم ، لو أُكَلَه الذئبُ لخَرَّقَ القميص »[1]

وقال الحسن : لما نظر إلى الدم ولم يرَ في القميص شَقًّا ، ولا خَرْقاً ، قال : ما عهد بالذئب حليماً[2] .

والمعنى : بدمٍ ذي كذب ، أي مكذوب فيه[3] .

٢١ ـ ثم قال جل وعز ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً .. ﴾ [آية ١٨] .

أي زَيَّنَت .

٢٢ ـ ثم قال جل وعز ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [آية ١٨] .

ويُروى أن النبي ﷺ سئل عن الصبر الجميل فقال : « هو الذي لا شكوى معه »[4] .

والمعنى عند أهل النظر : الذي لا شكوى معه بغير رضًى بقضاء الله ، فإذا كانت الشكوى إلى الله جلَّ وعز كما قال ﴿ إنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾[5] و ﴿ إنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إلى اللهِ ﴾[6] أو

---

(١) الأثر في الطبري ١٦٤/١٢ والقرطبي ١٤٩/٩ .

(٢) حكاه الطبري عن الحسن البصري ١٦٤/١٢ ولفظه : جعل يُقلِّب القميص ويقول : ما عهدت الذئب حليماً ، أكل ابني ولم يُخرِّق قميصه !!

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي ١٩٢/٤ وهو على هذا القول للمبالغة ، جُعِل المصدر مكان المفعول

(٤) هذا حديث مرسل ، رواه « حِبَان بن أبي جَبَلة » عن رسول الله ﷺ ، و « حِبان » بكسر الحاء كما هو في كتاب الجرح والتعديل للرازي ٢٦٩/٣ تابعي ، ذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ١٢٢هـ فروايته مرسلة ، وانظر التهذيب ١٧١/٢ .

(٥) سورة الأنبياء آية رقم (٨٣) وهذه من دعوات أيوب عليه السلام ﴿ وأَيُّوب إذ نادى ربَّه إني مَسَّنِي الضرُّ وأنت أرحم الراحمين ﴾ .

(٦) سورة يوسف آية رقم (٨٦) وهذه من دعوات يعقوب عليه السلام .

كانت برضًى فصاحبها صابرٌ ، كما قال النبيُّ ﷺ في عِلَّتِهِ « بل أنا وَارَأْسَاهُ »[1] .

٢٣ ــ **وقوله جلَّ وعز** ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ [آية ١٩] .

أي قوم يسيرون .

﴿ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ﴾ وهو الذي يَرِدُ لاستقـاءِ الماءِ .

﴿ فَأَدْلَى دَلْوَهُ ﴾ .

قال الأصمعي : يقال : أدليتُ الدَّلْوَ إذا أرسلتَها ، ودلوتُها إذا استقيتَ[2] .

٢٤ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ قَالَ يَا بُشْرَايَ هَذَا غُلَامٌ .. ﴾ [آية ١٩] .

قال السُّدي والأعمش : كان اسمه بُشْرى[3] .

وقال غيرهما: المعنى : يا أيتها البشرى .

قال أبو جعفر : وهذا القولُ الصحيح ، لأن أكثر القراء يقرأ ﴿ يَا بُشْرَايَ هَذَا غُلَامٌ ﴾[4] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الطب ١٥٥/٧ أن عائشة قالت : وارأساه ، فقال النبي ﷺ : بل أنا وارَأْسَاهُ .. » وذكر تتمته .

(٢) قال الزجاج : يُقال : أدليتُ الدَّلْوَ : إذا أرسلتها لتملأها ، ودلوتُها : إذا أخرجتها ، وانظر زاد المسير ١٩٤/٤ .

(٣) ذكره الطبري عن السدي ١٦٧/١٢ وهو قول ضعيف ، والصحيح أنه ينادي البُشرى كما هو المشهورة ، وهذه هي أساليب العرب في التخاطب كما يقول القائل : يا صبرُ ، ويا موتُ .

(٤) هذه قراءة ابن كثير ونافع ، وقرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي ﴿ يَا بُشْرَى ﴾ بالقصر ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٤٧ والنشر ٢٩٣/٢ .

والمعنى في نداءِ البشرى التنبيه لمن حَضَر ، وهو أوكد من قولك : تَبَشَّرْتُ ، كما تقول : يَا عَجَبَاهُ ، أي يا عجبُ هذا من أيامك ، أو من آياتِكَ فاحضُر[1] ، وهذا مذهب سيبويه .

٢٥ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً .. ﴾** [آية ١٩] .

رَوى **حجَّاج** عن ابن جريج عن مجاهد قال : ﴿ أسرُّوهُ ﴾ : المُدْلِي ، ومن معه من التجار الباقين ، لِئلا يستشركوهم فيه إذا عرفوا ثمنه ، وقالوا : إنما استبضعناه[2] .

وروى **معمرٌ** عن قتادة قال : أسرُّوا بيعه[3] ، والمعنى على هذا للأخوة ، كما رُوي أنَّه لمَّا وُجِدَ ، أظهرَ إخوتُهُ أنه بضاعة لأصحاب الماء .

٢٦ ـ **وقوله جل ثناؤه ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾** [آية ٢٠] .

أي ذي بَخْسٍ ، والبَخْسُ : النقصان .

وقال الشعبيُّ : البخسُ : القليل ، والمعدودة : عشرون

---

(١) قال في البحر ٥/٢٩٠ : قاله على سبيل السرور والفرح بيوسف ، إذ رأى أحسن ما خلق الله ، وأضاف البشرى إلى نفسه فكأنه قال : تعالَيْ فهذا من أوانك . اهـ .

(٢) انظر الطبري ١٢/١٦٩ والقرطبي ٩/١٥٤ والدر المنثور ٤/١١ .

(٣) انظر البحر المحيط ٥/٢٩٠ وتفسير ابن كثير ٤/٣٠٤ .

درهماً[1] .

وقال قتادة : ﴿ بخسٍ ﴾ أي ظلم[2] .

وقال الضحاك : ﴿ بخسٍ ﴾ أي حرام[3] .

وروي عن ابن عباس وابن مسعود ونَوْفٍ أنهم قالوا : اشتروه بعشرين درهماً[4] .

وقال مجاهد : وشروه : أي باعوه حين أخرجه المُدلي ، وكانوا باعوه باثنين وعشرين درهماً ، وهم أحد عشر[5] .

٢٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ .. ﴾** [آية ٢٠] .

قال الفراء : إنما قال : معدودة ، ليدل على قِلَّتها ، لأنهم كانوا لا يزِنون إلَّا أوقيَّةً ، والأُوْقِيَّة : أربعون درهماً[6] .

٢٨ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾** [آية ٢٠] .

قال أبو عبيدة : قال بعض المفسرين : إنما زهدوا فيه لقلة علمهم بمنزلته من الله جل وعز[7] .

٢٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾** [آية ٢١] .

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) و (٥) انظر جميع هذه الآثار في الطبري ١٧١/١٢ وابن الجوزي ١٩٦/٤ والبحر المحيط ٢٩١/٥ .

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ٤٠/٢ .

(٧) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٥٧/٩ وابن الجوزي ١٩٧/٤ وعزاه إلى الضحاك وابن جريج .

أي مقامه ، والمعنى : أكرميه وقت مثواه ، ومنه : ثَويتُ في المكان : إذا أقمتَ فيه[1] كما قال الشاعر :

« رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ منهُ الثَّوَاءُ »[2]

٣٠ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ عَسَى أنْ يَنْفَعَنَا أوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً ﴾** [آية ٢١] .

أي نتبنَّاه .

وروى سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : « أفرسُ الناس ثلاثة : العزيزُ حين قال لامرأته ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أنْ يَنْفَعَنَا ﴾ ، وابنةُ شعيب حين قالت لأبيها ﴿ إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينِ ﴾[3] وأبو بكر حين ولَّى عمر[4] .

٣١ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ .. ﴾** [آية ٢٢] .

قيل : الأشدُّ : ثلاثٌ وثلاثون سنة[5] .

وقيل : ثلاثون .

---

(١) في الصحاح ٢٩٦/٦ : ثَوَى بالمكان : أقامَ به ، يثوي ، ثَوَاءً مثلُ مَضَى ، يمضي ، مَضَاءً ، وأثويتُ بالمكان لغةٌ في ثويت .

(٢) هذا عجز من بيت من الخفيف للحارث بن حِلزَّة ، وهو في شرح السبع الطوال لابن الأنباري ص ٤٣٢ مطلع قصيدة :

آذنَتْنَا ببينها أسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ منه الثَّوَاءُ

(٣) سورة القصص آية رقم (٢٦) .

(٤) الأثر عن ابن مسعود في الطبري ١٧٥/١٢ وابن كثير ٣٠٦/٤ والدر المنثور ١١/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن أبي شيبة ، والطبراني ، والحاكم وصححه عن ابن مسعود .

(٥) هذا قول ابن عباس كما في الدر المنثور ١٢/٤ ورواه الطبراني عنه في الأوسط .

والأكثر أنه من تسعَ عَشرةَ سنةً إلى أربعين[1] .

وقال **ربيعة** وزيد بن أسلم ومالك : الأشَدُّ : الحُلُمُ[2] .

وسيبويه يذهب إلى أنه جمع شِدَّة ، مِثْل : نِعْمَة ، وأَنْعُم[3] .

٣٢ ــ ثم قال جل وعز ﴿ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً .. ﴾ [آية ٢٢] .

والفرق بين « الحكيم » و « العالم » أن الحكيم هو الذي يعمل بعلمِهِ ، ويمتنع من الأشياء القبيحة ، ومنه قيل : حَكَمَةُ الدابة[4] .

٣٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ .. ﴾ [آية ٢٣] .

معنى رَاوَدَ فلانٌ فلانةً طَالَبَهَا على الفاحشة ، وتُرِكَ ذكرُ الفاحشةِ لعلمِ السَّامِعِ[5] .

٣٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ وقَالَتْ : هَيْتَ لَكَ ﴾ [آية ٢٣] .

---

(١) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٩٩/٣ ولنظر تفسير ابن الجوزي ٢٠٠/٤ .

(٢) انظر تفسير ابن الجوزي ٢٠٠/٤ وابن كثير ٣٠٦/٤ والدر المنثور ١٢/٤ .

(٣) حكاه القرطبي عن سيبويه ١٦١/٩ وقال الكسائي : واحده شَدٌّ ، وأما أبو عُبيدة فقد ذهب في كتابه مجاز القرآن ٣٠٥/١ إلى أنه ليس له واحدٌ في لفظه ، ومعناه : بلغ منتهى شبابه وقوته . وقال الطبري ١٧٦/١٢ : هو جمعٌ مثل الأَضُرِّ ، لم يُسمع له بواحدٍ من لفظه ، ويجب في القياس أن يكون واحدُه شَدٌّ . اهـ.

(٤) انظر الصحاح للجوهري مادة حكم .

(٥) قال أهل اللغة : المراودة : الطلب برفق ولين ، مأخوذةٌ من راد يَرودُ إذا جاء وذهب ، ومنه الرائدُ لطلب الكَلأ ، يُقال في الرجل : راودها عن نفسها ، وفي المرأة : راودته عن نفسه ، قال في البحر ٢٩٣/٥ : كنّى به عن طلب النكاح والمخادعة لأجله .

قال سعيد بن جبير : أي تعالَهْ .

ورُوي عن عبد الله بن مسعود أنه قال : لا تَنَطَّعوا في القرآن ، فإنما هو مثل قول أحدكم : هُلُمَّ ، وتعالَ ، ثم قرأ عبد الله ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ بفتح الهاء والتاء[1] .

ورُوي عن مجاهد وعكرمة أنهما قرءا ﴿ وَقَالَتْ هِئْتُ لَكَ ﴾ بالهمز[2] .

قال قتادة : قرأ ابن عباس ﴿ هِئْتُ لَكَ ﴾ .

قال عكرمة : أي تهيَّأْتُ لك[3] .

وأنكر الكسائي هذه القراءة وقال : لا أعرف (هِئْتُ لَكَ) بمعنى تهيَّأتُ ، وهي عند البصريين جيدة ، لأنه يقال : هاءَ الرجلُ يَهَاءُ ، ويهيءُ هَيْأَةً ، فَهَاءَ يَهِيءُ ، مثل جَاءَ يَجِيءُ ، وهِئْتُ مثل جِئْتُ[4] .

٣٥ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي** .. ﴾ [آية ٢٣] .

يجوز أن يكون المعنى : إنَّ الله ربي فلا أعصيه .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٨١/١٢ وابن كثير ٣٠٨/٤ بألفاظٍ متقاربة .

(٢) و(٣) عدَّهما ابن جني في المحتسب ٣٣٧/١ من القراءات الشاذة ، وذكر ابن مجاهد في السبعة (٣٤٧) أنها رواية هشام عن ابن عامر ، بمعنى : تهيأتُ لك ، والله أعلم .

(٤) انظر البحر المحيط ٢٩٤/٥ وتفسير ابن الجوزي ٢٠١/٤ قال الزجاج في معانيه ١٠٠/٣ هو على هذه القراءة من الهيئة كأنها قالت : تهيَّأتُ لك ، وانظر أيضاً مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٠٥/١ .

ويجوز أن يكون المعنى : إنَّ المَلِكَ ربِّي ، أي مولايَ[1] .

٣٦ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ .. ﴾ [آية ٢٤] .

قال أبو جعفر : الذي عليه أهل الحديث والمتقدمون أنه همَّ بها حتَّى مُثِّل له يعقوب ﷺ[2] .

حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال نا داود بن عمرو الضَّبِّي عن نافع[3] ــ وهو ابن عمر الجُمْحِي ــ عن ابن أبي مُلَيْكَةَ قال : سُئِل ابن عباس رحمه الله : ما بَلَغ من هُموم يوسف ؟ فقال : جلس يحِل هِمْيَاناً[4] له فنودي يا يوسف : لا تَكُ كالطائر يزني وعليه الريش ،

---

(١) هذا قول مجاهد ، والسدي ، وابن إسحاق ، واختاره ابن جرير ١٨٢/١٢ والمعنى على هذا القول : إن زوجك هو سيدي الذي أحسن منزلتي ، وأكرمني ، وائتمنني ، فكيف أخونه وأسيء إليه في أهله ؟

(٢) ما ذكره المصنف عن أهل الحديث من إثبات الهمِّ ليوسف عليه السلام ، حتى تمثَّل له يعقوب غير صحيح ، فإن آراء بعض السلف معارضة بالنصوص الصريحة التي تدل على عصمته عليه السلام ، وقد ذكرنا في كتابنا « النبوة والأنبياء » عشرة وجوه تدل على عفته ونزاهته عليه السلام ، منها تفضيله السجن على فعل الفاحشة ، ومنها هربه منها حتى شقَّت ثوبه ، ومنها ثناء الله عليه بقوله ﴿ إنه من عبادنا المُخْلَصين ﴾ أي الذين أخلصهم الله لطاعته وعبادته ، واختارهم لوحيه ورسالته ، ومنها إقرار امرأة العزيز بقولها ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ أي امتنع امتناعاً شديداً .. إلى آخر تلك الوجوه التي دلت عليها الآيات الكريمة ، وانظر ما قاله أبو حيان في البحر ٢٩٥/٥ .

(٣) قال في التهذيب ٤٠٩/١٠ : هو نافع بن عمر بن عبد الله الجمحي ، الحافظ المكي توفي سنة ١٦٩هـ ذكره ابن حبان في الثقات ، ونبه المصنف بأنه غير نافع مولى عبد الله بن عمر ، فتنبه .

(٤) الهِمْيانُ : هو التِكَّةُ التي يُربط بها السَّروالُ ، ومنه هِمْيان الدراهم ، وانظر الصحاح ٥٣٦/٦ .

فيقعد بلا ريشٍ ، فلم يتَّعِظْ على النداء فرأى برهان ربِّه ففرَّ وفَرِقَ[١] .

وفي رواية ابن جريج عن ابن أبي مُليكة قال : سألتُ ابن عباس عمَّا بلغ من هموم يوسف ؟ فذكر نحوه ، إلَّا أنه قال : جلس بين رِجْلَيها ، ورأى يعقوب ﷺ[٢] .

وروى الاعمش عن مجاهد قال : حلَّ سراويله فتمثَّل له يعقوبُ ، فقال له : يا يوسفُ ، فولَّى هارباً[٣] .

وروى سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير قال : مُثِّل له يعقوبُ ، فضَرَبَ صدرَهُ ، فخرجت شهوته من أنامِلِه[٤] .

وروى إسماعيل بن إبراهيم ، عن يونس ، عن الحسن قال : رأى صورةَ يعقوبَ يقول له : يوسفُ ، يوسفُ[٦] .

قال أبو صالح : رأى صورة يعقوب في سقف البيت يقول : يا

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) و (٥) و (٦) هذه الآثار كلها ذكرها المفسرون ، انظر الطبري ١٨٤/١٢ وابن الجوزي ٢٠٨/٤ والبحر المحيط ٢٩٥/٥ وتفسير ابن عطية ٤٩٧/٧ والدر المنثور ١٣/٤ قال أبو حيان ٢٩٥/٥ : « وأما أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصحُّ عن أحدٍ منهم شيء من ذلك ، لأنها أقوال متكاذبة ، يناقضُ بعضُها بعضاً ، مع كونها قادحة في بعض فساق المسلمين ، فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة ، والذي رُوي عن السَّلف ، لا يساعد عليه كلام العرب ، لأنهم قدَّروا جواب « لولا » محذوفاً ولا يدلُّ عليه دليل ، ولا يُحذف الشيء لغير دليل عليه ، وقد نزَّهنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير ، مما لا يليق ذكره ، واقتصرنا على ما دلَّ عليه لسان العرب .. والذي اختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه همٌّ بها البتَّة ، بل هو منفيٌّ عنه ، لوجود رؤية البرهان ، كما تقول : قارفتَ الذنبَ لولا أن عصمك الله ، ولا نقول : إن جواب لولا متقدم عليها — وإن كان لا يمتنع — بل نقول : إن جواب « لولا » محذوف لدلالة ما قبله عليه كما يقول العرب : أنت ظالم إن فعلتَ ، ويقدِّرونه : إن فعلتَ فأنت ظالم . اهـ. بإيجاز .

يوسفُ ، يا يوسفُ .

وقال الضحاك نحواً من هذا . قال أبو عُبيد « القاسم بن سَلّام »[1] : وقد زعم بعض من يتكلم في القرآن برأيه أن يوسف ﷺ لم يهمَّ بها ، يذهبُ إلى أن الكلامَ انقطَعَ عند قوله ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ قال : ثم استأنف فقال : ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ بمعنى : لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها ، واحتجَّ بقوله ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بالغَيْبِ ﴾ وبقوله ﴿ وَاسْتَبَقَا البَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ ﴾ وابنُ عباس ومن دُونه لا يختلفون في أنه همَّ بها ، وهمْ أعلمُ بالله ، وبتأويل كتابه ، وأشدُّ تعظيماً للأنبياء ، من أن يتكلموا فيهم بغير علم[2] .

قال أبو جعفر : وكلامُ أبي عُبيد هذا ، كلامٌ حسنٌ بَيِّنٌ لمن لَمْ يَمِلْ إلى الهوى، والذي ذكر من احتجاجهم بقوله ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي

---

(١) هو القاسم بن سلّام الهَرَوي الخزاعي ، من كبار علماء الحديث والأدب ، له كتاب غريب القرآن ، وغريب الحديث ، توفي سنة ٢٢٤هـ وانظر ترجمته في التهذيب ٣١٥/٧ وابن خلكان ٤١٨/١ وطبقات النحويين ٢١٧ والأعلام للزركلي ١٠/٦ .

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٨٠/٧ وقال : وهذا قولٌ يردُّه لسان العرب ، وأقوال السلف ، وقال الزجاج : ولو كان الكلام « ولهمَّ بها » لكان بعيداً ، فكيف مع سقوط اللّام . اهـ. ولكنَّ أبا حيان في البحر ٢٩٥/٥ ردَّ هذا القول فقال : ليس كما ذُكر ، وهو موجودٌ في لسان العرب ، وقد استدل من ذهب إلى جواز ذلك بقوله تعالى ﴿ إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها ﴾ والتقدير : لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدي به ، وعلى تقدير أن يكون هو نفس الجواب فاللّام ليست بلازمة ،فإنَّ جواب « لولا » إذا كان بصيغة الماضي ، يجوز أن يأتي باللّام ، وبغير اللّام ، تقول : لولا زيد لأكرمتك ، ولولا زيدٌ أكرمتك ، فمن ذهب إلى أن « وهمَّ بها » هو نفس الجواب لم يُبْعِد . اهـ.

لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ ﴾ لا يلزمُ ، لأنه لم يواقع المعصية .

وأيضاً فإنه قد صحَّ في الحديث أن جبريل ﷺ قال له حين قال : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ ﴾ : ولا حين هَمَمْتَ ؟ فقال : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾[1] .

وكذلك احتجاجهم بقوله ﴿ وَاسْتَبَقَا البَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ ﴾ لا يلزم ، لأنه يجوز أن يكون هذا بعد الهُمُوم .

وقال الحسن : إنَّ اللهَ جلَّ وعز ، لم يذكر معاصي الأنبياء ليعيِّرهم بها ، ولكنَّه ذكرها لئلا تيأسُوا من التوبة[2] .

وقيل : معنى ﴿ وَهَمَّ ﴾ أنه شيءٌ يخطر على القلب ، كما قال النبي ﷺ « من هَمَّ بسيئةٍ ثم لم يعملْها لم تكتب عليه »[3] ، فهذا مما يخطر بالقلب ، ولو همَّ بها على أنه يواقعها لكان ذلك عظيماً .

وفي الحديث : « إني لأستغفر الله جلَّ وعزَّ في اليوم والليلة مائة

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٣/١ ولفظه : « ولا يوم هممتَ بما هَمَمتَ ؟ » وأخرجه ابن الجوزي ٢٤١/٤ وقال : رواه عكرمة عن ابن عباس ، وبه قال الأكثرون ، وانظر أيضاً الدر المنثور ٢٤/٤ . والصحيح ما ذكرناه أنه لم يقع من يوسف همٌّ على المعصية ، وإنما هي خطرات نفس ، كما أن المؤمن الصائم يخطر له في رمضان ، وهو يرى الماء البارد ، وقد اشتد به العطش أن يشرب منه ، ولكن إيمانه وخوفه من الله يمنعه من ذلك ، وهذه الخطرات لا تكدِّر صفاء الإيمان ، ولا تجرح فؤاد العصمة ، والله أعلم .

(٢) الأثر أخرجه ابن الجوزي في تفسيره ٢٠٧/٤ وانظر السيوطي في الدر المنثور ١٣/٤ .

(٣) هذا طرف من حديث رواه البخاري ١٧٧/٩ في كتاب التوحيد ، ومسلم في كتاب الإيمان ١١٧/١ ولفظ مسلم (.. وإذا همَّ بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه ، فإن عملها كتبتُها سيئة واحدة) وهو من الأحاديث القدسية .

مرَّة »[1] .

قال أبو جعفر : وقد بيَّنا قولَ من يُرجَعُ إلى قوله من أهل الحديث والروايات .

وأهلُ اللغةِ المحققون على قولهم .

قال أبو إسحاق : يبعد أن يقال : ضربتك لولا زيدٌ ، وهممتُ بك لولا زيدٌ ، وإنَّما الكلام لولا زيدٌ لهممتُ بك ، فلو كان « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ » ،«ولَهَمَّ بِهَا لولا أن رأى برهان ربه » لجاز على بُعدٍ ، وإنَّما المعنى : لولا أن رأى برهان ربه لأمضى ما همَّ به[2] .

وقال بعض أهل اللغة : المعنى : وهمَّ بدفعها[3] .

٣٧ ــ وقوله جلَّ جلاله ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ والفَحْشَاءَ .. ﴾ [آية ٢٤] .

السُّوءُ : خيانةُ صاحبه ، والفحشاءُ : ركوبُ الفاحشة .

حدثنا أحمد بن محمد الأزدي قال : نا محمد بن إبراهيم بن جَنَّاد[4] قال : نا الحسن بن عبد العزيز الجَرَوِي[5] قال : حدثني أبو مروانَ ــ وأثنى عليه خيراً ــ قال : حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٧٥/٤ رقم (٢٧٠٢) ولفظُه : « إنه ليُغان على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » وفي رواية للبخاري والترمذي « والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة » صحيح البخاري ٨٣/٥ .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ١٠١/٣ وزاد المسير لابن الجوزي ٢٠٧/٤ .

(٣) هذا قول ابن الأنباري كا في تفسير ابن الجوزي ٢٠٧/٤ وضعَّفه ابن عطية في المحرر ٤٧٧/٧ .

(٤) في تكملة الإكمال لابن نقطة ١١/٢ : هو محمد بن إبراهيم بن يحيى بن إسحاق بن جنَّاد المنقري ، عدل ثقة مأمون توفي سنة ٢٧٦هـ .

(٥) قال في التهذيب ٢٩١/٢ : الجَرَوِيّ : بفتح الجيم والراء ، هو أبو علي المصري نزيل بغداد ، =

جابر في قول الله جل وعز ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالفَحْشَاء ﴾ قال : السُّوءُ : الثناءُ القبيح ، والفحشاءُ : الزِّنا[1] .

٣٨ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ وَاسْتَبَقَا الباب .. ﴾** [آية ٢٥] .

قال قتادة : يعني يوسف وامرأة العزيز[2] .

٣٩ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ وأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى البَابِ .. ﴾** [آية ٢٥] .

أي صادفاه ، فحضَرَهَا عند ذلك كيدٌ فقالَتْ ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

٤٠ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا .. ﴾** [آية ٢٦] .

قال أبو هريرة : تكلَّم ثلاثة في المهد : صاحبُ يوسف ، وعيسى ﷺ ، وصاحب جريج[3] .

وروى **شَرِيك** عن أبي حصين عن سعيد بن جبير قال : كان صبيًّا في البيت[4] ـــ أو قال في المهد ـــ شكَّ شريكٌ .

= وجدُّه عديٌّ صحبةٌ ، ثقة توفي سنة ٢٥٧هـ قال الدارقطني : لم يُرَ مثلهُ فضلاً وزُهداً ، وقال الحاكم : كان من أعيان المحدِّثين الثقات .

(١) الأثر أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عبد الرحمن بن يزيد ، كذا في الدر المنثور للسيوطي ١٤/٤ .

(٢) الأثر في الطبري ١٩٢/١٢ وابن الجوزي ٢١٠/٤ والدر المنثور ١٤/٤ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٩٣/١٢ وابن كثير ٣١٠/٤ والسيوطي في الدر ١٥/٤ وله أصلٌ في البخاري ومسلم بلفظ « لم يتكلم في المهد إلّا ثلاثة : عيسى بن مريم ، وصاحب جريج .. » الحديث وانظر تمامه في جامع الأصول ٣١٠/١٠ وليس فيه صاحب يوسف ، وإنما ذُكر في حديث أخرجه السيوطي في الدر ١٥/٤ وعزاه إلى أحمد ، والبيهقي .

(٤) الأثر في الطبري ١٩٤/١٢ وابن الجوزي ٢١١/٤ وابن كثير ٢١٠/٤ واختاره ابن جرير .

وروى **عليُّ بن الحَكَمِ** عن الضحــاك قال : هو صبــيٌّ في البيت ..

وقـال هلال بن إساف[1] : تكلَّم ثلاثـة في المهـد : أحدهـم صاحب يوسف[2] .

وروى إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عبـاس قال : كان رجلاً ذا لحية[3] .

وقال سفيان عن جابر عن ابن أبي مليكـة عن ابـن عبـاس أنـه قال : كان من خاصة الملك[4] .

وقال عكرمة : لم يكن بصبي ولكن كان رجلاً حكيماً[5] .

وروى سفيان عن منصور عن مجاهد قال : كان رجلاً[6] .

وروى أبو عاصم عن المثنّى عن القـاسم ﴿ وَشَهِـدَ شَاهِـدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ قال : قميصه[7] .

وروى ابن أبي نجيـح عن مجاهـد في قولـه ﴿ وَشَهِـدَ شَاهِـدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ قال : قَدُّ القميصُ : الشاهدُ[8] .

---

(١) في تقـريب التهذيب ٣٢٢/٢ : هِلالُ بن إساف بكسـر الهمـزة ويُقــال : يِسَاف الأشجعــي ، الكوفي ، ثقةٌ ، من الطبقة الثالثة ، أخرج له البخاري تعليقاً وأصحاب السنن .

(٢) و (٣) و (٤) و (٥) الآثار كلهـا في الـطبري ١٩٤/١٢ وتـفسير ابــن الجوزي ٢١١/٤ والــدر المنثور للسيوطي ١٥/٤ .

(٦) انظر الأثر في الدر المنثور ١٥/٤ وزاد المسير ٢١١/٤ .

(٧) و (٨) حكاهما ابن عطية عن مجاهد ٤٨٥/٧ قال : وهذا ضعيف ، لأنه لا يُوصف القميصُ بأنـه من الأهل ، وحكاه أيضاً ابن الجوزي ٢١٢/٤ وقال : فيه ضعف .

والقَدُّ في اللُّغة : القَطْعُ [1] .

٤١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ إنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ .. ﴾** [آية ٢٨] .

المعنـــى : إن قولك ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْـلِكَ سُوءًا ﴾ من كيدكنَّ .

ثم قال ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾ أي لا تُفْشِهِ [2] .

٤٢ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ﴾** [آية ٢٩] .

ويروى أنه كان قليل الغيرة [3] .

٤٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي المَدِينَةِ امْرَأَةُ العَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا .. ﴾** [آية ٣٠] .

وروى معاوية بن أبي صالح ، عن عليٍّ بن أبي طَلْحَة ، عن ابن عباس قال ﴿ شَغَفَهَا ﴾ : غَلَبَهَا [4] .

وروى عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : دخل تحت شَغَافِها [5] .

قال أبو جعفر : والقولان يرجعان إلى شيءٍ واحد ، لأن الشَّغَاف

---

(١) قال أهل اللغة : القدُّ : القطع والشقُّ ، وأكثر استعماله فيما كان طولاً .. البحر ٢٩٧/٥ .

(٢) قال ابن عطية ٤٨٧/٧ : أي اكتمْه ولا تتحدث به .

(٣) ذكره القرطبي ١٧٥/٩ وأبو حيان في البحر ٢٩٨/٥ قال : وتربةُ إقليمه اقتضت هذا ، ويروى أنه كان قليل الغَيْرَة . اهـ.

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١٩٩/١٢ والسيوطي في الدر ١٥/٤ .

(٥) الأثر في الطبري ١٩٨/١٢ وتفسير ابن الجوزي ٢١٤/٤ والدر ١٥/٤ .

حِجابُ القَلْبِ ، فالمعنى : وصل حبُّه إلى شَغَافها ، فغَلَب على قلبها ، قال الشاعر :

وَقَــدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذَلِكَ دَاخِــلٌ
دُخُولَ الشَّغَافِ تَبْتَغِيهِ الأَصَابِعُ[1]

وقد قيل : إن الشُّغَافَ داءٌ[2] ، وأنشد الأصمعي للراجز :

« يَتْبَعُهَا وَهِيَ لَهُ شُغَافُ »[3]

وروي عن أبي رجاء وقتادة أنهما قَرَءا ﴿ قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا ﴾ بالعين ، غير معجمة وبفتحها[4] .

قال أبو جعفر : معناه عند أكثر أهل اللغة : قد ذهب بها كل مذهب ، لأن شَعَفَاتِ الجبالِ أعاليها[5] ، وقد شُعِفَ بذلك شَعْفاً

---

(١) البيت للنابغة الذبياني وهو في ديوانه ٧٩ وفي لسان العرب مادة شغف ، وفي الأمالي للقالي ٢٠٥/١ ومجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٥٨/١ وفي الطبري ١٩٨/١٢ .

(٢) يكون حينئذٍ بالضم مثل السُّعال ، والزُّكام ، لأنه داءٌ يأتي على وزن « فُعَال » قال الأصمعي : الشُّغاف عند العرب : داء يكون تحت الأضلاع في الجانب الأيمن من البطن . هـ. زاد المسير ٢١٤/٤ .

(٣) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٧٦/٩ وابن عطية في المحرر الوجيز ٤٨٩/٧ .

(٤) عدَّها ابن جني في المحتسب ٣٣٩/١ من القراءات الشاذة ، قال والمعنى على هذه القراءة : وصل حُبّه إلى قلبها ، فكاد يحرقه لحدته ، وأصله البعير يُطلى بالقطران فيصل حرارة ذلك إلى قلبه ..

(٥) انظر الصحاح مادة شعف ١٣٨١/٤ فقد قال فيه : الشَّعفَة : رأس الجبل ، والجمع ، شَعَفٌ ، وشِعاف ، وشَعْفَان .

بإسكان العين ، أي أولع به ، إلا أن أبا عبيد أنشد بيت امرىء القيس :

أَيَقْتُلُنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا
كَمَا شَعَفَ المَهْنُوَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي[1]

قال : فشُبِّهت لوعةُ الحبِّ وجَوَاهُ بذلك .

وروي عن الشعبي أنه قال : الشَّغَفُ : حبٌّ ، والشَّعَفُ : جنونٌ[2] .

٤٤ ـ وقوله جل وعز ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ .. ﴾ [آية ٣١] .

يُقال : كيف سَمَّى هذا مكراً ؟ فالجواب فيه : أنها أطلعتْهُنَّ واستكتمتهنَّ ، فأفشين سِرَّها ، فسُمِّي ذلك مكراً[3] .

٤٥ ـ وقوله جل وعز ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكأً .. ﴾ [آية ٣١] .

روى سفيان عن منصور عن مجاهد قال : المتَّكأُ ـ مثقَّلاً ـ

---

(١) البيت لامرىء القيس ، وهو في ديوانه ٢٣٣ ، وفي المحتسب لابن جني ٣٣٩/١ والرواية المشهورة : أيقتلني ، والمهنوءة : الناقة التي تُطلى بالقطران لإصابتها بالجرب ، ومعنى البيت : أيقتلني وقد أحرقتُ فؤادَها بحبي حرقةً تجد فيه كلَّ اللَّذة والمتعة ؟ كما أن الناقة تُطلى بالقطران علاجاً لها من الجرب ، تجد فيه لذَّةً مع حُرقة . وفي المخطوطة « ليقتلني » وهو تصحيف .

(٢) انظر الدر المنثور ١٥/٤ .

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر ٤٩١/٧ وفي البحر ٣٠٢/٥ ومكرهنَّ هو اغتيابهنَّ إياها ، وسوء مقالتهنَّ فيها أن عشقت يوسف عبدها ، وسُمِّي الاغتياب مكراً لأنه حال غيبة وفي خُفية ، كما يُخفي الماكر مكره ، وقيل : كانت استكتمتهنَّ سِرَّها ، فأفشينه عليها .

الطَّعَامُ ، والمَتْكُ ــ مخففة ــ الأُتْرُجُّ[1] .

وروى إسماعيل بن إبراهيم عن أبي رجاء عن الحسن قال : المتَّكأُ : الطعامُ[2] .

وروى معمرٌ عن قتادة قال : المتكأ : الطعام .

وقيل : المتكأ : كلُّ ما اتُّكِئَ عليه عند طعامٍ ، أو شرابٍ ، أو حديث[3] . وهذا هو المعروف عند أهل اللغة[4] ، إلَّا أن الروايات قد صحَّت بذلك .

وحكى القُتبيُّ[5] أنه يقال : اتَّكأْنا عند فلان : أي أكلنا .

وقد قيل إن المَتْك الزُّمَاوَرْد[6] ، وقيل : يقال : بتكَهُ إذا قطعه وشقه فكأنَّ الميم بدلٌ من الباء ، كما يقال : لازم ، ولازب في نظائر له كثيرة[7] .

٤٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ .. ﴾** [آية ٣٢] .

---

(١) و(٢) الآثار في الطبري ٢٠٢/١٢ وابن الجوزي ٢١٦/٤ والدر المنثور ١٦/٤ .

(٣) هذا قول أبي صالح عن ابن عباس ، قال الزجاج : المتَّكأُ : ما يُتَّكأُ عليه لطعام أو شراب أو حديث . اهـ. زاد المسير ٢١٦/٤ .

(٤) قال الجوهري : اتَّكأ على الشيء فهو مُتَّكِئ ، والموضعُ متَّكأ ، ورجلٌ تُكأة كثير الاتّكاء . اهـ. الصحاح ٨٢/١ .

(٥) هو عبد الله بن مسلم بن قُتيبة الدِّينوري ، من أئمة اللغة والأدب ، توفي سنة ٢٧٦هـ ، وانظر ترجمته في وفيات الأعيان ٤٢/٣ .

(٦) الزماورد : الرقاقُ الملفوف باللحم وغيره .

(٧) هذا ما ذكره ابن قتيبة ، وانظر زاد المسير ٢١٧/٤ .

رَوى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : أعظمنه[1] .

قال أبو جعفر : وهـذا هو الصحيـح ، ومـن قال : « حِضْنَ » فقد جاء بما لا يُعرف ، و « حِضْنَ » لا يتعدى[2] .

والمعنى : هالهُنَّ فأعظَمْنَـهُ .

٤٧ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾** [آية ٣١] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : حزّاً بالسكين[3] .

يريد مجاهد أنه ليس قطعاً تَبِينُ منه اليدُ ، إنما هو خَدْشٌ وحَزٌّ ، وذلك معروفٌ أن يُقال إذا خَدَشَ الإنسانُ يدَ صاحبه : قد قَطَعَ يَده .

٤٨ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لله .. ﴾** [آية ٣١] .

قال مجاهد : أي مَعَاذَ اللهِ[4] .

والذي قال حسنٌ ، وأصلُـه من قولك : فلانٌ في حَشَا فلانٍ أي في ناحيتـه ، فإذا قلت « حَاشَا لزيـــدٍ » فمعنـــاه : تنحِيـــةٌ لزيـــدٍ ،

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٠٥/١٢ وابن الجوزي ٢١٨/٤ وابن كثير ٣١١/٤ .

(٢) ردَّ أبو عُبيدة في مجاز القرآن ٣٠٩/١ هذا القول فقال : ومن قال : أكبرنه بمعنى « حِضْنَ » فمن أين ؟ وليس في كلام العرب أكبرن بمعنى حضن ، وكذلك قال ابن جرير : لا يُعرف في اللغة ، وردَّ هذا القول وهو قول عجيب وغريب .

(٣) الأثر في الطبري ٢٠٦/١٢ وابن كثير ٣١١/٤ قال : والمراد حزَزن أيديهن بها .

(٤) الأثر في الطبري ٢٠٨/١٢ وابن الجوزي ٢١٩/٤ والدر المنثور ١٧/٤ .

و ﴿ حَاشَ للهِ ﴾ أي نحّى اللهُ هذا من هذا[1] .

٤٩ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ مَا هَذَا بَشَرَاً إنْ هَذَا إلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾** [آية ٣١] .

وقُرِىءَ « ما هذا بِشِرَىً »[2] أي بمشترى .

والأول أشبهُ ، لأن بعده « إنْ هَذَا إلَّا مَلَكَ كَرِيمٌ » ولأن مثل بِشِرىً يكتب في المصحف بالياء .

٥٠ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ .. ﴾** [آية ٣٢] .

معنى « فاستعصم » : فامتنع[3] .

وقوله جلَّ وعز : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إلَيْهِ .. ﴾ [آية ٣٣] .

رُوي أن الزهري قرأ ﴿ قال ربِّ السَّجْنُ أحبُّ إلَيَّ ﴾[4]

---

(١) قال ابن الجوزي ٢١٨/٤ : هذه الكلمة « حَاشَ للهِ » تستعمل في موضعين : أحدهما : الاستثناء ، والثاني : التبرئةُ من الشرِّ ، والأصل « حاشا » وهي مشتقة من قولك : كنت في حَشَا فلان ، أي في ناحيته ، والحَشَا : الناحية ، وأنشدوا « بأيِّ الحَشَا أمسى الخليطُ المباينُ » . اهـ.

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٣٤٢/١ .

(٣) قال في البحر ٣٠٦/٥ ﴿ فاستعصم ﴾ معناه طلب العصمة وتمسَّك بها ، والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ ، والتحفظ الشديد ، كأنه في عصمة ويجتهد في الاستزادة منها . اهـ .

(٤) هذه القراءة « السَّجْنُ » بفتح السين ذكرها ابن الجزري في النشر ٢٩٥/٢ وابن عطية في المحرر=

ومعناه : أن أُسْجَن أحبُّ إليَّ .

ومن قرأ بالكسر « السِّجْنُ » فمعناه عنده : موضعُ السجن أحبُّ إليَّ مما يدعونني إليه .

٥١ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الجَاهِلِينَ ﴾ [آية ٣٣] .

يُقال : صَبَا إلى اللَّهْوِ صُبُوًّا .

وروى الفراء صَبَاً : إذا مَالَ إليه[١] .

ثم قال تعالى ﴿ فاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ ﴾ [آية ٣٤] .

فحمله على المعنى ، لأن في كلامه معنى الدعاء ، وإن لم يُذْكَرْ دعاءٌ[٢] .

٥٢ ــ وقوله جل وعز ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ ﴾ [آية ٣٥] .

= ٥٠٢/٧ قال ابن عطية : قرأ الجمهور بكسر السين « السِّجن » وهو الاسم ، وقرأ الزهري « السَّجن » بفتح السين ، وهي قراءة عثمان رضي الله عنه وهو المصدرُ ، وهذا كقولك : الجِذْعُ والجَذْعُ .

(١) انظر المحرر الوجيز ٥٠٣/٧ وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٣١١/١ : ﴿ أَصْبُ إليهنَّ ﴾ أي أهواهنَّ وأميلُ إليهن ، قال الشاعر :

إلى هندٍ صَبَا قلبي وهندٌ مثلُها يُصْبي

(٢) قال في البحر ٣٠٧/٥ : لم يتقدم لفظ دعاء ، ولكنَّ قوله ﴿ وإلَّا تصرفْ عني كيدهن ﴾ فيه معنى طلب الدعاء ، كأنه قال : « ربِّ اصرف عني كيدهنَّ » فاستجاب الله دعاءه فصرف عنه كيدهنَّ .

قال مجاهد : يعني قَدَّ القميص[1] .

وقال قتادة : يعني قَدَّ القميص ، وحزَّ الأيدي[2] .

ثم بيَّن الذي بَدَا لهم ، فقال جل وعز : ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾[3] .

٥٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾** [آية ٣٦] .

يجوز أن يكونا شابين ، وأن يكون شيخين ، والعربُ تستعمل هذا[4] .

٥٤ ــ **ثم قال جل ذكره ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً ﴾** [آية ٣٦] .

في هذا أقوال منها :

أن الخمر هاهنا العنب ، ومنها أن المعنى عنبَ خمرٍ[5] ، ومنها أن يكون مثل قولك أن أعصِرُ زَيتاً أي أعصِر ما يؤول أمرُهُ إلى الزيت ، كما قال :

---

(١) و(٢) انظر الأثرين في جامع البيان للطبري ٢١٢/١٢ والدر المنثور ١٨/٤ .

(٣) قال ابن عطية ٥٠٥/٧ : مقصد الكلام أنهم رأوا سجنه ، بعد ظهور الآيات المبرِّئة من التهمة ، فتبيَّن ظلمهم له .

(٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٥٠٧/٧ .

(٥) هذا ما يسمى بالمجاز المرسل أي أعصر عنباً يؤول أمره أن يكون خمراً ، قال الأصمعي : لقيتُ أعرابياً يحمل عنباً في وعاء ، فقلتُ : ما تحملُ ؟ قال : خمراً أراد العنب ، وانظر البحر ٣٠٨/٥ .

الحمـــــد لله العلـــــيِّ المنَّـــــان

صار الثريـــد في رؤوس العيـــــدان

وإنما يعني السنبُـلَ فَسَمَّـاه ثريـداً ، لأن الثريـد منـه ، وهـذا قول حسن .

والأول أبينها ، وأهل التفسير عليه .

حدثنـا أحمد بـن شعيب قال : أخبرني أحمد بن سعيد قال : وهب بن جرير عن أبيه عن علي بن الحكم عن الضحاك في قوله : ﴿ إنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً ﴾ قال : فالخمر العنبُ ، وإنما يسمِّـي أهـلُ عمان العنبَ الخمرَ(1) .

٥٥ ــ **ثم قال تبارك وتعالى ﴿ وَقَالَ الآخَرُ إنِّي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾** [آية ٣٦] .

في هذا قولان :

أحدهما : إنَّا نراك تُحْسِنُ تأويل الرؤيا .

والقول الآخر : يروى عن الضحاك أنه كان يُعينُ المظلومَ ، ويعودُ المريضَ ، وينصرُ الضعيفَ ، ويوسِّع للرجال(2) .

فحَادَ عن جوابهما إلى غير ما سألاه عنه فقال « لا يأتيكما » .

وفي هذا قولان :

(1) انظر جامع البيان ٢١٥/١٢ للطبري فقد ذكر أنها بلغة أهل عمان يسمون العنب خمراً .

(2) الأثر في الطبري ٢١٦/١٢ وفي الدر ١٦/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

أحدهما : أن ابن جريج قال : لم يُرِدْ أن يُعَبِّرُ لهما الرؤيا ، فحاد عن مسئلتهما فلم يتركاه حتى عبَّرها .

وقال غيره : أراد أن يعلمهما أنه نبيٌّ ، وأنه يَعْلَمُها بالغيب[1] فقال : ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكُمَا ﴾ .

ويُروى أن الملك كان إذا أراد قتْلَ إنسان ، وجَّهَ إليه بطعام بعينهِ لا يتجاوزه[2] .

ثم أعلمهما أن ذلك العلم من عند الله ، لا بكهانةٍ ولا تنجيم ، فقال : ﴿ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ .

٥٦ ــ ثم أعلمهما أنه هو مؤمن فقال ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ [آية ٣٧] .

ثم قال بعدُ ﴿ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ﴾ .

روى عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا ﴾ أن جعلنا أنبياء ، ﴿ وَعَلَى النَّاسِ ﴾ أنْ بُعِثْنَا إليهم رُسُلاً[3] .

---

(١) لم يعبر لهم الرؤيا فوراً ، وإنما أراد أن يرشدهما إلى الدين الحقِّ ، قبل أن يجيبهما إلى سؤالهما ، وهذه هي طريقة الأنبياء في الدعوة والإرشاد ، وقدَّم ما يكون معجزةً له من الإخبار بالغيب كبرهانٍ على صدقه .

(٢) قال ابن عطية ٥١٠/٧ : هذا كله لا يقتضيه اللفظ ولا ينهض به إسناد .

(٣) الأثر في الطبري ٢١٨/١٢ وزاد المسير ٢٢٥/٤ والدر ١٩/٤ .

٥٧ ــ ثم دعاهما إلى الإسلام بَعْد ، فقال ﴿ يَا صَاحِبَي السِّجْنِ أأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أم اللهُ الوَاحِدُ القَهَّار ﴾ [آية ٣٩] .

٥٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ يَا صَاحِبَي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً .. ﴾ [آية ٤١] .

أي يكون على شراب المَلِكِ[١] .

قال عبد الله بن مسعود : لمَّا عبَّر لهما الرؤيا قالا : ما رأينا شيئاً ، فقال ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[٢] ..

وقال أبو مجلز : كان أحدهما صادقاً ، والآخر كاذباً ، فقال ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ أي وقع على ما قُلت ، حقاً كانَ أو باطلاً[٣] .

٥٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّه نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ .. ﴾ [آية ٤٢] .

قال مجاهد : عند الملك ، وذلك معروفٌ في اللغة أن يُقال للسيد : ربٌّ . قال الأعشى :

رَبِّي كَرِيمٌ لَا يُكَدِّرُ نِعْمَةً
وَإِذَا تُنُوشِدَ بالمَهَارِقِ أَنْشَدَا[٤]

---

(١) قال الطبري ٢١٩/١٢ : جعلهما صاحبيه لكونهما في السجن معه ، وقوله ﴿ يَسْقِي ربَّه ﴾ يعني سيده ، وهو الملك ، أي يكون صاحب شرابه .

(٢) الأثر في الطبري ٢٢١/١٢ والدر المنثور ٢٠/٤ .

(٣) انظر الطبري ٢٢١/١٢ والبحر المحيط ٣١١/٥ .

(٤) ديوان الأعشى ص ٥٥ وروايته كما في الديوان « وإذا يُناشَد بالمَهَارِق أنشَدَا » والمهارِقُ : =

٦٠ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ .. ﴾** [آية ٤٢] .

قال مجاهد : فأنسى يوسف الشيطان ذكرَ ربِّهِ ، أن يسأله ويتضرع إليه ، حتى قال لأحد الفتيَيْنِ : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ .

وروى إسماعيل بن إبراهيم ، عن يونس عن الحسن ، قال : قال نبي الله ﷺ : « لولا كلمة يوسف : يعني قوله ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ ما لبث في السجن ما لَبِثَ »[1] .

قال ثم يبكي الحسنُ ويقول : نحن ينزل بنا الأمر ، فنشكوا إلى الناس[2] .

٦١ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾** [آية ٤٢] .

روى معمرٌ عن قتادة ، قال : يعني أنه لبث في السجن سبع سنين[3] .

وقال وهب : أقام أيوب في البلاء سبعَ سنينَ ، وأقام يوسف في

= الصحف ، جمع مُهْرَق ، يقول : إن ربي كريم ، إذا ناشده أحد بما في الكتب أجابه ، وإذا سأله أحدٌ أعطاه .

(١) أخرجه السيوطي في الدر ٢٠/٤ وعزاه إلى أحمد في الزهد ، وابن المنذر ، وأخرجه الطبري ٢٢٣/١٢ قال ابن كثير ٣١٧/٤ : وهذا الحديث ضعيف جداً ، لأن سفيان بن وكيع ضعيف ، وقد روي عن الحسن مرسلاً ، وهو أيضاً غير مقبول في هذا الموطن .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٢٢٣/١٢ والدر المنثور للسيوطي ٢٠/٤ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٢٢٤/١٢ والسيوطي في الدر ٢١/٤ عن قتادة بلاغاً ، ولفظه : قال بلغنا أنه لبث في السجن سبع سنين .

السجن سبعَ سنينَ[1] .

قال الفراء : ذكروا أنه لبث سبعاً بعد خمس سنين ، بعد قوله : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ قال : والبِضْعُ : ما دون العَشْر[2] .

قال الأخفش : البضعُ من واحدٍ إلى عشرة[3] .

وقال قتادة : البضعُ يكون بين الثلاث ، والتسْع ، والعشر ، وهو قول الأصمعي[4] .

قال العتبي : قال أبو عُبيدةِ : ليس البضعُ العَقْدَ ، ولا نصف العقد ، نذهب إلى أنه من الواحد إلى الأربعة .

وقال قطرب[5] : البضعُ : ما بين الثلاث إلى التسع .

قال أبو جعفر : قيل أصحُّهما قول الأصمعي لأن داود بن هند روى عن الشعبي أن النبي ﷺ قال لأبي بكر رحمه الله ، حين خَاطَرَ[6] قريشاً في غلبة الروم فارسَ ، فمضَى ستُّ سنين ، وقال أبو

---

(١) الأثر أخرجه أحمد في الزهد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ عن وهب بن منبه ، وانظر الدر ٢١/٤ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٤٦/٢ .

(٣) زاد المسير ٢٢٨/٤ عن الأخفش ، ولم أره في معانيه .

(٤) انظر تفسير ابن الجوزي ٢٢٨/٤ .

(٥) قطرب هو محمد بن المستنير بن أحمد ، الشهير بقطرب ، نحويٌّ عالم بالأدب واللغة ، من أهل البصرة ، توفي سنة ٢٠٦هـ وانظر ترجمته في وفيات الأعيان ٤٩٤/١ وبغية الوعاة ١٠٤ وشذرات الذهب ١٥/٢ .

(٦) خَاطَر : راهن ، والمخاطرة : المراهنة ، وانظر المصباح المنير ١٨٦/١ .

بكـر « سيغلبـون في بضعِ سنيـنَ » فقـال النبـيُّ ﷺ : كمِ البضعُ ؟ فقال : ما بين الثلاث إلى التِّسْعِ ، فخاطرهـم أبـو بكـر وزاد ، فجـاء الخبرُ بعد ذلك أنَّ الرومَ قد غَلَبتْ فارسَ[1] .

٦٢ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَقَالَ المَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ .. ﴾** [آية ٤٣] .

والعجاف التي قد بلغت النهاية في الهزال .

ومعنى عَبَرْتَ الرؤيا : أخرجتها مِنْ حالِ النومِ إلى حالِ اليقظةِ ، مأخوذٌ من العِبْرِ : وهو الشاطئ[2] .

٦٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴾** [آية ٤٤] .

روى معمر عن قتادة : أي أخلاطٌ ، والضِّغْثُ عند أهـل اللغـة كذلك ، يقـال لكـل مختلـطٍ من بقـلٍ ، أو حشيش ، أو غيرهما ضِغْثٌ[3] .

أي هذه الرؤيا مختلطة ليست ببيِّنةٍ .

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير بنحوه ١٥٠/٢ والطبري في جامع البيان ١٧/٢١ والسيوطي في الدر ١٥١/٥ وزاد نسبته للدارقطني في الأفراد ، والطبراني ، وابن مردويه .

(٢) في الصحاح ٧٣٢/٢ : العِبْرة : اسم من الاعتبار ، وعِبْرُ النهر وعُبْرُهُ : شطُّهُ وجانبه . اهـ .

(٣) قال الطبري ٢٢٦/١٢ ﴿ أضغاثُ أحلام ﴾ أي أخلاط رؤيا كاذبة لا حقيقة لها ، والضِّغث أصلُه الحزمة من الحشيش .

٦٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ .. ﴾** [آية ٤٥] .

روى معاوية بن صالح ، عن عليٍّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، وسفيان عن عاصم ، عن أبي رُزَيْنٍ عن ابن عباس ﴿ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ بعد حين[1] .

روى عَفَّان عن همَّامٍ ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه قرأ « وادَّكَرَ بَعْدَ أَمْهٍ »[2] والمعروف من قراءة ابن عباس وعكرمة ﴿ وادَّكَرَ بَعْدَ أَمَةٍ ﴾ .

وفسَّراه : بعد نسيان ، والمعنيان متقاربان ، لأنه ذكر بعد حين ، وبعد نسيان .

٦٥ ــ **ثم قال تعالى ﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ .. ﴾** [آية ٤٥] .

أي أنا أخبركم .

وقرأ الحسن : ﴿ آتِيكُمْ بتأويله ﴾[3] ، وقال : كيف يَنَبِّئُهم العِلْجُ ؟

---

(١) الأثر في الطبري ٢٢٧/١٢ وابن كثير ٣١٨/٤ والدر المنثور ٢١/٤ .

(٢) عدَّها ابن جني في المحتسب ٣٤٤/١ من القراءات الشاذة ، قال : والأَمَهُ : النسيان ، أَمِهَ الرجل يأمَهُ أَمَهاً أي نسيَ . اهـ. وكذلك قال الفراء ٤٧/٢ وانظر زاد المسير ٢٣١/٤ .

(٣) انظر القراءة في البحر المحيط ٣١٤/٥ والمحرر الوجيز ٥٢٣/٧ أقول : ليست من القراءات السبع .

(٤) في الصحاح ٣٣٠/١ العِلْجُ : الواحد من كفار العجم ، والجمعُ علوجٌ ، وأعلاجٌ . اهـ.

قال أبو جعفر : ومعنى « أنبِّئكم » صحيحٌ حسنٌ ، أي أنا أخبركم إذا سألتُ .

٦٦ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَأَرْسِلُونِ . يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ .. ﴾ [آية ٤٦] .

وفي الكلام حذفٌ ، والمعنى : فذهبَ فقال : يا يوسف[1] .

٦٧ ــ وقوله جل وعز ﴿ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٤٦] .

يجوز أن يكون المعنى : لعلَّهم يعلمون تأويل رؤيا الملك .

ويجوز أن يكون لعلهم يعلمون بموضعك فتخرج من السجن[2] .

٦٨ ــ ﴿ قال تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً .. ﴾ [آية ٤٧]

أي تِبَاعاً واعتياداً[3] .

---

(١) قال أبو حيان في البحر ٣١٥/٥ : وفي الكلام حذفُ التقدير : فأرسلون إلى يوسف فأتاه فقال : يوسف أيُّها الصِّدِّيقُ ، وسمَّاه صِدِّيقاً من حيث جرَّب صدقه في غير شيء . اهـ.

(٢) ذكر القولين ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٢٥/٧ واختار الطبري ٢٣٠/١٢ القول الأول .

(٣) في الصحاح ١٢٣/١ : الدَّأْبُ : العادةُ والشأن . اهـ. قال الطبري ٢٣٠/١٢ : أي تزرعون على عادتكم ، والدأبُ : العادةُ .

قال أبو عبيدة : معنى ﴿ تُحْصِنِونَ ﴾ : تُحْرِزُونَ[1] .

٦٩ ــ وقوله جل ذكره ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسَ وفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ آية ٤٩] .

رَوى معاوية بن صالح ، عن عليٍّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال ﴿ يَعْصِرُون ﴾ : العِنَبَ والزَّيتَ[2] .

ويُقْرَأ « تَعْصِرُونَ »[3] و « يَعْصِرُونَ » و « يُعْصَرُونَ »[4] .

وزعم أبو عبيدة أن معنى يعصِرُون ينجون من الـعُصْرِةِ ، والعَصَر ، وهما المنجا[5] ، وأنشد أحمد بن جعفر لأبي زُبَيْدٍ :

صَادِيـاً يَسْتَغِـيثُ غَيْـرَ مُغَـاثٍ
وَلَقَـدْ كَانَ عَصرُهُ المَنْجُـودِ[8]

والمنجودُ : الفَزِعُ .

قال أبو جعفر : والأجود في هذا أن يكون المعنى فيه ما قال

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣١٣/١ وفي ابن الجوزي ٢٣٣/٤ : أي تحرِزون وتدَّخرون .

(٢) و (٥) الأثران في الطبري ٢٣٢/١٢ وابن الجوزي ٢٣٤/٤ .

(٤) القراءاتان بالياء والتاء سبعيتان ، كما في السبعة لابن مجاهد ص ٣٤٩ والقراءة الثالثة شاذة كما في المحتسب ٣٤٤/١ .

(٥) انظر مجاز القرآن ٣١٣/١ لأبي عُبيدة حيث قال : أي به ينجون وهو من العَصْرِ . اهـ. وذكره ابن جني في المحتسب ٣٤٥/١ .

(٦) البيت لأبي زُبَيْد الطائي ، من قصيدة يرثي بها اللجاج ابن أخته ، وهو في اللسان مادة عصر ، ومجاز القرآن ٣١٣/١ والطبري ٢٣٣/١٢ والمحتسب ٣٤٥/١ وزاد المسير ٢٣٥/٤ .

ابن عباس وابن جريج في يعصِرُون .

وأما معنى « تُعْصَرُونَ » فمعناه تُمْطَرُونَ[1] ، من قوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ ماءً ثَجَّاجاً ﴾[2] .

وكذلك معنى « تُعْصِرُون » .

٧٠ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ .. ﴾ [آية ٥٠] .

يروى أن النبي ﷺ تعجَّب من صبره ، وقال : « لو كنتُ مكانه ثم جاء الرسولُ لبادرتُ »[3] .

ثم قال : ﴿ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ .. ﴾ [آية ٥٠] .

---

(١) انظر المحتسب لابن جني ١/٣٤٥

(٢) سورة النبأ آية رقم (١٤) .

(٣) الحديث أخرجه عبد الرزاق عن عكرمة ، ورواه ابن جرير ١٢/٢٣٥ ولفظُه : « لقد عجبتُ من يوسف ، وصبرِه وكرَمه والله يغفر له ، حين سئل عن البقرات العِجَاف والسِّمان ، ولو كنتُ مكانه ما أخبرتهم بشيء حتى أشترط أن يُخرجوني ، ولقد عجبتُ من يوسف صبرِه وكرمِه والله يغفر له ، حين أتاه الرسول ، ولو كنتُ مكانه لبادرتهم البابَ ، ولكنه أراد أن يكون له العذرُ » . اهـ . قال ابن كثير ٤/٣١٩ : وهذا حديث مرسلٌ ، وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أبي هريرة : « .. ولو لبثتُ في السجن ما لبثَ يوسف لأجبتُ الداعي » انظر البخاري ٦/٩٧ ومسلم ١/٩٢ .

ولم يذكر امرأة العزيز فيهن حُسْنَ عشرةٍ منه وأدباً[1] .

٧١ ــ **وقولــه جل وعــز ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُــنَّ إِذْ رَاوَدْتُــنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ .. ﴾** [آية ٥١] .

رَوى إسرائيل عن سِمَاك بن حَرْبٍ ، عن عِكرمة عن ابن عباس ، قال : جَمَعَ فرعونُ النسوةَ فقال لهن : أنتنَّ راودتـنَّ يوسف عن نفسه ؟ فقالت امرأة العزيز ﴿ الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ ، أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ فقال يوسف ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ ﴾ فقال جبريل عليه السلام ــ وغمزه ــ ولا حين هَمَمْتَ ؟ فقال : ﴿ وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾[2] .

---

(١) أي لم يذكر امرأة العزيز أدباً وحياءً ، ومراعاةً لحقِّ سيده عزيز مصر الذي أكرم مثواه .

(٢) هذا جواب لسؤال قد يرد ، وهو أن الكلام قبله من مقالة امرأة العزيز ، فكيف اتصل كلام يوسف به وليس له ذكرٌ سابق ؟ وقد أجاب ابن جرير رحمه الله على ذلك ٢٣٨/١٢ فقال : واتصل قوله تعالى ﴿ ذَلك لِيَعْلم أنّي لم أخُنهُ بالغَيْبِ ﴾ بقول امرأة العزيز ﴿ أنا راودته عن نفسه ﴾ لمعرفة السامعين لمعناه كاتصال قوله تعالى ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ بقول المرأة ﴿ وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾ فقال الله ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ . اهـ. أقول : الصحيح الذي عليه الجمهور أن هذه الآية والتي بعدها ﴿ وما أبرىء نفسي ﴾ من كلام يوسف الصِّدِّيق ، إذ كيف يمكن لامرأة العزيز أن تفخر وتتبجَّح بقولها ﴿ ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ﴾ وقد راودته صراحةً ، وغلَّقت الأبواب ، وتزيَّنت ودعته إلى نفسها بقولها ﴿ هيت لك ﴾ ثم لمَّا انهزم منها لحقته حتى شقَّت ثوبه ، أفلا تكون كل هذه خيانة تنفي أن يكون هذا من كلامها ؟ فالراجح أن الآيتين من كلام يوسف كما ذكر المصنف ، والله أعلم .

قال أبو جعفر : وهذا كلامٌ غامضٌ عند أهل العربية ، لأن كلام يوسف مختلط بما قبله وغير منفصل منه ، ألَا تراه خبَّر عن امرأةِ العزيز أنها قالت ﴿ أَنَا رَاودته عن نفسه وإنــه لمنَ الصادقين ﴾ ؟ ثم اتصل به قول يوسف ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بالغَيْبِ ﴾ .

ونظيره ﴿ إنَّ الملوكَ إذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أعِزَّةَ أهْلِهَا أذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[1] .

قال أ بو جعفر : وفي الآية تأويلٌ آخر .

رَوى حَجَّاج عن ابن جريج قال : قال يوسف ارجعْ إلى ربك ، فاسأله ما بالُ النِّسْوَة الَّلاتي قَطَّعْنَ أيديهنَّ ؟ إنَّ ربي بكيدهنَّ عليم ، ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ ﴾ .

وقال ابن جريج : وهذا من تقديم القرآن وتأخيره .

قال : أراد أن يبيِّن عُذْره ، قبل أن يخرج من السجن ، فهذا على هذا التأويل قاله يوسف في السجن .

وعلى تأويل ابن عباس قاله يوسف بعد ما خرج من السجن ، حين جمعه الملك مع النسوة[2] .

---

(١) سورة النمل آية رقم (٣٤) وانظر تفسير ابن الجوزي ٤/٢٣٨ .

(٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٢٣٩ : واختلفوا أين قال يوسف هذا ؟ على قولين : أحدهما : أنه لمَّا رجع الساقي إلى يوسف ، فأخبره وهو في السجن بجواب امرأة العزيز والنسوة للملك ، قال حينئذٍ ﴿ ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ﴾ رواه أبو صالح عن ابن عباس . والثاني : أنه قاله بعد حضوره مجلس الملك ، رواه عطاء عن ابن عباس . اهـ .

قال أبو جعفر : والتأويلانِ حسنانِ ، والله أعلم بحقيقة ذلك[1].

قال مجاهد وقتادة : معنى ﴿ حَصْحَصَ الحَقُّ ﴾ تبيَّنَ[2] .

قال أبـو إسحـاق : هو مأخـوذ من الـحِصَّة أي بانتْ حِصَّةُ الحقِّ ، من حِصَّةِ الباطِلِ[3] .

٧٢ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ المَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي .. ﴾ [آية ٥٤] .

أي أجعله خالِصاً لنفسي ، لا يَشْركني فيه غيرُه[4] .

٧٣ ــ ثم قال جلَّ ذكره ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [آية ٥٤] .

أي قد تَبينَّا أمانتَك ، وبراءَتَك ممَّا قُرِفْتَ به[5] .

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ ﴾ [آية ٥٥] .

أي على أموالها .

---

(١) انظر البحر المحيط ٣١٧/٥ وجامع الأحكام للقرطبي ٢٠٩/٩ فقد فصَّل فيه البيان فأجاد وأفاد .

(٢) الأثر في الطبري ٢٣٦/١٢ والقرطبي ٢٠٨/٩ قال ومعناه : تبيَّنَ وظهرَ .

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٥٣٥/٧ وجامع الأحكام للقرطبي ٢٠٨/٩ وقد حكاه عن الزجَّاج .

(٤) عبارة الطبري ٤/١٣ ﴿ اسْتَخْلِصْهُ لنفسي ﴾ أي أجعله من خلصائي دون غيري .

(٥) في الصحاح مادة قَرَف : قرفتُ الرجلَ : أي عبتُه ، وفي النهاية ٤٥/٤ : قَرَفه بكذا : أي أضافه واتَّهمه به .

﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ .

أي حافظٌ للأموال ، وأعلمُ المواضعَ التي يجبُ أن أجعلها فيها .

٧٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ .. ﴾** [آية ٥٩] .

قيل : في الكلام حذفٌ[١] ، والمعنى : سألهم عن أمورهم ، فلمَّا خبَّروه وجرى الكلامُ إلى هذا قال : ﴿ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ .

قيل : لأنه أحسنَ ضيافتهم .

٧٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَتِهِ ﴾** [آية ٦٢] .

قيل : يراد بالفتية ، والفتيان هاهنا : المماليكُ[٢] .

ثم قال : ﴿ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آية ٦٢] .

قال أبو جعفر : في هذا قولان :

أحدهما : أن المعنى « إذا رأوا البضاعة في رحالهم ، وهي ثمن الطعام رجعوا ، لأنهم أنبياء لا يأخذون شيئاً بغير ثمن »[٣] .

---

(١) يسمى هذا الحذف « حذف إيجاز » لدلالة السياق عليه ، وانظر البحر ٣١٩/٥ .

(٢) قال ابن مجاهد في السبعة ص ٣٤٩ : قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمْرو ، وابن عامر ﴿ لِفِتْيَتِهِ ﴾ بالتاء ، وقرأ حمزة ، والكسائي ﴿ لِفِتْيَانِهِ ﴾ بالنون .

(٣) انظر الطبري في جامع البيان ٩/١٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٥٠/٤ وعزاه إلى الضحاك .

وقيل : إذا رأوا البضاعة في الرحال ، علموا أنَّ هذا لا يكون من أمرِ يوسفَ فرجعوا[1] .

٧٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ هَلْ آمنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ .. ﴾** [آية ٦٤] .

لأنهم قالوا في أخيه « أرسله معَنَا غَداً نَرْتَعْ وَنَلعب وإنَّا لهُ لحافظونَ » .

وقالوا في هذا : ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ ، وإنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

فضمنوا له حفظَهُما .

٧٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ﴾** [آية ٦٥] .

يجوز أن يكون المعنى : أيَّ شيءٍ نبغي وقد رُدَّتْ إلينا بضاعتنا[2] ؟

ويجوز أن يكون المعنى : ما نبغي شيئاً ويكونُ « ما » نافية .

ثم قال : ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا ﴾ [آية ٦٥] .

---

(١) انظر الأقوال في زاد المسير ٤/٢٥٠ .

(٢) على هذا القول تكون « ما » استفهامية في موضع نصب ، والمعنى : أيَّ شيءٍ نطلب وراء هذا الإكرام ؟

يُقال : مَارَ أهلـه ، يَمِيرُهـم ، مَيْـراً ، ومَيـرَةً : إذا جاء بأقـواتهم من بَلَدٍ إلى بلد[1] .

٧٨ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾** [آية ٦٥] .

قال ابن جريج : لأنه كان يعطي كل رجل منهم كيل بعير[2] .

قال مجاهد **يعني وَقْر حمَارٍ**[3] .

وقال بعضهم : يُسَمَّى الحمارُ بعيراً يعني أنها لغة .

فأما أهل اللغة فلا يعرفون أنه يقال للحمار بعيرٌ ، والله أعلـم بما أراد .

ثم قال : ﴿ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ [آية ٦٥] .

أي سهلٌ عليه[4] .

٧٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ إِلَّا أن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾** [آية ٦٦] .

أي إلَّا أن تَهْلِكُوا وتُغْلَبُوا[5] .

---

(١) انظر الصحاح للجوهري مادة مير ، وجامع البيان للطبري ١١/١٣ .

(٢) الأثر ذكره الطبري ١٢/١٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧/٤ .

(٣) ذكره ابن جرير ١٢/١٣ وابن كثير ٣٢٤/٤ .

(٤) قال ابن كثير ٣٢٤/٤ : هذا من تمام الكلام وتحسينه ، أي إن هذا يسير في مقابلة أخذ أخيهم ما يعدل هذا .

(٥) في البحر ٥ /٣٢٤٣ ﴿ إلَّا أن يُحاط بكم ﴾ لفظ عام لجميع وجوه الغَلَبة ، والمعنى : إلَّا أن تُعَمَّكم الغَلَبة من جميع الجهات ، حتى لا يكون لكم حيلةٌ ولا وجه تخلص .

٨٠ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [آية ٦٦] .

أي كفيل .

٨١ ــ **قوله جل وعز** ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ [آية ٦٧] .

قال الضحاك : خافَ عليهم العَيْنَ[١] .

وقال غيره : العينُ حقٌّ ، لأن النبي ﷺ كان يُعوِّذُ الحسنَ ، والحسينَ رضي الله عنهما ، فيقول : « أعيذُكُما بكلماتِ الله التَّامَّة ، من كل لامَّة »[٢] ..

وقيل : كَرِهَ أن يلحقهم شيءٌ ، فيتوهم أنه من العين ، فيُؤْثِم في ذلك .

والدليل على صحة هذا القول حديثُ النبي ﷺ « إذا سمعتم بالطَّاعُون في أرضٍ ، فلا تَقْدُمُوا عليه .. »[٣] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٣/١٣ وابن الجوزي ٢٥٤/٤ وقال : هذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الأنبياء ١٤٩/٤ بزيادة « من كل شيطان وهامَّة ، ومن كل عين لامَّة » قال ابن الأثير في النهاية : ٢٧٥/٥ : الهامَّة : كلُّ ذات سَمٍّ يقتلُ ، ولامَّة : ما يلمُّ بالإنسان ويعتريه من جنون . اهـ. وأخرجه أحمد في المسند ٢٣٦/١ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري ٢١٣/٤ باب ما ذُكر عن بني إسرائيل ، ومسلم في الطاعون برقم (٢٢١٨) والترمذي في الجنائز برقم (١٠٦٥) وتتمته في البخاري : « وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا منها » .

وجوابٌ آخرُ : أن يكون كَرِهَ أن يدخلوا فيُستَرابَ بهم[1] ، واللهُ عزَّ وجلَّ أعلم .

٨٢ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً .. ﴾** [آية ٦٨] .

قيل : المعنى : أنه لو قُضِيَ عليهم شيءٌ لأصابهم ، دخلوا مجتمعين أو متفرقين ؟

وقيل : المعنى : لو قُضِيَ أن تُصيبهم العينُ ، لأصابتهم متفرِّقين كما تصيبهم مجتمعين .

٨٣ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا .. ﴾** [آية ٦٨] .

قال مجاهد : يعني خوفه عليهم العينَ[2] .

٨٤ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ .. ﴾** [آية ٦٩] .

يُقال : آويتُ فلاناً بالمدِّ إذا ضممتَهُ إليكَ ، وأَويتُ إليه : أي لجأتُ إليه[3] .

---

(١) أي يقع في قلوب الناس الريبة منهم لغربتهم وكثرتهم .

(٢) الأثر في الطبري ١٣/١٤ والقرطبي ٢٢٦/٩ قال : وكانوا أحد عشر رجلاً ، وكانوا أهل جمالٍ وكمالٍ وبسطة ، والعينُ حقٌّ كما في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعاً .

(٣) انظر الصحاح للجوهري ، ولسان العرب مادة أوى .

ومعنى ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴾ : فلا تحزن ، من البؤس .

٨٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ .. ﴾** [آية ٧٠] .

قال قتادة : هي مَشْرَبةُ المَلِك[١] .

وقال الضحاك : هو الإناءُ الذي يَشْرَبُ فيهِ المِلكُ[٢] .

وَرَوى **شعبةُ** عن أبي بِشْرٍ ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : ﴿ صُوَاعَ المَلِكِ ﴾ : شيءٌ من فضة ، يُشْبِه المكُّوك ، من ذهب وفضة ، مرصَّع بالجواهر ، يُجعل على الرأس[٣] .

وكان للعباس واحدٌ في الجاهلية[٤] .

٨٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا العِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾** [آية ٧٠] .

أي أعلم ونادى ، يُقال : آذَنْتُ : أي أعلمتُ ، وأَذَّنْتُ : أي أعلمت مرَّةً بعد مرَّة[٥] .

---

(١) و (٢) و (٣) الآثار عن قتادة ، والضحاك ، وابن عباس في الطبري ١٣/١٧ وابن كثير ٤/٣٢٥ والبحر ٥/٣٢٩ .

(٤) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٨/٢٧ من رواية ابن عباس .

(٥) قال القرطبي ٩/٢٣٠ : وأَذَّنَ للتكثير ، فكأنه نادى مراراً .

والمعنى : يا أصحاب العير[1] .

وقال ﴿ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ ولم يسرقوا الصُّواع ؟

قيل : لأنهم أخذوا يوسف فباعوه ، فاستجازَ أن يقول لهم : إنكم لسارقون .

وقيل : يجوز أن يكون الصُّواعُ جُعل في رحالهم ، ولم يعلم الذي ناداهم بذلك ، فيكون كاذباً .

وقال أحمد بن يحيى[2] : أي حالكم حالُ السُّرَّاق ، وهكذا كلام العربِ ، وكأنَّ المنادِي حَسبَ أن القوم سرقوه ، ولم يعلم بصنيع يوسف .

وقيل : يجوز أن يكون أذان المؤذن عن أمر يوسف ، واستجاز ذلك بهم أنهم قد كانوا سرقوا سرقةً في بعض الأحوال ، يعني بذلك تلك السرقة ، لا سرقتهم الصُّواع[3] .

---

(١) قال ابن الجوزي ٤/٢٥٧ : العيرُ : الإبلُ المرحولة المركوبة ، قال الفراء : لا يُقال عِيرٌ إلَّا لأصحاب الإبل ، أقول : الآية على حذف مضاف ، والمعنى : يا أصحاب العير ، كقولهم « يا خيلَ اللهِ اركبي » أي : يا أصحاب خيلِ الله ، وهو من مجاز الحذف وهو مشهور .

(٢) أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني المعروف بـ « ثعلب » إمام الكوفيين ، المتوفى سنة ٢٩١هـ وانظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ٢/٢١٤ .

(٣) هذه الأقوال ذكرها المفسرون في تخريج وجه اتهامهم بالسرقة ، قال ابن الجوزي ٤/٤٥٧ : فإن قيل : كيف جاز ليوسف أن يتهمهم بالسرقة مع أنهم لم يسرقوا ؟ فعنه أجوبة : أحدها : أن

وقال بعض أهل التأويل : كان ذلك خطأ من فعل يوسف ، فعاقبه الله عز وجل إذ قالوا له : ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ .

٨٧ ـــ **وقوله جل وعز** ﴿ **وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ** ﴾ [آية ٧٢] .

قال الضحاك : أي كفيلٌ[١] .

وقال قتادة : أي حَمِيل[٢] .

قال الفرَّاء : زعيمُ القوم رئيسُهم ومتكلِّمهم[٣] .

قال أبو جعفر : وهذا قريبٌ من الأول ، لأنَّ حميلَهم هو رئيسُهم .

المعنى : إنكم لسارقون يوسف ، حين أخذتموه من أبيه وطرحتموه في الجب ، قاله الزجَّاج . والثاني : أن المنادي نادى وهو لا يعلم أن يوسف أمر بوضع السقاية في رَحْل أخيه ، فكان غير كاذب في قوله ، قاله ابن جرير . والثالث : أن المنادي ناداهم بالسرقة بغير أمر سوف .. إلخ . قال في البحر ٣٢٩/٥ : والذي يظهر أن هذا التحيل ، ورمي أبرياء بالسرقة ، وإدخال الهم على يعقوب ، كان بوحي من الله لما علم تعالى في ذلك من الصلاح ، ولما أراد من محنتهم بذلك ، ويقوِّيه قوله تعالى ﴿ كذلك كدنا ليوسف ﴾ .

(١) و (٢) المراد بقوله « حَمِيلٌ » أي أتحمَّلُه وأغرمه ، والحميل : هو الكفيل ، بمعنًى واحد ، وانظر الطبري ٢٠/١٣ فقد جاء فيه : أصل الزعيم في كلام العرب : القائم بأمر القوم ، وكذلك الكفيل والحميل . اهـ. والأثر عن الضحاك في الطبري ٢٠/١٣ والدر المنثور ٢٧/٤ قال : وهو قول ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٥١/٢ .

وروى أبو أُمَامة عن النبي ﷺ أنـه قال : « والزعيـمُ غارم »[1] مختصرٌ .

يعني ﷺ بالزعيم : الضامن .

٨٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ ﴾** [آية ٧٣] .

يُروى أنهم كانـوا لا يُنْزِلـونَ على أحـد ظُلْمـاً ، ولا يرهبون زرعَ أحـدٍ ، وأنَّهـم جعلـوا على أفـواه إبلهم الأَكِمَّـةَ لئـلا تَعِيـثَ في زروع النَّاسِ[2] .

٨٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وما كنَّا سَارِقِينَ ﴾** [آية ٧٣] .

يُروى أنهم ردُّوا البضاعة التي جُعِلت في رحـالهم ، أي فمـن ردَّ ما وَجَده كيف يكون سارقاً[3] ؟

---

(١) طرف من حديث أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٦٧ والترمذي في الوصايا برقـم (٢١٢١) وأبـو داود في البيوع برقم (٣٥٦٥) وقـال الترمـذي : حديث حسن ، ولفظـه عن أبي أمامـة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقـول في خطبتـه عام حجـة الـوداع : « العاريـة مؤدَّاةٌ ، والزعيـمُ غارمٌ ، والدينُ مقضيٌّ » قال ابن الأثير في جامع الأصول ٨/١٦٥ : الزعيمُ : الكفيل والضَّمينُ .

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٨/٢٩ والأَكمَّة : جمع كِمَام وهـو الغطـاء الـذي يجعـل على فم الدابة لئلا تأكل الزرع .

(٣) ذكره الطبري في جامع البيان ١٣/٢١ وأبو حيان في البحر ٥/٣٣٠ .

٩٠ ــ **ثم قال تعالى ﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴾** [آية ٧٤] .

يُقال : إنَّ هذه هي الحيلة التي ذكرها الله في قولـه : ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المَلِكِ ﴾ [آية ٧٦] .

قال الضحاك : أي في سلطـانِ الملك ، وذلك أنـه كان حكـم الملك إذا سَرَق إنسانٌ شيئاً [غُرِّمَ مثلَهُ ، وكان حكـم يعقـوب ﷺ إذا سرق إنسان][1] استُعْبِدَ ، فردَّ الحكم إليهم لهذا .

٩١ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ .. ﴾** [آية ٧٦] .

أي إلَّا بمشيئته تعالى .

٩٢ ــ **ثم قال تعالى ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ .. ﴾** [آية ٧٦] .

ويُقْرأ ﴿ دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ ﴾ بمعنى من نشاءُ درجاتٍ[2] .

٩٣ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾** [آية ٧٦] .

قيل : حتى ينتهي العلمُ إلى اللهِ جلَّ جلاله[3] .

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتنـاه من الهامش ، والأثـر ذكـره الطبري ١٣/٢٢ وابـن الجوزي ٤/٢٦١ وابن كثير ٤/٣٢٦ .

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٨/٣٣ : قرأ أبو عمرو ونافع ، وأهل المدينة ﴿ ترفعُ دَرَجَاتِ مَنْ نَشاءُ ﴾ بالإضافـة ، وقرأ عاصم ، وابـن محيصن : ﴿ نرفـعُ درجـاتٍ من نشاء ﴾ بتنويـن الدرجات . اهـ. وانظر النتشر في القراءات العشر ٢/٢٩٦ .

(٣) هذا قول الحسن البصر ، قال « ليس عالم إلَّا فوقه عـالم حـتى ينتهي إلى الله عز وجـل » وانظـر تفسير ابن كثير ٤/٣٢٦ .

وروى **إسرائيل** عن سِمَاكٍ ، عن عِكرمة ، عن ابن عباس ، قال : يكون ذا أعلمَ من ذَا ، والله فوقَ كل عالم[1] .

وروى **سفيان** عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جُبير ، قال : « كنَّا عند ابن عباس رحمه الله فتحدَّث بحديثٍ فتعجَّبَ منه رجلٌ ، فقال : سبحانَ الله ﴿ وفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ ﴾ فقال ابنُ عباس : بئسَ ما قلتَ : اللهُ العَليم ، وهو فوقَ كلِّ عالم »[2] .

٩٤ ـــ وقوله جل وعز ﴿ قَالُوا إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ .. ﴾ [آية ٧٧] .

قال مجاهد : يَعْنُونَ يوسفَ .

ويُروى أنه كان رأى صورةً تُعْبَدُ ، فأخذها ورمى بها ، وإنما فعل ذلك إنكاراً أن يُعبدَ غيرُ الله[3] .

٩٥ ـــ ثم قال جل وعز ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾ [آية ٧٧] .

---

(١) انظر الأثر في الطبري ٢٧/١٣ وابن كثير ٣٢٦/٤ والدر المنثور ٢٨/٤ .

(٢) الأثر ذكره ابن عطية ٣٥/٨ وابن كثير ٣٢٦/٤ والسيوطي في الدر ٢٨/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي .

(٣) ذكره ابن الجوزي في تفسيره ٢٦٣/٤ قال : ذُكر أنه سرق صنماً لجده أبي أمه ، فكسره وألقاه في الطريق فعيَّره إخوتاه بذلك ، وهو قول سعيد بن جُبير ، وقتادة ، ووهب بن منبِّه ، وقد ذكر ابن الجوزي سبعة أقوال في المراد من السرقة ، وأرجحها أنها تهمة ألصقوها به ، وهذا ما ذهب إليه الحسن البصري حيث قال : كذبوا عليه فيما نسبوه اليه .

ثم بيّن الذي أسرَّ بقوله : ﴿ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَاناً ﴾[1] .

أي أنتم سرقتم على الحقيقة ، إذْ بعتُم أخاكم .

٩٦ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾** [آية ٧٧] .

أي الله أعلم أسَرَقَ أخوهُ أم لا[2] ؟

٩٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا .. ﴾** [آية ٨٠] .

أي يئسوا تركـوا أخاهـم ، وانفـردوا يتناجَـوْنَ كيـف يرجعـون إلى يعقوب وليس معهم أخوهم[3] .

---

(١) قال المفسرون : والمعنى : أخفى يوسف تلك المقالة في نفسه ، وكتمها ولم يظهرها لهم تلطفاً معهم ، وهي قوله « أنتم شرٌّ مكاناً » ولم يواجههم بهذا الكلام وإنما قاله في نفسه ، رُوي هذا المعنى عن ابن عباس ، قال ابن كثير ٣٢٧/٤ يعني أسرَّ يوسف في نفسه الكلمة التي بعدها وهو قوله ﴿ أنتم شر مكاناً ﴾ قال هذا في نفسه ولم يُبدها لهم ، وهذا من باب الإضمار قبل الذكر وهو كثير . اهـ.

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه كما في ابن الجوزي ٢٦٤/٤ وقال مجاهد ﴿ والله أعلم بما تصفون ﴾ أي تقولون وتذكرون .

(٣) قال القرطبي ٢٤١/٩ : « استيأسوا » أي يئسوا ، مثل : عجبَ واستعجب ، وسخِر واستسخر . اهـ. يريد أن يئس واستيأس بمعنى واحد ، وفي الآية لطيفة ذكرها القاضي عياض في كتابه (الشفا بحقوق المصطفى) قال : إن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ هذه الآية ﴿ فلمَّا اسْتَيْأَسُوا منهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ فقال : أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام ، وذلك أن الآية ذكرت صفة اعتزالهم لجميع الناس ، وانفرادهم من غيرهم ، وتقليبهم الآراء ظهراً لبطن ، وأخذهم في تزوير ما يلقون به آباهم .. إلخ. فتضمنت تلك الآية القصيرة ، معاني القصة الطويلة .. وفي المخطوطة : كيف يمرُّون إلى يعقوب وصوابه كيف يرجعون .

٩٨ ــ **ثم قال تعالى** ﴿ **قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللهِ** ﴾ [آية ٨٠] .

قيل : « كبيرهم » يهوذا .

قال مجاهد : هو « شمعون » وليس بكبيرهم في السنِّ ، لأن « روبيل » أكبر منه .

يذهب مجاهد إلى أن المعنى : « قال كبيرهم » [في العقل ، ورئيسُهم لا كبيرهم في السنِّ ، وقال قتادة في قوله تعالى ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾][1] هو « روبيل » ذهب إلى أنه كبيرهم في السنِّ[2] ، والله أعلم بحقيقة ذلك .

٩٩ ــ **وقوله تعالى** ﴿ **فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي** .. ﴾ [آية ٨٠] .

يعني : أرض مصر ، لأن كل أحدٍ على الأرض .

١٠٠ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ** .. ﴾ [آية ٨١] .

وحُكي أنه قُرِئ ﴿ سُرِّقَ ﴾ .

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من الأصل ، وأثبتناه من الهامش .

(٢) قال في البحر ٥/٣٣٥ : كبيرهم أي رأياً وتدبيراً وعلماً وهو « شمعون » قاله مجاهد ، أو كبيرهم في السن وهو « روبيل » قاله قتادة ، وقيل : في الرأي والعقل وهو « يهوذا » .

حدثني محمد بن عمر، قال : حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن عثمان بن شَبِيب قال : نا أبو جعفر أحمد بن أبي سُرَيج قالا : نا علي بن عاصم عن داود وهو ابن أبي هندٍ عن سعيد بن جبير قال : نا ابن عباس يقرؤها : ﴿ يَا أَبَانَا إِنَّ ابنَكَ سُرِّقَ ﴾[1] .

وحدثني محمد بن أحمد بن عمر قال : نا ابن شاذان قال : نا أحمد بن سُرَيج البغدادي قال : سمعتُ الكسائيَّ يقرأ : ﴿ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سُرِّقَ ﴾ مرفوعة بالسين .

و « سُرِّقَ » تحتمل معنيين :

أحدهما : اتُّهم بالسَّرقة .

والآخر : عُلِمَ منه السَّرَقُ .

ومعنى ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ ﴾ أي بل زيَّنَتْ .

١٠١ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ ﴾ [آية ٨٤] .

قال ابن عباس : أي يا حُزْناً[2] .

وقال مجاهد : أي يا جَزَعًا[3] .

---

(١) هذه القراءة بالبناء للمجهول « إن ابنك سُرِّقَ » ذكرها ابن عطية في المحرر ٨/٤٥ والبحر ٥/٣٣٧ وليست من القراءات المتواترة ، قال ابن عطية : وكأنَّ في هذه القراءة لهم تحرٍّ ، ولم يقطعوا عليه بسرقة أي جُعل سارقاً بما ظهر من الحال .

(٢) و(٣) الأثران في الطبري ١٣/٣٨ وفي الدر المنثور ٤/٢٩ قال ابن جرير : يعني يا حزناً عليه ، =

١٠٢ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُــزْنِ فَهُــوَ كَظِيـــمٌ ﴾** [آية ٨٤] .

قال قتادة : أي لم يقل بأساً[١] .

وكـذلك هو في اللغـة ، يُقـال : فلانٌ كظيـمٌ ، وكاظِـمٌ : أي حزينٌ لا يشكو حزنه[٢] .

١٠٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالُوا تَاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ .. ﴾** [آية ٨٥] .

روى إسرائيـل ، عن سِمَـاك ، عن عكرمـة ، عن ابـن عبَّـاس « تفتأ » أي لا تزال .

وقال مجاهد : « تَفْتَؤُ » أي تَفْتُر[٣] .

والأول : المعروف عند أهل اللغة ، يقـال ما فَتِـىءَ ، ومـا فَتَـأَ أي ما زال[٤] .

= والأسف أشدّ الحزن والتندُّم ، يُقـال : أسِفت على كذا ، آسَفُ عليـه أسفـاً . اهـ. وقـال ابـن قتيبة : الأسفُ أشدُّ الحسرة .

(١) الطبري عن قتادة ٤٠/١٣ .

(٢) في الصحاح ٢٠٢٢/٥ : كَظَمَ غَيْظَه كظْماً : اجترعه ، فهو رجـلٌ كظيم ، والغيـظْ مكظـومٌ ، والكُظُوم : لسُّكوتُ .

(٥) ذكـره الـطبري ٤١/١٣ ولفظـه : قال ابـن عبـاس ﴿ تَفْتَـؤُ تَذْكُـرُ يوسفَ ﴾ أي لا تزال تذكـر يوسف ، وقال مجاهد : لا تفتر من حبه .

(٤) في الصحـاح ٦٢/١ : ما فَتِئْتُ أذكـره ، ومـا فَتَـأْتُ أذكـره ، بالـكسر والنصـــب أي ما زلتُ أذكره ، وما برحتُ ، ولا يُتكلم به إلا مع الجحد .

١٠٤ ــ **ثم قال تعالى ﴿ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً ﴾** [آية ٨٥] .

قال ابن جريج عن مجاهد : أي دون الموت .

وقال الضحاك : أي بالياً مُبْراً .

والقولان متقاربان ، يُقال : أَحْرَضَهُ المَرَضُ ، فَحَرِضَ وَيَحْرَضُ : إذا دام سُقْمُهُ وبَلِي[1] .

قال الفراء : الحارضُ : الفاسدُ الجسم والعقل ، وكذلك الحَرَضُ[2] .

وقال أبو عبيدة : الحَرَضُ الذي قد أذابه الحُزنُ[3] .

وقال غيره : منه حَرَّضتُ فلاناً أي أفسدت قلبه .

١٠٥ ــ **ثم قال تعالى ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ﴾** [آية ٨٥] .

وقال الضحاك : أي من الميِّتينَ[4] .

---

(١) قال أهل اللغة : الحَرَضُ : المرضُ الذي يُشفي على الهلاك ، قال الشاعر :

سَرَى همِّي فأَمْرَضَنِي ... وَقِدْماً زَادَني مَرَضاً
كذاك الحبُّ قبلَ اليو ... مِ مِمَّا يُورِثُ الحَرَضَا

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٥٤ .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٣١٦ فقد جاء فيه الحَرَضُ : الذي أذابه الحُزْنُ أو العِشْقُ ، قال العَرْجيُّ :

إنِّي امْرُءٌ لجَّ بي حُبٌّ فأَحْرَضَنِي ... حتَّى بكِيتُ وحتَّى شفَّنِي السَّقَمُ

(٤) الأثر في الطبري ١٣/٤٤ والدر ٤/٣١ .

١٠٦ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إلى اللهِ .. ﴾ [آية ٨٦] .

والبثُّ : أشدُّ الحزن .

قال قتادة : ﴿ ولا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ ﴾ أي من رحمته(١) .

١٠٧ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ .. ﴾ [آية ٨٨] .

وروى إسرائيل عن سِماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أي وَرِقٍ ردِيئةٍ ، لا تجوز إلَّا بِوَضِيعةٍ(٢) .

وقال مجاهد : أي قليلة(٣) .

وقال قتادة : أي يسيرة(٤) .

وقال عبد الله بن الحارث : كان معهم متَاعُ الأعراب من سَمْنٍ ، وصوفٍ ، وما أشبههما(٥) .

وهذه الأقوال متقاربةٌ ، وأصلُه من التزجية وهي الدفعُ والسَّوْقُ ، يقال : فلانٌ يُزْجِي العِيسَ أي يَدْفع(٦) ، والمعنى : أنها

---

(١) الأثر في الطبري ١٣/٤٩ وابن الجوزي ٤/٢٧٦ قال : وهو قول ابن عباس ، والضحاك .

(٢) و (٣) و (٤) و (٥) الآثار كلها في الطبري ١٣/٥١ والدر المنثور ٩/٢٥٣ : الإزجاء السوقُ بدفع ، ومنه قوله تعالى ﴿ يُزْجي سَحَاباً ﴾ قال : والمعنى : أنها بضاعة تُدفع ولا يقبلها كلُّ أحد .

(٦) في المخطوطة « يدافع » وهو تصحيف ، وصوابه يدفع ، لأن معنى الإزجاء السَّوْقُ والدَّفْعُ .

بضاعة تُدفعُ ، ولا يقبلها كلُّ أحد .

واحتجَّ مالك بقوله تعالى ﴿ فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ ﴾ في أنَّ أجرة الكيَّال والوزَّانِ على البايع[1] .

١٠٨ ـ وقوله جل وعز ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [آية ٩٢] .

التثريب : التعييرُ واللومُ وإفساد الأمر ، ومنه ثَرَّبْتُ أمرَه أي أفسدتُه .

ومنه الحديث : « إذا زنتْ أمَةُ أحدِكم ، فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ وَلا يُثَرِّبْ »[2] أي ولا يعيِّرها بالزنا .

١٠٩ ـ وقوله جل وعز ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ العِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ .. ﴾ [آية ٩٤] .

قال ابن عباس : « هاجت ريحٌ فشمَّ ريح القميص من مسيرةِ ثمانية أيام »[3] .

ثم قال : ﴿ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ [آية ٩٤] .

---

(١) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٢٥٤/١٣ فقد وضَّح فيه استدلال الإمام مالك رحمه الله .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٤٩/٢ من حديث أبي هريرة بلفظ « إذا زنت أمةُ أحدكم فتبيَّن زناها فليجلدها الحدَّ ولا يثرِّب » هكذا لفظُه ، وسقط من المخطوطة لفظ « الحدِّ » وأثبتناه من القرطبي ٢٥٧/٩ ومن مسند أحمد ٢٤٩/٢ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٥٧/١٣ عن ابن عباس .

قال ابن عباس : تُسَفِّهونِ[1] .

وقال عطاء والضحاك : أي تكذِّبونِ[2] .

والقول الأول : هو المعروف ، يُقال : فنَّده تفنيداً : إذا عَجَّزَهُ كما قال :

« أَهْلَكَتْنِي باللَّوْمِ وَالتَّفْنِيدِ »[3]

ويُقال أفْنَدَ : إذا تكلَّمَ بالخطأ ، والفَنَدُ : الخطأُ من الكلامِ والرأي ، كما قال الشاعر :

إلَّا سُلَيْمَانَ إذْ قَالَ المَلِيكُ لَهُ

قُمْ فِي البَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عنِ الفَنَدِ[4]

١١٠ ـ وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ ﴾ [آية ٩٩] .

قال ابن جريج : أي سوف أستغفر لكم ربِّي إن شاء الله .

---

(١) و(٢) الأثران في الطبري ١٣/٥٩ وفي الدر ٤/٣٥ .

(٣) هذا عَجُزُ بيت ذكره القرطبي ٩/٢٦٠ ولا يُعرف قائله ، والشاهد فيه أنَّ التفنيد معناه : التعجيز ، وتضعيف الرأي ، قال الأصمعي : إذا كثر كلامُ الرجل من خَرَفٍ فهو المفنَّد ، وقال الزمخشري : التَّفنيد : النسبة إلى الفَنَدِ وهو الخَرَفُ ، وإنكار العقل من الهرم .

(٤) البيت للنابغة الذُّبياني يمدح النعمان بن المنذر وهو في ديوانه ص ٢٠ وقبله :

ولا أرى فَاعِلاً في النَّاسِ يُشْبِهُهُ ولا أُحَاشِي مِنَ الأَقْوام من أَحَدِ

يشبه الشاعر ممدوحه بسليمان عليه السلام في عظم ملكه ، حيث أمره الإله أن يصلح شئون الخلق ، ويبعدهم عن الخطأ والسَّفه ، وقد استشهد به ابن عطية في المحرر ٨/٧٤ والقرطبي ٩/٢٦٠ وفي البحر ٥/٣٤٠ .

قال : وهذا من تقديم القرآنِ وتأخيره[1] .

يذهب ابن جُريج إلى أنهم قد دخلوا مصرَ فكيفَ يقول ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ ؟

١١١ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ .. ﴾ [آية ١٠٠] .

قال قتادة : أي على السرير[2] .

ثم قال تعالى : ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً .. ﴾ [١٠٠] .

وقال قتادة : وكان هذا من تحيتهم[3] .

قال ابن جريج : كانوا يفعلون هذا كما تفعلُ فارس[4] .

والمعنى : وخرُّوا للهِ سجداً .

والقول الأول أشبهُ وهو سجودٌ ، على غير عبادة ، وإن كان قد نُهِيَ المسلمون عن هذا ، فإنه على ما رُوي أنها تحيةٌ كانت لهم[5] .

قال الحسن : كان بين مفارقة يوسف أباه إلى أن اجتمع معه

---

(١) ذكره الطبري عن ابن جريج ٦٦/١٣ وردَّه وقال : لا وجه لتقديم شيء من كتاب الله وتأخيره إلَّا بحجة واضحة ، وقال في البحر ٣٤٨/٥ وهذا القول في غاية البعد وفي غاية الامتناع .

(٢) و (٣) و (٤) الآثار في الطبري ٦٧/١٣ وهي في تفسير ابن الجوزي ٢٩٠/٤ والدر المنثور ٣٨/٤ .

(٥) هذا هو الصحيح أن السجود ليوسف كان سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة وخضوع ، قال ابن الأنباري : سجدوا له على جهة التحية ، لا على معنى العبادة ، وكان أهل ذلك الدهرِيُحيِّي بعضهم بعضاً بالسجود والانحناء ، فحظره الإسلام . اهـ. وانظر زاد المسير ٢٩٠/٤ .

ثمانون سنة ، لا يهدأ يعقوبُ فيها ساعةً عن البكاء ، وليس أحدٌ في ذلك الوقت أكرمَ على اللهِ من يعقوبَ ﷺ[1] .

وأُلْقِيَ فِي الجب وهو ابنُ سبعَ عشرَةَ سنةً ، وعاش بعد لقائِهِ يعقوبَ ثلاثاً وعِشرين سنة ، ومات وهو ابنُ عشرين ومائة[2] .

١١٢ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾ [آية ١٠١] .

ويجوز أن تكون « من » هاهنا للتبعيض ، أي قد آتيتني بعض الملك وعلمتني بعضَ التأويل .

ويجوز أن تكون لبيان الجنس أي أتيتني الملكَ ، وعلمتني تأويلَ الأحاديث[3] .

ويدلُّ على هذا الجواب ﴿ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ .

١١٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ .. ﴾ [آية ١٠٣] .

---

(١) الأثر في الطبري ٧١/١٣ وابن الجوزي ٢٩٠/٤ وفي الدر المنثور ٣٨/٤ .

(٢) هذه رواية أخرى عن الحسن البصري ذكرها الطبري في جامع البيان ٧١/١٣ قال في البحر ٣٤٨/٥ : وفي المدة التي كان بين رؤياه وسجودهم له خلاف متناقض ، قيل : ثمانون سنة ، وقيل : ثمانية عشر عاماً .. إلخ .

(٣) ذكر القولين ابن عطية في المحرر ٨٩/٨ وابن الجوزي ٢٩٢/٤ وعلى القول الثاني أنها لبيان الجنس تكون كقوله تعالى « فاجتنبوا الرجسَّ من الأوثان » والمعنى : اجتنبوا الأوثان التي هي رجسٌ ، وهنا يكون المعنى : آتيتني الملك وعلَّمتني تأويل الأحاديث .

أي لستَ تقدِرُ على هداية من أردتَ .

١١٤ — وقوله جل وعز ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [آية ١٠٥] .

أي فكم من آيةٍ في رفع السموات بغير عمد ، ومجاري الشمسِ ، والقمرِ ، والنجوم ، وفي الأرضِ من نخلِهَا ، وزرعِها ؟ أي يعلمونها[(١)] .

١١٥ — ثم قال جل وعز ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [آية ١٠٦] .

قال عكرمة : هو قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾[(٢)] .

فإذا سُئلوا عن صفته وصَفُوه بغيرها ، ونسبُوه إلى أن له ولداً .

وقال أبو جعفر : يذهبُ عكرمة إلى أن الإيمان هاهنا إقرارهم[(٣)] .

---

(١) قال ابن الجوزي ٢٩٣/٤ : والمعنى : كم من علامةٍ ودلالة تدلُّهم على توحيد الله ، من أمر السموات والأرض ، يتجاوزونها غير متفكرين ولا معتبرين .

(٢) سورة الزخرف آية رقم (٨٧) .

(٣) قال ابن الجوزي ٢٩٤/٤ : في الآية قولان : أحدهما : أنهم يؤمنون بأن الله خالقُهم ورازقهم ، وهم يشركون به ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد : وعكرمة ، والشعبي . والثاني : أنها في تلبية المشركين ، كانوا يقولون : لبيك لا شريك لك ، إلّا شريكاً هو لك ، تملكه وما مَلَك ، رواه الضحاك عن ابن عباس ، وانظر الطبري أيضاً ٧٨/١٣ .

١١٦ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا أنْ تَأْتِيَهُـمْ غَاشِيَـةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ .. ﴾ ؟** [آية ١٠٧] .

قال مجاهد : أي تغشاهم[1] .

قال أبـو جعفـر : ومعنـاه : تُجَلِّلُهُـمْ ، ومنـه ﴿ هَلْ أَتَـاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ ﴾ ؟

١١٧ ــ **ثم قال تعالى ﴿ أَوْ تَأْتِيَهُـمُ السَّاعَـةُ بَغْتَـةً وَهُـمْ لَا يَشْعُـرُونَ ﴾** [آية ١٠٧] .

أي فجأةً من حيث لا يُقدِّروا .

١١٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيـرَةٍ .. ﴾** [آية ١٠٨] .

أي على يقين ، ومنه فلانٌ مستبصرٌ بهذا .

١١٩ ــ **وقولـه جل وعـز ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الـرُّسُلُ وَظَنُّـوا أَنَّهُـمْ قَدْ كُذِبُوا .. ﴾** [آية ١٠٩] .

روى الزهـري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها في قولـه جل وعز ﴿ حَتَّـى إِذَا اسْتَيْـأَسَ الـرُّسُلُ وَظَنُّـوا أَنَّهُـمْ قَدْ كُذِبُـوا ﴾ قالت : « استيأس الرسلُ من إيمان من كَذَّبهم من قومهم ، وظنُّوا أنَّ من آمـنَ

---

(١) الأثر في الطبري ٧٩/١٣ عن مجاهد ، وسميت غاشيةلأنهانقمة تغطِّيهم وتشملهم بحيث لا يفلت منهم أحد ،وانظر الصحاح مادة غشا .

منْ قومهم قد كذَّبوهم ، لما لحقهم من البلاء والامتحان »[1] .

وروى ابـــن أبي مُليكــــةَ عن عُروة عن عائشة قالت : لحقَ المؤمـنين البـلاءُ والضرر ، حتـى ظنَّ الـرسلُ أنهم قد كذَّبوهـم لِمَـــا لحقهـم .

وقال قتادة : حتـى إذا استيـأس الـرسلُ من إيمان قومهـم ، وأيقنوا أن قومهم قد كذَّبوهم جاءهم نصرنا[2] .

يذهب قتادة إلى أن الظـنَّ هاهنـا يقيـنٌ ، وذلك معـروفٌ في اللغـة[3] ، والمعنـى أن الـرسل كانـوا يترجَّـون أن يؤمـن قومهــــم ، ثم استيأسوا من ذلك ، فجاءهم النصر .

والقولُ الأول أشبـهُ بالمعنـى[4] ، وهـو أعلى إسناداً ، واللهُ أعلـمُ

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٦/٩٧ عن عُروة بن الزبير ، وتمامـه كما في صحيحـه عن ابـن شهـاب قال : أخبرني عُروة بنُ الـزُّبير عن عائشة رضي الله عنها قالت له : وهو يسألها عن قول الله تعالى ﴿ حتَّى إذا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ ﴾ قال : قلتُ : أَكُذِبُـوا أم كُذِّبـوا ؟ قالت عائشة : « كُذِّبوا » قلتُ : فقد استيقنوا أن قومهم كذَّبوهم ، فمـا هو بالظـنِّ !! قالت : أجلْ لعمري لقد استيقنوا بذلك ، فقـلت لها : « وَظَنُّـوا أنَّهـم قد كُذِبـوا » قال : معـاذ الله ، لم تكن الـرسل تظـنُّ ذلك بربها ، قلت : فمـا هذه الآية ؟ قالت : هم أتبـاع الـرسل الذيـن آمنـوا بربهم وصدَّقوهم ، فطال عليهم البـلاء ، واستأخـر عنهم الـنَّصرُ ، حتـى إذا استيـأسَ الـرسل ممن كذبهم من قومهم ، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذَّبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك » .

(٢) الأثر في الطبري عن قتادة ١٣/٨٨ وفي ابن الجوزي ٤/٢٩٦ .

(٣) كقوله سبحانه ﴿ الذين يظنون أنهم مُلَاقوا ربِّهم ﴾ وقوله : ﴿ إنِّي ظننتُ أني مُلَاقٍ حِسَابِيَـهْ ﴾ أي أيقنت واعتقدت .

(٤) قال القرطبي ٩/٢٧٥ : وهذه الآية فيها تنزيه الأنبياء وعصمتهم عما لا يليـق بهم ، وهـذا البـاب عظيم ، وخطره جسيم ، ينبغي الوقوف عليه ، لئلا يزلَّ الإنسان فيكـون في سواء الجحيم ، ثم قال -

بما أرادَ .

وقرأ عبد الله بنُ مسعود ، وابنُ عَبَّاس : ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ﴾ بالتخفيف وضمِّ الكاف[1] .

قال أبو جعفر : في معناه عن ابن عباس روايتان :

(أ) **روى ابنُ أبي مُليكة عنه** :أنهم ضَعُفوا ، قال : إنهم بَشَرٌ[2] .

(ب) **والقول الثاني** : أنه رُوي عن سفيانَ ، عن عطاءٍ ، عن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس قال : « حتَّى إذا استَيْأَسَ الرُّسُلُ » من إيمان قومهم ، وظنَّ قومُهُم قد كَذَبوا ، جاءهم نصرُنَا[3] .

قال أبو جعفر : الضميرُ في « كُذِبُوا » يعودُ على القوم على هذا .

= والمعنى : ﴿ حتى إذا استيأس الرسل ﴾ أي يئسوا من إيمان قومهم ﴿ وظنُّوا أنهم قد كُذِّبوا ﴾ بالتشديد ، أي أيقنوا أن قومهم كذَّبوهم ، وقيل المعنى : حسبوا أنَّ من آمن بهم من قومهم كذَّبوهم ــ لا أن القوم كذَّبوا ــ ولكنَّ الأنبياء ظنوا وحسبوا أنهم يكذِّبوهم ، أي خافوا أن يدخل قلوب أتباعهم شكٌّ ، فيكون « ظنوا » على بابه في هذا التأويل . اهـ .

(١) هذه قراءة حمزة ، وعاصم ، والكسائي ﴿ قد كُذِبُوا ﴾ بالتخفيف ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرٍو ، وابن عامر ﴿ قد كذِّبوا ﴾ بالتشديد ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٥١ .

(٢) و (٣) الأثران عن ابن عباس ذكرهما الطبري في جامع البيان ١٣/٨٦ ورجَّح الطبري قراءة التخفيف ، وقال المعنى كما روي عن ابن عباس : أيسَ الرسلُ من قومهم أن يُصَدِّقوهم ، وظنَّ قومُهم أن الرسلَ قد كَذَبوهم جاءهم نصرنا ، ثم قال : وإنما اخترنا هذا التأويل وهذه القراءة ، لأن ذلك عقيب قوله تعالى ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف عاقبة الذين من قبلهم ﴾ ؟ فكان ذلك دليلاً على إياس الرسل من إيمان قومهم الذين أُهْلكوا ، وزاد ذلك وضوحاً الخبر عن الرسل وأممهم بقوله تعالى « فنجِّيَ من نشاء » .

وقرأ مجاهد : ﴿وظَنُّوا أنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوا﴾[1] بالتخفيف وفتح الكاف .

وفسَّره : وظنَّ قومهم أنهم قد كَذَبوا .. وهو كالذي قبله في المعنى .

ورُوي عنه في قوله تعالى ﴿ حَتَّى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ ﴾ قولانِ :

أحدهما : حتى إذا استيأس الرسلُ أن يأتيَ قومَهم العَذَابُ[2] .

والقول الثاني أحسنُ وهو : حتَّى إذا استيأسَ الرسلُ من إيمانِ قومِهِمْ .

١٢٠ ــ وقوله عز وجل ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ .. ﴾ [آية ١١١] .

قال مجاهد : يعني يوسف وإخوته[3] .

١٢١ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ .. ﴾ [آية ١١١] .

قال سفيان : يعني التوراة والإنجيل والكتب[4] ﴿ وتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وهُدىً ورَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

انتهت سورة يوسف

● ● ●

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١/٣٥٠ قال ومعنى الآية على هذه القراءة : وظنُّوا أنهم قد كَذَبوا فيما أتوا به من الوحي .

(٢) ذكره الطبري في جامع البيان ١٣/٨٨ وضعَّفه ، وقال : هذه القراءةُ لا أستجيز القراءة بها لإجماع الحجة على خلافها .

(٣) و (٤) انظر هذه الآثار في الطبري ١٣/٩٠ وفي تفسير ابن الجوزي ٤/٢٩٧ وفي الدر المنثور ٤/٤١ .

تفسير سورة الرعد

مدنية وآياتها ٤٣ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الرعد وهي مدنية[1]

١ ــ من ذلك قوله جل وعــز ﴿ الٓمٓرۚ تِلْكَ آيَــاتُ الكِتَــابِ .. ﴾ [آية ١] .

هذا تمام الكلام .

ومَــنْ ذهبَ إلى أنَّ كلَّ حرفٍ من هذه يؤدِّي عن معنــى ، قال : المعنى أنَا اللهُ أرى[2] .

٢ ــ وقوه جلَّ وعز ﴿ اللهُ الَّذي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْـرِ عَمَـدٍ تَرَوْنَهَـا .. ﴾ [آية ٢] .

المعنى : ترونها بغير عَمَدٍ[3] .

---

(١) قال القرطبي ٢٧٨/٩ : السورة مكية في قول الحسن ، وعكرمة ، وعطـاء ، وجابـر ، ومدنيـة في قول الكلبي ومقاتل .

أقول : السورة فيها خلاف بين العلماء ، والراجح رأي الجمهور أنها مكية لأنها تتحـدث عن أدلة الوحدانية ، والبعث ودفع الشبه التي أثارها المشركون . وهذه من مظاهر السور المكية .

(٢) هذا القول منسوب إلى ابن عباس كما في الطبري ٩١/١٣ وتفسير ابن الجوزي ٣٠٠/٤ .

(٣) هذا هو الراجح بل هو الصحيح ، وهو قول الجمهور ، والمعنى : ترونها بغير عمدٍ لا تستنـد على شيء ، بل هي قائمة بقدرة رب العالمين .

ويجوز أن يكون الضمير يعود على العَمَدِ[1] .

٣ ـــ ثم قال جل وعز ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ .. ﴾ [آية] .

أي أنهما مقهورانِ مُدَبَّران ، فهذا معنى التسخير في اللغة[2] .

٤ ـــ ثم قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ .. ﴾ [آية ٣] .

أي بَسَطَهَا[3] .

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ أي جبالاً .

﴿ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ أي صنفين ، وكلُّ صنفٍ زوجٌ[4] .

٥ ـــ ثم قال تعالى ﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ ﴾ [آية ٤] .

وفي هذا قولان :

قال ابن عباس : يعني الطيِّبَ ، والخبيثَ ، والسِّباخَ ،

---

(١) ذكر هذا القول ابن الجوزي ٤/٣٠١ من رواية الضحاك عن ابن عباس ، ويكون المعنى : لها عَمَدٌ ولكنكم لا ترون العمد ، قال : والأول أصح .

(٢) التسخير في اللغة : التسهيل والتذليل ، فالشمس مسخَّرة في سيرها ودورانها ، وكذلك القمر والنجوم .

(٣) في المصباح : امتدَّ الشيءُ : انبسَطَ ، قال في التسهيل : ولا يتنافى لفظُ البسطِ والمدِّ مع التكوير ، لأن كل قطعة من الأرض ممدودةٌ على حِدَتها ، وإنما التكوير لجملة الأرض .

(٤) هذه حقيقة علمية لم يعرفها البشر إلّا من قريب ، وهي أن جميع الأحياء تتألف من ذكر وأنثى ، حتى النبات تحمل في ذاتها أعضاء التذكير والتأنيث ، مجتمعةً في زهرة ، أو متفرقة في شجرة ، وصدق الله ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبتُ الأرضُ ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾ .

والعِذَابَ[1] . .

وكذلك قال مجاهد .

والقول الآخر : أنَّ في الكلام حذفاً ، والمعنى : وفي الأرض قطعٌ متجاورات وغير متجاوراتٍ ، كما قال : ﴿ سَرَابِيلَ تقيكُمُ الحَرَّ ﴾[2] والمعنى : وتقيكم البرد ، ثم حَذَفَ ذلك لعلم السَّامع .

و ﴿ المُتَجَاوِرَاتُ ﴾ المدنُ وما كان عامراً ﴿ وغَيْرَ مُتَجَاوِرَاتٍ ﴾ الصَّحارى ، وما كان غيرَ عامر[3] .

٦ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَجَنَّاتٌ مِنْ أعْنَابٍ ﴾** [آية ٤] .

أي وفيها جنَّاتٌ من أعنابٍ .

﴿ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ [آية ٤] .

وقرأ ﴿ صُنْوَانٌ ﴾ بضمِّ الصَّاد أبو رَجَاءٍ ، وأبو عبد الرحمن ، وطلحةُ[4]

---

(١) الأثر في الطبري عن ابن عباس ومجاهد ٩٧/١٣ وفي البحر المحيط ٣٦٢/٥ ولفظه : قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك : أرضٌ طيِّبة ، وأرض سَبْخَةٌ ، أنبَتَتْ هذه ، وهذه إلى جنبها لا تُنبتُ .

(٢) سورة النحل آية رقم (٨١) .

(٣) ذكره ابن الجوزي عن قتادة ٣٠٢/٤ وإليه ذهب ابن قتيبة . اهـ. ولم يذكر الطبري هذا القول ، واقتصر على الأول .

(٤) انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٣٥٦ وتفسير ابن الجوزي ٣٠٣/٤ قال الفراء : لغة أهلِ الحجاز « صِنْوانٌ » بكسر الصَّاد ، وتميمٌ وقيسٌ يضمُّون الصاد . اهـ .

وروى **أبو إسحاق** عن البراء قال : الصِّنْوانُ : المُجْتَمِع ، وغيرُ صنوان المتفرِّق[1] .

حدثنا زهير بن شريك قال حدثنا أحمد بن عبدالله بن يونس قال: حدثنا زهير بن معاوية قال أبو إسحاق عن البراء في قوله ﴿ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ قال : الصِّنْوَانُ : ما كان أصلحه واحداً وهو متفرِّق ، وغيرُ صنوان التي تَنْبُت وحدَها[2] .

وكذلك هو في اللغة ، يقال للنخلة إذا كانت فيها نخلة أخرى أو أكثر « صنوان » فإذا تفرَّقت قيل : غير صنوان[3].

٧ ـ ثم قال جل وعز ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ .. ﴾ [آية ٤] .

أي في الثَّمر ، أي هي تأتي مختلفة ، وإن كان الهواء واحداً ، فقد عُلِم أنَّ ذلك ليس من أجل الهواء ، ولا الطبع ، وأنَّ لها مدبِّراً[4] .

---

(١) قال الزجاج ١٣٨/٣ : الصِّنْوان : جمع صِنْوٍ ، ومعناه : أن يكون الأَصل واحداً ، وفيه النخلتان والثلاث والأربع ، وغير صنوان : المتفرِّق ، وقال الفراء في معانيه ٥٨/٢ : الصِّنْوانُ : النَّخَلاتُ يكون أصلهنَّ واحداً ، وفي الحديث : « إنَّ عمَّ الرجل صِنْوُ أبيه » أخرجه مسلم ، قال ابن الأثير : الصِّنو : المثلُ ، يريد أن أصل العباس وأصلَ أبي واحدٌ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٩٩/١٣ وابن كثير ٣٥٣/٤ والسيوطي في الدر ٤٣/٤ عن البراء بن عازب .

(٣) انظر الصحاح للجوهري ، والنهاية لابن الأثير ، مادة « صنو » .

(٤) قال الطبري ٩٨/١٣ : الأرضُ الواحدة يكون فيها الخوخُ ، والكُمَّثرى ، والعنبُ الأبيضُ والأسودُ ، بعضُه حلوٌ ، وبعضه حامض ، وبعضه أفضل من بعض ، مع اجتماع جميعها على=

وروى سفيانُ ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس في قوله تعالى : ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ ﴾ قال : الحلوُ ، والحامضُ ، والفارسيُّ ، والدَّقَلُ[1] .

٨ ـــ ثم قال تعالى ﴿ وَإِنْ تَعْجَب فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ .. ﴾ [آية ٥] .

أي إنْ تعجب من إنكارهم البعثَ بعد هذه الدلائل ، فإنَّ ذلك ينبغي أن يُتعجَّبَ منه[2] .

٩ ـــ وقوله تعالى ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ ﴾ [آية ٦] .

= شربٍ واحد . اهـ. وقال في البحر ٣٦٣/٥ نبَّه تعالى في هذه الآية على قدرته وحكمته ، وأنه المدبِّر للأشياء كلها ، وذلك أن الشجرة تخرج أغصانُها وثمراتُها ، في وقتٍ معلوم ، لا تتأخر عنه ولا تتقدم ، ثم يتصعَّد الماء فيها عُلْواً عُلْواً ، وليس من طبعه إلا التَّسفُّل ، يتفرق ذلك الماء في الورق ، والأغصان ، والثمر ، كلٌّ بقدر ما فيه صلاحه ، ثم تختلف طعوم الثمار ، والماء واحد ، والشجر واحد ، وكل ذلك يدل على مدبِّر دبَّره وأحكمه ، سبحانه وتعالى مبدع الكائنات .

(١) الدَّقَلُ : ردِيء التمر ، والفارسيُّ : نوع جيد من التمر يُنسب إلى فارس ، والحديث أخرجه الترمذي وحسنه ، وانظر الدر ١٢٠/٤ .

(٢) اختلف المفسرون في وجه العجب ، فقال ابن عباس : المعنى : إن تعجب من تكذيبهم إياك فهذا أعجبُ . وقال الطبري : إن تعجب من هؤلاء المشركين الذين عبدوا آلهةً لا تضرُّ ولا تنفع ، فعجب قولهم ، وما ذكره المصنف : إنْ تعجبْ من إنكارهم البعث .. إلخ . ذهب إليه الزمخشري ، ولم يرتضه أبو حيان في البحر المحيط ٣٦٥/٥ حيث قال : وليس مدلول اللفظ ما ذكره الزمخشري ، لأنه جعل متعلق عجبه ﷺ هو قولهم في إنكار البعث . فاتَّحد الجزاء والشرط ، إذ صار التقدير : وإن تعجب من إنكارهم البعث ، فاعجب من قولهم في إنكار البعث ، وإنما مدلولُ اللفظ : إن يقع منك عجب فليكن من قولهم « أئذا كنا تراباً » !! ثم نقل عن ابن عطية قوله : إن كنت تريد عجباً فهلمَّ من أعجب العجب قولهم أئذا كُنَّا تراباً . اهـ .

رَوَى مَعْمَرٌ عن قتادة ، قال : بالعُقوبةِ قبل العافية[1] .

قال غيره : يعني قولهم : ﴿ اللَّهُـمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَـقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾[2] .

١٠ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ المَثُلَاتُ .. ﴾ [آية ٦] .

قال مجاهد : يعني الأمثال[3] .

وقال قتادة : يعني العقوبات[4] .

قال أبو جعفر : وهذا القـول أولى ، لأنَّـه معـروف في اللغـة أن يقال للعقوبة الشديدة مَثُلَةٌ ، ومُثْلَةٌ[5] .

ورُوِيَ عن الأعـمش أنَّـه قرأ ﴿ المُثُـلَاتُ ﴾ بضم الميم والثَّـاء ، وهذا جمع (مُثْلة)[6] .

ورُوِيَ عنه أنه قرأ ﴿ المُثْلَاتُ ﴾ بضم الميم وإسكان الثاء[7] .

---

(١) الأثر في الطبري عن قتادة ١٠٥/١٣ وابن الجوزي ٣٠٥/٤ وذكر أنه قول ابن عباس ومقاتل .

(٢) سورة الأنفال آية رقم (٣٢) .

(٣) و(٤) انظر الطبري ١٠٥/١٣ والدر المنثور ٤٤/٤ .

(٥) في الصحاح ٨١٦/٥ : المَثُلَةُ بفتح الميم وضم الثاء : العقوبة ، والجمع المَثُـلَاتُ . قال في البحر ٣٥٨/٥ : « وسُمِّيت العقوبةُ بذلك لما بين العقاب والمعاقب من المماثلة ، لأنها من المثال بمعنى القصاص ، ولأنها لعظم نكالها يُضرب بها المثل » . اهـ.

(٦) و (٧) انظر هذه القراءات في ابـن الجوزي ٣٠٥/٤ والبحـر المحيـط ٣٦٦/٥ وتـفسير ابـن عطيـة ١٢٤/٨ وليست في السبع .

وهذا أيضاً جمع (مُثْلة) .

ويجوز (المُثْلَاتُ) تبدل من الضَّمَّةِ فتحةٌ لثقلها .

وقيل : تأتي بالفتحة عوضاً من الهاء .

ورُوِيَ عن الأعمش أيضاً أنه قرأ ﴿ المَثْلَاتُ ﴾[1] بفتح الميم وإسكان الثاء ، فهذا جمع (مَثْلَة) ثمَّ حذف الضَّمَّةَ لثقلها .

١١ ــ وقوله جل وعز ﴿ وإنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ .. ﴾ [آية ٦] .

رَوى حمَّاد بنُ سَلَمَة عن عليٍّ بنِ زيدٍ ، عن سعيدِ بن المسيِّب ، قال : لمَّا نزلت ﴿ وإنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ للنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ العِقَابِ ﴾ قال : قال رسول الله ﷺ : « لولا عفوُ الله ورحمتُه ، وتجاوزُه لما هَنَأَ أحداً عيشٌ ، ولولا عقابُه ووعيدُه وعذابُه ، لَاتَّكَلَ كلُّ واحد »[2] .

١٢ ــ وقوله تعالى ﴿ إنَّما أنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [آية ٧] .

قال مجاهد وقتادة ــ وهذا معنى كلامهما ــ : ﴿ إنَّما أنْتَ مُنْذِرٌ ﴾ يعني النَّبيَّ ﷺ . ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ أي نبيٌّ

---

(١) عدَّ هذه القراءة ابن جني في المحتسب ٣٥٣/١ من القراءات الشاذة ، وأما قراءة الجمهور ﴿ وقد خَلَتْ من قبلِهمُ المَثُلاتُ ﴾ أي عقوبات الأمم السابقة فهي القراءة المتواترة .

(٢) الحديث ذكره ابن كثير مرفوعاً ٣٥٥/٤ وقال : أخرجه ابن أبي حاتم ، وذكره في الدر المنثور ٤٥/٤ عن ابن عباس مرفوعاً وقال أخرجه ابن جرير . أقول : ولم أره في تفسير الطبري .

يدعوهم[1] .

وروى **سفيان** عن أبي الضُّحَى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ﴾ قال : النَّبيُّ ﷺ ، ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ ﴾ قال : اللهُ جلَّ وعز[2] .

وروى **عليٌّ بنُ الحَكَمِ** ، عن الضَّحَّاك ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [قال : الله عزَّ وجل[3] .

وقال **أبو صالح** : المعنى لكل قوم] [4] داعي هدى ، أو داعي ضلالة[5] .

والذي يذهب إليه جماعةٌ من أهل اللغة أنَّ المعنى : أنَّهم لمَّا اقترحوا الآياتِ أعلمَ اللهُ جلَّ وعزَّ أنَّ لكل قومٍ نبيًّا يهديهم ويبيِّنُ لهم ، وليس عليه أنْ يأتيهم من الآيات بما يقترحون[6] .

وروى سفيان عن عطاءٍ عن سعيد بن جُبَيْر في قوله تعالى : ﴿ إنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ ﴾ قال : النَّبيُّ ﷺ ، ﴿ ولِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ قال : اللهُ جلَّ ذكره[7] .

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٠٧/١٣ وفي زاد المسير ٣٠٧/٤ وفي الدر المنثور ٤٥/٤ .

(٥) الأثر في ابن الجوزي ٣٠٧/٤ وتفسير ابن كثير ٤ /٣٥٦ ورجَّح الطبري أن المنذر هو محمد ﷺ وأن لكل قومٍ هادياً ومرشداً يرشدهم ، فيتَّبعونه ويأتمون به ، واختار ابن عطية قول عكرمة وأبي الضحى أن المنذر والهاد واحد وهو محمد ﷺ ، والمعنى : إنما أنت منذرٌ وهادٍ لكل قوم . اهـ. المحرر الوجيز ١٢٦/٨ وما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من هامشها .

(٦) هذا القول يؤيده ما رجحه ابن عطية ١٢٦/٨ في المحرر الوجيز كما تقدم .

(٧) الأثر أخرجه الطبري ١٠٧/١٣ وابن الجوزي ٣٠٧/٤ .

وروى **سفيان** عن السُّدي ، عن عكرمة في قوله جلَّ وعز : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ﴾ قال سفيان : يعني من ذَكَرٍ أو أنثى[1] .

١٣ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾** [آية ٨] .

قال الحسن والضَّحَّاك : هو نقصان الولد عن تسعة أشهر ، وزيادته عليها[2] .

وقال قتادة : تغيض السِّقْطُ ، وتزداد على التسعةِ أشهر[3] .

وقال مجاهد : الغيضُ : النقصان ، فإذا اهْرَاقتِ المرأةُ الدَّمَ وهي حاملٌ انتقصَ الولدُ ، وإذا لم تُهْرِق الدَّمَ عَظُمَ الولدُ وتَمَّ[4] .

[**وقال سعيد بن جبير** : إذا حملت المرأة ثم حاضت][5] نَقَصَ ولدها ، ثم تزداد به الحمل مقدار ما جاءها الدَّمُ به .

وقال عكرمة : الغيضُ : أنْ ينقص الولدُ بمجيء الدَّم ، والزيادةُ أنْ يزيد مقدارُ ما جاءها الدَّمُ فيه ، حتى تستكمل تسعة أشهر ،

---

(١) و(٢) و (٣) الآثار في الطبري ١١٠/١٣ وابن الجوزي ٣٠٨/٤ وابن كثير ٣٥٨/٤ .

(٤) الأثر في الطبري ١١٠/١٣ وابن كثير ٣٥٨/٤ واختار ابن كثير قول ابن عباس ، أن المراد ما نقصت من تسعة أشهر ، وما زادت عليها ، فقال : وذلك أن من النساء من تحمل عشرة أشهر ، ومنهنَّ من تحملُ تسعة أشهر ، ومنهنَّ من تزيد في الحمل ، ومنهن من تنقص ، فذلك الغيض والزيادة التي ذكر الله تعالى ، وكلُّ ذلك بعلمه سبحانه .

(٥) ما بين الحاصرتين من هامش المخطوطة وليس في الأصل .

سوى الأيَّامِ التي جاءها الدَّمُ فيها[1] .

١٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾** [آية ١٠] .

قال ابن عباس : السَّاربُ : الظَّاهِرُ[2] .

قال قتادة : الساربُ : الظاهرُ ، الذَّاهبُ[3] .

وقال مجاهد : ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ ﴾ أي مستترٌ بالمعاصي ، وساربٌ بالنهار : ظاهرٌ[4] .

وقال بعض أهل اللغة : ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ باللَّيْلِ ﴾ أي ظاهرٌ من خَفَيْتُه إذا أظهرتَهُ ﴿ وَسَارِبٌ بالنَّهَارِ ﴾ أي مستترٌ من قولهم : انسرب الوحش إذا دخل كِنَاسَه[5] .

قال أبو جعفر : القولُ الأول أولى لجلالة من قال به ، وأشبهُ بالمعنى ، لأن المعنى ــ والله أعلم ــ : سواءٌ منكم من أسرَّ منطقه أو

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٣/١١١ والسيوطي في الدر المنثور ٤/٤٥ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) انظر الطبري ١٣/١١٤ وابن الجوزي ٤/٣١٠ .

(٣) و (٤) انظر جامع البيان للطبري ١٣/١١٤ و[illegible] الوجيز لابن عطية ٨/١٣ .

(٥) الكِنَاسُ : بكسر الكاف : بيتُ الظبي ، يُقال : كَنَسَ الظَّبيُ كُنُوساً : دخل كِناسه أي بنيه . اهـ. مصباح وما ذكره المصنف عن بعض أهل اللغة هو قول قطرب ، وقد ضعَّفه ابن عطية في المحرر ٨/١٣٤ فقال : وما ذكره قطرب أم « مستخف » معناه : ظاهر من قولهم : خفيتُ الشيء إذا أظهرته فضعيف ، لأن اقتران الليل بالمستخفي ، والنهار بالسَّارب يردُّ على هذا .

أعلنَـهُ ، واستتَـرَ باللَّيْـلِ ، أو ظَهَـرَ بالنَّهَـارِ ، وكـلٌّ ذلك في علــم اللهِ سواء[1] .

وهو في اللغة أشهرُ وأكثرُ .

قال الـكسائي : يُقــال : سَرَب يَسْرُب سَرْبــاً وسُرُوبــاً إذا ذهب[2] .

وحكى الأصمعي : خَلِّ له سَرْبَه أي طريقه[3] .

١٥ ــ ثم قال جل وعز ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْـهِ وَمِـنْ خَلْفِـهِ يَحْـفَظُونَـهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾ [آية ١١] .

في الآية ثلاثةُ أقوالٍ :

رَوَى إسرائيلُ ، عن سِمَاكٍ عن عِكْرَمةَ ، عن ابن عبَّـاسٍ قال : ملائكةٌ يحفظونه ، فإذا جاء القَدَرُ خلَّوْا بينه وبينَه[4] .

وَرَوَى معاويـةُ بن صالح ، عن عليٍّ بن أبي طلحـةَ ، عن ابـن

---

(١) هذا ما رجحه ابن كثير ، وابن عطية ، قال الحافظ ابن كثير ٣٥٩/٤ ﴿ ومن هو مستخف بالليل ﴾ أي مختف في قعر بيته في ظلام الليل ﴿ وسارب بالنهار ﴾ أي ظاهر ماش في بياض النهار وضيائه ، فإن كلتيهما في علم الله على السواء . اهـ.

(٢) و(٣) في المصباح ٢٩١/١ : سَرَب في الأرض سروباً من باب قَعَد : أي ذهب ، وسَرَب الماء سروباً : جرى ، فهو سارب ، وخلِّ سَرْبه أي طريقه ، وفي الصحاح ١٤٦/١ : السَّرْبُ : الطريق ، وساربٌ بالنهار أي ظاهر ، والسَّاربُ : الذاهب على وجهه في الأرض .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١١٥/١٣ والسيوطي في الدر ٤٧/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر .

عبَّاس ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾ قال : بإذن الله ، وهي من أمرِ الله ، وهي ملائكة[1] .

قال الحسن : عن أمر الله[2] .

قال مجاهد وقتادة ــ وهذا لفظ قتادة ــ : وهي ملائكةٌ تتعاقب بالليل والنهار عن أمر الله ، أي بأمر اللهِ[3] .

فهذا قولٌ .

والقولُ الثاني : أنه رُوي عن جُوَيْبِر عن الضَّحَّاك عن ابن عبَّاس في قوله تعالى ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ قال : هم السَّلاطِينُ الذين لهم قومٌ من بين أيديهم ومن خلفهم ، يحفظونهم من أمر الله ، فإذا جاء أمر الله لم ينفعوا شيئاً[4] .

وَرَوى عليُ بنُ الحَكم عن الضَّحَّاك قال : هو السلطانُ المتحرِّسُ من الله ، وذلك أهلُ الشِّرْكِ[5] .

وروى شعبة عن شرقي عن عكرمةَ ، قال : هم الأُمراء[6] .

---

(١) الأثر في الطبري ١١٧/١٣ وابن الجوزي ٣١٢/٤ .

(٢) انظر جامع البيان ١١٨/١٣ وزاد المسير ٣١٢/٤ والدر ٤٧/٤ .

(٣) و(٤) و (٥) و (٦) هذه الآثار عن السَّلف ذكرها المفسرون ، الطبري في جامع البيان ١١٨/١٣ وأبو حيان في البحر ٣٧٢/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٣١١/٤ وابن كثير ٣٦٠/٤ والسيوطي في الدر المنثور ٤٨/٤ وهذه رواية شعبة عن شَرَقي البصري . قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ٣٢٦/٤ : « شَرَقي البصري » روى عن عكرمة عن ابن عباس في تفسير آية ﴿ له مُعَقِّباتٌ ﴾ وعنه شعبة ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال أبو حاتم : ليس بحديثه بأسٌ .

فهذان قولان .

والقول الثالث : أن ابن جريج قال : هو مثلُ قولِهِ ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾[1] فالذي عن اليمين يكتب الحسنات ، والذي عن الشمال يكتب السيئات[2] .

و ﴿ يَحْفَظُونَهُ ﴾ أي يحفظون عليه كلامه وفعله .

وأولى هذه الأقول الأوَّل لعلوِّ إسناده ، وصحته .

ويقوِّيه أن مالك بن أنس روى عن أبي الزِّناد عن الأعرج ، عن أبي هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « للهِ ملائكةٌ يتعاقبون فيكم باللَّيلِ والنَّهار .. »[3] وذكر الحديث .

وروى شعبة عن عمرِو بنِ مُرَّة ، عن أبي عُبيدة ، عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾[4] قال : تدورُ كالحرسِ ، ملائكة الليل ، وملائكة النَّهار[5] .

---

(١) سورة قٓ آية رقم (١٧) .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٣/١١٦ وابن الجوزي ٤/٣١٢ وابن كثير ٤/٣٦٠ .

(٣) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ٩/١٥٤ ولفظه « يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل ، وملائكةٌ بالنهار ، ويجتمعون في صلاة العصر ، وصلاة الفجر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ــ وهو أعلمُ بكم ــ فيقول : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلُّون ، وأتيناهم وهو يصلُّون » .

(٤) سورة الإسراءآية رقم (٧٨) .

(٥) هكذا في المخطوطة « تُدار كالحرس ملائكة الليل وملائكة النهار » وصوابه « تدور » كما أثبتناه ، وفي الطبري ١٥/١٤٠ عن أبي عبيدة : « يشهده حرس الليل وحرس النهار ، من الملائكة في صلاة الفجر » وهي أظهر وأوضح .

وروى **ابن عُيَيْنَةَ** عن عمروٍ ، عن ابن عباس أنَّه قرأ ﴿ معقِّباتٌ ﴾ من بينِ يديهِ ورقباءُ من خلفه ، من أمر الله يحفظونه[1] .

فهذا قد بيَّنَ المعنى .

وقال **الحسن** في المعنى يحفظونه عن أمر الله . [وهذا قريب من الأول ، أي حفظُهم إيَّاهُ من عند الله][2] لا من عند أنفسهم .

وروى **عمرو بن مالك** عن أبي الجوزاء في قوله ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ قال النبيُّ ﷺ[3] .

وهذا يريد الملائكة أيضاً .

وعن بعضهم أنَّه قرأ (معاقِيبُ من بين يديهِ ومن خلفه)[4] و (معاقيبُ) جمعُ مُعَقِّب ، وتفسيره كتفسير الأول .

١٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾** [آية ١١] .

أي ليس أحد يتولاهم من دون الله .

---

(١) هذه القراءة محمولة على التفسير ، وليست قراءة معتداً بها ، فلا تجوز القراءة بها .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة وأثبتناه من الحاشية ، وانظر تفسير ابن الجوزي ٣١١/٤ وقال اللغويون : الباء تقوم مقام « من » وحروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض . اهـ.

(٣) هذا قول ابن زيد كما في المحرر ١٣٧/٨ والمعنى : إن الملائكة تحفظه عليه السلام من أعدائه ، وقد ضعَّفه ابن عطية لأنه لم يتقدم له ذكرٌ ، وقال القرطبي ٢٩٢/٩ : قد جرى ذكرُ الرسول في قوله سبحانه ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ .

(٤) هذه قراءة عُبيد الله بن زياد ، وهي من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٣٥٥/١ .

و « وَالٍ » وولـيٌّ واحـدٌ ، كما يُقـالُ : قديـرٌ وقـادرٌ ، وحفيـظٌ وحَافظٌ[1] .

١٧ ــ وقوله جل وعز ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً .. ﴾ [آية ١٢] .

قال الحسن ومجاهد وقتادة : أي خوفاً للمسافر ، وطمعاً للحاضر[2] .

والمعنى : أَنَّ المسافر يخاف من المطر ويتأذَّى به .

قال الله تعالى ﴿ أَذًى مِنْ مَطَرٍ ﴾[3] .

والحاضر : المنتفع بالمطر ، يطمعُ فيه إذا رأى البرق .

١٨ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَيُنْشِئ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ [آية ١٢] .

قال مجاهد : التي فيها المطر[4] .

---

(١) قال ابن الجوزي ٣١٣/٤ ﴿ وما لهم من دونه من والٍ ﴾ أي من وليٍّ يدفع عنهم العذاب والبلاء . اهـ. أقول : أصل « والٍ » والي ، وهو الذي يلي أمر الإنسان كالولي ، حُذفت الياء منه مراعاة لرءوس الآيات .

(٢) الأثر في الطبري ١٢٣/١٣ وابن الجوزي ٣١٣/٤ والدر المنثور ٤٩/٤ .

(٣) يريد المصنف أن الله وصف المطر بالأذى في قوله سبحانه ﴿ ولا جُناح عليكم إن كان بكم أذى من مطرٍ ﴾ الآية سورة النساءآية رقم (١٠٢) .

(٤) الطبري عن مجاهد ١٢٤/١٣ وابن كثير ٣٦٢/٤ سُميت ثقالاً لأنها ثقيلة بالماء الكثير ، قال الفراء : والسحابُ وإن كان لفظُه واحداً ، فإنه جمعٌ واحدته سحابة ، جُعل نعتُه على الجمع . معاني الفراء ٦٠/٢ .

١٩ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ .. ﴾** [آية ١٣] .

رَوى سفيانُ عن سالم ، عن أبي صالح ، قال : الرَّعدُ : مَلَكٌ يسبِّحُ[١] .

وروى عثمان بن الأسود عن مجاهد : قال : الرعد ملكٌ يسمَّى « الرَّعدَ » ألَا تسمع إلى قوله : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْد بِحَمْدِهِ ﴾[٢] ؟

وروى سفيان عن الحكم بن عُتَيْبَة[٣] عن مجاهد ، قال : الرَّعدُ : مَلَكٌ يزجرُ السحابَ بصوتِهِ[٤] .

وقال عكرمة : الرعد ملك يصوِّت بالسحاب كالحادي بالإبل[٥] .

---

(١) الأثر في ابن جرير ١٥١/١ وابن الجوزي ٣١٤/٤ ولفظه : الرعد اسم المَلَك الذي يزجر السحاب ، وصوته تسبيحه .

(٢) هذا طرف من حديث طويل رواه أحمد والترمذي وصححه ، وهو في الدر المنثور بأكمله ٥٠/٤ وفيه أن اليهود سألوا النبي ﷺ قالوا : أخبِرْنا ما هذا الرعدُ ؟ قال : « مَلَكٌ من ملائكة الله موكَّل بالسحاب ، بيديه مخراق من نار ، يزجر به السحاب ، يسوقه حيث أمره الله » قالوا : صدقت .. » الحديث .

(٣) الحكمُ بين عُتَيْبة هو : أبو محمد الكَنَدي الكوفي ، ثقةٌ ، ثَبْتٌ مات سنة ١١٣هـ ، انظر ترجمته في تقريب التهذيب ١٩٢/١ .

(٤) و (٥) انظر هذه الآثار كلها في الطبري ١٢٤/١٣ والقرطبي ٢٩٦/٩ وابن كثير ٣٦٣/٤ والدر المنثور ٥٠/٤ ، ٥١ قال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٤٤/٨ : والرعدُ مَلَكٌ يزجر السحاب بصوته ، وصوته هذا المسموع تسبيحٌ ، والرَّعد اسم المَلَك ، وقيل : الرعدُ اسم صوت المَلَك ، ورُوي عن النبي ﷺ أنه كان إذا سمع الرعد ، قال : « اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك » . اهـ. أقولُ : الحديث أخرجه أحمد في المسند ١٠٠/٢ .

ورُوي أنَّ ابــن عبَّـاس كان إذا سمع صوت الرعــد قال : « سبحان الذي سبَّحتْ له »[1] .

وروى مالكٌ عن عامر بن عبد الله ، عن أبيه ، كان إذا سمع صوت الرعد لَهِيَ من حديثه ، وقال : « سبحانَ من سبَّحَ الرعدُ بحمدِهِ ، والملائكةُ من خيفته » ثم يقول إنَّ هذا وعيدٌ لأهلِ الأرض شديد[2] .

٢٠ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ .. ﴾ [آية ١٣] .

يجوز أن تكون الواوُ واوَ حال ، أي يصيب بها من يشاء في حال مجادلته .

لأنه يُروى أن أربد[3] سأل النبي ﷺ فقال : أخبرنا عن ربِّنا أهو من نُحَاسٍ ، أو من حديد ؟ فأرسل الله صاعقة فقتلته[4] .

---

(١) و (٢) انظر جامع البيان للطبري ١٣/١٢٥ وابن كثير ٤/٣٦٣ والمحرر الوجيز لابن عطية ٨/١٤٥ ومعنى قوله « لَهِيَ من حديثه » أي تركه وأعرض عنه ، قال ابن الأثير في النهاية ٤/٢٨٢ : لَهِيتُ عن الشيء بالكسر أَلْهَى لُهِيًّا : إذا سلوتَ عنه وتركتَ ذكره . اهـ.

(٣) ذكر ابن الجوزي في تفسيره ٤/٣١٤ أنه « أربد بن قيس » وكذلك في الطبري أنه أربد أخو لبيد ابن ربيعة وهو من صناديد الكفر ، ورؤساء الضلالة .

(٤) ورد هذا في حديث رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي ، وأخرجه ابن جرير ١٣/١٢٥ وابن كثير ٤/٣٦٤ ولفظه عن أنس أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً مرَّةً إلى رجل من فراعنة العرب ، فقال : اذهب فادْعه لي ، فذهب إليه فقال : يدعوك رسول الله ﷺ فقال له : من رسول الله ؟ وما الله ؟ أمِن ذهبٍ هو ! أم من فضة ؟ أم مَن نحاس ؟ فرجع إلى رسول الله فأخبره ، فقال يا رسول الله : قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك ــ أي أشد طغياناً وتكبراً مما تظن ــ قال

ويجوز أن يكون قوله ﴿ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ ﴾ منقطعاً من الأول .

٢١ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ المِحَالِ ﴾ [آية ١٣] .

قال ابن عباس : أي الحول[3] .

وقال قتادة : أي الحيلة[4] .

وقال الحسن : المكرُ[5] .

ورُوي عن الحسن أنه قال : أي الهَلَاك[6] .

وهذه أقوال متقاربةٌ ، وأشبهها بالمعنى ــ والله أعلمُ ــ أنه الإِهْلَاكُ ؛ لأن المَحْلَ الشِدَّةُ ، فكأنَّ المعنى : شديد العذاب والإِهلاك[7] .

وقد قال جماعة من أهل اللغة ، منهم « أبو عُبيدة » و « أبو عُبيدٍ » : هو المكرُ ، من قولهم : مَحَلَ به ، وأنشدَ بيتَ الأعشَى :

لي : كذا وكذا ، فقال : ارجع إليه الثانية ، فذهب فقال له مثلها ، فأرسله الثالثة فأعاد عليه ذلك الكلام ، فبينا هو يُكلِّمه ، إذ بعث الله سحابةً حيال رأسه ، فرعدت فوقع منها صاعقة ، فذهب بِقِحْفِ رأسه ــ أي أعلى الدماغ ــ فأنزل الله الآية .

(٣) و (٤) و (٥) و (٦) هذه الآثار كلها في الطبري ١٣/١٢٧ وابن الجوزي ٤/٣١٦ والبحر ٥/٣٧٥ .

(٧) انظر جامع البيان للطبري ١٣/١٢٧ والبحر المحيط ٥/٣٧٦ ومعنى الآية : أن الكفار يجادلون في وجود الله ووحدانيته ، وهو تعالى شديد القوة والبطش والنّكال ، كما قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/٣٢٥ .

فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصُنِ المَجْـــدِ
غَزِيرُ النَّدَى شَدِيدُ المِحَالِ[1] .

وقال أبو عبيد : الأشبهُ بقول ابن عبَّاس أنْ يكون قرأ (شديد المَحَال) بفتح الميم .

فأما الأعرجُ فالمعروف من قراءته (المَحَال) بفتح الميم[2] .

ومعناه كمعنى الحَوْلِ من قولهم : لا حَوْلَ وَلَا قوَّةَ إلَّا باللهِ .

فأما معنى المكر من الله : فهو إيصال المكروه إلى من يستحقُّه من حيث لا يشعر[3] .

٢٢ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ .. ﴾ [آية ١٤] .

رَوَى إسرائيل عن سِمَاك ، عن عكرمة ، عن ابنِ عبَّاسٍ قال : « لا إله إلَّا اللهُ »[4] .

وكذلك قال قتادة والضَّحَّاك .

---

(١) البيت للأعشى وهو في ديوانه ص ١٦٦ وفيه فسَّر المِحَالَ بالعقوبة ، وقد جاء في المخطوطة « فَرْعُ فَرْعٍ يهتزُّ » وصوَّبناه من الديوان ، وهو في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٢٥/١ وجامعَ البيان للطبري ١٢٧/١٣ والقرطبي ٢٩٩/٩ واللسان ، والتاج ، مادة مَحَل .

(٢) هذه القراءة شاذة كما في المحتسب لابن جنى ٣٥٦/١ وقرأ السبعة « المِحَال » بالكسر ، قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٣٢٥/١ ومعناه : شديد العقوبة والمكر والنكال .

(٣) قال ابن كثير ٣٦٧/٤ : ﴿ وهو شديد المحال ﴾ أي شديد العقوبة لمن طغى وعتا وتمادى في كفره ، قال : وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى ﴿ ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون ﴾ .

(٤) الأثر في الطبري ١٢٨/١٣ وابن الجوزي ٣١٧/٤ وابن كثير ٣٦٧/٤ .

٢٣ ـ **ثم قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى المَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ .. ﴾** [آية ١٤] .

قال مجاهد : أي يشير إلى الماء بيده ، ويدعوه بلسانه(١) .

وقال غيره : أي الذي يدعو الأصنام ، بمنزلة القابض على الماء ، لا يحصل له شيء(٢) .

٢٤ ـ **وقوله جل وعز ﴿ ولله يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوات وَالأَرْضِ طَوْعاً وكَرْهاً .. ﴾** [آية ١٥] .

قيل : مَنْ أسلم طوعاً ، ومَنْ لم يسلم حتى فُحِصَ عن رأسه بالسيف ، فكان أول دخوله كَرْهاً(٣) .

وقيل : إنَّما وقع هذا على العموم ، لأنَّ كل من عَبَدَ غيرَ اللهِ ، فإنَّما يقصد إلى ما يَعْظُم في قلبِهِ ، واللهُ العظيمُ الكبيرُ(٤) .

---

(١) انظر الأثر في تفسير ابن الجوزي ٣١٧/٤ وجامع البيان للطبري ١٢٩/١٣ ولفظه : قال مجاهد : يدعو الماء بلسانه ، ويشير إليه بيده ، ولا يأتيه أبداً .

(٢) هذا قول أبي عُبيدة في مجاز القرآن ٣٢٧/١ قال : يبسط كفَّه ليقبض على الماء ، ولا تجمعه أناملُه وأنشد :

فأصْبَحتُ ممَّا كَانَ بَيْني وَبَيْنَهَا ... من الوُدِّ مِثْلَ القَابِضِ المَاءَ باليدِ

(٣) هذا قول ابن زيد كما حكاه ابن جرير ١٣٠/١٣ وابن الجوزي ٣١٨/٤ ولفظ الطبري : قال ابن زيد : من دخل طائعاً هذا « طوعاً » و « كرهاً » من لم يدخل إلَّا بالسيف .

(٤) قال القرطبي ٣٠٢/٩ : الصحيح إجراء الآية على التعميم ، فالمؤمن يسجد ببدنه طوعاً ، وكلُّ مخلوق ـ مؤمناً كان أو كافراً ـ يسجد من حيث إنه مخلوقٌ ، يسجد دلالة وحاجة إلى الصانع كقوله سبحانه ﴿ وإن من شيءٍ إلا يُسبِّح بحمده ﴾ وهو تسبيحُ دلالةٍ ، لا تسبيح عبادة . اهـ .

والسجودُ في اللغة : الخضوعُ ، والانقيادُ ، وليس شيءٌ إلَّا وهو يخضع للهِ ، وينقادُ له[1] .

٢٥ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَظِلَالُهُمْ بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾** [آية ١٥] .

يُروى أنَّ الكافر يسجد لغير اللهِ ، وظلُّه يسجدُ للهِ ، وهذا من الانقياد والخضوع .

وقيل : الظِّلالُ ها هنا : الأشخاصُ[2] .

٢٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ .. ﴾** [آية ١٦] .

أي هل رأَوْا غير اللهِ خَلَقَ مثْلَ خلقِهِ ، فتشابَهَ الخلقُ عليهم[3] ؟!

---

(١) قال في البحر ٣٧٨/٥ : إن كان السجودُ بمعنى الخضوع والانقياد ، فالآية على عمومها ، كلهم ينقاد إلى ما أراده تعالى بهم ، شاءوا أو أبوا ، وتنقادُ له تعالى ظلالهم ، من الفيء والزوال ، والتقلُّص والامتداد ، وإن كان السجود هو وضع الجبهة على الأرض ، فيكون قد عبَّر بالطَّوع عن سجود الملائكة والمؤمنين ، وبالكرْه عن سجود من ضمَّه السيف إلى الإسلام .

(٢) هذا القول حكاه بعضُ المفسرين وهو ضعيف ، لأن الظلَّ لا يُطلق على الشخص لغةً ، فالظلُّ شيءٌ والشخص أمرٌ آخر ، قال أبو حيان في البحر ٣٧٨/٥ : وكونُ الظلال يُراد بها الأشخاص ضعيف ، وأضعفُ منه قول ابن الأنباري إنه تعالى جعل للظِّلال عقولاً ، تسجد بها وتخشع ، كما جعل للجبال أفهاماً حتى خاطبت وخُوطبت ، فإن الظلَّ عَرَضٌ لا يُتصَوَّر قيام الحياة به ، وإنما معنى سجود الظِّلال : ميلُها من جانب إلى جانب ، كما أراد الله تعالى . اهـ .

(٣) هذا الاستفهام للتهكم والسخرية لأنه معلوم بالضرورة ، أن هذه الأصنام لا تقدر على خلق ذرَّة ، فكأنه يقول لهم : هل التبس الأمرُ عليكم ، فلم تفرِّقوا بين خَلْق الله ، وبين ما خلقته أصنامكم ؟ وهو تهكم لاذع ، فيه تسفيه لهم وتجهيل ، وإزراء بعقولهم ، ولهذا قال بعده ﴿ قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهَّار ﴾ .

٢٧ ــ **وقوله تعالى ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا .. ﴾** [آية ١٧] .

قال ابن جريج : أخبرني ابن كثير ، قال : سمعتُ مجاهداً يقول : بقدر مِلئها[1] .

قال ابن جريج : بقدر صِغَرِها ، وكِبَرِها[2] .

وقرأ الأشهبُ العُقَيْليُّ ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدْرِهَا ﴾[3] والمعنى واحدٌ .

وقيل : معناها بما قُدِّر لها .

٢٨ ــ **ثم قال تعالى ﴿ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً ﴾** [آية ١٧] .

أي طالعاً عالياً[4] .

قال مجاهد : تمَّ الكلامُ .

٢٩ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَمِمَّا تُوْقِدُونَ[5] عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُه .. ﴾** [آية ١٧] .

---

(١) و (٢) انظر الطبري ١٣/١٣٦ والدر المنثور ٤/٥٥ .

(٣) ذكر هذه القراءة ابن عطية في المحرر الوجيز ٨/١٥٥ ولم أعثر على ترجمة للأشهب العُقَيلي مع أن ابن عطية قد ذكره بهذا الاسم ، وقد ورد في الجرح والتعديل ٢/٣٤٢ « أشهب الضَّبعي » فلعله هو أو هو اسم لآخر ، والله أعلم .

(٤) قال ابن عطية ٨/١٥٥ : الزَّبَدُ : ما يحمله السيل من غثاء ونحوه ، والرَّابي : المنتفخ الذي قد ربا ، ومنه الرَّبوة .

(٥) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ﴿ وممَّا توقدون عليه ﴾ بالتاء ، وقرأ حمزة ، والكسائي وحفص عن عاصم ﴿ يوقدون ﴾ بالياء ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٤/٣٢١ والنشر في القراءات العشر ٢/٢٩٧ وكلتا القراءتين سبعية .

قال مجاهد : المتاع : الحديدُ ، والنُّحَاسُ ، والرَّصَاصُ[1] .

قال غيره : الذي يوقد عليه ابتغاء حليةٍ : الذهب والفضَّة .

٣٠ ــ ثم قال تعالى ﴿ فأمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً .. ﴾ [آية ١٧] .

قال مجاهد : أي جموداً[2] .

قال أبو عمرو بن العلاء[3] ــ رحمه الله ــ : يقال : أجفأتِ القِدْرُ : إذا غَلَتْ حتى يَنْضُبُ زَبَدُها ، وإذا جمد في أسفلها[4] .

قال أبو زيد[5] : وكان رُؤْبةُ يَقْرأ ﴿ فَيَذْهَبُ جُفَالاً ﴾[6] ، يقال : جَفَلتِ الرِّيحُ السَّحَابَ : إذا قَطَّعَتْهُ وأذهبته[7] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٣/١٣٦ والدر ٤/٥٥ وابن كثير ٤/٣٧٠ .

(٢) عبارته كما في الطبري ﴿ فيذهب جُفَاءً ﴾ أي جموداً في الأرض .

(٣) أبو عمرو بن العلاء : هو الإمام ابن العلاء المازني من كبار علماء اللغة والقراءات المتوفى سنة ١٥٤هـ وانظر التهذيب ١٢/١٧٨ .

(٤) ذكره الطبري عن أبي عمرو بن العلاء ١٣/١٣٧ وأبو عبيدة في مجاز القرآن ١/٣٢٩ وفي المخطوطة « حتى ينضبُ زَبَدُها » وفي الطبري ومجاز القرآن « إذا غلت فانصبَّ زبَدُها ، أو سكنت فلا يبقى منه شيء » .

(٥) أبو زيد هو « سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري » أحد أئمة الأدب واللغة المتوفى سنة ٢١٥هـ وانظر ترجمته في وفيات الأعيان ١/٢٠٧ وتاريخ بغداد ٩/٧٧ .

(٦) ذكرها أبو حيان في البحر ٥/٣٨٢ وابن عطية في المحرر ٨/١٥٧ وليست من القراءات السبع المتواترة .

(٧) في الصحاح ٥/٦٥٧ : الجَفْلُ : السحاب الذي قد اهْرَاق ماؤه ثم انجفل ، والجُفال : ما نفاه السيل ، وأجفلتِ الريح أي أسرعت ، وأجفلتِ الترابَ : أي أذهبته وطيَّرته . اهـ.

٣١ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ .. ﴾ [آية ١٧] .

قال مجاهد : وهو الماءُ ، وهذا مثلٌ للحقِّ والباطلِ ، أي إنَّ الحقَّ يبقى ويُنتفعُ به ، والباطلُ يذهبُ ويضمَحِلُّ ، كما يذهب هذا الزَّبدُ ، وكذهابِ خَبَثِ هذه الأشياء(١) .

٣٢ ــ ثم قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ ﴾ [آية ١٧] .

تمَّ الكلام(٢) .

٣٣ ــ ثم قالَ جلَّ وعزَّ ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الحُسْنَى .. ﴾ [آية ١٨] .

قال قتادة : هي الجنَّةُ(٣) .

٣٤ ــ وقوله تعالى ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الحِسَابِ .. ﴾ [آية ١٨] .

---

(١) الأثر ذكره الطبري ١٣/١٣٦ وهو قول قتادة ، وابن زيد ، قال ابن الجوزي ٤/٣٢٢ : « هذا مثلٌ ضربه الله للحق والباطل ، فالحق شُبِّه بالماء الصافي الباقي ، والباطل مشبَّه بالزبد الذاهب ، فهو ــ وإن علا على الماء ــ سينمحقُ ، كذلك الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال ، فإن الله يبطله » .

(٢) هذا واضح صريح ، في أن الآية وردت مورد التمثيل ، ولهذا قال الطبري ١٣/١٣٦ : « هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مَثَل واحد ، يقول : كما اضمحلَّ هذا الزبد فصار جُفَاء لا يُنتفع به ولا تُرجى بركته ، كذلك يضمحل الباطل عن أهله ، وكما مكث هذا الماء في الأرض فأخرجت نباتها ، كذلك يبقى الحقُّ لأهله .. » إلخ .

(٣) الطبري ١٣/١٣٨ وابن الجوزي ٤/٣٢٣ وهو قول ابن عباس ، وإليه ذهب الجمهور .

قال أبو الجوزاء : عن ابن عبَّاس يعني : المناقشة بالأعمال .

ويدلُّ على هذا الحديث : « مَنْ نُوقشَ الحسابَ هَلَكَ »[1] .

قال فرقــد : قال لي إبــراهيم : يا فرقــدُ : أتــدري ما سُوءُ الحساب ؟ قلتُ : لا . قال : أن يُحَاسَبَ العبدُ بذنبه كلِّه ، لا يُغْفَرُ له منه شيء[2] .

٣٥ ــ وقوله تعالى ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ ، وَأَزْوَاجِهِمْ ، وَذُرِّيَّاتِهِمْ .. ﴾ [آية ٢٣] .

أي من كان صالحاً .

لا يدخلونها بالأنساب .

٣٦ ــ ثم قال تعالى ﴿ والمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ [آية ٢٣] .

أي تكرمةً من الله لهم .

٣٧ ــ ثم قال تعالى ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ [آية ٢٤] .

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري ١/١٧٦ في كتاب العلم ، ومسلم في الجنة برقم ٢٨٧٦ والترمذي برقم ٢٤٢٨ وأحمد في المسند ٦/١٨٥ ولفظه عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « من حُوسب يوم القيامة عُذِّب » وفي رواية : « ليس أحد يُحاسب إلَّا هَلَكَ » قلت يا رسول الله : جعلني الله فداءك ، أليس الله تعالى يقول ﴿ فأمَّا من أُوتي كتابه بيمينه فسوف يُحاسب حساباً يسيراً ﴾ قال : « ذلك العَرْضُ تُعْرضون ، ومن نُوقش الحسابَ هلك » . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٣/١٣٨ والسيوطي في الدر ٤/٥٦ .

أي يقولون : سلامٌ عليكم بما صبرتم[1] .

٣٨ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾** [آية ٢٤] .

قال أبو عِمْرَان الجَوْنِي[2] : ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار ﴾ الجنَّةُ من النار .

٣٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾** [آية ٢٦] .

قال مجاهد : أي تذهب[3] .

٤٠ ــ **وقوله عز وجل ﴿ قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾** [آية ٢٧] .

أناب : إذا رجع إلى الطاعَة[4] .

---

(١) هذا من باب الإيجاز بالحذف ، لدلالة الكلام عليه ، ومثلُ هذا الحذف كثير في أساليب العرب ، قال تعالى ﴿ أنا أنبئكم بتأويله فأرسلونِ . يوسُف أيها الصِّدِّيق أفتنا ﴾ أي فأرسلوه فجاء إليه فقال : يوسف أيها الصِّدِّيق أفتنا .

(٢) أبو عمرَانَ الجَوْني : بفتح الجيم وسكون الواو ، نسبة إلى الجَوْن بطنٌ من كِندة ، أفاده صاحب المغني في الأنساب ص ٦٧ قال ابن حِجَر في تقريب التهذيب ٥١٨/١ : أبو عِمْرَان الجَوْني عبد الملك بن حبيب الأزدي أو الكِنْدي ، مشهور بكنيته ، ثقةٌ من كبار الرابعة ، توفي سنة ١٢٨هـ ، وانظر تهذيب التهذيب ٣٨٩/٦ .

(٣) الأثر في الطبري عن مجاهد ١٤٤/١٣ : ﴿ مَتَاعٌ ﴾ : قليل ذاهب . أقول : المراد أنه شيء قليل ذاهب ، ومتاع حقير بالنظر إلى الآخرة ، والمتاعُ : كلُّ ما يتمتع به ثم يضمحل ويفنى .

(٤) « أناب » معناه في اللغة : رجع وتاب من الذنب ، ولهذا قال المصنِّف : رجع إلى الطاعة .

٤١ ــ **ثم قال تعالى** ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ ..** ﴾ [آية ٢٨] .

أي بتوحيده ، والثناء عليه[١] .

٤٢ ــ **ثم قال تعالى** ﴿ **أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [آية ٢٨] .

أي التي هي قلوب المؤمنين .

قال مجاهد : يعني أصحابَ محمدٍ ﷺ[٢] .

٤٣ ــ **ثم قال تعالى** ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ ..** ﴾ [آية ٢٩] .

قال ابن عباس وأبو أُمَامة : « طُوبَى » شجرةٌ في الجنة[٣] .

وكذلك قال عبيد بن عمير .

وقال مجاهد : هي الجنة[٤] .

وقال عكرمة : أي نِعْمَ ما لَهُمْ[٥] .

وقال إبراهيم : « طُوبَى » أي خيرٌ وكرامةٌ[٦] .

---

(١) المراد أن بذكر الله تعالى تستأنس ، وتسكن قلوب المؤمنين ، فلا يشعرون بقلق ولا اضطراب .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير عن مجاهد ١٤٥/١٣ والسيوطي في الدر ٥٨/٤ .

(٣) الأثر في جامع البيان للطبري ١٤٧/١٣ وابن كثير ٣٧٧/٤ ورجحه القرطبي في جامع الأحكام ٣١٧/٩ فقال : والصحيح أنها شجرة للحديث المرفوع ، ورُوي عن ابن عباس أيضاً أن معنى « طوبى لهم » فرحٌ لهم وقُرَّة عين ، ومعناها العيشُ الطيِّب لهم ، ما أطيبهم وما أحسن مآبهم . اهـ. ولعل هذا القول أرجح لأنه يجمع كل نعيم لأهل الجنة ، والله أعلم .

(٤) و (٥) و (٦) الآثار كلها عن السلف ذكرها ابن جرير في جامع البيان ١٤٦/١٣ والقرطبي في =

وهذه الأقوال متقاربةٌ ، لأن « طُوبَى » فُعْلَى من الطِّيب ، أي من العيش الطيِّب لهم ، وهذه الأشياء ترجع إلى الشيءِ الطيِّبِ .

٤٤ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾** [آية ٢٩] .

قال مجاهد : أي مرجع[١] .

٤٥ ــ **وقوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى .. ﴾** [آية ٣١] .

قال ابن عباس : قال الكفَّارُ للنَّبِيِّ ﷺ : سيِّرْ لَنَا الجبالَ ، قَطِّعْ لنا الأرضَ ، أَحْيِي لنا الموتَى[٢] .

وقال مجاهد : قالوا للنَّبيِّ ﷺ : بعِّد لنا هذه الجبال ، وادْعُ لنا أن يكون لنا زرعٌ ، وقرِّبْ منَّا الشَّامَ فإنَّا نَتَّجِرُ إليه ، وأحيي لنا الموتى[٣] .

قال قتادة : قالت قريش للنَّبيِّ أَحْيِي لنا الموتى ، حتى نسألهم عن الذي جئتَ به ، أحقٌّ هو ؟ فأنزلَ اللهُ ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى ﴾[٤] .

= جامع الأحكام ٣١٦/٩ وابن كثير في تفسيره ٣٧٦/٤ وأورد ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٣٢٧/٤ ثمانية أقوال لمعنى « طُوبَى » ونقل عن الزجاج أن معناها : العيشُ الطيِّب لهم ، قال : وهي « فُعْلَى » من الطِّيب ، وقال ابن الأنباري : معناها الحالُ المستطابة ، والخلَّة المستلذَّة لهم ، وهذا ما رجحه الإمام النحاس رحمه الله ، وقال ابن كثير ٣٧٦/٤ : وهذه الأقوال شيء واحد ، لا منافاة بينها .

(١) انظر تفسير الطبري ١٥٠/١٣ حيث قال : ﴿ وحُسْنَ مآب ﴾ : وحسن منقلب . وقال ابن كثير ٣٧٦/٤ : وحسن مرجع .

(٢) و(٣) و (٤) هذه الآثار كلها ذكرها أهل التفسير ، الطبري في جامع البيان ١٥١/١٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٣٠/٤ وتفسير البحر المحيط ٣٩١/٥ والدر المنثور ٦٢/٤ .

قال : لو فُعِل هذا بأهل الكتاب لفُعِل بكم[1] .

وهـذه الأقـوال كلُّهـا توجب أنَّ الجوابَ محذوفٌ ، لعلـم السامع[2] ؛ لأنهم سألوا فكان سؤالهم دليلاً على جواب (لو) .

ونظيرُه : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[3].

وقال الشاعر :

فَلَـوْ أَنَّهـا نَفْسٌ تَمُـوتُ سَوِيَّـةً
وَلَكِنَّهَـا نَفْسٌ تَسَاقَـطُ أَنْـفُسَا[4]

فحذِف جوابُ (لو) ، أي لَتَسَلَّتْ .

---

(١) عبارة قتادة كما في الطبري ١٥٢/١٣ : يقول : لو كان فُعل ذلك بشيء من الكتب ، فيما مضى كان ذلك .

(٢) هكذا قال ابن جرير ١٥٢/١٣ : وجواب « لو » محذوف ، استغنى بمعرفة السامعين المراد عن ذكر جوابها ، والعرب تفعل ذلك كثيراً ، كما قال امرؤ القيس :

فأقسمُ لو شَيْءٌ أَتَانَـا رَسُولُـهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لكَ مَدْفَعَـا

أقول : وقدَّره بعضهم : لو أتانا رسول سواك لدفعناه ، ولكن لا نستطيع دفعك .

(٣) سورة هود آية رقم (٨٠) .

(٤) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه ص ١٠٧ : « فلو أنَّها نفسٌ تموتُ جميعَةً » إلخ . واستشهد به القرطبي في جامع الأحكام ٣١٩/٩ والشاهد فيه أنـه لم يأت بجواب لـ « لو » وهناك تقديران :

أحدهما : أن يكون الجواب محذوفاً لعلم السَّامع بما أراد ، كأنه قال : لكان ذلك أهون عليَّ ، ونحو ذلك .

والثاني : أن تكون « لو » بمعنى التمني فلا تحتاج إلى جواب ، ويريد بقوله « تموت جميعةً » أي تموت شيئاً بعد شيء ، ويُروى « تُساقِطُ أَنْفُساً » أي يموت بموتها خلق كثير ، لأنه يرعاها وينفق عليها .

وفي الحذف من الآية قولان :

أكثرُ أهل اللغة يذهب إلى أنَّ المعنى : ولو أنَّ قرآناً سُيِّرَت به الجبالُ ، أو قُطِّعت به الأرضُ ، أو كُلِّم به المَوْتى ، لكانَ هذا القرآن[1] .

وقال بعضهم : المعنى : لو فُعِل بهم هذا لَمَا آمنُوا[2] ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِم المَلاَئِكَةَ ، وَكَلَّمَهُمُ المَوْتَى ، وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً ، مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾[3] .

قال أبو جعفر : [وقيل : في الكلام][4] تقديمٌ وتأخيرٌ ، والمعنى : وهم يكفرون بالرحمن ولو أنَّ قرآناً سُيِّرتْ به الجبالُ ، أي وهم يكفرون ولو وَقَعَ هذا[5] .

٤٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ أَفَلَمْ يَيأَسِ الَّذينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ [آية ٣١] .

قال أبو جعفر : في هذه الآية اختلافٌ كثير .

---

(١) كذا قدَّره الحافظ ابن كثير ٣٨٢/٤ وأبو حيان في البحر المحيط ٣٩١/٥ قال : وجواب « لو » محذوف أي لكان هذا القرآن ، لكونه غايةً في التذكير ، ونهاية في الإنذار والتخويف .

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٣٠/٤ وعزاه إلى الزجاج .

(٣) سورة الأنعام آية رقم (١١١) .

(٤) ما بين الحاصرتين مكرَّرٌ في المخطوط .

(٥) هذا القول للفراء كما في معانيه ٦٣/٢ وهو أحد وجهين ذكرهما في تأويل الآية ، وقد ردَّه أبو حيان في البحر ٣٩١/٥ قال : وعلى قول الفراء يترتب جواب « لو » أن يكون : لَمَا آمنوا ، لأن قوله ﴿ وهُمْ يكفرون بالرحمن ﴾ ليس جواباً ، وإنما هو دليل على الجواب .

روى جرير بنُ حازمٍ عن يَعْلَى بن حكيمٍ ، وعكرمةُ عن ابنِ عبَّاس أنه قَرَأَ ﴿ أَفَلَمْ يَتَبَيَّن الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[1] مُخْتَصَرٌ .

وفي كتاب خارجةَ أنَّ ابن عبَّاس قرأ ﴿ أفَلَمْ يَتَبَيَّنْ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾[2] .

وروى المنهال بن عُمير عن سعيد بن جُبير عن ابن عبَّاس ﴿ أفَلَمْ يَيْأَس الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي أفلم يعلم[3] .

وأكثرُ أهل اللغة على هذا القول .

وممن قال به أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة[4] ، قال سُحَيْم بن وثيل :

أَقُولُ لَهُمْ بِالشِّعْبِ إِذْ يَيْسِرُونَنِي
أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّي ابنُ فَارِسِ زَهْدَمِ[5]

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٣٥٧/٢ قال : وهذه القراءة فيها تفسير معنى قوله تعالى ﴿ أفلم يَيْأَسِ ﴾ فهي محمولة على التفسير .

(٢) وهذه أيضاً من القراءات الشاذة ، وهي محمولة على أنها تفسير للآية ، فهي تفسير معنى ، لا قراءة متواترة .

(٣) هذا القول عن ابن عباس ذكره الطبري في جامع البيان ١٥٤/١٣ ورجَّح أن المعنى : أفلم يعلم ويتبيَّن ، وأنكر هذا القول الفراء في معانيه ٦٤/٢ أن يكون يَئِسَ بمعنى عَلِمَ ، وزعم أنه لم يُسمع أحدٌ من العرب يقول : « يَئِستُ » بمعنى علمتُ إلخ . قال في البحر ٣٩٢/٥ وقد حفِظَ ذلك غيره ، وهذا القاسم بن معن من ثِقَاة الكوفيِّين ، نقل أنها لغة هوازن ، ومن حفظ حجةٌ على من لم يحفظ .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٣٢/١ وقد حكاه عنه ابن حجر في فتح الباري ٢٨٢/٨ .

(٥) البيت لسُحيم بن وثيل الرياحي وهو في الطبري ١٥٣/١٣ بلفظ « إذ يأسرونني » قال : ويُروى =

ويُروى : إذْ يأسِرونني .

فمعنى ﴿ أفلم يَيْأَسَ الذِينَ آمَنُوا ﴾ ألم يعلموا .

وروى معاوية بن صالح بن عليِّ بنِ أبي طلحة عن ابنِ عبَّاس في قوله : ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ قال : أفلم يعلم .

وفي الآية قول آخر :

قال الكسائي : لا أعرفُ هذه اللغة ، ولا سمعتُ مَنْ يقولُ : يئستُ بمعنى علمتُ ، ولكنه عندي من اليأس بعينه[1] ، والمعنى : إنَّ الكفار لمَّا سألوا تسيير الجبال بالقرآن ، وتقطيعَ الأرض ، وتكليمَ الموتى ، اشْرَأَبَّ لذلك المؤمنون وطمعوا في أن يُعْطَى الكفارُ ذلك فيؤمنوا ، فقال اللهُ : ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء ، لعلمهم أنَّ الله لو أراد أنْ يهديهم لهداهم ، كما تقول : قد يئستُ من فلانٍ أن يُفلح ، والمعنى : لعلمي به[2] .

= ييسروني بمعنى يقسمونني كما يُقسم الجَزور في الميسر ، واستشهد به القرطبي في جامع الأحكام ٩/٣٢٠ وفي اللسان مادة يئس ، وفي البحر المحيط ٥/٣٩٢ وهو من شواهد أبي عبيدة ١/٣٣٢ وفي الصحاح ٣/٩٩٣ .

(١) أي هو من اليأس بمعنى القنوط من حصول الشيء ، وانظر الصحاح مادة يئس .

(٢) انظر تفصيل قول الكسائي في البحر المحيط ٥/٣٩٢ وهو قريب من قول الفراء فقد قال في معانيه ٢/٦٣ : قال المفسرون : ييأسُ بمعنى يعلمُ ، وهو في المعنى على تفسيرهم ، لأن الله تعالى قد أوقع إلى المؤمنين أنه لو يشاء لهدى الناس جميعاً فقال ﴿ أَفَلَمْ ييأس الذين آمنوا ﴾ أي أفلم ييأسوا علماً ، فكان العلمُ فيه مضمراً كما تقول : قد يئست منك ألّا تفلح علماً ، كأنك قلت : علِمته علماً . وروي عن ابن عباس أنه قال : ييأسُ في معنى يعلَم لغة النَخَع ، قال الفراء : ولم نجدها في العربية إلّا على ما فسَّرت . اهـ.

٤٧ ــ وقوله تعالى ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ ﴾ [آية ٣١] .

قال ابن عباس : يعني السَّرَايا[١] .

وكذلك قال عكرمة وعطاء الخراساني إلَّا أن أبا عاصم روى عن شبيب عن عكرمة عن ابن عبَّاس قال : النكبة[٢] .

وقال مجاهد : قارعة أي سريّة ومصيبة تصيبهم[٣] .

والقارعة في اللغة : المصيبةُ العظيمة[٣] .

٤٨ ــ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ ﴾ [آية ٣١] .

قال مجاهد وعكرمة وقتادة : أو تحلُّ أنت يا محمد قريباً من دارهم[٥] .

حدثنا سعيد بن موسى بقَرْقيسيا قال : حدثنا مخلد بن مالك

---

(١) ذكره ابن الجوزي ٣٣٢/٤ عن عكرمة ، والطبري ٥٦/١٣ عن ابن عباس ، واختار الطبري أن المعنى : ما يقرعهم من البلاء والعذاب والنقم . وهو الأشهر والأرجح .

(٢) و (٣) انظر جامع البيان للطبري ١٥٦/١٣ وابن الجوزي ٣٣٢/٤ والبحر ٣٩٣/٥ .

(٤) هذا قول الزجاج كما حكاه ابن الجوزي عنه في زاد المسير ٣٣٢/٤ قال : فأما القارعة فقال الزجاج هي في اللغة : النازلة الشديدة تنزل بأمر عظيم . اهـ. وقال في الكشاف ٢٨٩/٢ ﴿ قارعة ﴾ أي داهية تقرعهم من صنوف البلاء والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم .

(٥) الأثر ذكره الطبري ١٥٧/١٣ وابن كثير ٣٨٣/٤ وأبو حيان في البحر ٣٩٣/٥ واستظهر أن الضمير يعود على القارعة كما قاله الحسن البصري ، وكذا قال الحافظ ابن كثير : هذا هو الظاهر من السياق أنها القارعة ، والمعنى : أو تحلُّ القارعة والداهية قريباً من دارهم فيفزعون منها ، ويتطاير إليهم شررها .

عن محمد بن سَلَمة عن خُصَيف[1] قال : القارعةُ : السَّرايا التي كان يبعث بها رسول الله ، أو تحلُّ أنتَ يا محمد قريباً من دارهم .

قال الحسن : أو تحلُّ القارعة قريباً من دارهم[2] .

٤٩ ــ **ثم قال تعالى ﴿ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ ﴾** [آية ٣١] .

قال مجاهد وقتادة : أي فتح مكة[3] .

٥٠ ــ **وقوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾** [آية ٣٣] .

قال قتادة : هو الله جلَّ جلاله[4] .

وقال الضحاك : يعني نفسَه جلَّ وعزَّ ، وهو القائم على عباده ، مَنْ كان منهم برًّا ، ومَنْ كان منهم فاجراً ، يرزقهم ويطعمهم وقد جعلوا للهِ شركاء[5] .

---

(١) ذكره الطبري في جامع البيان ١٥٦/٣ قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ١٤٣/٣ : هو خصيف بن عبد الرحمن الجوزي أبو عون الحضرمي الحراني ، قال أحمد : ضعيف الحديث .

(٢) الطبري ١٥٧/١٣ والبحر ٣٩٣/٥ والقرطبي ٣٢١/٩ وقول الحسن هو الأظهر والأشهر ، وهو المتناسق مع السياق كما قال الحافظ ابن كثير .

(٣) الأثر في الطبري ١٥٧/١٣ وفي البحر ٣٩٣/٥ وفي القرطبي ٣٢١/٩ والمعنى على هذا القول : حتى يأتي وعدُ الله بإظهار دين الإسلام وانتصارك عليهم بفتح مكة ، واختاره الطبري ، ورُوي عن الحسن البصري أن المراد بوعد الله هو يوم القيامة .

(٤) و (٥) الطبري ١٥٩/١٣ ولفظه عن قتادة : ذلك ربكم تبارك وتعالى ، قائم على بني آدم بأرزاقهم وآجالهم ، وحفِظَ عليهم والله أعمالهم ، وقال الضحاك : يرزقهم ويكلؤهم ، ثم يشرك به منهم من أشرك .

٥١ ــ **قال الله ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾** ولو سمُّوهم لكَذَبوا ، وأنبئوه بما لا يعلمه ، وذلك قوله تعالى : **﴿ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ ﴾**[1] [آية ٣٣] .

٥٢ ــ **وقوله تعالى ﴿ مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ ﴾** [آية ٣٥] .

روى النَّضْرُ بن شُمَيلٍ عن الخليلِ قال : « مَثَلُ » بمعنى صفة ، **فالمعنى على هذا** : صفةُ الجنَّةِ التي وُعِدَ المتقون تجري من تحتها الأنهار ، كما تقول : صفةُ فلانٍ أسْمَرُ ؛ لأن معناه فلانٌ أسمرُ[2] .

وقال أبو إسحاق : مثَّل الله لنا ما غاب بما نراه ، وكذلك كلام العرب ، فالمعنى : مَثَلُ الجنَّةِ التي وُعد المتقون جنَّةٌ تجري من تحتها الأنهار[3] .

---

(١) قال ابن الجوزي ٤/٣٣٣ : ﴿ قل سَمُّوهم ﴾ أي سمُّوا هؤلاء الشركاء بما يستحقونه من الصفات وإضافة الأفعال إليهم ــ إن كانوا لله شركاء ــ كما يُسمَّى الله بالخالق ، والرازق ، والمحيي ، والمميت ، ولو سمَّوهم بشيء من هذا لكذبوا ، فإن سمَّوهم بصفات الله ، فقل لهم : أتنبِّئونه أي : أتخبرونه بشريك له في الأرض ، وهو لا يعلم لنفسه شريكاً ، ولو كان لعلمه ؟

(٢) حكاه الطبري في جامع البيان ١٣/١٦٢ عن بعض نحويِّي البصريين قال ومعنى الآية : صفة الجنة ، قال : ومنه قول الله تعالى ﴿ وله المَثَلُ الأعلى ﴾ ومعناه : للهِ الصفة العليا ، فمعنى الآية كأنه قال : وصف الجنة التي وُعِدَ المتقون ، صفتُها تجري من تحتها الأنهار . اهـ.

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ٢/٢٩٠ عن الزجاج قال : ومعنى الآية : مَثَلُ الجنة جنَّة تجري من تحتها الأنهار ، وذلك على حذف الموصوف تمثيلاً لما غاب عنا بما نشاهده ، وعلى مذهب سيبويه الخبر محذوف أي فيما قصصناه عليكم مثل الجنة . اهـ. باختصار وقال في البحر ٥/٣٩٥ ﴿ مَثَلُ الجنة ﴾ أي صفتها التي هي في غرابة المَثَل ، وارتفع « مَثَل » على الابتداء في مذهب سيبويه ، والخبر محذوف أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة ، و ﴿ تجري من تحتها الأنهار ﴾ تفسير لذلك المثل ، تقول : مثَّلتُ الشيءَ : إذا وصفته وقرَّبته للفهم ، وليس في الآية ضرب مثل =

٥٣ ـــ **وقوله تعالى** ﴿ **وَإِلَيْهِ مَآبِ** ﴾ [آية ٣٦] .

قال قتادة : أي إليه مصير كلِّ عبدٍ .

٥٤ ـــ **وقوله تعالى** ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ** ﴾ [آية ٣٩] .

وقرأ ابن عباس : ﴿ وَيُثَبِّتُ ﴾[١] .

رُوِي عنه يُحْكِمُ اللهُ جلَّ وعزَّ أمر السنة في شهر رمضان ، فيمحو ما يشاءُ ، ويُثبت ، إلَّا الحياة والموت ، والشِّقْوَة والسعادة[٢] .

وفي رواية أبي صالح : ﴿ يَمْحُو اللهُ ﴾ ممَّا كَتَب الحفظةُ ما ليس للإنسان وليس عليه ﴿ وَيُثْبِتُ ﴾ ما له وعليه[٣] .

وحدثنا بكرُ بنُ سهلٍ ، قال : حدثنا أبو صالح ، عن معاوية بنِ صالح ، عن عليٍّ بن أبي طَلحة ، عن ابن عباس : ﴿ يَمْحُو اللهُ مَا

= لها ، فهو كقوله تعالى ﴿ وله المثل الأعلى ﴾ أي الصفة العليا ، وأنكر أبو علي أن يكون « مثل » بمعنى صفة ، وقال : إنما معناه التنبيه . اهـ.

(١) قال في البحر ٥/٣٩٩ : قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ﴿ ويُثْبِت ﴾ مخفَّفاً من أثبت ، وباقي السبعة مثقَّلاً من ثَبَّتَ . اهـ. وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٥٩ .

(٢) هذه رواية سعيد بن جُبير عن ابن عباس كما في ابن كثير ٤/٣٨٩ والطبري ١٣/١٦٦ ولفظ الطبري عن ابن عباس قال : يقدِّر الله أمر السنة في ليلة القدر ، إلَّا الشقاء والسعادة ، والموت والحياة . اهـ. ويؤيده ما رواه مسلم في صحيحه ٤/٢٠٣٧ : « يدخل على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين ليلة فيقول : يا رب أشقيٌّ أو سعيد ، أذكر أو أنثى فيكتبان ، ويكتب عمله ، وأثره ، وأجله ، ورزقه ، ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا يُنقص » .

(٣) ذكر هذا الأثر ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٣٣٨ عن الضحاك وأبي صالح ، ولفظه قال : يمحو من ديوان الحَفَظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب ، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب . اهـ. والقول الأول أظهر .

يَشَاءُ ﴾ يقول : يُبدِّل الله من القرآنِ ما يشاءُ فينسخه ، ويثبِّتُ ما يشاءُ فلا يُبَدِّله[1] .

﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ ﴾ يقول جملةُ ذلك عنده في أمِّ الكتابِ ، الناسخُ والمنسوخ ، وكذلك قال قتادة[2] .

وقال ابن جُريج : ﴿ يَمْحُو اللهُ ما يَشَاءُ ﴾ أي ينسخ ، وكأنَّ معنى ﴿ وَيُثْبِتُ ﴾ عنده : لا ينسخه ، فيكون محكماً[3] .

ويثبِّت بالتشديد على التكثير[4] .

قال أبو جعفر : « وَيُثْبِت » بالتخفيف أجمعُ لهذه الأقوال من « يُثَبِّتُ » .

وكان أبو عبيد قد اختار ﴿ وَيُثَبِّتُ ﴾ على أنَّ أبا حاتم قد أومأ إلى أنَّ معناهما واحدٌ .

وروى عوفٌ عن الحسن قال : يمحو مَنْ جاء أجلُهُ ، ويثبتُ مَنْ لم يجيء أجلُه بعدُ ، إلى أجله[5] .

---

(١) الأثر عن ابن عباس رواه الطبري ١٣/١٩٦ وابن كثير ٤/٣٩١ وابن الجوزي ٤/٣٣٧ .

(٢) على هذا القول يكون المراد بالمحو والإثبات « الناسخ والمنسوخ » فيمحو المنسوخ ، ويُثبت الناسخ ، والمعنى : ينسخُ الله من القرآن ما يشاء ، رَوَى هذا المعنى عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وبه قال سعيد بن جبير ، وقتادة ، والقرظي ، وابن زيد . اهـ. وهو قول مرجوح .

(٣) الأثر في الطبري ١٣/١٦٩ وزاد المسير ٤/٣٣٧ والقرطبي ٩/٣٣١ .

(٤) صيغة التضعيف تدل على التكثير مثل قوله تعالى ﴿ وهو الذي يُنَزِّل الغيث من بعد ما قنطوا ﴾ ولم يقل « يُنْزِل » لإفادة معنى الكثرة والشدَّة ، بعد القحط والجدب .

(٥) الأثر في الطبري ١٣/١٦٩ والقرطبي ٩/٣٣٢ والبحر المحيط ٥/٣٩٨ قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٨/١٨٢ : وهذا التخصيص في الآجال وغيرها لا معنى له ، وإنما يحسن من الأقوال ما =

٥٤ ــ وقوله عز وجل ﴿ وَإِنْ ما نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاغُ وعَلَيْنَا الحِسَابُ ﴾ [آية ٤٠] .

أي إمَّا نرينَّك بعض ما وعدناك ، من إظهار دين الإسلام على الدين كلِّه ﴿ أَوْ نَتَوَفَيَنَّكَ ﴾ قبل ذلك ، فإنما عليك أن تُبلِّغهم وعلينا أنْ نحاسبهم ، فنجازيهم بأعمالهم[1] .

ثم بيَّن جل وعز أنه كان ما وَعَدَ

٥٥ ــ فقال ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [آية ٤١] .

يظهر الإسلامُ بإخراج ما في يد المشركين ، وإظهار المسلمين عليهم[2] .

= كان عاماً في جميع الأشياء ، أي أن الله يُغيِّر الأمور عن أحوالها ، ما من شأنه أن يُغيَّر ، فيمحو من تلك الحالة ويُثبته ، والذي يتلخص من الآية أن الأشياء التي قدَّرها الله تعالى في الأزل ، لا يصحُّ فيها محوٌ ولا تبديل ، وهي التي كُتبت في أم الكتاب ــ يعني اللوح المحفوظ ــ وسبق بها القضاء ، وأما الأشياء التي أخبر الله تعالى أنه يُبدِّل فيها وينقل كغفر الذنوب بعد تقريرها ، وكنسخ آيةٍ بعد تلاوتها ، ففيها يقع المحو والتثبيت ، فيما يُقيِّده الحفظة ونحو ذلك ، وأمَّا إذا رُدَّ الأمر إلى القضاء ، والقدر ، فقد محا الله ما محا وثبت ما أثبت . اهـ.

(١) قال علماء اللغة : ﴿ وإنْ ما نُرينَّك ﴾ « إن » شرطية ، و « ما » صلة للتأكيد ، وهي بمنزلة اللام المؤكدة في القسم ، ولذلك دخلت النون الثقيلة في « نرينَّك » لحلولها محل اللام ، ولو لم تدخل « ما » لما جاز ذلك إلا في الشعر ، ومعنى الآية : إن أريناك يا محمد بعض الذي وعدناهم من العذاب ، أو قبضناك قبل أن نُقرَّ عينك بعذابهم ، فالأمر راجع إلينا ، ولا لوم عليك ولا عتب ، وليس عليك إلا تبليغ الرسالة ، وعلينا حسابهم وجزاؤهم . وانظر ما كتبه أبو حيان في البحر المحيط ٣٩٩/٥ حول هذه الآية .

(٢) هذا قول الحسن والضحاك كما ذكره الطبري عنهما ١٧٣/١٣ ورجَّحه حيث قال : وذلك بظهور =

وفي هذه الآية أقوالٌ هذا أشبهها بالمعنى .

ومن الدليل على صحته قوله جل وعز ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[1] وهذا القول مذهبُ الضَّحَّاك .

وروى سَلَمةُ بنُ نُبَيْطٍ[2] عنه أنه قال في قول الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ قال : هو ما تُغُلِّبَ عليه من بلادهم[3] .

وروى عكرمة عن ابن عباس قال : هو خرابُ الأرضِ ، حتى يكون في ناحية منها ، أي حتَّى يكون العمرانُ في ناحية منها[4] .

وروى سفيان عن منصور عن مجاهد : ﴿ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ قال : الموت : موتُ الفقهاءِ والعلماء[5] .

= المسلمين من أصحاب محمد ﷺ وقهرهم أهلها ، والغلبة على ديارهم من أطرافها وجوانبها ، أفلا يعتبرون بذلك ؟ وعلى هذا القول يكون المراد بالأرض أرض الكفار .

(١) سورة الأنبياءآية رقم (٤٤) .

(٢) « سَلَمَةُ بنُ نُبَيْطٍ » بضم النون هو ابن شريط بن أنس الأشجعي الكوفي ، تابعيٌّ ، روى عن الضحاك بن مزاحم ، قال عنه أحمد : ثقة ، وذكره ابن حيان في الثقات ، وكان وكيع يفتخر به يقول : حدثنا سلمة بن نُبَيط وكان ثقة . وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١٥٨/٤ .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن الضحاك ١٧٣/١٣ ولفظه : « ما تغلَّبْتَ عليه من أرض العدو » .

(٤) الأثر في الطبري ١٧٣/١٣ وابن كثير ٣٩٣/٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٤٠/٤ وهي رواية أخرى عن ابن عباس .

(٥) الأثر أخرجه الطبري ١٧٤/١٣ عن مجاهد وابن عباس ، وابن كثير أيضاً عنهما ولفظُه قال : خرابها بموت فقهائها ، وعلمائها ، وأهل الخير منها ، قال ابن كثير : وفي هذا المعنى أنشد أحمد

٥٦ ــ **ثم قال تعالى ﴿ والله يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ.. ﴾** [آية ٤١] .

قال الخليل : لا رادَّ لقضائه .

قال أبو جعفر : والمعنى ليس أحدٌ يتعقَّب حكمه بنقضٍ ولا تغيير(١) .

٥٧ ــ **وقوله تعالى ﴿ قُلْ كَفَى باللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾** [آية ٤٣] .

قال ابن جريج عن مجاهد : عبد الله بن سلام(٢) .

وقال شُعْبَةُ عن الحكم عن مجاهد : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾ هو الله تبارك وتعالى(٣) .

= بن غزال :

الأرضُ تَحْيَا إذا مَا عَاشَ عالِمُهَا ... متى يمُتْ عَالِمٌ منها يَمُتْ طَرَفُ

كالأرض تحيا إذا ما الغيثُ حَلَّ بها ... وإن أَبَى عادَ في أكنافِهَا التَّلَفُ

قال : والقول الأول أولى ، وهو ظهور الإسلام على الشرك ، قريةً بعد قرية . اهـ. ابن كثير ٣٩٣/٤ .

(١) قال ابن عطية ١٨٨/٨ : أي لا رادَّ ولا مناقض يتعقَّب أحكامه ، أي ينظر في أعقابها أمصيبة هي أم لا ؟ وفي البحر ٤٠٠/٥ : والمعقِّب : الذي يكرُّ على الشيء فيبطله ، وحقيقته الذي يعقبه بالردِّ والإبطال .

(٢) هذا تفسير لقوله تعالى ﴿ وَمَن عنده علم الكتاب ﴾ يريد أن المراد به هو عبد الله بن سلام ، والأثر أخرجه الطبري ١٧٦/١٣ وابن الجوزي ٣٤١/٤ .

(٣) هذه رواية أخرى عن مجاهد ، ذكرها الطبري في جامع البيان ١٧٧/١٣ وابن كثير ٣٩٤/٤ وابن الجوزي ٣٤٢/٤ .

وقال سليمانُ التيمي : هو « عبدُ اللهِ بنُ سَلَام »[1] .

وقال قتادة : منهم « عبد الله بن سلام » فإنه قال : نَزَل فيَّ قرآنٌ ثم تلا : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾[2] .

وأنكر هذا القول الشعبيُّ وعكرمة .

قال الشعبي : نزلت هذه الآية قبل أن يُسْلِم عبد الله بن سلام .

وقال سعيد بن جبير وعكرمة : هذه الآية نزلت بمكة ، فكيف نزلت في عبد الله بن سلام[3] ؟

---

(١) و (٢) انظر الطبري ١٧٦/١٣ وابن كثير ٣٩٤/٤ والبحر المحيط ٤٠١/٥ .

(٣) الأثر ذكره ابن جرير ١٧٨/١٣ وابن كثير ٣٩٤/٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٣٦/٩ قال الحافظ ابن كثير : قيل : إنها نزلت في عبد الله بن سلام قاله مجاهد ، وهذا القول غريب ، لأن هذه الآية مكية ، وعبد الله بن سلام إنما أسلم في أول مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وكان سعيد بن جُبير ينكر أن يكون المراد بها « عبد الله بن سلام » ويقول : هي مكية ، فكيف تكون نزلت فيها ؟ ثم قال : والصحيح أن في هذا أن ﴿ وَمَنْ عنده علمُ الكتاب ﴾ يشمل علماء أهل الكتاب ، الذي يجدون صفة محمد ﷺ ونعته في كتبهم المتقدمة كما قال تعالى ﴿ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ أولم يكن لهم آيةً أن يعلمه علماء بني إسرائيل ﴾ ؟ وقال في البحر ٤٠١/٥ : وهذان القولان عن مجاهد وقتادة لا يستقيمان إلّا على أن تكون الآية مدنية ، والجمهور على أنها مكية .

أقول : الأصح والأظهر أنها نزلت فيمن أسلم من علماء أهل الكتاب ، فتشمل عبد الله بن سلام ، وتميم الداري ، وسلمان الفارسي وغيرهم ، ويكون معنى الآية حسبي شهادة الله بصدقي ، وشهادة المؤمنين من علماء أهل الكتاب ، وهو الذي رجحه الطبري ، وابن كثير والقرطبي ، وجمهور المفسرين .

وقال الحسن : أي كفى بالله شهيداً وبالله مرَّتين ، يذهب إلى أنّ (مَنْ) تعود على اسم الله .

قال أبو جعفر : وهذا أحسُن ما قيل في هذه الآية من وجهات :

إحداها : أنَّه يبعد أنْ يستشهد الله بأحدٍ من خلقه[1] .

ومنها : ما أنكره الشعبيُّ وعكرمة .

ومنها : أنَّه قُرِيء ﴿ وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾ بكسر الميم ، والدَّالِ ، والعين[2] ، رُوِي ذلك عن النبي ﷺ ، وإنْ كان في الرواية ضعفٌ روى ذلك سليمان بن الأرقم عن الزهري بن سالم عن أبيه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قرأ (ومِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ) وكذلك رُوي عن ابن عبَّاس وسعيد بن جبير أنهما قَرَآ[3] .

ولا اختلاف بين المفسرين أنَّ المعنى : ومِنْ عِنْدِ اللهِ : فأن

---

(١) هذا القول فيه نظر ، فإن الله تعالى قال لرسوله ﴿ فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك ﴾ وقال سبحانه ﴿ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر ﴾ فلا مانع إذاً أن يستشهد الله ببعض خلقه على صحة كتابه جل وعلا ، لأن الغرض بيان صدق القرآن فيما أخبر وذكَّر ، والله أعلم .

(٢) هذه القراءة من الشواذ كما في المحتسب لابن جنى ٣٥٨/١ وذكرها الطبري وابن كثير وهي ضعيفة لأنها من القراءات الشاذة ، لا يُقرأ بها وإنما يُستشهد بها في التفسير .

(٣) هذه قراءة أخرى أيضاً شاذة ﴿ ومن عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتَابُ ﴾ قال ابن جني في المحتسب ٣٥٨/١ : من قرأ « ومن عِنده عِلْم الكتاب » فتقديره ومعناه : ومن فضله ولطفه عُلِمَ الكتاب ، ومن قرأ ﴿ عُلِمَ الكتاب ﴾ فمعناه معنى الأول ، إلَّا أن إعرابه مخالف له . وقال الطبري ١٧٨/١٣ : ما رُوي عن النبي ﷺ أنه قرأها ﴿ ومن عنده عُلِمَ الكتاب ﴾ فهذا خبرٌ ليس له أصل عند الثقات من أصحاب الزهري .

يكون معنى القراءتين واحداً أحسنُ[١] .

وروى محبوب عن إسماعيل بن محمد اليَمَاني ، أنه قرأ : (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتَابُ) بضم العين ورفع الكتاب[٢] .

قال أبو جعفر : وقولُ من قال هو « عبد الله بن سلام » وغيره ، يحتمل أيضاً ؛ لأن البراهين إذا صحَّت ، وعَرَفَها مَنْ قرأ الكُتُب التي أُنزلت قبل القرآن ، كان أمراً مؤَكَّداً[٣] .

والله أعلم بحقيقة ذلك .

انتهت سورة الرعد

• • •

(١) يريد المصنف أن قراءة الجمهور ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾ إذا حملناها على أن المراد بها الله عز وجل الذي عنده علم الكتاب ، مع القراءة الثانية الشاذة ﴿ وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾ يكون ذلك أجود وأحسن .

(٢) ذكرها القرطبي في جامع أحكام القرآن ٣٣٦/٩ وهي كما ذكرنا قراءة شاذة .

(٣) قال القرطبي ٣٣٧/٩ : من قال إنه « عبد الله بن سلام » فقد عوَّل على حديث الترمذي ، خرج عبد الله بن سلام إلى الناس فقال : أيها الناس ، إنه كان اسمي في الجاهلية فلانٌ — يعني حُصَيْن — فسمَّاني رسول الله ﷺ « عبد الله » ونزلت فيَّ آيات من كتاب الله ، نزلت فيَّ ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ﴾ ونزلت فيَّ ﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب ﴾ .. الحديث قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . قال القرطبي : من قال إنه عبد الله بن سلام فعوَّل على حديث الترمذي ، وليس يمتنع أن ينزل فيه شيء ويتناول جميع المؤمنين لفظاً ، ويعضده قوله تعالى ﴿ ويقول الذين كفروا ﴾ يعني قريشاً ، فالذين عندهم علم الكتاب هم المؤمنون من اليهود والنصارى ، الذين هم إلى معرفة النبوة والكتاب أقرب من عبدة الأوثان .



تفسير سورة إبراهيم
مكيّة وآياتها ٥٢ آية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة إبراهيم وهي مكية

وهي مكيَّة إلَّا آيتين منها[1] ، فإنهما نزلتا بالمدينة ، فيمن قُتِل من المشركين يوم بدر ، وهما : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً .. ﴾ إلى آخر الآيتين .

١ ــ قوله تبارك وتعالى ﴿ الٓر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ .. ﴾ [آية ١] .

الظلماتُ : الكفرُ ، والنورُ : الإسلامُ ، على التمثيل لأنَّ الكفرَ بمنزلة الظُّلمة ، والإسلام بمنزلة النُّور[2] .

---

(١) قال القرطبي ٣٣٨/٩ : سورة إبراهيم مكية كلُّها في قول الحسن ، وجابر ، وقال ابن عباس وقتادة : إلَّا آيتين منها مدنيَّتين . اهـ. وقد حدَّد القرطبي الآيتين المدنيتين بدايةً ونهايةً فقال : وهي قوله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين بدَّلوا نعمة الله كفراً .. ﴾ إلى قوله سبحانه ﴿ قل تمتَّعوا فإنَّ مصيركم إلى النار ﴾ .

(٢) يريد المصنف أن الآية وردت بطريق التمثيل ، فقد استعار « الظلمات » للضلال والكفر ، و « النور » للهدى والإيمان ، ففي الآية استعارةٌ تصريحية ، ولهذا قال في الكشاف ٢٩٢/٢ : والظلماتُ والنور استعارتان للضلال والهدى . اهـ. وتوضيح هذا أن الكافر يتخبَّط في ظلامٍ لا يعرف طريق السعادة والنجاة ، فهو كمن يسير في ظلام دامس ، لا يعرف أين يسير ، ولا كيف يمشي ، فهو تائه حائر ، والمؤمن يرى طريقه لأنه على نورٍ وبصيرة من الله ، فهو مستنير الفكر ،=

والبـاء في قولـه : ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِـمْ ﴾ متعلقـة بقولـه ﴿ لِتُخْـرِجَ النَّاسَ ﴾ والمعنـى في قولـه : ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِـمْ ﴾ أنـه لا يهتـدي أحـدٌ إلَّا بإذنِ الله[1] .

ويجوز أن يكون المعنى : بتعليمك إيَّاهم[2] .

ثم بَيَّن النور فقال : ﴿ إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ ﴾ .

٢ ــ **ومعنى قوله تعالى ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾** [آية ٣] .

ويطلبون غير القصد[3] .

٣ ــ **وقولـه جل وعـز ﴿ وَمَـا أَرْسَلْنَـا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِـــهِ .. ﴾** [آية ٤] .

= مستنير العقل ، يسير في طريق النجاة ، ومن هنا حَسُن تشبيـه الكفـر بالظـلام ، وتشبيـه الإيمان بالنـور ، ولهذا قال شيـخ المفسريـن « الـطبري » والمعنـى : لتهديهم به من ظلمـــات الضلالـــة والكفر ، إلى نور الإيمان وضيائه ، وتبصِّر به أهل الجهل والعمى ، سبل الرشاد والهدى .

(١) هذا مذهب أهل السنة أن الهداية والضلالة بيـد الله ، فلا يهتـدي أحـدٌ إلَّا بمشيئة الله وإذنه ، خلافاً للمعتزلة .

(٢) أُضيف الفعل إلى النبي ﷺ ﴿ لتخـرج النـاس ﴾ لأنـه الداعـي والمنـذر والهادي ، والمبلِّـغ عن الله ، ولهذا قيَّدهـا تعـالى بقولـه ﴿ بإذن ربهم ﴾ أي بتوفيقـه تعـالى ، ولطفـه بعبـاده بإرسال هذا الرسول الهادي إلى الله .

(٣) الضمير في قوله ﴿ ويَبْغُونها عِوَجاً ﴾ يعود على السبيل التي هي ديـنُ الله الـذي جاءت به الـرسل في قولـه ﴿ ويصدُّون عن سبيـل الله ﴾ والمعنـى : يطلبـون أن تكـون ديـنُ الله معوجَّـــةً لتوافـــق أهواءهم ، قال الطبري ١٣/١٨٠ : أي يلتمسون سبيل الله وهـي دينـه الـذي ابتـعث به رسولـه ﴿ عِوَجاً ﴾ تحريفاً وتبديلاً بالكذب والزور . اهـ.

أي بلغة قومه[1] .

﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ أي ليُفْهِمهم ، لتقوم عليهم الحُجَّةُ .

٤ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا .. ﴾** [آية ٥] .

قال مجاهد : أي بالآياتِ البيِّناتِ[2] يعني قوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾[3] .

٥ ــ **وقوله تعالى ﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ .. ﴾** [آية ٥] .

قال أُبَيُّ بنُ كعب : أي بنعم اللهِ[4] .

وقال غيره : بإهلاكه مَنْ قبلَهم ، وبانتقامه منهم بكفرهم[5] .

---

(١) اللسانُ في هذه الآية يُراد به اللغة كما ذكره المصنف ، فيقال : لسان فلان العربية أي لغتُه اللغة العربية ، ومنه قوله سبحانه ﴿ لسانُ الذي يُلحدون إليه أعجميٌّ وهذا لسان عربي مُبين ﴾ وإنما أرسل تعالى كل رسول بلغة قومه ، حتَّى يفهموا عنه كلام الله ، فتقوم عليهم الحجة بالتبليغ ، وتنقطع المعاذير .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٨٢/١٣ وابن كثير ٣٩٧/٤ ومراده بالآيات البينات : المعجزات التي أيَّده الله بها كاليد ، والعصا ، وفلق البحر ، وما أرسل على فرعون من الطوفان ، والجراد ، والقُمَّل .. إلخ . تأييداً لرسوله .

(٣) سورة الإسراء آية رقم (١٠١) .

(٤) الأثر في الطبري ١٨٤/١٣ وابن كثير ٣٩٨/٤ والبحر المحيط ٤٠٦/٥ قال الحافظ ابن كثير : وقد ورد فيه الحديث المرفوع الذي رواه أحمد في المسند ١٢٢/٥ عن أُبيِّ بن كعب عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ وذكِّرهم بأيَّام اللهِ ﴾ قال : « بنعمِ الله تبارك وتعالى » قال ابن كثير : أي بأياديه ونِعَمه عليهم ، في إخراجه إياهم من أسر فرعون ، وقهره وظلمه وغشمه ، وإنجائه إياهم من عدوهم ، وفلقه لهم البحر ، وتظليله إياهم بالغمام ، إلى غيرها من النعم .

(٥) هذا قول ابن زيد ، ومقاتل ، وابن السائب كما في زاد المسير لابن الجوزي ٣٤٦/٤ وقال في البحر =

٦ — **وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ ، إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ، يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ ، وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ[١] .. ﴾** [آية ٧] .

وفي موضع آخر ﴿ يُذَبِّحُونَ ﴾ بغير واوٍ[٢] .

ومعنى الواو يُوجِبُ أنَّه قد أصابهم من العذاب شيءٌ ، سوى التذبيح ، وإذا كان بغير واو ، فإنما هو تبيينُ الأول[٣] .

٧ — **وقوله جل وعز ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ .. ﴾** [آية ٧] .

أي لا يقتلونهنَّ ، من الحياة أي يَدَعُونهنَّ يَحْيَيْنَ[٤] .

وفي الحديث عن النَّبيِّ ﷺ : « اقْتُلُوا شُيُوخَ المشركين ،

= ٤٠٦/٥ : ورُوي عن ابن عباس أيضاً أن « أيام الله » : نعماؤه وبلاؤه — واختاره الطبري — فنعماؤه بتظليله عليهم الغمام ، وإنزال المنِّ والسلوى ، وفلق البحر ، وبلاؤه باستعباد فرعون لهم ، وتذبيح أبنائهم ، ولفظةُ الأيام تعمُّ المعنيَيْن . اهـ.

(١) في المخطوطة ﴿ ويُذبحون نساءكم ﴾ وهو خطأ والنص القرآني ﴿ ويذبحون أبناءكم ﴾

(٢) أشار إلى قوله تعالى في سورة البقرة آية رقم (٤٩) ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون ، يسومونكم سوء العذاب ، يُذَبِّحون أبناءكم .. ﴾ الآية بدون واو .

(٣) نبَّه المصنف رحمه الله أنه ورد في سورة البقرة « يُذبِّحون » وفي سورة إبراهيم « ويُذبِّحون » بالواو ، والسرُّ في ذلك : أنه في سورة البقرة جاء تفسيراً لما سبق من قوله « سوء العذاب » فكأنه يقول : يسومونكم سوء العذاب ثم وضحه وبينه فقال : ﴿ يُذبِّحون أبناءكم ﴾ . أما في سورة إبراهيم فهو غير تفسير ، بل هو تنويع للعذاب ، لأن المعنى أنهم يسومونهم بأنواع من العذاب وبالتذبيح أيضاً ، فتدبره فإنه نفيس .

(٤) قوله ﴿ ويستحيون نساءكم ﴾ مأخوذ من الحياة ، أي يستبقون الإناث على قيد الحياة والامتهان كما نبَّه المصنف .

واسْتَحْيُوا شَرْخَهُمْ »[1] .

٨ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾** [آية ٦] .

قيل : المعنى : في إنجائه إياكم منهم نعمةٌ عظيمةٌ ، ويكونُ البلاء [هاهنا : النِّعمةُ .

وقيل : فيما جرى منهم عليكم بلاء أي بليَّةٌ][2].

وقيل : البلاءُ هاهنا : الاختبارُ[3] .

٩ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ .. ﴾** [آية ٧] .

تأذَّن : بمعنى أعلَمَ ، من قولهم : آذَنَهُ فأَذِنَ بالأمر ، وهذا كما يُقال : تَوَعَّدتُه ، وأَوْعَدتُه بمعنى واحد[4] .

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية ٢/٤٥٦ : وأراد بالشيوخ الرجال أهل الجَلَد والقوة على القتال ، ولم يُرد الهَرْمَى ، والشَّرْخُ : الصِّغار الذين لم يدركوا ، وشَرْخ الشباب : أوَّله : وقيل : نضارته وقوته . والحديث أخرجه أحمد في المسند ١٢/٥ من حديث سَمُرَة بن جُنْدب ، ورواه أبو داود ، والترمذي في الجهاد ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب ، ورَمَز المناوي في فيض القدير ٢/٦٠ إلى صحته .

(٢) سقط ما بين الحاصرتين من المخطوطة ، وأثبتناه من الحاشية .

(٣) هذا يجمع القولين ، فكما يكون الاختبار بالنعمة ، يكون بالنقمة كما قال سبحانه ﴿ ونبلوكم بالشرِّ والخير فتنةً ﴾ قال الطبري ١٣/١٨٥ : وقد يكون البلاء في هذا الموضع نعماء ، وقد يكون من البلاء الذي يصيب الناس في الشدائد وغيرها .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ١٣/١٨٥ فقد استشهد بقول الحارث بن حِلِّزة « آذنتنا ببينها أسماء » أي أعلمتنا .

١٠ ـــ **وقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُم إِلَّا اللهُ .. ﴾** [آية ٩] .

رَوَى سفيانُ عن أبي إسحاقَ ، عن عَمْرِو بنِ ميمون ، ورواه إسرائيل عن أبي إسحاق عن عَمْرِو بن ميمون عن عبد الله في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ ﴾ قال : « كَذَبَ النَّسَّابُونَ »[١] .

وَرُوِيَ عن ابن عباس قال : « بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يُعْرَفُون »[٢] .

ورُوِيَ عن عروة بن الزبير أنه قال : « ما وجدنا أحداً يعرف ما بين عدنان وإسماعيل »[٣] .

١١ ـــ **وقوله تعالى ﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ .. ﴾** [آية ٩] .

في معنى هذا أقوال :

(أ) **قال مجاهد** : ردُّوا على الرُّسل قولَهم وكذَّبوهم[٤] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن ابن مسعود ١٨٧/١٣ وابن كثير في تفسيره ٤٠٠/٤ قال الزمخشري : ويعني بقوله « كذب النسابون » أنهم يدَّعون علم الأنساب وقد نفى الله علمها عن العباد .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٧٢/٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٤٤/٩ .

(٣) الأثر في الدر المنثور ٧٢/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، ولفظُه « ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء معد بن عدنان » قال الزمخشري ٢٩٥/٢ وجملة ﴿ لا يعلمهم إلا الله ﴾ اعتراضٌ ، والمعنى : أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير عن مجاهد ١٨٩/١٣ وابن الجوزي ٣٤٩/٤ وابن كثير ٤٠٠/٤ .

(ب) **قال قتادة** : ردُّوا على الرُّسلِ ما جاءوا به[1] .

فهذا على التمثيل ، وهو مذهبُ أبي عبيـدة[2]

أي تركوا ما جاءهم به الـرسل ، فكانـوا بمنزلـة مَنْ ردَّهُ إلى فيه ، وسكَتَ فلم يقل[3] .

وقيل : ﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِـمْ ﴾ ردُّوا ما لو قَبِلـوه كان نِعَماً . ﴿ في أفواههم ﴾ أي بأفواههم أي بألسنتهم .

(جـ) **وقيـل** : ردُّوا نِعَـمَ الـرُّسُل ؛ لأن إرسالهم نعـمٌ عليهم ، بالنطـق وبالتكذيب[4] .

(د) **وفي الآية قول رابع** ؛ وهو أولاها وأجلُّها إسناداً :

قال أبو عبيـد : حدَّثنـا عبـدُ الـرحمن بن مَهْـدِي ، عن سفيان عن أبي إسحاقَ عن أبي الأحوص ، عن عبـد الله في قولـه

---

(١) الأثر في الطبري ١٣/١٨٩ وفي الدر المنثور ٤/٧٢ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حـاتم ، وفـي المخطوطة « على الرسول » وصوابه « على الرسل » كما أثبتناه .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٣٣٦ .

(٣) هذا القول مرجوح بل هو ضعيف ، لأن القوم لم يسكتوا ، بل أجابوا بالتكـذيب ، لأنهم قالـوا : ﴿ إنَّـا كَفَرنـا بما أُرسلتُـم به ﴾ فكيـف يُقـال : إنهم بمنزلـة من سكت ولم يجب ؟ ولهذا قال الطبري : وهذا القول لا وجه له ، ورجَّح ما قاله ابن مسعود أن المعنى : عضوا أيـديهم غيظاً على الرسل كما قال سبحانه ﴿ وإذا خَلَوْا عضُّوا عليكم الأناملَ من الغيظ ﴾ قال : فهـذا هو الكـلام المعروف ، والمعنى المفهوم من ردِّ اليد إلى الفم .

(٤) هذا القول ذكره الفراء في معانيه ٢/٧٠ عن بعض المفسرين ، وهو محمول على أن المراد بالأيـدي هنا النِّعم أي ردُّوا نعم الأنبياء التي هي أجلُّ النِّعم في أفواه الأنبياء ، وهو قول ضعيـف لأن اليـد بمعنى النعمة يقال فيها : أيادي لا أيدي .

﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ قال : عضُّوا عليها غَيْظاً[1] .

قال أبو جعفر : والدليلُ على صَحَّة هذا القول قوله عزَّ وجل : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ ﴾[2] .

قال الشاعر :

لَوْ أنَّ سَلْمَـى أبْصَرَتْ تَخَـــدُّدِي[3]
وَدِقَّةً فِي عَظْـــمِ سَاقِـــي وَيَـــدِي
وَبُعْـــدَ أهْلِـــي وَجَفَـــاءَ عُوَّدِي
عَضَّتْ مِنَ الوَجْـدِ بأطْـرَافِ اليَـدِ[4]

١٢ ــ وقوله جل وعز ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَــافَ وَعِيــدِ ﴾ [آية ١٤] .

أي ذلك لمن خاف مقامه بين يديـــــه ، والمصدرُ يُضاف إلى الفاعل[5] ، وإلى المفعول ؛ لأنه متشبِّثٌ بهما

---

(١) هذا ما رجحه شيخ المفسرين ابن جرير الطبري كما تقدَّم ، وهو محمول على المجاز ، يُقـال لمن ندم على فعل شيء : عضَّ أصابعه من الندم ، كما قال الشاعر : عضَّت من الوجد بأطراف اليد .

(٢) سورة آل عمران آية رقم (١١٩) .

(٣) التخدُّدُ : أن يضطـرب اللحـم من الهزال ، وانظـــر لسان العـــرب ١٦١/٣ وأساس البلاغـــة للزمخشري .

(٤) ذكرهما أبو حيان في البحـر المحيـط ٤٠٨/٥ والقرطبـي في جامـع الأحكـام ٣٤٥/٩ ولم أعثر على قائلهمـا ، يريـد أن سلمـى لو أبصرت ضعفـه وهُزالـه ، ومـا صار إليـه حالـه من الحزن والأسى ، لكانت عضَّت على أناملها من شدة الإشفاق والألم عليه .

(٥) هذا من إضافة الصدر إلى الفاعل أي لمن خاف مقامـه بين يديَّ يوم القيامـة ، وخـاف وعيـدي فاتقاني ، وانظر جامع البيان للطبري ١٩٢/١٣ قال الفراء ٧١/٢ : والعـربُ تضيـف أفعـالها إلى

١٣ ــ **وقوله تعالى ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا ﴾** [آية ١٥] .

قال مجاهد وقتادة : واستنصروا[١] .

وفي الحديث « أنَّ النبي ﷺ كان يستفتح القتال بصعاليك المهاجرين »[٢] .

١٤ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾** [آية ١٥] .

قال أبو إسحاق : الجَبَّارُ عند أهلِ اللغة : الذي لا يرى لأحدٍ عليه حقًّا[٣] .

قال مجاهد : العنيد : المعاندُ المجانبُ للحقِّ[٤] .

وقال قتادة : العنيدُ : الذي أبى أن يقول : لا إله إلَّا الله[٥] .

١٥ ــ **ثم قال تعالى ﴿ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ ﴾** [آية ١٦] .

أنفسها ، وإلى ما أوقعت عليه ، فيقولون : قد ندمت على ضربي إياك ، وندمتُ على ضربك ، فهذا من ذلك . اهـ .

(١) الأثر في الطبري ١٣/١٩٤ ولفظه : استنصرب على قومها : أي طلبوا من الله النصرة عليهم .

(٢) ذكره ابن الأثير في « النهاية في غريب الحديث والأثر » ٣/٤٠٧ والقرطبي في جامع الأحكام ٩/٣٤٩ ومعناه أنه ﷺ كان يقدِّم ضعفاء المسلمين ، يستنصر الله بهم على الكفار ، ويؤيده حديث « هل تُنصرون وتُرزقون إلَّا بضعفائكم » ؟

(٣) هذا قول الزجاج في معانيه ، قال القرطبي ٩/٣٤٩ : هكذا هو عند أهل اللغة ، قال الطبري ١٣/١٩٣ الجَبَّار : هو المتجبِّر ، الناكب عن الحق أي الحائد عن اتباع طريق الحقِّ .

(٤) الأثر في الطبري ١٣/١٩٣ والدر المنثور ٤/٧٣ .

(٥) الأثر في جامع البيان للطبري ١٣/١٩٤ وفي الدر ٤/٧٣ والقرطبي ٩/٣٥٠ .

أي من أمامه ، وليس من الأضداد ، ولكنّه من تَوَارَى أي استتر(١) .

١٦ ـــ **ثم قال تعالى ﴿ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾** [آية ١٦] .

قال ابن عباس : أي قد خالط لحمه ودمه(٢) .

قال الضَّحَّاك : يعني القيح والصَّدِيد(٣) .

وقال مجاهد : هو القيحُ والصديد(٤) .

وقال غيره : يجوز أن يكون هذا تمثيلاً ، أي يُسقى ما هو بمنزلة القيح والصَّديد .

ويجوز أن يكون : يُسْقَى القيحَ والصَّديدَ(٥) .

---

(١) قال في البحر ٤١٢/٥ : قال أبو عبيدة وقطرب والطبري : ﴿ مِنْ وَرَائه ﴾ أي من أمامه ، وهو معنى قول الزمخشري : من بين يديه ، وأنشد بعضهم :

عَسَى الكربُ الذي أمسيتُ فيه ... يكون وَرَاءَهُ فرجٌ قريبُ

وقال الأخفش في معانيه ٥٩٨/٢ : أي من أمامه ، وإنما قال « وراء » أي إنه وراء ما فيه ، كما تقول للرجل : هذا من ورائك أي سيأتي عليك ، ومنه قوله تعالى ﴿ وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ﴾ وقد أشبع البحث توضيحاً ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز ٢١٨/٨ وقال : الوراء ههنا على بابه أي هو ما يأتي بعدُ في الزمان .. إلخ .

(٢) و (٣) و (٤) هذه الآثار عن السلف ذكرها الطبري ١٩٥/١٣ وابن الجوزي ٤٥٢/٤ وروي عن الضحاك قال : الصَّديد : ما يخرج من جوف الكافر وقد خالط القَيْح والدَّم .

(٥) هذا قول ابن قتيبة كما في تفسير ابن الجوزي ٣٥٣/٤ قال : المعنى : يُسقى الصديد مكان الماء ، ويجوز أن يكون على التشبيه أي ما يُسقاه ماءٌ كأنه صديد .

١٧ ــ ثم قال تعالى ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ [آية ١٧] .

أي يبلعه[١] .

١٨ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَيَأْتِيهِ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾ [آية ١٧] .

أي من كلِّ مكانٍ من جسده[٢] .

١٩ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ، وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [آية ١٧] .

أي من أمامه عذاب جهنَّم .

حدثني أحمد بن محمد بن الحجاج ، قال : حدثنا أحمد بن الحسين قال : قال فُضَيْلُ بنُ عياضٍ في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ قال : حَبْسُ الأنفاس[٣] .

٢٠ ــ ثم قال تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ

(١) قال الزجاج : ﴿ ولا يكادُ يُسيغه ﴾ أي لا يقدر على ابتلاعه ، تقول : سَاغَ لي الشيء وأسغتُه .

(٢) هذا قول إبراهيم التيمي كما حكاه الطبري عنه ١٩٦/١٣ قال : يأتيه الموت من تحت كلِّ شعرة من جسده ، ورُوي عن الثوري : ما كلِّ عِرْقٍ في جسده . وقال في البحر ٤١٣/٥ : والظاهر أنه قوله تعالى ﴿ من كلِّ مكانٍ ﴾ معناه من الجهات الستِّ ، وذلك لفظيع ما يصيبه من الآلام . اهـ. قال ابن الجوزي ٣٥٤/٤ : ورُوي هذا عن ابن عباس قال : يأتيه الموت من كل جهة « من فوقه ، وتحته ، وعن يمينه ، وشماله ، ومن خلفه ، وقدّامه » . اهـ .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ٢٩٧/٢ وأبو حيان في البحر ٤١٣/٥ قال ﴿ ومن ورائه عذابٌ غليظ ﴾ أي في كل وقت يستقبله يتلقّى عذاباً أشد مما قبلهُ وأغلظ ، وعن الفُضيل هو قطع الأنفاس وحبسُها في الأجساد .

الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [آية ١٨] .

أي لم يُقبل منهم[١] .

و « عاصفٌ » على النَّسَق ، أي الريح فيه شديدة .

ويجوز أن يكون التقدير عاصِف الريح[٢] .

٢١ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ .. ﴾** [آية ٢٢] .

أي فُرِغَ منه ، فدخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ ﴿ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ ﴾ أي وَعَدَ مَنْ أطاعه الجنة ، ومن عصاه النَّار ﴿ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ أي وعدتكم خلاف ذلك ﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ أي من حجَّة أُبيِّنُها ﴿ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ أي إِلَّا أَنْ أَغْوَيْتُكُمْ فَتابعتموني[٣] .

---

(١) قال القرطبي ٩/٣٥٣ : والمعنى : أن أعمالهم محبطة غير مقبولة ، فضرب الله هذه الآية مثلاً لأعمال الكفار ، في أنه يمحقها كما تمحق الريحُ الشديدة الرماد في يوم عاصف ، لأنهم أشركوا فيها غير الله تعالى وفي المخطوطة ﴿ اشتدت به الرياح ﴾ وصوابه ﴿ الريح ﴾ كما هو النص القرآني .

(٢) توضيح هذا أن العصوف للريح لا لليوم ، فحذف الريح لأنها ذُكرت في أول الكلام فأغنى عن تكريرها ، وذكرها بعضهم أن العصف وإن كان للريح ، فإنَّ اليوم يوصف به كما تقول : يوم باردٌ ، ويوم حار ، وفي المخطوطة على النَّسب ، وهو تصحيف ، وصوابُه على النَّسَق ، وانظر ما أفاده ابن جني في المحتسب ١/٣٦٠ فقد دلَّل له ببيان شاف ساطع .

(٣) هذه هي الخطبة البتراء التي سيخطب فيها « إبليس » في أتباعه يوم القيامة ، قال الحسن البصري : يقف إبليس خطيباً في جهنم ، على منبر من نار ، يسمعه الخلائق جميعاً ، ليزيد أتباعه الكفار حزناً إلى حزنهم ، وحسرة فوق حسرتهم ، فيقول : إن الله وعدكم وعد الحق .. إلخ وانظر البحر ٥/٤١٨ .

٢٢ ـ **ثم قال تعالى ﴿ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ﴾** [آية ٢٢] .

قال مجاهد وقتادة : أي بمغيثكم[(١)] .

ويُروى أنه يُخَاطَبُ بهذا في النار[(٢)] .

ومعنى : ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي كفرتُ بشرككم إيَّاي[(٣)] .

٢٣ ـ **وقوله جل وعز ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ .. ﴾** [آية ٢٤] .

حدثنا محمد بن جعفر الفاريابيُّ ، قال : حدثنا عبد الأعلى بن حمَّاد ، قال : حدثنا وهب بن خالد ، قال : حدثنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال ذات يوم لأصحابه : « أنبئوني بشجرةٍ تُشْبِهُ المسلمَ ، لا يَتَحاتُّ ورقُها ، تُؤْتِي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذْنِ رَبِّهَا !؟ قال : فوقَعَ في قلبي أنها « النخلةُ » . قال : فسكَتَ القومُ ، فقال النَّبيُّ : هي النخلة ، فقلتُ لأبي : لقد كان وقع في قلبي أنها النخلة .

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٣/٢٠٠ والبحر المحيط ٥/٤١٩ والقرطبي ٩/٣٥٧ قال : والصارخ والمستصرخ : هو الذي يطلب النصرة والمعاونة ، والمصرخُ : هو المغيثُ ، قال أمية بن الصلت :

ولا تجزعوا إني لكم غيرُ مصرخٍ ... وليس لكم عندي غَنَاءٌ ولا نَصْرُ

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٤/٤٠٩ وابن الجوزي ٤/٣٥٧ .

(٣) هكذا قال ابن الجوزي والقرطبي .

فقال : فما مَنَعك أنْ تكون قلتَه لرسول الله ؟ لَأَنْ تَكون قلتَه أحبُّ إليَّ من كذا وكذا ، فقلتُ : كنتَ في القوم وأبو بكر ، فلم تقولا شيئاً ، فكرهتُ أن أقول »[1] .

وروى الأعمش عن المنهال بن عمرٍو ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عبَّاس قال : هي النخلةُ[2] .

وكذلك روى الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عبَّاس .

وروى معاوية بن صالح عن عليٍّ بْن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله جلَّ وعز : ﴿ وضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ قال : لا إله إلَّا الله . ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ قال : المؤمن . ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ لا إله إلَّا الله ثابتٌ في قلب المؤمن[3] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٦/٩٩ عن عبد الله بن عمر ، ولفظه قال : « كنا عند رسول الله ﷺ فقال : أخبروني بشجرة تشبه المسلم ـــ و كالرجل المسلم ـــ لا يتحتتُّ ورقُها ... » إلخ الحديث ، ورواه أحمد في المسند ٢/١٢ عنه بلفظ : « كنَّا عند النبي ﷺ فأُتِي بجُمَّارة فقال : إن من الشجر شجرةً مَثَلُهَا كمثل الرجل المسلم ، فأردتُ أن أقول هي النخلة ، فنظرت فإذا أنا أصغر القوم فسكتُّ ، فقال رسول الله ﷺ : هي النخلة » وأخرجه مسلم في باب « مثلُ المؤمن مثل النخلة » برقم ٢٨١١ قال العلماء : شَبَّه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها ، ودوام ظلها ، وطيب ثمرها ، ووجوده على الدوام ، فإنه يؤكل رطباً ويابساً ، حتى النَّوى فإنه علفٌ للإبل ، فالمؤمن خير كله كالنخلة خيرٌ كلها .

(٢) الأثر في الطبري ١٣/٢٠٤ وهذا تفسير لقوله تعالى ﴿ كشجرةٍ طيبة ﴾ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٣/٢٠٣ وابن كثير ٤/٤١٠ ولفظه : قال ابن عباس : « ومثل كلمة طيبة » شهادة أن لا إله إلا الله ، « كشجرة طيبة » وهو المؤمن ، « أصلُها ثابت » يقول : لا

٢٤ ــ ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ قال : الشِّركُ . ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ قال : المشرك . ﴿ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ أي ليس للمشرك أصلٌ يعمل عليه[1] .

وروى **شُعيب بنُ الحَبْحَابِ** عن أنس بن مالك ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ قال : النخلة ، قال : والشجرةُ الخبيثة : الحنظلةُ[2] .

٢٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا .. ﴾ [آية ٢٥] .

روى ابنُ أبي نجيح وابنُ جريج عن مجاهد ، قال : كلَّ سنة[3] .

وروى عطاء بن السائب وطارقُ بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عبَّاس قال : كل ستَّة أشهر[4] .

إله إلا الله في قلب المؤمن ، « وفرعُها في السماء » يقول : يُرفع بها عمل المؤمن إلى السماء . اهـ. قال ابن كثير : وهكذا قال الضحاك ، وابن جبير ، وعكرمة ، وقتادة ، وغير واحد من السلف ، أن ذلك عبارة عن المؤمن ، وقوله الطيب ، وعمله الصالح ، وأن المؤمن كالشجرة من النخل ، لا يزال يُرفع له عمل صالح في كل وقتٍ وحين ، وصباح ومساء .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ٢١٢/١٣ ولفظُه : ضرب الله مثل الشجرة الخبيثة كمثل الكافر ، يقول : إن الشجرة الخبيثة اجتُثت من فوق الأرض ، يقول : الكافر لا يُقبل عمله ، ولا يصعد إلى الله ، فيس له أصل ثابت في الأرض ، ولا فرع في السماء ، يقول : ليس له عمل صالح في الدنيا ولا في الآخرة . اهـ.

(٢) الأثر في الطبري ٢١١/١٣ والدر المنثور ٤ /٧٦ وتفسير ابن الجوزي ٣٦٠/٤ .

(٣) الأثر في الطبري ٢٠٩/١٣ وابن كثير ٤١٢/٤ والدر المنثور ٧٧/٤ .

(٤) الأثر في الطبري ٢٠٨/١٣ وفي الدر المنثور ٧٧/٤ قال الحافظ ابن كثير ٤١٢/٤ : والظاهرُ من السياق أن المؤمن مثلُه كمثل شجرة ، لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت ، من صيف أو شتاء ، أو ليل أو نهار ، كذلك المؤمن لا يزال يُرفع له عمل صالح ، آناء الليل وأطراف النهار .

وروى أبو بكر الهُذَليُّ عن عكرمةَ عن ابن عباس قال : الحينُ : حينَانِ ، حينٌ يُعرف مقداره ، وحينٌ لا يُعرف مقداره . فأمَّا الذي يُعرف مقداره فقولُه : ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾[1] .

وقال عكرمة : هو ستة أشهر[2] .

وروى الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال : الحينُ يكون غُدْوَةً وَعَشِيَّةً[3] .

وقال الضَّحَّاك في قوله : ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ قال : في الليل والنهار ، وفي الشتاء والصيف ، وكذلك المؤمن يُنتفع بعمله كلَّ وقت[4] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربةٌ غير متناقضة ؛ لأن الحين

---

(١) الحين الذي لا يُعرف مقداره هو كقوله سبحانه ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ﴾ وقد روى ابن جرير الطبري ٢٠٩/١٣ عن عكرمة قال : أرسل إليَّ عمر بن عبد العزيز فقال : يا مولى ابن عباس : إني حلفت أن لا أفعل كذا وكذا حيناً ، فما الحين الذي يُعرف به ؟ قلت : إن من الحين حيناً لا يُدرك ، ومن الحين حين يدرك ، فأما الحين الذي لا يُدرك فقول الله ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ﴾ والله ما يُدرى كم أتى له إلى أن خُلق ؟ وأما الذي يُدرك فقوله تعالى ﴿ تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ﴾ فهو ما بين العام إلى العام المقبل ، فقال : ما أحسن ما قلت !! أصبت يا مولى ابن عباس .

(٢) و (٣) و (٤) الآثار كلها عن السلف ذكرها أهل التفسير ، الطبري في جامع البيان ٢١٠/١٣ والسيوطي في الدر المنثور ٧٧/٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٦٠/٩ وابن الجوزي ٣٥٩/٤ وأجمع هذه الأقوال أن الحين يقع على الوقت ، القليل والكثير ، بحسب الأشياء والأحوال ، والله أعلم .

عند جميع أهل اللغة ــ إلَّا من شذَّ منهم ــ بمعنى الوقت ، يقعُ لقليل الزَّمان وكثيره[1]؛ وأنشد الأصمعي بيتَ النابغة :

تَنَاذَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمِّهَا
تُطَلِّقُهُ حِيناً وحِيناً تُرَاجِعُ[2]

فهذا يبين لك أن الحين بمعنى الوقت .

غير أنَّ الأشبهَ في الآية أنْ يكونَ الحينُ السَّنة ؛ لأنَّ إدراك الثمرة كلَّ عام ، وكذا طلعُها .

وقد رُوي عن عليٍّ بن أبي طالب رحمة الله عليه أنه قال : أدنى الحينِ سنةٌ[3] .

وروى سفيان عن الحكم ، وحمَّاد ، قالا : الحينُ : سنةٌ[4] .

ومعنى ﴿ اجْتُثَّتْ ﴾ قُطِعتْ جُثَّتها بكمالها[5] .

---

(١) في المخطوطة بعض كلمات فيها طمس ، وقد أثبتناها من تفسير القرطبي ٩/٣٦٠ لأنه كثيراً ما ينقل عنه .

(٢) البيت في ديوان النابغة الذبياني ص ٣٤ يصف حيَّةً لا تجيب الراقي ، لنكارتها وشدتها ، أنذر الرَّاقون بعضهم بعضاً ألَّا يتعرضون لها ، ومعنى « تُطَلِّقه حيناً وحيناً تراجع » أنها تخفي الأوجاع أحياناً ، وتارة تشتد عليه ، وهكذا حال اللديغ ، واستشهد به في البحر ٤٢٢/٥ على أن معنى الحين في اللغة : القطعة من الزمان قال ومعنى الآية : تعطي جَنَاها كل وقتٍ وقَّته الله لها .

(٣) الأثر في الطبري ٢١٠/١٣ والبحر ٤٢٢/٥ والدر المنثور ٧٧/٤ .

(٤) الأثر في الطبري ٢٠٩/١٣ ولفظه عن شعبة قال : سألت حمَّاداً والحَكَم عن رجل حَلَفَ ألَّا يكلِّم رجلاً إلى حين ، قالا : الحينُ سنة .

(٥) قال في الصحاح : جثَّه : قلعه ، واجتثَّه : اقتلعه . والمعنى : اقتُلعت من أصلها واستؤصلت من جذورها ، قال في البحر : أي اقتُلعت جُثَّتها بنزع الأصول ، فبقيت في غاية الضعف والوَهَى .

٢٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ .. ﴾** [آية ٢٧] .

رَوى معمرٌ عن طاووس عن أبيه في ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ قال : لا إله إلا الله . ﴿ وَفِي الآخِرَةِ ﴾ عند المساءَلة في القبر[١] .

وقال البراء بن عازب وأبو هريرة : هذا عند المُسَاءَلةِ ، إذا صار في القبر[٢] .

وروى شعبة عن علقمةَ بن مِرْثِدٍ ، عن سعيد بن عُبيدة ، عن البراء بن عازبٍ عن النَّبيِّ ﷺ في قول الله : ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ قال رسول الله ﷺ : « في القبر إذا سئل »[٣] .

وروى معمر عن قتادة ، قال : بلغني أنَّ هذه الأمَّة تُبتلَى في

(١) الأثر في الدر المنثور ٤/٨١ والطبري ١٣/٢١٧ ولفظُه قال : لا أعلمه إلا قال : هي في فتنة القبر .

(٢) الأثر في الطبري ١٣/٢١٧ والدر المنثور ٤/٨١ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ٦/١٠٠ ولفظه « المسلم إذا سئل في القبر ، شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » ، فذلك قوله ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت .. ﴾ الآية ، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة ونعيمها وأهلها ٤/٢٢٠١ والنسائي في كتاب الجنائز ، باب عذاب القبر ٤/١٠١ وأبو داود في كتاب السنة ٤/٢٣٨ وابن ماجه في الزهد ٢/١٤٢٧ .

قبورها ، فيثبِّتُ اللهُ الذينَ آمنوا[1] .

ويُروى أنَّـه يُقـال له : مَنْ رَبُّكَ ؟ وَمـا دِيـنُكَ ؟ ومَـنْ نَبـيُّكَ ؟ فمن ثَبَّته الله قال : « اللهُ رَبِّي ، والإسلامُ ديني ، ومحمَّدٌ نبِيِّي » .

فهذا تثبيتٌ في الآخرة[2] .

والتثبيتُ في الدُّنيا : أنَّـه لم يُوَفَّـق لها ، إلَّا وقـد كان اعتقـادَه في الدنيا .

٢٧ ــ وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ [آية ٢٨] .

قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه : هم كُفَّارُ قريش[3] .

---

(١) الأثـر في الطبري ١٣/٢١٧ وابـن كثير ٤/٤١٦ وتفسير ابـن الجوزي ٤/٣٦١ والـدر المنثـور ٤/٨٢ وهذا له حكم المرفوع لقوله « بلغني » وقد صُرِّح برفعه في حديث جابر الـذي رواه أحمد في المسند ٣/٣٤٦ أن النبي ﷺ قال : « إنَّ هذه الأمـة تُبـتلى في قبورهـا ، فإذا أُدخـل المؤمـن قبره ، وتولَّى عنه أصحابه ، جاءه مَلَكٌ شديد .. » الحديث .

(٢) رُوي هذا في حديث أخرجه مسلم في صحيحـه برقـم (٢٨٧١) الجزء الرابـع ص ٢٢٠١ عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ يُثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثـابت ﴾ قال : نزلت في عذاب القبر ، فيُقال له : مَنْ ربُّك ؟ فيقول : ربي الله ، ونبيـيٍّ محمـد ﷺ ، فذلك قولـه عز وجل ﴿ يُثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة ﴾ .

(٣) الأثـر عن علي أخرجـه ابـن جريـر ١٣/٢٢٠ وابـن كثير ٤/٤٢٧ والسيوطـي في الـدر المنثـور ٤/٤٢٧ وعزاه إلى ابن المنذر ، والحاكم في الكُنى ، وأخرجه ابن أبي حاتم عن عبـد الله بن الكـواء أنـه سأل عليـاً عن الذيـن بدَّلـوا نعمـة الله كفـراً ، فقـال : هم مشركـو قريش ، أتتهم نعمـة الله الإيمان ، فبدَّلوا نعمة الله كفـراً ، وأحلُّـوا قومهـم دار البـوار . اهـ. وذكـره الحافـظ ابـن كثير في تفسيره ٤/٤٢٧ .

وقال عبـد الله بن عبَّـاس رحمه الله : هم قادةُ المشركين يوم بدر[1] ، ﴿ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ ﴾ أي الذين اتَّبعوهـم ﴿ دَارَ البَـوَارِ ﴾ وهـي جهنَّم ، دارهم في الآخرة .

قال أبو جعفر : البوارُ في اللغةِ : الهَلَاكُ .

٢٨ ــ وقولـه تعالى ﴿ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْـعٌ فِيـهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ [آية ٣١] .

قال أبو عبيدة : البيعُ هاهنا : الفديةُ[2] .

قال أبو جعفر : وأصل البيع في اللغة : أنْ تدفع وتأخـذ عوضاً منـه ، والـذي قال أبـو عبيـدة حسنٌ جداً ، وهـو مثـلُ قولـه تعـالى : ﴿ واتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً ﴾[3] ومثـل قولـه تعـالى : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عدلٌ ﴾[4] أي قيمة .

---

(١) الأثر أخرجه البخاري في التفسير عن ابـن عبـاس « تفسير سورة إبـراهيم » قال : هم والله كفـار قريش ، ومحمد : نعمـة الله » . اهـ. والبـوارُ : الهلاء ، وسميت جهنـم دار البـوار لإهلاكهـا من يدخلها .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٤١/١ فقد جاء فيـه ﴿ لا بيـع فيـه ولا خلال ﴾ مجازُه : مبايعـة فدية « ولا خِلال » أي مخالَّة خليل . اهـ. ففسَّر البيع بالفدية ، ويؤيده قوله سبحانـه ﴿ ليفتـدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقبِّل منهم ﴾ .

(٣) سورة البقرة آيـة رقم (٤٨) وتمامهـا ﴿ ولا يُقبَـل منها شفاعـة ولا يُؤخـذ منها عدلٌ ولا هم يُنصرون ﴾ .

(٤) سورة البقـرة آيـة رقم (١٢٣)وتمامهـا ﴿ ولا يُقبَـل منها عَدْلٌ ولا تنفعهـا شفاعـة ، ولا هم ينصرون ﴾ .

والخِـلَالُ ، والمُخَالَّـةُ ، والخُلَّـةُ : بمعنـى الصداقـة[1] .

قال الشاعر :

صَرَفْتُ الهَوَى عَنْهُنَّ مِنْ خشْيَةِ الرَّدَى
وَلَسْتُ بمَقْليٍّ الخِـلَالِ وَلَا قَالِـي[2]

٢٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾** [آية ٣٤] .

قال مجاهد : أي من كلِّ مـا رغبتم إليه فيه[3] .

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ حسنٌ ، يذهب إلى أنَّهم قد أُعْطُوا ممَّا لم يسألوه ، وذلك معروفٌ في اللغة أنْ يقـال : امْضِ إلى فلان فإنَّـه يعطيكَ كلَّ ما سألتَ ، وإنْ كان يعطيه غيرَ ما سألَ[4] .

---

(١) انظر الصحاح للجوهـري مادة خلـل فقـد جاء فيـه : الخِـلال : المخالَّـة والمصادقـة ، والخليـل : الصديق ، والخُلالة : الصداقة والمودَّة .

(٢) البيت لامـرئ القيس وهـو في ديوانـه ص ٣٥ وفي البحـر المحيـط ٤٢٧/٤ وفي المحرر الوجيـز ٢٤٥/٨ وفي الصحاح ١٦٨٨/٤ . واستشهد به ابـن جريـر في جامـع البيـان ٢٢٤/١٣ وهـذا البيت من قصيدته التي مطلعها :

أَلَا عِمْ صَبَاحـاً أَيُّهَـا الطَّلَـلُ البَالِـي ... وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ في العُصُرِ الخَالي

ومـرادُه : بالمَقْلِيِّ : المُبْغَضُ ، والقَالِـي : المبـغِض ، يريـد أنـه لم ينصرف عن الحسان لأنـه أبغضهن ، ولا لأنهنَّ أبغضنه ، ولكن خشية الفضيحة والعار ، فهـو متيَّـم بحبهنَّ ، ولكنـه صرف هذا الحبَّ عنهنَّ خشية الهلاك ، ولم ينصرف عنهن لسوءٍ في طباعه .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ٢٢٦/١٣ والسيوطي في الدر المنثور ٨٥/٤ .

(٤) توضيح هذا أن الله تقدست أسماؤه ، أعطى البشر كل ما يحتاجون إليه ، وكلَّ ما يُصلِح أحـوالهم ومعاشهـم ، ما سألـوه بلسان الحال أو المقـال ، فإنهم لم يسألـوا الله شمساً ولا قمـراً ، ولا بحراً ولا نهراً ، ولا كثيراً من النعم التي أنعم بها عليهم ، ولكنهم لمَّا كانـوا محتـاجين إليها أعطاهـم إياهـا ،

وفي الآية قولٌ آخرُ : وهو أنّه لمَّا قال جل وعز : ﴿ وَآتَاكُم مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ لم ينفِ غير هذا[1] .

على أنَّ الضَّحَّاك قد قرأ ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلٍّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾[2] وقد رُويت هذه القراءة عن الحسن أيضاً .

وفسَّره الضَّحَّاك وقتادة على النفي[3] .

وقال الحسن : أي من كلِّ الذي سألتموه .

بمعنى : وآتاكم من كل الأشياء التي سألتم .

قال أبو جعفر : وقول الحسن أولى ، والآخر يجوز على بُعْدٍ ، وبُعْدُه أنه بالواو أحسنُ عطفاً ، بمعنى : وما سألتموه[4] . إلّا أنه يجوز على بُعْد .

فعلى هذا يكون معنى الآية : وآتاكم من كلٍّ ما سألتموه ، ومن كل ما لم تسألوه ، فاكتفى بالأول عن الثاني ، كما قال تعالى ﴿ سَرَابيل تقيكم الحرَّ ﴾ أي تقيكم الحرَّ ، وتقيكم الرد ، فحُذِف الثاني اكتفاءً بذكر الأول ، وهذا ما قرَّره الفراء في معانيه ٧٨/٢ وإليه ذهب ابن كثير حيث قال في تفسير الآية ٤٢٩/٤ : أي هيأ لكم كلَّ ما تحتاجون إليه في جميع أحوالكم ، مما تسألونه بحالكم وقالكم .

(١) انظر البحر المحيط أبي حيان ٤٢٨/٥ فقد وجَّه أقوال المفسِّرين فأيَّد وفنَّد ، وهو بحث لطيف .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٣٦٣/١ بالتنوين « من كلٍّ » وذكرها أيضاً في البحر ٤٢٨/٥ .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ٣٠٣/٢ قال : وقُرِئ « من كلٍّ » بالتنوين ، وما سألتموه نفيٌ ومحَلُّه النصب على الحال أي آتاكم منه جميع ذلك غير سائليه .. إلخ . وهو رأيٌ فيه تكلف .

(٤) إنما كان هذا الوجه بعيداً لأن « ما » جاءت هنا بمعنى النفي وهو بعيد ، والأظهر الوجهُ الأول وهو أن « ما » بمعنى الذي أي وآتاكم من كل الذي سألتموه .

٣٠ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِناً ، واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ [آية ٣٥] .

وقرأ الجَحْدَرِيُّ ، وعيسى ﴿ وَأَجْنِبْنِي ﴾ بقطع الألف[1] ، ومعناه : اجعلني جانباً .

وكذلك معنى « اجْنُبْنِي » و « جَنِّبْنِي » معناه : ثَبِّتني على توحيدك ، كما قال تعالى ﴿ وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾[2] وهما مسلمان .

٣١ ــ ثم قال تعالى ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ .. ﴾ [آية ٣٦] .

وهنَّ لا يعقلن ، فالمعنى : إن كثيراً من الناس ضَلُّوا بسببهنَّ[3] .

وهذا كثيرٌ في اللغة ، يُقال : فَتَنَتْنِي هذه الدَّار ، أي استحسنتُها فافْتَتَنْتُ بسببها ، فكأنَّها فتنتني[4] .

٣٢ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ .. ﴾ [آية ٣٧] .

---

(١) هذه أي قراءة القطع « وأجْنبني » من القراءات الشاذة كما ذكره ابن جني في المحتسب ٣٦٣/١ .

(٢) سورة البقرةآية رقم (١٢٨) ﴿ رَبَّنا واجعلنا مُسْلِمَيْن لك ، ومن ذريتنا أمةً مسلمة لك ﴾ .

(٣) هذا من باب المجاز العقلي ، وعلاقتُه السببيَّة ، قال القرطبي في جامع الأحكام ٣٦٨/٩ : لمَّا كانت الأصنام سبباً للإضلال ، أضاف الفعل إليهن مجازاً ، فإنها جمادات لا تعقل .

(٤) قال صاحب الكشاف ٣٠٤/٢ : وإنما جعلن ــ يعني الأصنام ــ مضلَّات ، لأن الناس ضلُّوا بسببهن ، فكأنهن أضللنهم ، كما تقول : فتنتُهم الدنيا وغرَّتهم ، أي افتتنوا واغترُّوا بسببها .

وقرأ **مجاهد** : تَهْوَى إليهم[1] .

معنى « تَهْوِي » تنزع ، و « تَهْوَى » تحبُّ .

حدثنا محمد بن الحسن بن سماعة قال نا أبو نُعيم ، قال : نا عيسى بن قرطاس ، قال : أخبرني المسيب بن رافع قال : قال ابن عباس : إن إبراهيم ﷺ حين قال : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ .. ﴾ إلى قوله : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ فلو أن إبراهيم ﷺ قال : « اجْعَلْ أَفْئِدَةَ النَّاسِ تَهْوِي إليهم » لغلبكم عليه التُّركُ والدَّيلم[2] .

وقُرِئ على عليِّ بن الحسين — القاضي بمصر — عن الحسن ابن محمد ، عن يحيى بن عبَّاد ، قال : حدَّثنا شُعبة عن الحَكَم ، قال : سألتُ عطاءً ، وطاووساً ، وعكرمة ، عن قوله جلَّ وعز

---

(١) هذه القراءة ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٣٦٨/٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٧٣/٩ قال : ومعنى ﴿ تَهْوَى إليهم ﴾ أي تهواهم وتجلُّهم . أقول : هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٣٦٤/١ قال : أما قراءة الجماعة « تهوِي إليهم » بكسر الواو فمعناها : تميل إليهم أي تحبُّهم ، وأما قراءة الفتح « تهوَى إليهم » فهي من هَوِيتُ الشيء إذا أحببته ، إلا أنه قال « إليهم » لأنه حمله على المعنى ، لأنه لاحَظَ معنى تميلُ إليهم .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٣٣/١٣ وابن الجوزي ٣٦٨/٤ وابن كثير ٤٣٢/٤ ولفظُه : « لو قال : « أفئدة الناس » لازدحم عليه فارس والروم ، واليهودُ والنصارى ، والناسُ كلُّهم ، ولكن قال : « أفئدةً من الناس » فاختصَّ به المسلمون » أي كانت دعوته خاصة للمسلمين دون سائر الناس .

﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ ﴾ قالوا : الحجُّ[1] .

٣٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي .. ﴾ [آية ٤٠] .

المعنى : واجعل من ذِرِّيتي من يُقيمُ الصَّلاةَ .

٣٤ ــ ثم قال ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [آية ٤١] .

قيل : إنَّما دعا بهذا أوَّلاً ، فلمَّا تبيَّن له أنه عدوٌّ لله ، تبرَّأ منه[2] .

وقيل : يعني « بوالديه » آدم ، وحواء[3] .

وقرأ سعيدُ بنُ جُبير « اغفِرْ لي ولوالِدِي »[4] يعني : أباه .

وقرأ النَّخعيُّ ويحيى بن يعمر « اغفر لِي وَلِوَلَدَيَّ »[5] يعني : ابْنيْهِ .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٣٤/١٣ بلفظ : قالوا : اجعلْ هواهم الحجَّ ، وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال : خذ بقلوب الناس إليهم ، فإنه حيث يهوى القلبُ يذهب الجسدُ ، وكذلك ليس مؤمن إلَّا وقلبه معلَّق بحبِّ الكعبة . اهـ. الدر ٨٧/٤ .

(٢) اختاره الحافظ ابن كثير ٤٣٣/٤ قال : وكان هذا قبل أن يتبرأ من أبيه لمَّا تبيَّن له عداوته لله عز وجل .

(٣) ذكر هذا القول ابن عطية ٢٥٦/٨ عن بعض المفسرين ، وهو ضعيف ، لأنه خلاف الظاهر .

(٤) هذه القراءة على الإفراد « ولوالدي » وكذلك القراءة التي بعدها « ولِوَلَدَيَّ » كلاهما من القراءات الشاذة ، كما ذكر ذلك ابن جني في المحتسب في شواذِّ القراءات ٣٦٤/١ .

(٥) انظر المحتسب في شواذ القراءات ٣٦٤/١ .

٣٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ .. ﴾** [آية ٤٣] .

قوله : ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ .

قال مجاهد وأبو الضُّحَى : أي مُديمي النَّظَرِ[١] .

وقال قتادة : أي مسرعين[٢] .

والمعروف في اللغة أن يُقال : أَهْطَعَ : إذا أسرع[٣] .

قال أبو عُبيدة : وقد يكون الوجهان جميعاً ، يعني : الإسراع مع إدامة النظر[٤] .

٣٦ ــ **ثم قال تعالى ﴿ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ .. ﴾** [آية ٤٣] .

قال مجاهد : أي رافعيها[٥] .

وقال قتادة : المُقْنِع : الرَّافع رأسه ، شاخصاً ببصره ، لا يَطْرِف[٦] .

---

(١) الأثر ذكره الطبري ٢٣٧/١٣ والقرطبي ٣٧٦/٩ وابن الجوزي ٣٧٠/٤ عن مجاهد .

(٢) الأثر ذكره الطبري ٢٣٧/١٣ وابن الجوزي ٣٧٠/٤ وابن كثير ٤٣٣/٤ ورجَّحه ، واستدلَّ له بقوله سبحانه ﴿ مهطعين إلى الدَّاع ﴾ أي مسرعين نحو الداعي ، وبقوله ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعاً ﴾ .

(٣) هذا هو المشهور عند أهل اللغة ، قال الطبري ٢٣٧/١٣ : والإهطاع بمعنى الإسراع ، أشهر منه بمعنى إدامة النظر . أقول : ومنه قول يزيد الحِميري :

بدجلةَ دَارُهُمْ ولقد أراهُمْ ... بدجْلَةَ مُهْطِعينَ إلى السَّماع

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٤٣/١ .

(٥) و (٦) الأثران في الطبري ٢٣٩/١٣ وفي زاد المسير لابن الجوزي ٣٧٠/٤ وفي القرطبي ٣٧٧/٩ .

قال أبو جعفر : وهذا قولُ أهلِ اللغة ، إلّا أنَّ أبا العباس[1] قال : يُقال : أقْنَعَ : إذا رفع رأسه ، وأقنع : إذا طأطأ رأسه ذُلّاً وخضوعاً ، قال : وقد قيل في الآية القولان جميعاً[2] .

قال : ويجوز أن يرفع رأسه مديماً للنظر ، ثم يُطأطئه خضوعاً وذُلّاً[3] .

قال أبو جعفر : والمشهورُ في اللغة أن يُقال للرَّافع رأسه : مُقْنِعٌ .

ورُوِيَ أنهم لا يزالون يرفعون رءوسهم ، وينظرون ما يأتي من عند الله جلَّ وعز ، وأنشد أهل اللغة :

يُبَاكِرْنَ العِضَاهَ بِمُقْنِعَاتٍ
نَوَاجِذُهُنَّ كَالحِدَإِ الوَقِيعِ[4]

يصف إبلاً ، وأنهنَّ رافعاتٍ رءوسهن كالفؤوس .

ومنه قيل : مِقْنَعَةٌ[5] لارتفاعها .

---

(١) يريد به الإمام المبرد .

(٢) قال القرطبي ٣٧٧/٩ : والقول الأول أعرف في اللغة .

(٣) جمع أبو العباس المبرِّد بين القولين لأهل اللغة .

(٤) البيت للشماخ بن ضرار وهو في ديوانه ص ٥٦ بلفظ « يبادرن » وهي بمعنى الثانية ، والعِضاه : كلُّ شجر عظيم له شوك ، شبَّه الشاعر أسنان الإبل بالفؤوس في الحِدَّة ، والإبل مرفوعات الرءوس لتناول ورق الشجر ، وقد استشهد به أبو عُبيدة في مجاز القرآن ٣٤٣/١ وهو في الطبري ٢٣٨/١٣ والقرطبي ٣٧٧/٩ واللسان .

(٥) المِقْنَعة : قال في الصحاح ١٢٧٣/٣ : ما تُقنَّع به المرأة رأسها . أي تغطِّي ، وسُمِّيت بذلك لارتفاعها على الرأس .

ومنه قَنِعَ الرجلُ : إذا رَضِيَ ، وقَنَعَ : إذا سأل أي أتى ما يُتقنَّعُ منه[1] .

٣٧ ـ **وقوله جلَّ وعز ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾** [آية ٤٣] .

روى سفيان عن أبي إسحاق عن مُرَّة ﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ قال : مُتَخَرِّقَةٌ لا تعي شيئاً ، يعني من الخوف[2] .

وروى حجَّاج عن ابن جريج قال : ﴿ هَوَاءٌ ﴾ : ليس فيها شيءٌ من الخير ، كما يُقال للبيت الذي ليس فيه شيءٌ : هواءٌ[3] .

وقيل : وَصَفَهم بالجُبْنِ والفَزَع ، أي قلوبُهم منخوبةٌ[4] .

وأصل الهواءِ في اللُّغة : المجوَّف الخالي ، ومنه قولُ زهير :

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ
مِنَ الظِّلْمَانِ جُؤْجُؤُهُ هَوَاءُ[5] .

(١) انظر الصحاح للجوهري ، ولسان العرب ، وتهذيب اللغة ، مادة قنع .

(٢) الأثر عن مُرَّة في الطبري ١٣/٢٤٠ وابن الجوزي ٤/٣٧١ ولفظه في الطبري ﴿ وأفئدتهم هواءٌ ﴾ أي متخرِّقة لا تعي شيئاً من الخير .

(٣) الأثر في الطبري ١٣/٢٤٠ وابن الجوزي ٤/٣٧١ .

(٤) حكاه ابن الجوزي ٤/٣٧١ عن ابن قتيبة .

(٥) البيت في ديوان زهير ص ٦٣ وهو من شواهد ابن عطية في المحرر ٨/٢٦٢ والبحر المحيط ٥/٤٣٠ يصف فيه ناقته ، والرَّحلُ : ما يُوضع على ظهر البعير للركوب عليه ، والصَّعْل : الصغير الرأس ، والجؤجُؤ : الصَّدْرُ ، شبَّه الناقة في سرعتها بالظَّليم ، وهو ذكر النَّعام ، فكأن =

أي ليس فيها مخٌّ ولا شيءٌ ، وقال حسَّانُ :

أَلَا أَبْلِـغْ أَبَـا سُفْيَـانَ عَنِّـي
فَأَنْتَ مُجَـوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءٌ[1]

٣٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسِ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ العَذَابُ .. ﴾ [آية ٤٤] .

أي خوِّفْهُم .

٣٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ [آية ٤٤] .

قال مجاهد : أي أقسمتم أنكم لا تموتون . لقريش[2] .

٤٠ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ، وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ ، وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ ﴾ [آية ٤٦] .

= الرحل فوقه وهو يسرع كالمجنون طار لبُّه ، والشاهد في البيت قوله « جؤجُؤهُ هواء » أي صدرُه هواء خالٍ لا قلب فيه .

(١) البيت لحسان بن ثابت وهو في ديوانه.ص ٧ واستشهد به أبو عُبيدة في مجاز القرآن ١/٣٤٤ والطبري في جامع البيان ١٣/٢٤١ والقرطبي ٩/٣٧٧ وفي لسان العرب ، والتاج ، والمجوَّف : الخالي الجوف ، يريد أنه جبانٌ ، منتزعُ الفؤاد ، كأنه لا فؤاد له من الخوف والفزع .

(٢) الأثر عن مجاهد في الطبري ١٣/٢٤٣ والقرطبي ٩/٣٧٨ وقوله لقريش ، متعلق بفعل محذوف تقديره : يقول تبارك وتعالى ذلك لقريش ، فهو كلامهم حكاه القرآن عنهم .

قرأ عمر بن الخطــاب رحمة الله عليـــه : ﴿ وَإِنْ كَادَ ﴾[1] بالدَّال .

وقــرأ علــيٌّ بن أبي طالب رضوان الله عليـــه : ﴿ وَإِن كَانَ مكرُهـم لَتَزُولُ مِنـه الجِبَـالُ ﴾[2] بفتـح الـلَّام ، ورفـع الفعـل .. وكاد بالدَّال هذا المعروف من قراءته .

والمشهـور من قراءة عبـد الله بن مسعـود ، وعبـد الله بن عبـاس « وإنْ كادَ » بالدَّال .

وقرأ مجاهد : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَـزُولُ منـهُ الجبـالُ ﴾ وهـي قراءة الـكسائي ومجاهـد ، و « إن » [معناهـــا « لو » أي ولـــو كان مكرهم لَتزول منه الجبـال ، لم يبلغـوا هذا ، ولـن يقـدروا على الإسلام ، وقد شاء الله تبارك وتعالى][3] أن يُظهره على الدين كله .

---

(١) و (٢) قراءة « كاد » وقراءة « لَتَزُول » كلاهما من القـراءات الشاذة كما حكـاه ابـن جنـي في المحتسب ٣٦٥/١ قال ابـن جنـي : وهـذه القـراءة على أنَّ « إنْ » مخفَّفـة من الثقيلـة ، والـلَّامُ في قولـــه « لَتزولُ » هي التي تدخـل بعـد « إنْ » هذه المخففـة من الثقيلـة ، فصلاً بينها وبين « إن » التـي للنفي في قوله تعالى ﴿ إن الكَافِرُونَ إلَّا في غرور ﴾ أي ما الكافـرون إلَّا في غرور ، فكأنـه قال : وإنه كاد مكرُهم تزول منه الجبال . اهـ .

(٣) في المخطوطـة طمسٌ في بعض الكلمـات في السطـر الأخير ، جهدنـــا في معرفتـــه والله أعلـــم بالصواب .

قال أبو جعفر : وهذا معروفٌ في كلام العرب ، كما يُقـال : لو بلغتَ أسباب السَّماء !! وهو لا يبلغها ، فمثله هذا .

ورُوي في قراءة أُبَيٍّ بن كعب رحمه الله ﴿ ولـولا كلمـةُ اللهِ لَزَالَ مكرهم الجبال ﴾[1] .

وقال قتادة : « وإن كان مكرُهـم لتـزولَ منـه الجبـالُ » قال : حين دعـوْا للهِ ولـداً[2] وقـد قال سبحانـه ﴿ تكـادُ السَّمـواتُ يتفطَّـرنَ منهُ ﴾[3] .

ومن قرأ : ﴿ وإنْ كان مكرُهم لِتزُولَ منـه الجبـالُ ﴾ ذهب إلى أن المعنى : ما كانَ مكرهم ليـزول به القـرآنُ ، على تضعيفـه[4] ، وقد ثبت ثبوت الجبال .

وقـال الحسن : مكرُهـم أوهـى وأضعـفُ من أن تزول منـه الجبال ، وقرأ بهذه القراءة[5] .

---

(١) هذه القراءة ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٦٥/٨ وعزاها إلى أبي حاتم ، وهي قراءة شاذة .

(٢) الأثر في الطبري ٢٤٦/١٣ ولفظُه : قال ذلك حين دعوا للهِ ولداً ، وقـال في آيـة أخرى « تكـاد السمـوات يتفطـرن منـه » يريـد قتـادة أنـه يؤيِّـد قولـه بالآية الأخرى التـي تدلُّ على عظم ذلك البهتان .

(٣) سورة مريم آية رقم (٩٠) .

(٤) يريد توهين وتضعيف مكرهم ، وهذا على أنَّ « إنْ » نافية بمعنى « ما » أي ما كان مكرهم ليزيل الجبال ، أي وهو أضعف وأوهن من ذلك ، وتفسير الجبـال بالقـرآن والإسلام هو قول الزجـاج كما في معانيه ١٦٦/٣ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٧٥/٤ .

(٥) الأثر عن الحسن في الطبري ٢٤٦/١٣ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٧٤/٤ .

وقد قيل في معنى الرفع قولٌ آخر ، يُروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن نمروذ لمَّا جوَّع النُّسورَ ، وعلَّق لها اللَّحْمَ في الرِّماح ، فاستعلى ، فقيل له : أين تريد أيُّها الفاسقُ ، فاهْبِط ، قال فهو قوله جل وعز ﴿ وإنْ كَانَ مكرُهُم لِتزولَ مِنْهُ الجِبالُ ﴾[1] .

وقال عبد الله بن عباس : « مكرُهم » ههنا : شِرْكُهم[2] ، وهو مثلُ قوله تعالى ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا ﴾[3] .

٤١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ ﴾** [آية ٤٨] .

رَوى إسرائيل عن أبي إسحاقَ عَن عمروِ بنِ ميمونٍ ، عن عبد الله بن مسعود قال : تُبَدَّلُ أرضاً بيضاء مثلَ الفِضَّة ، لم يُسْفَك عليها دمٌ حرامٌ ، ولا يُفْعل فيها خطيئةٌ[4] .

---

(١) هذه من الإسرائيليات التي لا يعوَّل عليها ، وانظر تمام القصة في الطبري ٢٤٤/١٣ وابن كثير ٤٣٥/٤ قال ابن عطية في المحرر ٢٦٥/٨ : ذكرت هذه القصة عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وذلك عندي لا يصح عن علي ، وفي هذه القصة كلِّها ضعف من طريق المعنى ، وذلك أنه غير ممكن أن تصعد الأنسر كما وصف ، وبعيد أن يُغرِّر أحد بنفسه في مثل هذا .

(٢) الأثر في الطبري ٢٤٥/١٣ وابن كثير ٤٣٦/٤ .

(٣) سورة مريم آية رقم (٩٠) .

(٤) الأثر في الطبري ٢٤٩/١٣ وابن كثير ٤٣٨/٤ والدر المنثور ٩١/٤ قال السيوطي : أخرجه البزار ، وابن المنذر ، والطبراني ، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ مرفوعاً . وذكره ابن كثير من حديث عبد الله بن مسعود وقال : أخرجه الحافظ أبو بكر البزَّار ، ثم قال : لا نعلم من رَفَعه إلَّا جرير بن أيوب ، وليس بالقوي .

وقال جابر : سألتُ أبا جعفر « محمَّد بن عليٍّ » عن قول الله عز وجل ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ ﴾ قال : تُبدَّلُ خبزةً ، يأكل منها الخلقُ يوم القيامة(١) ، ثم قرأ ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾(٢) .

حدثنا الحسن بن فَرَج(٣) بغزَّة قال : نا يوسف بنُ عديٍّ ، قال : حدثنا عليُّ بنُ مُسْهِر ، عن داودَ بن أبي هند ، عن الشعبيِّ عن مسروق عن عائشة قالت : سألت النبي ﷺ عن قول الله جل وعز ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ فأين يكون النَّاسُ يومئذٍ يا رسولَ الله ؟ قال : « على الصِّراط »(٤) .

وقال الحسن : تُبدَّل الأرضُ كما يقول القائل : لقد تبدَّلت يدينا قال : تذهب شمسُها ، وقمرُها ، ونجومُها ، وأنهارُها ، وجبالُها ، فذلك هو التبديلُ(٥) .

---

(١) الأثر في الطبري ٢٥٢/١٣ وتفسير ابن الجوزي ٣٧٦/٤ والقول الأول أرجح .

(٢) سورة الأنبياء آية رقم (٨) وتمامُها : ﴿ وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ﴾ .

(٣) الحسن بن الفَرَج أبو علي الغزّي ، راوي الموطأ عن يحيى بن بُكير ، صدوق ، وفاته بعد الثلاث مائة ، وانظر ترجمته في لسان الميزان ٢٤٤/٢ .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣٥/٦ ومسلم في صفات المنافقين رقم ٢٧٩١) والترمذي في التفسير رقم (٣١٢٠) وابن ماجه في كتاب الزهد رقم (١٢٧٩) وابن جرير الطبري ٢٥٣/١٣ والسيوطي في الدر المنثور ٩٠/٤ .

(٥) الأثر في الطبري ٢٥٠/١٣ بنحوه ، ورواه ابن الجوزي عن ابن عباس ٣٧٥/٤ قال : تذهب آكامها ، وجبالها ، وأوديتها ، وشجرها ، وتمدُّ مدَّ الأديم . اهـ. وعلى هذا القول يكون التبديل للأرض بتغيير صفاتها ، ونسف جبالها ومدِّ أرضها .

٤٢ ـــ وقوله جل وعز ﴿ وَتَرَى المُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴾ [آية ٤٩] .

قال قتادة : في الأغلال والأقيادِ[1] .

٤٣ ـــ وقوله جل وعز ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ [آية ٥٠] .

قال الحسن : هو قَطِرَانُ الإبل[2] .

وروي عن جماعة من التابعين أنهم قالوا : هو النحاس .

والمعروف في اللغة أنه يُقال للنحاس : قِطْرٌ : قال الله عز وجل ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ ﴾ .

وقرأ ابن عباس وعكرمة : « سَرَابِيلُهُمْ من قِطْرٍ آنٍ »[3] وفسَّراه : بالنحاس .

قال أبو جعفر : وهذا هو الصحيح ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ ﴾[4] والسَّرابيلُ : القُمُص[5] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٣/٢٥٥ وابن الجوزي ٤/٣٧٧ والبحر المحيط ٥/٤٤٠ .

(٢) الأثر في الطبري ١٣/٢٥٦ والقرطبي ٩/٣٨٥ قال : قطران الإبل الذي تهنأ به ـــ أي تدهن به ـــ وذلك أبلغ لاشتعال النار فيهم .

(٣) هذه من القراءات الشاذة في المحتسب في الشواذ لابن جني ١/٣٦٦ .

(٤) سورة سبأ آية رقم (١٢) .

(٥) قال الطبري ١٣/٢٥٥ : السرابيل جمع سربال وهو القميص قال امرؤ القيس : لعوب تنسِّيني إذا قمت سربالي . اهـ.

وقال عكرمة : و « آنٍ » انتهى حرُّه ، ويُقـال : إن الهمـزة بدلٌ من الحاء .

فإن قيل : فلعلَّ الحاء بدل الهمـزة !! قيـل : ذلك أولى ، لأنـه مأخوذ من الحين .

تمت سورة إبراهيم

• • •

تم الجزء الثالث من
معاني القرآن الكريم
بحمد الله وتوفيقه في البلد الحرام
« مكة المكرمة »



مطابع مؤسسة مكة للطباعة والاعلام
مكة المكرمة - ت : ٥٢٠٣٠٥٤